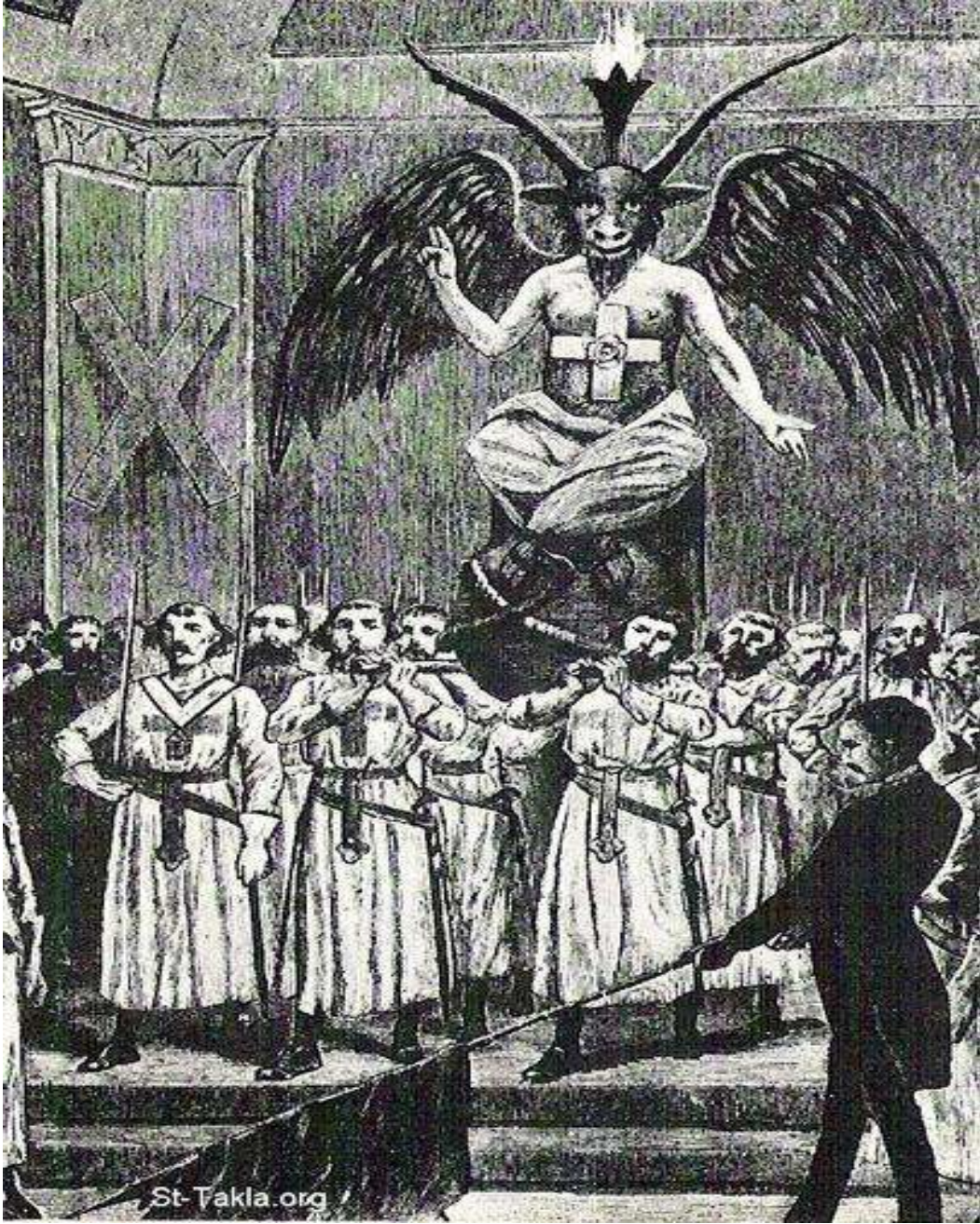


محمود خليفة

أرض الجمل

رواية



إهداء

إلى والدي الحبيب الذي كان يذهب بي إلى كتاب الشيخ محمد بعزبة بلال منذ عام 1968 وحتى دخولي المدرسة الابتدائية في أكتوبر 1969. وإهداء إلى أمي الحبيبة التي تتابع تعليمي حتى دخولي كلية الطب. وإهداء إلى زوجتي الحبيبة الدكتورة خديجة أحمد إسماعيل فهي التي قالت لي "اكتب" بضم الألف وتسكين الكاف وضم التاء، وذلك حينما وجدت مني التردد في تسطير هذه الرواية...

وإلى زوجتي مرة ثانية، وأحمد وأسماء وأسامة، أبنائي الأحباء، فقد ساعدوني كثيرا في ضبط القواعد واللغة في هذه الرواية...

وإلى ابنتي الحبيبة أروى التي وُلدت أثناء كتابة هذه الرواية ونفخت فيَّ من روحها العظيمة...

تمهيد

إلى القاريء الكريم، أقول له:

إذا أعجبتك هذه الرواية، فاعلم أنها نَفَس من أنفاس "نجيب محفوظ" الأديب المصري العالمي، أو زفرة من زفرات "دان بروان" الصحفي والأديب الأمريكي العالمي...

أما النقاد -إن نظروا إلى هذه الرواية أية نظرة- فإن رضاؤهم من المستحيلات السبع!

نبدأ جلستنا بقراءة مباركة من سورة الحج الآيات 26 إلى 32 وبتلوها علينا الأخ علي.

يبدأ علي عبد المنعم في القراءة بصوته الندي العميق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَالْإِنْسَانَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29) ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (30) حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31) ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (32)} صدق الله العظيم.

يبدأ الأستاذ أحمد الغرباوي قائد الجلسة بتعليق على الآيات الكريمة:

-إخواني الأحباء... إن هذه الآيات المباركات تسلط الضوء على فريضة الحج، وتركز على توحيد الله عز وجل، لأن مفتاح قبول الحج أو أي عمل عند الله -عز وجل- هو التوحيد الخالص لله، ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم. يقول الله في الحديث القدسي فيما معناه: ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن أشرك معي أحدا غيري تركته وشركه)).

فيا إخواني، إذا كانت أعمالنا 99% لله و1% شرك مع الله، فإن الله لا يقبل هذه الأعمال!... استرسل الغرباوي في تفسيره لآيات سورة الحج -وكان الأخوة الحضور ينصتون باهتمام بالغ- حتى انتهى تفسيره إلى قوله تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}.

أتى حسن ابن الأستاذ أحمد الغرباوي بالشاي، فتبسم الغرباوي وقال:

-والآن يا إخواني، نتعارف. أخوكم: أحمد محمد الغرباوي. السن 50 سنة. وأعمل في شركة المقاولون الشرقية. متزوج ورزقني الله بعائشة في السنة النهائية بكلية التجارة، وحسن في الثانوية العامة، ومصطفى في الثانية الإعدادي.

تحمس طارق عمر ليعرف نفسه، فقال له الغرباوي:

-أكمل التعريف من جهة اليمين.

أشار الغرباوي إلى يمينه ناحية الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح الذي عرف نفسه:

-أخوكم في الله: إسماعيل عبد الفتاح رضا. السن 47 سنة. مدرس أول رياضيات في مدرسة التوفيقية الثانوية. السكن في ميدان خلوصي. متزوج ولا أعول.

فعلق الغرباوي متفائلا:

برزقنا الله وإياكم بالذرية الصالحة.

-أخوكم: صلاح كمال الشيمي. 46 سنة. أخصائي أمراض جلدية وتناسلية في مستشفى الحوض المرصود. أسكن في 7 شارع عطا الله حنا. متزوج وعندي خالد في الأول الإعدادي وسحر في

الخامس الابتدائي.

-أخوكم في الله: علي عبد المنعم السيد صابر. السن 20 سنة. طالب في الفرقة الثانية بكلية طب عين شمس. السكن في 7 شارع عشرة. وكاد أن يعلق أحمد الغرباوي على الناحية الاجتماعية، فتبسم علي:

-أعزب ولا أعول. وربنا يزوجنا جميعا.

فضحكوا.

أوما الغرباوي:

-أخفض من صوتك حتى لا تسمع الحكومة العسكرية -مشيرا إلى زوجته داخل الشقة- شيئا.

فانفجروا ضحكا...

تبسم الدكتور صلاح الشيمي ضاحكا:

-وحيئنذ -أي عند الزواج الثاني- سوف لا يهنأ الزوج به لأن الزوجة الأولى سوف تقضي عليه ليتزوج ويهنأ بالهور العين!

فضجوا ضحكا...

-أخوكم: سعيد عوض الزامل. السن 20 سنة. دبلوم صنايع وأبحث عن عمل. السكن في منزل الدكتور صلاح. أعزب ولا أعول.

-أخوكم طارق عمر فايز. 21 سنة. طالب في الفرقة الثانية كلية التربية جامعة عين شمس. السكن في 21 شارع يعقوب. أعزب.

بدعوا يحتسون الشاي.

هتف الغرباوي بثقة:

-يا إخواني، الواجبات أكثر من الأوقات. والوقت هو الحياة.

وبحماس:

-ونحن نملك أغلى كنزا ألا وهو الحياة. والرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول فيما معناه: ((لا بارك الله في يوم لم أزد فيه علما أو قربا إلى الله))...

علق الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح في نفسه:

والله أنت يا غرباوي تتكلم كلاما لا يستطيع مدير المدرسة -الحاصل على تعليم عال- أن يأتي بمثله...!

-... فمعنى الحديث أن نفتنص الوقت اقتناصا، حتى وقت الفراغ يجب أن نستفيد منه أيما إفادة.

كان معاذ بن جبل -رضي الله عنه- حينما يجد صحابي يقول له: "هيا بنا يا أخي نؤمن ساعة"، وكانت هذه الساعة هي ساعة يذكرون فيها الله سبحانه وتعالى. وكان الصحابي يشتكي للرسول -صلى الله عليه وسلم- ويقول يا رسول الله: ألسنا مؤمنين حتى نؤمن ساعة، فيجيبه الرسول الكريم: ((رحم الله معاذ علم أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بذكر الله عز وجل))...

فيا أيها الأخوة، نحن في هذه الجلسة الأسبوعية نذكر الله ساعة. فيجب أن نخلص لله وحده. وأن يكون هذا اللقاء الأسبوعي سرا بيننا، وأن يكون يوم الخميس بعد صلاة العشاء، وسوف يتغير المكان في كل مرة. وأرجو منكم أن تأتي في الموعد تماما.

تمطى صمت ثقيل على الجلسة حتى مزقه الغرباوي وهو يقرأ من ورقة أمامه:
- وكل أخ عليه دور مهم لنجاح هذا اللقاء. فأرجو أن نستشعر المسؤولية. فعلى الأستاذ إسماعيل التحضير من كتاب "الأربعون النووية"، والدكتور صلاح عليه التحضير من كتاب "تهذيب السيرة"، والأخ علي من كتاب "تهذيب الأنفس"، والأخ طارق عليه الفقه من كتاب "فقه السنة"، أما الأخ سعيد فعليه تحضير نشرة الأخبار الأسبوعية، وعليّ التعليق على آيات القرآن الكريم. والله المستعان. وقديما يا أخوة، علمونا في الدعوة، أن الأخ عليه أن يأتي في الموعد تماما، وإذا أتى مبكرا، فإنه يتمشى حول مكان اللقاء حتى يحين الموعد فإنه يدخل المنزل.
حدث الدكتور صلاح الشيمي نفسه:

نظام عسكري!

قال علي عبد المنعم:

- إن سكنا جميعا متقارب، والحمد لله.

تحمس الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح وهو يقول:

- كان الأستاذ عباس العقاد -رحمه الله- إذا أعطى موعدا لأحد، ولم يأت هذا الشخص في الموعد، فإن العقاد كان يترك شفقه حتى إذا أتى ذلك الشخص متأخرا فإنه لا يجد أحدا!
ضحك صلاح الشيمي:

- حتى يتعلم الأدب!

انطلق الغرباوي في حديثه انطلاق الرصاصة:

- قديما تعلمنا في الدعوة -سرى حديث نفس لكل الحاضرين ماعدا علي عبد المنعم "أي دعوة هذه التي تعلمت فيها وتتحدث عنها كثيرا؟" - أن الإنسان يولد مرتين؛ مرة حين يولد من بطن أمه، والثانية حين يلتحق بالدعوة ويضحى داعية إلى الله.

صمت أحمد الغرباوي قليلا ثم هتف بإيمان وبقين شديدين:

- إن طريق الأنبياء هو الدعوة إلى الله...

تأثر علي عبد المنعم وكاد قلبه أن يبكي فرحا...

"ما هذا الكلام العظيم؟ إن تعليمك من المؤكد أنه لا يتعدى دبلوم الصنائع!" محدثا نفسه الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح.

ترك الأستاذ إسماعيل حديث النفس وتجراً وتساءل:

- أي دعوة تتحدث عنها يا أستاذ أحمد؟

تبرم الغرباوي: - لا تتعجل، يا أستاذ إسماعيل. سوف تعلم عما قليل.

حدث طارق نفسه:

أنا معك منذ شهور طويلة في الدعوة التمهيدية وربما باقي هؤلاء الأخوة، وحيرتنا في الحركة التي تنتمي إليها. فاللحية الكثنة لا نجدها في الإخوان، لأن أغلبهم حالقو اللحي. وطولك الفارع والمعطف الذي ترتديه يتماشى مع الجهاد والجماعة الإسلامية!...

بينما سعيد الزامل كاد أن يصيح:

يا شيخ، أسلوبك ينتمي إلى الإخوان، بينما هيئتك تنتمي إلى الجهاد!

شرد الدكتور صلاح الشيمي مع نفسه:

الدعوة تعطي من يعطيها، وتمد من يجاهد في الله بنور من السماء. ولا توجد علاقة بين الشهادة الدراسية وبين الدعوة إلى الله يا دكتور... أتذكر ابتهاج الراقصة؟!...

عاد صلاح الشيمي من شروده على صوت الغرباوي:

-إن أول أساس في الدعوة أن يدعو الإنسان نفسه ويرببها ثم يدعو غيره، والفشل في ميدان النفس هو الفشل عينه في ميدان الآخرين...

استمر الشيمي لشروده:

"ما علاقة الراقصة ابتهاج بالشهادات يا أبا الضمائر؟ الراقصة ابتهاج كما كنت أسميها- حاصلة على شهادة جامعية وتعمل راقصة...! تريد أن تقول أن العبرة بالأعمال، فلماذا تذكرني في هذه الجلسة الروحانية بالذكريات العفنة؟ يبدو أنك شيطاني ولست ضميري! الله يخرب بيتك"

تبسم الغرباوي وهو يتساءل:

-أين ذهبت يا دكتور صلاح؟

ولم ينتظر إجابة، إنما استأنف:

-إننا إذا انتهينا من بناء الفرد، فإنه حينما يتزوج يبني أسرة مسلمة، والأسر تكون المجتمع المسلم، ومن المجتمعات تتكون الدولة المسلمة حتى نصل إلى أستاذية العالم...

تحمس إسماعيل عبد الفتاح متسائلا:

-يا أستاذنا، أليست هذه تعاليم الإخوان المسلمين؟

فأجابه الغرباوي:

-الأسماء ليست هامة، العبرة بالعمل. فيجب أن يكون الله هو الغاية. والرسول هو القدوة. والقرآن هو الدستور. والجهاد هو السبيل...

قاطعته علي عبد المنعم متحمسا:

-والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

فقال صلاح بسرعة:

-وهذه أيضا شعارات الإخوان المسلمين!

فهتف علي متحمسا مسرورا:

-الله أكبر والله الحمد...

فانفجرت أساريير الغرباوي...
أما سعيد فقد اكتسى وجهه بالإحباط لأنه يؤمن بتغيير المنكر باليد ويعتقد في الجماعات المسلحة، ولكنه لم يعلق بشيء.
والإحباط نفسه ملأ روح طارق لأنه لا يؤمن بالجماعات الدعوية كالأخوان المسلمين وغيرها، ويوقن بيقين شديد في الجماعات المسلحة كجماعة الجهاد والجماعة الإسلامية...
أحس الغرباوي بما في أعماق سعيد وطارق، فضم شفثيه أسفا ثم استأنف:
-الإمام المؤسس حسن البنا -عليه رحمة الله- خاطب المتحمسين والمستعجلين لاستخدام القوة وقال لهم: "من° يستعجل قطع الثمرة قبل نضجها فليتخذ له طريقا آخر"...
حدث طارق نفسه:

ماذا قدمتم للإسلام بعد أكثر من خمسة وستين عاما من الدعوة السلمية؟
ثم تساءل في سره في سخرية:

أين أستاذية العالم؟!!

وأجاب في سره وكاد أن ينفجر ضحكه من قمقه:

-في المشمش!!

-وكما نعلم يا إخواني، أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- والصحابة لم يحاربوا إلا في المدينة المنورة بعد أن قويتم شوكتهم وأذن الله لهم بالجهاد حينما نزل قوله تعالى في سورة الحج: {أَذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} *¹...
قطع الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح استرسال الغرباوي:

-لكن الإخوان استخدموا القوة في صورة التنظيم الخاص في تغيير المنكر.

-نعم، يا أخي. فقد كان التنظيم الخاص أداة للإخوان، وحاربوا به الاستعمار الإنجليزي في معسكرات القنال وكذلك في حرب الصهاينة عام 1948. وفي ذلك الوقت، كانت في مصرنا الحبيبة كثير من الحركات المسلحة مثل: "القمصان الزرق" لحزب الوفد، و"القمصان الأخضر" لمصر الفتاة، والحركة الشيوعية ومنها "حدثو" كان لها تنظيم مسلح، حتى الملك فاروق كان له "الحرس الحديدي" التنظيم المسلح الشهير.

تنهد الغرباوي وهو يضيف:

-وقبل ذلك بسنوات، كانت هناك جمعيات مسلحة سرية مثل "اليد السوداء"، و"المصري الحر"، و"الانتقام"... ويا أخوة، لقد كان الاحتلال الإنجليزي الجاثم على أنفاس مصر والمصريين، هو

¹ الأيتان 39 و 40 من سورة الحج

الشرارة التي أدت إلى بزوغ الحركات المسلحة، ومنها التنظيم الخاص للإخوان. ولكن بعد مقتل الإمام الشهيد حسن البناء، أمسى أداة مدمرة، وفقدت جماعة الإخوان السيطرة عليه. تنفس الأستاذ أحمد الغرباوي نفساً عميقاً وهو يكمل:
-لذلك انتهى هذا التنظيم بعد رفع الجماعة أيديها عنه...
تساءل الدكتور صلاح:

-لماذا لم تبني الجماعة التنظيم الخاص مرة أخرى بعد تحرر الإخوان من السجون الناصرية؟
-الجماعة تعلمت من أخطائها ولن تعيده مرة أخرى. وتأملوا، يا إخواني، إلى الجماعات المسلحة الموجودة الآن في مصر والجزائر والمغرب وانظروا إلى أيديهم المخضبة بدماء الأبرياء. فامتعض سعيد عوض:
-ولكن أولئك الأبرياء هم الشرطة الظالمة التي تحاد الله ورسوله. بل، يا أستاذنا، إنهم يقتلون الناس في دينهم.
وبقوة وامتعض أكثر:

-وأنا أقول بيقين: إنهم ككفار مكة الذين فتنوا الصحابة في دينهم...!
وأعقبه طارق عمر بالامتعض نفسه وبسخرية مريرة:
-وأخوة الجماعات المسلحة يقتلون أفراداً من الأمن الذين أذاقوا الناس صنوف العذاب وخاصة في مذابح أمن الدولة.
تبسم الغرباوي وهو يرد:

-أيها الأخوة، نحن لا نكفر أحداً حتى لو عذب الناس. ولا ينبغي لنا أن نغير المنكر باليد. ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة، فقد كان -عليه الصلاة والسلام- يصلي في الكعبة وبها 360 صنماً، فلم يكسر صنماً، ولم يُغير منكراً باليد، حتى أذن الله له في ذلك حينما قويت شوكة المسلمين في المدينة المنورة...

خيم صمت زاحف على الجميع وزحفت معه أفكار متباينة ومشوشة في نفوس الأخوة من الخوف من المجهول وما هم مقبولون عليه. وبعد برهة من الوقت غير المحسوس، تناثرت في الرؤوس كلمات مثل: إخواني، أمن الدولة، إخوانجي، التيار الإسلامي، فزع الدولة، الخلافة الإسلامية، المعتقلات، أستاذية العالم، في المشمش، السجون...
كان علي عبد المنعم هو الوحيد المطمئن جداً، وهو الوحيد الذي يعرف الدرب جيداً، وهو الوحيد الذي يتدفق في روحه الحماس وأشياء كثيرة جداً...
كان الأستاذ أحمد الغرباوي يدقق في الورقة التي أمامه ثم اكتسى وجهه ورأسه الكبير بالجدية وقال بحزم:
- إخواني الأحباء، علينا بعض الواجبات، وأرجو أن نلتزم بها ونري الله -سبحانه تعالى- منا كل جهد وعزم.

استلم الغرباوي للصمت العميق حتى يشد الأذهان لكل ما هو آتٍ...
ثم استأنف وهو يتفرس في عيون الأخوة وهو يقرأ:

- 1- الصلوات الخمس يجب أن تكون في جماعة في المسجد.
- 2- المداومة على أذكار الصباح والمساء وخاصة من رسالة المأثورات.
- 3- قراءة جزأين -على الأقل- من القرآن الكريم يوميا.
- 4- الحرص على صلاة قيام الليل يوميا، الأفضل في ثلث الليل الأخير.
- 5- صيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع.
- 6- الصدقة.
- 7- صلة الأرحام ولو مرة في الأسبوع.
- 8- حسن الخلق مع الناس كافة وخدمتهم وهذا هو رأس مالنا.
- 9- الحرص على لقاءنا الأسبوعي في مسجد الهجين بعد صلاة العشاء يوم الاثنين لنتفقد أحوال بعضنا.
- 10- الدعوة العامة للإسلام، والدعوة الخاصة لضم أفراد جدد للجماعة.

-2-

تسلل خيط رفيع أبيض من ضياء الفجر في سماء القاهرة ليبدد جزءا من الظلام الدامس الذي يكسو وجه السماء. ارتفع وتعانق صوت المؤذنين: "الله أكبر. الله أكبر" ليعلن عن صلاة الفجر...

احمر وجه السماء في شرق القاهرة ليُنْبأ عن مخاض ميلاد الشمس التي تنفخ من روحها، ومن أشعتها الذهبية، ومن دفئها، في بعث الحياة في يوم جديد في مدينة القاهرة التي لا تنام... تفتحت أبواب مستشفى الحوض المرصود العتيق. كان الدكتور أحمد إسماعيل، ذو الثلاثة والخمسين ربيعاً، الربعة، القمحي اللون، أول الداخلين من أطباء المستشفى كالعادة. ركن سيارته الدوجان الحديثة تحت شجرة الصفصاف المعمرة. ترجل حتى استوى جالساً على الكرسي البلاستيك الأبيض معطياً ظهره لمطبخ المستشفى ومستقبلاً لشعاع الشمس الدفيء في صباح يوم من أيام شهر يناير عام 1995.

أما الدكتور سليم السيد حامد، ذو الخمسة والخمسين ربيعاً، الطويل، الأبيض الوجه، المهيّب، مدير المستشفى، ثاني الداخلين. يركن سيارته السيّات 133 الصغيرة بجوار السيارة الدوجان كالعادة، ويسلم على الدكتور أحمد إسماعيل، ويذهب مسرعاً إلى مكتبه ليراجع بعض المستندات.

بينما الدكتور حكيم نخلة -ذو الخمسين ربيعاً- القصير القامة- الأسمر- يكون دائماً هو ثالث الحضور. يركن سيارته الفيات 128 بجوار السيارة السيّات. وكأن السيارة السيّات تقف بين أمها الدوجان وأختها الكبرى الفيات 128. يجلس الدكتور حكيم على الكرسي البلاستيك الأبيض بجوار الدكتور أحمد، لينتظرا حضور الدكتورين المسؤولين عن توقيع الأطباء وهما عبد الوهاب محمود وزوجته سميرة سعيد. تساءل الدكتور أحمد:

-لماذا يدانك باردتان جداً اليوم يا حكيم؟

فرك الدكتور حكيم يديه وأجاب:

-إنني أعاني من ضيق في الشرايين الطرفية.

-فلماذا لا تأخذ أدوية تعمل² vasodilatation؟

-أنا مستمر عليها، ولكن مع البرد الشديد لا تعمل جيداً.

-يبدو أنك تحتاج إلى تدفئة خاصة لليدين والقدمين.

مضت برهة من الصمت المتبادل شرد فيها حكيم نخلة يتساءل مع نفسه:

² أدوية موسعة للشرايين

إلى متى يا أحمد تظل أعزب بعد هذا العمر؟ مسكين يا أحمد. تزوجت عدة زيجات فاشلة حتى استسلمت أخيراً لحياة العزوبية القاسية في عمرك هذا. والسبب في ذلك هو عملك بالكويت. يا ليتك لم تسافر. ماذا جنيت من السفر؟ زواج فاشلة.

بينما كان أحمد إسماعيل يتساءل مع نفسه:

إلى متى ترفض فرص السفر للعمل في الخليج وأنت في ميسيس الحاجة للسفر؟ لقد ضربت يا حكيم مثلاً عظيماً في الصمود أمام المعيشة الضنك التي نحيها في مصر. ولكن إلى متى ستظل ثابتاً صامداً مجاهداً؟ أنا أغبطك على موقفك هذا، ولكني في الوقت نفسه، أتمنى أن تسافر حتى تتحسن أحوالك المادية كلها، وتعد جهاز ابنتك مريم التي على وشك الزواج، وتساعد ابنك عادل المسكين الخاطب منذ عدة سنوات ولا يستطيع أن يجد شقة للزواج ولا أن يجهزها... قطع أحمد إسماعيل الصمت:

-هل ما زلت تأخذ مئة جنية فقط من العيادات الاقتصادية؟

-للأسف نعم، يا دكتور أحمد. فهؤلاء القوم يمنحون خمس نقاط -والنقطة بمائة جنية كما تعلم- لمن يسجل تحاليل طبية كثيرة، سواء كانت هذه التحاليل هامة للمريض أو غير هامة، ضرورية أم وهمية! أما الذين يُراعون ربهم وضميرهم ولا يطلبون إلا التحاليل الضرورية، فليس لهم إلا نقطة واحدة ودعوات المريض!

تبسم أحمد وهو يتساءل:

-وماذا عن الذين يكشفون على أعداد كبيرة من المرضى في أكثر من عيادة من عيادات الاقتصاد طوال اليوم؟

-مهما كشفت طوال اليوم في الاقتصادي، فالعبرة بكم وعدد وقمة التحاليل.

-فهذا خداع وغش للمرضى.

-نعم، يا أحمد. ونحن قد سألنا المسؤولين عن ذلك فقالوا هذه أوامر المديرية، وسألنا في المديرية فقالوا هذه أوامر الوزارة، وإذا سألنا في الوزارة سيقولون هذه أوامر...!

تعجب أحمد، وقال:

-الكفر كله ملة واحدة!

-ماذا تقصد؟

-أقصد أن ما يتم من خداع وضحك على المرضى في القطاع الخاص، هو نفسه الذي يتم في المستشفيات الحكومية!

هتف حكيم وهو ينظر إلى السماء:

-للك الله يا مصر.

-ولكن أخبرني، يا حكيم، لقد سمعت عن مسئولين هنا بالمستشفى يتقاضون خمس نقاط، ولا يعملون في الاقتصادي بالمرة، هل هذا صحيح؟

-نعم.

ثم زفر حكيم زفرات حارة وهو يفسر:
-فمدير المستشفى، ونائبه، ومدير وحدة الأمراض التناسلية، ومدير الطب العلاجي للأمراض الجلدية والتناسلية، ورئيس شؤون الموظفين، يتقاضون خمس نقاط بلا عمل في الاقتصادي.
ضحك أحمد ضحكة ممطوطة ثم تساءل ساخراً:
-الأستاذة رئيس شؤون الموظفين ماذا تعمل في العيادات الاقتصادية أو غير الاقتصادية؟
فأجابه ساخراً:
-يا سيدي، هناك الكثير من الموظفين -غير الأطباء- في المديرية يتقاضون من حليب عيادات الاقتصادي في مستشفانا وغيرها.
تبسم أحمد وقال:
-ربنا يبارك لهم في بقرة الاقتصادي.
وصلت سيارة الدكتور عبد الوهاب محمود وزوجته. سلما على أحمد وحكيم. وذهبا مسرعين إلى مكتبهما.
-ولكن، يا أخي حكيم، لماذا تُتعب نفسك وتبذل الجهد في الاقتصادي طالما أنك لا تأخذ حقك؟
-أنت سافرت إلى الكويت عدة سنوات، وأرحت نفسك مادياً، ولكن ماذا يصنع الذي لم يسافر، ويجاهد هنا في الفقر المدقع.
-ولماذا لا تسافر والعقود كثيرة جداً -وخاصة في تخصصنا- إلى دول الخليج الغنية؟
تبسم حكيم قائلاً:
-هيا بنا للتوقيع، وغداً في جلسة الصباح سأخبرك أسباب عدم سفري وظللت هنا على خط النار...

-3-

ذهب الدكتور صلاح الشيمي إلى مستشفى الحوض المرصود وهو يفكر في جلسة الخميس الماضي...
الشيخ أحمد الغرباوي غريب! فهيئته لا تدل على الإخوان. فهل هو خداع من الإخوان ليستقطبوا الشباب؟ وخاصة أن كثيراً من الشباب يميل إلى اللحي، وإلى هيئة الجماعات المسلحة الذين يعتقدون في تحريم حلق اللحية. وماذا يفعل الإخوان في الشباب الذي ينضم إليهم ويكتشف حقيقتهم في حلق اللحية؟ ولكن الإخوان أذكاء. فهم يستقطبون الشباب غير المنتمي لأي فكر حتى يسهل تشكيله...
لقد استقطبنا أو اصطادنا من مسجدي الصحابة والهجيين، وتمكن منا على انفراد في الدعوة التمهيدية أو الدعوة الفردية كما تسميها كتبهم. لقد تمكن حتى أدخلنا في شركه!
ولكن هذا الطريق ملغم بالأشواك؟! ففي الخمسينات والستينات كانت قاعات المحاكم تجلجل بالأحكام العسكرية من إعدام واعتقالات للإخوان. والعجيب أن المحاكم في ذلك الوقت كانت تحكم بالسجن عدة سنوات تصل إلى المؤبد ثم الاعتقال مدى الحياة!
والآن اعتقالات وتعذيب وسحل وسلخ في مذابح أمن الدولة الذي تعسكر بدلا أن يكون جهازا منديا. وسيط قانون الطوارئ الأزلي لا تتوقف.
وزبيدة وسحر وخالد، الضعفاء في الأرض، وكلنا ضعفاء، من لهم؟ لهم الله يا أخي. لهم الله. لهم الله ذو الجلال والجبروت...

ذهب الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح إلى مدرسة التوفيقية الثانوية وهو منشراح الصدر، قرير النفس، يحاول أن يطرد غبار التردد عن نفسه، ويسكب سلسبيل اليقين في قلبه...
فالحماس للدعوات يكون متوقدا عند الشباب، وكان جل أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- من الشباب. وعمرى الآن لا يمدني بحماس الشباب. ولكن هذا قدرى، فالدعوة لم تعرف الطريق إليّ في فترة الشباب.
ولقد قرأت كثيرا عن دعوة الإخوان المسلمين. وقرأت عن اضطهادهم في العصر الناصري مثل مذبحة الإخوان في ليمان طرة عام 1957، والآلاف الذين اعتقلوا عام 1965. وقرأت عن إعدام الكثير منهم؛ إما بمحاكم عسكرية، أو بالتعذيب حتى الموت!...
ولكن ألا تُروى الدعوة بدماء الشهداء؟ وأين الأبناء الذين أخشى عليهم؟ وحتى إذا رزقنا الله بالبنين والبنات، ألا يستحق العزيز الجبار القهار الخالق الرازق أن نضحى من أجله؟

{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ*}3...

والحزب الحاكم قد نهب البلاد، وأضعفها سياسيا، وانهارت على يديه اقتصاديا، وضرب الأحزاب في مقتل، وزرع الفتنة في صفوفها، فأضحت وقد أصابها الكساح والشلل... والدين قد جُففت منابعه. والمساجد العامرة، والتي يلتف حول دعائها الجماهير الغفيرة، أصابوها بالخرس. وسجنوا الدعاة المخلصين؛ إما في المعتقل، وإما في بيوتهم! فخطيب المسجد لا ينبغي له أن يتعدى أحكام الطهارة، وأحكام الحيض، وإذا أراد الإبداع، فعليه أن يعظ في عذاب القبر ونعيمه. ألم تُشرع خطبة الجمعة إلا للتذكير بالدار الآخرة؟!!

وما تنفك أبواقهم تسخر من هؤلاء الذين (يفيركون) السياسة بالدين في خطبة الجمعة، وأولئك الذين لا ينفكون يتحدثون عن الإسلام الشامل. فما علاقة الإسلام بنظم الحكم؟ وما علاقته بالتعامل مع البنك الدولي؟ أو الأمم المتحدة؟ ألا يفهم أولئك الموتورون أن الإسلام مكانه الطبيعي في المسجد ولا يتعدها؟!...

لقد جففوا منابع الدين، والتف الشباب حول الجاهلين في الزوايا يفتونهم ويفتنوهم ويدعونهم إلى التطرف والتكفير...

وها هي الحروب الصليبية تطل برأسها العفن في البوسنة والهرسك ليبيدوا الإسلام وأهله في أوروبا. ولقد أعلنوها صراحة -بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والشيوعية- أن العدو القادم للغرب هو الإسلام. والحرب العالمية الثالثة هي بين الإسلام والغرب!...

{وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}4... وها هي أمريكا تتدخل في شئون دولة بعد أخرى؛ مرة عن طريق البنك الدولي، ومرات عن طريق صندوق النقد الدولي، ومرة عن طريق العولمة، ومرة بحجة المساعدات الدولية، ومرة بحجة حماية الأقليات، ومرة بحجة محاربة الإرهاب... ولن يثمر تدخلها إلا بالتدمير وتمزيق وحدة ونسيج الدول والأمم والأوطان!...

ثم نختلف مع بعضنا البعض؛ فهذا قومي، وذاك إسلامي، وذلك علماني... والإسلامي يختلف بينه وبين نفسه؛ فهذا سني، وذاك شيعي... والسني يختلف مع السني مثله؛ فهذا سلفي، وذاك خلفي، وذلك صوفي... والجماعات الحركية السنية تختلف وتتناحر. والشيعية أمم وطوائف متناحرة...

والأمة تحتاج أن تتوحد في مقاومة العدو الخارجي الذي يريد أن يقطعها ويمزقها ويدمرها... والإسلام يحتاج أن يتحد أبنائه في مواجهة العدوان الصليبي الصهيوني. والأمة العربية والإسلامية بجميع طوائف أبنائها -من الإسلاميين والقوميين والاشتراكيين والليبراليين وكل الوطنيين- تحتاج إلى الاتحاد لمواجهة أمريكا التي تريد تفتيت دولنا وتمزيقها ومحوها من على

³ الآية 162 و163 من سورة الأنعام

⁴ جزء من الآية 217 من سورة البقرة

الخريطة، وإنشاء الدويلات الشرق أوسطية الممزقة المتناحرة بدلا منها. وهذا المشروع الخبيث لا تريد أمريكا منه إلا أن تكون دولة إسرائيل أقوى دولة في المنطقة. ومصر تحتاج إلى الدعوة المعتدلة. تحتاج إلى مؤازرة وتطوير الأزهر الشريف. تحتاج إلى جهود الإخوان المسلمين لأن دعوتهم معتدلة... مصر تحتاج إلى كل المخلصين لها... فلمَ التردد والخوف يا إسماعيل؟ توكل على الله، وابذل الجهد، وضحي بالغالي قبل الرخيص، وقدم روحك فداء لله ثم لهذا الوطن العظيم... ولا يوجد ما أخشى عليه إلا روحية، الزوجة الحبيبة الصابرة الراضية بقضاء الله. فلماذا التردد إذن يا إسماعيل؟ وطريق الدعوة هو طريق الأنبياء كما علمنا أستاذنا الغرباوي. والغرباوي عنده أسرة وأبناء، وفي الوقت نفسه، يملك الحماس التام للدعوة والجهاد مثل الشباب بل أكثر... فلماذا التردد يا إسماعيل؟ لماذا التردد يا إسماعيل؟ لماذا؟ البلد تحتاج إلى تغيير جذري في كل شيء. آه، لو كان الإخوان يعملون في النور و لهم حزب سياسي...

كان كلاً من طارق عمر وسعيد عوض، غير مقتنعين بالطريق السلمي للإخوان فلا الأسلوب التربوي البطيء يُفيد في التغيير، ولا دخول مجلس الشعب سوف يؤدي إلى تطبيق الشريعة الإسلامية. بل إن دخول مجلس الشعب يعتبر شرك بالله -كما تقول الدعوة السلفية والدعوات الجهادية- لأن هذا المجلس يُشرع فيه قوانين الطاغوت. فهما مقتنعان جيدا بأن ما أخذ بالقوة -بالانقلاب العسكري في يوليو 1952- لا يُسترد إلا بقوة الجماعة الإسلامية أو الجهاد. وحركة الجماعة الإسلامية الديناميكية أفضل من حركة الجهاد. وما الجماعة الإسلامية إلا انشقاقا وتطويرا وتحسينا لجماعة الجهاد. وما جهود جماعة الإخوان في التربية المزعومة والانتخابات لمجلس الشعب والشورى إلا كالذي يحرق في الماء...

وفي الوقت الذي كان التردد هو الذي يجوس خلال عقول وقلوب أفراد أسرة الغرباوي الإخوانية، كان علي عبد المنعم هو الوحيد المتحمس جدا للدعوة، فقد نشأ في بيت إخواني عريق؛ فوالده كان من قيادات الإخوان المسلمين، وأمه أخت قديمة من المؤسسات لقسم الأخوات في شعبة شبيرا. فهو محاط الآن بحضن الإخوان المسلمين في البيت وفي أسرة الغرباوي. فعلي -كما يعتقد- قد عثر على الطريق الذي يقربه إلى ربه، ويدخله الجنة...

-4-

بعد صلاة الفجر وتلاوة أذكار الصباح، ذهب أحمد الغرباوي إلى شارع الترعة البولاقية، ليركب باص الشركة المتوجه إلى عمله. الغرباوي سعيد بانضمام هذه الأسرة إلى الجماعة، وهو سعيد أيضا بلم حبات عقدها المبعثرة في مرحلة الدعوة الفردية.

يتساءل مع نفسه: لماذا الدعوة موجهة الآن للطبقة المهنية؟ فأين طبقة العمال من الدعوة؟ دوى أزيز قطار أبي زعل في أذنيه وهو يحمل عمال مصانع أبي زعل بعد تحول أغلبهم إلى الإخوان. ولكن ذلك كان الأربعينات والخمسينات، وهو لم يره بعينه، ولكن سمعه من نقيب أسرته، محمد الوكيل، الذي أخبره عن نشاط الإخوان في تلك الفترة، والذي تغلغل في كل الطبقات حتى المواقع الحساسة مثل الجيش...

ولكن الآن من يُشَم في عائلته رائحة الإخوان، يُطرد من الجيش شر طردة. وليس من الجيش فحسب، بل من كل الموقع الهامة مثل الداخلية والقضاء وعضوية هيئة التدريس بالجامعات، وطبعا من أمن الدولة والمخابرات وكل أجهزة الحكومة الهامة... ولكن الإخوان موجودون في بعض المواقع الحساسة برغم أنف النظام وإدعائه أنه يعرف خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

والدولة المصرية قد اكتوت من نار الجماعات الإسلامية في الماضي والحاضر. والآن النظام يجفف منابع الدين ذاته في البلد كلها وخاصة بعد أن عاثت الجماعات المسلحة فسادا في الأرض. ولكن هؤلاء حفنة من العيال المتحمسين بحماس أهوج، وليس لهم نفس طويل، {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ}...⁵

فأين هي جماعة "شباب محمد" الآن وهي قد انفصلت عن الإخوان في الأربعينات لكي تغير المنكر باليد!

-أنتم منذ أكثر عقد ولا تغيرون منكرا، وتكتفون بالفرجة على المنكرات التي طفحت بها البلد طفحا!

-نحن نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر بقدر المستطاع.
-أي منكر تنهون عنه؟! والخمارات، والمسارح الماجنة، والسينمات الفاضحة، وبيوت الدعارة، وتبرج وعري النساء في كل مكان...

-تغيير المنكرات على ولي الأمر، وليس علينا إلا النصح بالتي هي أحسن.
-وما ثمرة نصحكم طوال السنوات الماضية؟
-ليس علينا إلا البلاغ.

-يا إمام. حزب مصر الفتاة يحرقون الخمارات، فلماذا لا تحذي جماعتنا حذوهم؟

⁵ جزء من الآية 17 من سورة الرعد

-لو فتحنا باب تغيير المنكر باليد للناس، لأمست الفوضى تضرب بأطناها في كل مكان.
-هذا كلام عجيب أسمعه من إمام مثلك. ونحن لن نتفرج على المنكرات كما تفعلون.
-ولكن يجب أن تلتزموا بالطاعة للجماعة في المنشط والمكره.
-نحن قد انفصلنا عنكم، وسمينا جماعتنا "شباب محمد".

أين أنتم يا جماعة شباب محمد الآن؟ لقد ادعيتم أن جماعة الإخوان المسلمين لا تجاهد، واكتفت بالتبرع لقضية فلسطين. ولو صبرتم لجاهدتم مع الإخوان في حرب 1948. ولكنكم تعجلتم وذهبتم إلى فلسطين وأبيتم إلا العناد حتى قتلتم الأعراب على حدود فلسطين ظنا منهم أنكم جواسيس! لقد تكبرتم أن تأخذوا كلمة السر لعبور الحدود.
آه، لو كنتُ حاضرا في حواركم مع الأستاذ، لقلت لكم: ملعون أبو الفكر المتحجر.
وصل باص الشركة إلى ميدان عبده باشا بالعباسية. نظر الغرباوي من نافذة باص الشركة فوجد صورة لأحد الملتحين بطريقة عبثية ومكتوب تحتها بلون أحمر (لا للإرهاب).
ثم تأمل في تاريخ الجماعات الإسلامية كلها معتدلا ومتطرفا وقال في نفسه وهو ينزل من الباص عند باب الشركة في مدينة نصر:
لقد تشابه الإرهاب علينا...!!

-5-

تتأهب بهيجة فرحات، أم سعيد عوض، لتذهب إلى عملها بالمستوصف الخيري... إلى متى يا رب أصرفُ على هذا (الشحط) الكسول؟! مات أبوه مبكرا وترك لي الهم والحزن... فاشل في كل شيء! لا يعمر في أي عمل إن وجد عملا أصلا. لا يمتلك أي همة أو عزم أو إرادة...! حتى الشباب الذي يجد ويسعى للقامة العيش لا يغير منهم أبدا. طوال النهار يستمع إلى القرآن الكريم، والخطب الدينية، والأناشيد الإسلامية، فلا ينبض فيه عرق يدفعه إلى السعي والجِد. تدين سطحي كاذب عقيم...!

تنادي على سعيد:

-إلى متى سأصرف عليك؟ اذهب إلى مصانع مدينة 6 أكتوبر، وابحث عن عمل في مصانعها الكثيرة.

فيجبها متذمرا:

-لقد ذهبت الأسبوع الماضي وقبله بكثير إلى عدة أماكن؛ منها مدينة العاشر من رمضان الصناعية، والمدينة الصناعية بمدينة العبور الجديدة، ومصانع مدينة 6 أكتوبر، والكثير من التجمعات الصناعية، وعدتُ خالي الوفاض.

-اذهب يا بني، مرة أخرى ولا تيأس من رحمة الله.

فيرد في غيظ:

- لقد تبقنت أنهم لا يريدون إلا واسطة ولا سبيل غير ذلك.

فتتساءل في حيرة:

-كل المصانع التي في الدنيا لا تريد إلا واسطة؟! ألا يوجد مصنع يريد فنيين حاصلين على دبلوم صنايع؟

لا يرد على أمه...

فتقول في حزن:

-إلى متى سأصرف على رجل يبلغ من العمر 23 سنة؟

فلا يرد. وهكذا عادته حينما لا يجد ردا لتساؤل أمه.

فتتركه وتخرج وهي تقول:

-لا حول ولا قوة إلا بالله...

وحينئذ، يتسرب إلي سمعه صوت القارئ في الإذاعة، وهو يقرأ من سورة الصف قوله تعالى:

{وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}^6...

فبيتهج ويصيح فرحا:

-اسمه أحمد...

⁶ جزء من الآية 6 من سورة الصف

أحمد الغرباوي...
شركة المقاولون الشرقية...
فُرجت يا أمي...
ولكن خيبة الأمل غطته لأن أحمد الغرباوي من الإخوان وليس من الجماعة الإسلامية كما توقع.
وخيبة الأمل غطته أكثر وهو يتساءل:
لماذا ضحك علينا هذا الرجل الغريب؟ الغريب في اسمه وفي تركيبة رأسه الكبير ولحيته الكثنة الغريبة؟! لقد خدعني أو خُدعتُ فيه. قال لي بأن الدعوة الآن دعوة مبتدئة، وأنه يُوجد إخوان لي على الطريق، وسوف نلتقي يوما ما لكي نباع. والتقينا، ولم تتم أي بيعة. والحمد لله لعدم البيعة.
ولكن الغرباوي أعلنها صريحة أنه من الإخوان المسلمين.
الإخوان المسلمون الذين يرتدون (الكرافتة)، رباطة العنق، التي يتأنقون بها، ويدخلون بها مجلس الشعب الذي يشرع للطاغوت، ويمكن له في الأرض. ولقد ترشحوا إلى مجلس الشعب عدة مرات، فأين قوانين الشريعة الإسلامية التي وعدوا خلق الله بتطبيقها؟
أين أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؟
أين هم من شواطئ العراة في محافظة البحر الأحمر؟ ومن البارات؟ والخمارات؟ والكباريهات؟
ومن شارع الهرم وملاهيته؟ ومن المنكرات التي طفحت بها البلاد؟
أين هم من تصفية الجماعات الإسلامية؟ وقد كانوا ملء السمع والبصر في العزب أسفل السكة الحديد التي بجوارنا، وفي الشراعية، والزاوية الحمراء، وفي عين شمس، وإمبابة، وفي محافظة الشرقية، والغربية، والبحيرة، وفي الصعيد كله...
أين هم من سياسة الضرب في المليان؟
يقول الغرباوي: أيدي أعضاء الجماعة الإسلامية مخضبة بالدماء.
ها. ها... بدماء من يا شيخ؟
بدماء الكتاب العلمانيين الكفرة؟
بدماء من يا شيخ؟
بدماء السائحين الكفرة العراة؟
بدماء من يا شيخ؟
بدماء زبانية أمن الدولة الذين أذاقوا الموحدين صنوف العذاب؟
فهل أنت وجماعتك الخانعة مستأوون ومحزونون من أجل هذه الدماء؟ سبحان الله.
ألا يتمر وجهك من أجل الله حينما ترى السائحات العراة في كل مكان؟
ألا يتمر وجهك حينما ترى الكتاب الكفرة يسخرون من دين الإسلام ومن الشريعة الإسلامية وحتى من الأنبياء؟
يا رجل. يا رجل. أين دينك؟
وأين جماعتك التي تدعي أنها تريد تطبيق الشريعة الإسلامية؟

غضبنا على الجماعات الإسلامية التي تقتل أعداء الله، ضباط فزع الدولة الذين يذيقون الشباب
المسلم المجاهد صنوف العذاب؟
ألم تسمع عن خلع الأظافر؟
ألم تسمع عن إطفاء السجائر في الأعضاء الحساسة؟
ألم تسمع عن جلسات الموت بالكهرباء؟
ألم تسمع عن سجن العقرب؟ وما أدراك ما سجن العقرب؟ وكيفي اسمه!...
ألم تسمع عن أصحاب الأخدود الجدد يا غرباوي؟
ولكن فُرجت يا أمي. سأخذه كما خدعنا -على الأقل- حتى يتوسط لي للعمل في شركته...

-6-

ذهب علي عبد المنعم إلى كلية طب عين شمس، وقلبه فرح مسرور بانضمامه الرسمي إلى جماعة الإخوان المسلمين...
لقد تعلم الدعوة إلى الله في -مرحلة الدعوة الفردية- من غلام أصحاب الأخدود الذي أخلص الله؛ فأجرى الله على يديه المعجزات، وشفاء المرضى... فالغلام بإخلاصه لله، فاق أستاذه الراهب. والدابة التي سدت الطريق على الناس، ضربها الغلام بحجر؛ فإذا بها تنصرف. وقد عجز -المتجمهرون على جانبي الطريق- عن تحريكها شبرا واحدا!
وحينما أجرى الله على يديه معجزة شفاء المرضى؛ كان يدعو إلى توحيد الله عز وجل. فالأعمى، جليس الملك، دعاه الغلام إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له حتى يشفيه الله...
ولقد قال جليس الملك:
-إني -ككل الناس- أعتقد بأن الملك إله.
فقال الغلام:
-الله هو ربي، وربك، ورب الملك، ورب الكون كله.
فأمن جليس الملك بالله الواحد، فشفاه الله.
وقد كان هذا الغلام ذكيا وموفقا في اتخاذ معجزة الشفاء وسيلة إلى الدعوة إلى الله الواحد الأحد، والكفر بالملك الإله المزيف. وقد كانت الجماهير تهتف بحياة هذا الإله المزيف...
وكان المرضى يتهافتون على الغلام لكي يبرءوا من أمراضهم. فكان الغلام الذكي يدعوهم إلى الكفر بالملك، والإيمان بالله الواحد الأحد.
أكرمك الله يا شيخ غرباوي. فقد كنا نتلوا سورة البروج، ولا نعرف قصة الغلام وأصحاب الأخدود جيدا.
لقد انتشرت وذاعت دعوة الغلام إلى الكفر بالملك الإله، وتوحيد الله المتعال، وكثر عدد الموحدين... وأخبرت التقارير الملك بانتشار دعوة الغلام، وازدياد عدد الكافرين به كملك إله.
فقتل الملك الطاغية جليسه الأعمى، والراهب، وحاول أن يقتل الغلام، فعجز ويئس في ثلاث مرات! وبعد كل محاولة قتل، كان الغلام يذهب -وهو شامخ الرأس- إلى الملك ليقول له:
-لقد نجاني الله، وأهلك رجالك.
وفي آخر الأمر، فرض الغلام شروط قتلته على الملك، والملك الإله يسمع ويطيع!
-اجمع الناس في صعيد واحد، وخذ سهما من كنانتي، واضربني به، وأنت تقول ((بسم الله رب الغلام)).
وتم ما أراد الغلام، وجمع الناس. وقال الملك:
-بسم الله رب الغلام.
ووقع السهم في صدغ الغلام العظيم، فمات شهيدا...
ولم يفطن الملك إلى ما كان يبتغيه الغلام النبيه...

لقد كان الناس يعلمون عجز ملكهم الإله -بجبروته وطغيانه- عن قتل الفتى الصغير إلا حينما فرض الغلام شروط قتله على الملك! ولما استشهد الغلام انجلت الحقيقة ساطعة أمام بصائر الحاضرين؛ فهتفوا جميعاً:

-أنا برب الغلام... أنا برب الغلام... أنا برب الغلام...

فأسقط في يدي الملك وحاشيته...

قالت الحاشية:

-لقد آمن الناس... لقد آمن الناس...

فقال الملك وقد تملكه الغيظ والغل والحقد:

-ما عليكم. ما عليكم. احفروا الأخدود في الطرقات، وأشعلوها نارا، وادعوا الناس إلى الكفر بالله والإيمان بي. فمن ° لم يستجب لكم، فألقوه فيها...

اغرورقت عينا علي عبد المنعم بالدمع وهو يتذكر قوله تعالى في سورة البروج:

{قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ}*⁷...

وحينما أجرى على قلبه قوله تعالى: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}*⁸، انفجر النشيج في قلبه، وتدفق في روحه، وتزلزل في كل كيانه، ولسان قلبه يقول:

-السكينة يا رب... السكينة يا رب...

⁷ الآيات 4-7 من سورة البروج
⁸ الآية 8 من سورة البروج

-7-

بعد التوقيع، ذهب الدكتور أحمد إسماعيل إلى عنبر الرجال الداخلي للمرور على الحالات التي يتابعها. مر على مريض يعاني من مرض "ذو الفقاع"، وكان المريض يائسا جدا، فبعث في نفسه الأمل.

ولكن المريض قال له: -أنا سمعت أن هذا المرض قاتل. من قال ذلك؟

-أحد الأطباء.

فغضب الدكتور أحمد وقال: "أبدا، يا أخي. احمد ربك. إن هذا المرض له علاج الآن. ولكن قبل اختراع الكورتيزون كان هذا المرض شديد الخطورة".

فغمغم المريض قلقا: "لكني أسمع أن الكورتيزون شديد الخطورة أيضا".

فتبسم الدكتور أحمد: "ليس بهذه الدرجة التي تتصورها. ومع ضبط الجرعة لا يحدث أي مشاكل إن شاء الله".

ثم تناقش مع الأطباء المقيمين وبعض الأخصائيين حول الحالة وقال لهم بعدما خرجوا من العنبر:

-الله يخرب بيت الغباء. كيف نبعث اليأس في نفوس المرضى؟! ثم استطرد بالإنجليزية كلاما وأكمله بالعربية: "ولكن لا ينبغي أن يُقال هذا للمريض".

ثم ذهب معهم إلى حجرة الأطباء ليحتسوا قهوة الصباح قبل بدء العيادات في التاسعة صباحا.

وفي حجرة الأطباء، قال الدكتور عبد الوهاب محمود:

-يضاف إلى عجائب الدنيا السبع عجيبة ثامنة في مستشفانا!

فقالوا له: "هات ما عندك يا أبا العجائب".

فتساءل وهو يبتسم:

-كيف يركب مدير المستشفى -وهو في مركز مرموق- وفي مثل سنه الوقور- سيارة سيات

133؟

فردت عليه زوجته الدكتورة سميرة سعيد:

-يا عبد الوهاب، لا عجيبة ولا يحزنون. لأن مرتبه كمدير للمستشفى 550 جنيه، فهذا المرتب

لا يتناسب إلا مع ركوب دراجة!

فضحك الأطباء.

استأنف عبد الوهاب: "ولكنه يستلم مع راتبه من الوزارة - 500 جنيه من العيادات

الاقتصادية".

تدخل طبيب ثالث: "طبيبا دفتر التوقيع وقعا في بعضهما".

وتحمس رابع: "هذه السيارة الميدالية مقصودة في ذاتها حتى تبعد العيون المتطفلة عنه".

وتهكم خامس:

-لكي ندعو له بأن يوسع الله عليه.
فضحك الأطباء.
قالت الدكتورة ابتسام عوض الله، ذات السابعة والثلاثين ربيعاً، الجميلة، ومن أنشط أطباء المستشفى وأشطرهم:
-لماذا تتعجبون من سيارة الدكتور سليم؟ فسيارة الدكتور فتحي مقلد -مدير إدارة الطب العلاجي للأمراض الجلدية والتناسلية- أصغر لأنها نصر 126، وهي أصغر سيارة في مصر، وموتورها هو أصغر موتور لأنه موتور دراجة بخارية!
فضج الأطباء ضحكا لأنهم تذكروا أسطول السيارات الفارهة للمسؤولين بالوزارة حينما يأتون للتفتيش على المستشفى وتكون سيارة الدكتور فتحي مقلد في المقدمة وكأنها توسع لهم الطريق...
قال الدكتور صلاح الشيمي:
-يبدو أن ركوب السيارات الصغيرة أضحى مرضاً معدياً بالمستشفى، فالدكتور سامي حليم اشتري بالأمس سيارة زاستافا 750.
فقالت الدكتورة سميرة:
-ولكننا لم نره يركبها.
-لأنه أرسلها لورشة صيانة لأنها قديمة.
فتساءل طبيب 6:
-ومن الذي أخبرك بشرائها يا صلاح؟
فلم يرد الشيمي لأن عبد الوهاب رد نيابة عنه:
-لأنهما جيران في شبرا.
فأشار الطبيب 4 بيديه ساخراً:
-هؤلاء الأطباء -وخاصة الكبار- ربما أرادوا بركوبهم هذه السيارات الصغيرة أن يبعدوا عنهم العين كما قلت لكم.
فتبسم الدكتور حكيم نخلة:
-وأيضاً يريدون أن يُبعدوا عنهم الشبهات، وقانون "من أين لك هذا؟"
فصاح عبد الوهاب وهو مبتهجا:
-ما هذه الحكم يا حكيم؟ يا سيدي يا نخلة، ارمي علينا رطبك وحكمك.
فضحكوا...
قال الدكتور أحمد إسماعيل منفعلاً كعادته في نهاية حوار الصباح:
-الساعة التاسعة. هيا بنا إلى العيادات. الطوابير منتظرة. كفى نميمة يا قوم!...

-8-

ذهب طارق عمر إلى كلية التربية وهو ناقد على الجهد الذي بذله مع الغرباوي في مرحلة الدعوة الفردية وفي نهاية الأمر لا يجد جماعة الجهاد ولا الجماعة الإسلامية ولكن يفاجئه الغرباوي بجماعة الإخوان التي يعتقد طارق بأنها جماعة متخاذلة عن نصرته الإسلام ومتقاعسة عن طريق الجهاد الحق... ذم شفتيه أسفا على انخداعه في هيئة الغرباوي...

وبعد انتهاء المحاضرات، تقابل وزوجته نجوى فهمي في الكافتيريا. كان طارق غاضبا بسبب صاحب السعادة الذي قد شرف في أحشاء نجوى في وقت غير مناسب بالمرّة. لذلك تمنى طارق أن يسقط هذا الجنين غير المرحب به ولكنه متشبث بالحياة. يغمغم طارق في سره:

ما العمل يا رب؟

وبصوت مسموع:

-ما آخر قرارك في الحمل؟

قوست نجوى حاجبها متسائلة:

-أتريد أن أسقطه؟!

-نعم، ولا يوجد حل آخر.

-ولكنك، يا طارق، رجل متدين وتعلم أن الإجهاض حرام.

-نعم يا حبيبتي، ولكن ليس بأيدينا حلا آخر.

-ولكن أليس الإجهاض فيه خطورة على حياتي يا حبيبي؟

أجابها طارق ببرود قاتل:

-ليس بالخطورة التي تفكرين فيها. والكثيرات أجهضن ولم يحدث لهن مكروه.

لقد تزوجت عرافيا كما فعل كثير من زملائي في الكلية، فلماذا هذا الحمل هذه المرة يا ربي؟ لقد

أتى في وقت غير مناسب بالمرّة. أنا في حرج شديد. ماذا أفعل يا ربي؟ بابا؟ ماما؟ أخوتي؟

المجتمع؟ مجتمع الكلية يعلم أننا متزوجان عرافيا ولكن المجتمع الخارجي؟ العائلة؟ الجيران؟

عما قريب سيكبر بطني وستتضخم... وأين ذلك الحب الجارف يا طارق الذي لا يقوى على حل

أول مشكلة؟ أين تلك المشاعر الفياضة؟ أين تلك المشاعر الجياشة؟ لقد سقطت في أول اختبار

لها. لماذا لا نواجه الجميع ونعترف بالزواج وثمرته؟

تساءلت نجوى بعد استجماع عزميتها:

-ما المانع، يا حبيبي، أن نعلن زواجنا رسميا ونوثقه في المحكمة؟

وقع السؤال صاعقة على طارق! لقد تذكر أخاه حسن...

ثم تساءل مع نفسه:

إذا كنت أحبها حقا، فلماذا لا أتحمل المسؤولية كاملة؟ أم أصبحنا شطارا في قضاء الوطر فقط!

قال لها بعد أن ازدرد ريقه وعاد إليه نفسه:

-يا حبيبتي، أنت تعلمين أن ظروفى الاجتماعية سيئة.

ثم تنهد:

-فوالدي مات ولم يترك لنا معاشا لأنه -رحمه الله- كان يعمل باليومية، ولم يكن له عملا ثابتا؛ فقد كان يعمل حمالا وتباعا، وكان يحمل الزلط والرمل والطوب لأنه لم يكن معه حرفة. وبعد موته، اضطر أخى الأكبر حسن أن يترك كلية الهندسة، وتطوع فى الجيش حتى يستطيع أن يحمل أعباء أسرة من خمسة أفراد فى مراحل تعليمية مختلفة وأمي المريضة بالقلب. فلو قلت له: أريد أن أتزوج أو أعلن زواجنا العرفى؛ لضربنى بالنار!

جال الصمت بينهما وصال فمزقه طارق وهو يهتف:

-فالإجهاض هو الحل.

فتساءلت فى غضب:

-ألا يوجد عندك أى حل سوى الإجهاض؟

لم يرد وغرق فى صمت عميق ليفكر فى حل آخر. أما نجوى فقد فكرت فى حب طارق الغير صادق وتدينه الشكلى!...

وبعد فترة طويلة من الصمت المتبادل والفكر العميق، قال طارق مبتهجا متهللا:

-وجدت الحل يا حبيبتي.

-خير؟

-أنا أعلم أنكم من الميسورين جدا، فلماذا لا يساعدك أهلك ويتحملون مؤونة الزواج ونعلنه أمام الجميع؟

تصبغ وجه نجوى بلون قرنفلى أحمر، ثم قالت فى غيظ:

-عجبا لهذا الزمان، المرأة هي التي تتزوج الرجل! أين...؟! ثم تركته وانصرفت.

-9-

تحت شجرة الصفصاف العتيقة، واستقبالا لأشعة الشمس الدافئة، وانتظارا للتوقيع، يجلس الدكتور أحمد إسماعيل وصديقه الأثير الدكتور حكيم نخلة يتبادلان الحديث كعادتهما صباحا، وأحيانا يشاركهما بعض الأطباء الذين يأتون مبكرا. وقد أطلق أطباء المستشفى على هذا اللقاء "الحزب الشجري" نسبة إلى شجرة الصفصاف التي يجلسون تحتها. أحمد إسماعيل كان حريصا على أن يسافر صديقه حكيم لتحسين ظروفه المادية السيئة، لذلك سأله:

-استكمالا لحوار أمس أخبرني: لماذا لا تسافر إلى إحدى دول الخليج وخاصة أن تخصصنا مطلوب جدا هناك؟

تبسم حكيم وأجاب:

-أنا فعلا، محتاج في هذه الأيام -لظروفي العائلية- للسفر. ولكني، يا أحمد، أحترم نفسي...

-ماذا تعني يا حكيم؟

-أنا لا أستطيع أن أعمل في دولة تعاملني كاني قاصر، وتجبر الكفيل ليأخذ مني جواز السفر من أول يوم، وتعيّنه مسئولا عني!...

رد أحمد بحب وألفة:

-يا أخي، هذا نظامهم ولا يضرنا ذلك في شيء. ومع ذلك الأفضل أن تتجنب القطاع الخاص وأن تعمل في القطاع الحكومي. وحينئذ، لا تتأذى نفسك لأن الكفيل لن يكون فردا بل وزارة الصحة.

وبتفاؤل: "وهي كفيل معنوي".

شرد حكيم وتذكر الدكتور مؤمن... فقطع أحمد شروده وسأله:

-أجبنني، ما رأيك في القطاع الحكومي؟

تبسم حكيم ساخرا ثم أجاب:

-أتذكر زميلنا الدكتور مؤمن عبد العال؟ لقد كان يعمل في مستشفى حكومي، وقد أنهى رئيس قسم الباطنية عمله بلا سبب سوى أنه لا يستلطفه!

ربما أهمل.

-الحقيقة أنه لم يؤد فروض الطاعة كما ينبغي لأنه معتز بنفسه. وكان يعترض على فحص الأطباء السعوديين للمرضى بالجلابية دون ارتداء المعطف الأبيض الخاص بالطبيب مثل باقي الأطباء في الدنيا كلها!...

ثم أضاف حكيم والابتسامة الساخرة انحسرت في جانب فمه:

-سأخبرك بما هو أشد وأنت تعرفه جيدا.

-هات ما عنك يا أبا الحكم.

-كيف تعمل في دولة كلما انتقلت من مدينة إلى أخرى داخل ذات الدولة لابد أن تحمل معك خطاب تنقل؟! خطاب تنقل؟! لا تنظر إلى الجزء الفارغ من الإناء.

-يا أخي، لا تنظر إلى الجزء الفارغ من الإناء.

-تنهد حكيم وقال بمرارة:

-يا دكتور أحمد، إذا لم تكن هذه هي العبودية بشحمها ولحمها، فما هي العبودية؟! وصل الدكتور عبد الوهاب محمود وزوجته الدكتورة سميرة سعيد. وعبد الوهاب أحد أعضاء الحزب الشجري.

-صاح الدكتور أحمد: "الحمد لله، لقد أتيت في الوقت الملائم يا عبد الوهاب". ثم سأله: "أخبرنا عن تجربتك في العمل في السعودية؟"

-فقطب عبد الوهاب جبينه: "يجعل صباحك صباح الخير يا أسطى عطية". فضحكوا جميعا...

-قال الدكتور أحمد: "الدكتور حكيم يريد السفر، ولكنه متردد أو خائف". فرد الدكتور عبد الوهاب وهو يتذكر مرارة تجربته:

-إذا أردت السفر، فخذ تجربة الدكتورة عليّة علي. وإذا أردت ألا تسافر، فخذ تجربتي. فقال حكيم متحمسا: "هات ما عندك يا أخي، فقد شوقتنا لمعرفتها".

-فضحك عبد الوهاب وقال صاخبا: "إذن أنت لا تريد السفر!" فتبسم حكيم ضاحكا: "أريد أن أبني فكرة شاملة عن الحسنات والسيئات". تبسم عبد الوهاب:

-أما الحسنات: فإن راتبك الشهري بالإضافة إلى الاقتصادي هنا يعادل راتب يوم هناك! فابتهج أحمد وتحمس قائلا:

-هذا غير تذاكر الطيران لك وللزوجة واثنين من الأبناء، بالإضافة إلى أجازة 45 يوما مدفوعة الأجر.

-فهز عبد الوهاب رأسه موافقا: "ذاك، يا دكتور أحمد، للذي يعمل في القطاع الحكومي". -حتى الذي يعمل في القطاع الخاص، فإن له تذكرة طيران كل سنة، مع شهر أجازة مدفوع الأجر.

-لا يلتزم بذلك إلا القليل من المستشفيات الكبيرة.

-فتساءل حكيم شبه محتد: "أين السيئات يا قوم؟ وأين تجربتك يا دكتور عبد الوهاب؟"

-نحن نريد أن نتشجع وتسافر. ولا داعي لذكر التجارب المريرة.

-فرم حكيم شفثيه ضيقا.

-أخذ عبد الوهاب نفسا عميقا واسترسل:

-بعد أسبوع من وصولي، غير صاحب المستوصف عقدي، وكتب عقدا جديدا، ضاعت فيه كل ميزات العقد القديم!

اندهش حكيم: "وما هي تلك الميزات؟"
-أصبح الراتب 3500 ريال بدلا من 5500 ريال. رسوم استخراج الإقامة كانت على الطرف الأول أي على الكفيل، فأصبحت عليّ. كانت لي نسبة 20% من دخل العيادة بعد انتهاء الدوام، فأمست 5%. كانت لي أجازة سنوية لمدة شهر مدفوع الأجر مع تذكرة طيران ذهاب وعودة، فتغيرت الأجازة إلى شهر مدفوع منه راتب خمسة عشر يوما فقط وتذكرة الطيران...!!
فلم يكمل الجملة لأنهما سألاه معا في صوت واحد:
-عليك؟!
-نعم!
-هل وافقت على هذه الشروط المجحفة؟!
-كان أمامي حلان، كلاهما مر؛ إما أن أعود بعد أسبوع واحد من السفر وأجر خلفي أذيال الخيبة، وإما أن أستمر بهذه الشروط الجائرة...! فاخترت الاستمرار.
فصاحا:
-ولكنك عدت مبكرا ولم تكمل.
وأضاف أحمد:
-وتخرج أطباء المستشفى أن يسألوك عن السبب.
فرد الدكتور عبد الوهاب بمرارة:
-بعد شهرين لم يعجب صاحب المستوصف دخل عيادة الجلدية لأنني لم أمص دم المرضى من تحاليل ومغذيات كما يفعل كل أطباء المستوصف حتى يستمروا...!
فتهكم حكيم:
-الاقتصادي هنا وهناك!
-الأمر هنا هين. أما هناك فإما أن تدور في عجلة الاقتصادي، وإما أن تحتفظ باحترامك لنفسك ولمهنتك وتخرج من هذا الدوران المهيمن وتعود أدراجك إلى هنا...
ثم أردف:
-الأفضل يا دكتور حكيم، طالما أنك تنوي السفر، أن تفكر في العمل الحكومي فهو أخف الضررين.
قال الدكتور أحمد:
-هيا بنا نوقع قبل أن تغلق الدكتوراة سميرة الدفتر.

-10-

بعد انتهاء جلسة الذكر أو -الأسرة- بتعبير الغرباوي والإخوان المسلمين، قال الغرباوي:
-تحضير الموضوعات جيد، ولكن غلب عليكم القراءة من الكتب. وهذا لا نحبذ حتى يخرج
الكلام من القلب فيستقر في أعماق القلوب.
ثم خاطب سعيد بود:
-لماذا لم تُحضر نشرة الأخبار؟
كاد أن يقول سعيد أين المال الذي أبتاع به الجرائد التي أجمع منها الأخبار.
-انشغلت. وأنساني الشيطان.
قال الغرباوي:
-نحن الآن في فترة مفتوحة يمكن أن نتناقش في أي موضوع خاص أو عام...
كان الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح أول المتحدثين:
-لقد تدخلت أمركا الآن في البوسنة لكي توقف إطلاق النار، (وتفبرك) اتفاق سلام!
فقال الدكتور صلاح الشيمي:
-تتدخل الآن بعد أن بدأت ترجح كفة البوسنة عسكريا.
قال طارق عمر في ضيق:
-ثلاث سنوات من المجازر الجماعية وأوروبا تكتفي بالفرجة بتلذذا! ثم التدخل يأتي من قبل
أمريكا وليس من جهة أوروبا التي تجري المجزرة على أرضها!
فانفعل إسماعيل عبد الفتاح:
-الطامة الكبرى كانت في سربرنيتسا، حيث تجمع فيها أكثر من سبعة آلاف بوسنوي من
المدنيين بعد أن أعلنت الأمم المتحدة أنها منطقة آمنة، فإذا بالجزارين الصرب يحصدون
أرواحهم حصدا تحت سمع وبصر قوات الأمم المتحدة الهولندية...!
تهكم علي عبد المنعم بمرارة:
-أوروبا لا تريد دولة مسلمة في أراضيها!
احتد سعيد عوض:
-{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}^9...
صدق الله العظيم.
فامتعض الغرباوي:
-أس المشكلة يا إخوة، أن العالم الإسلامي وقف يتفرج لأن الأمة -للأسف- تعيش في المرحلة
الغنائية!
أشع الغرباوي ابتسامة عريضة في وجوه الأخوة وهو يتساءل:

⁹ جزء من الآية 120 من سورة البقرة

-أخبروني عن أخباركم.
فحانت الفرصة لسعيد:
-أنا أبحث عن عمل منذ فترة طويلة جدا.
فسأله الغرباوي:
-ما هو تخصصك في دبلوم الصناعات؟
منذ أكثر من عام ولم تعرف تخصصي في الدبلوم. أهم شيء عندك هو انضمامنا للتنظيم!
-كهربية سيارات.
-لماذا لا تعمل في ورش السيارات وهي موجودة في كل مكان؟
-أمي هي التي تلج عليّ لكي أعمل في شركة كبيرة لكي أضمن معاشا وتأمينا صحيا.
-وهل تتقن كهربية السيارات؟
-الدبلوم الآن غير أيامكم يا شيخنا. فالدراسة الآن أغلبها نظري والعمل قليل جدا.
امتد مشروع صمت زاحف فبدده إسماعيل:
-يا أستاذ أحمد، ألا توجد فرص عمل عندكم في شركة المقاولون الشرقية؟
بلغ سعيد أنفاسه وقال في سره:
الحمد لله أن بلغه الأستاذ إسماعيل بدلا مني.
أراد الغرباوي أن يقول: "هل سعيد يجيد أي صنعة حتى أبحث له عن عمل؟!"
-العمالة أكثر من المطلوب.
فتساءل الشيمي:
-ولكن أين وظائف الذين وصلوا إلى سن التقاعد؟
-أغلب القدامى في الشركة قد توسطوا لكي يوظفوا أبنائهم أو ذويهم حتى كثرت العمالة وفاقت
احتياجات العمل...
تسرب اليأس إلى نفس سعيد...
كان سعيد يتمنى أن يكون الغرباوي هو سفينة النجاة إلى شاطئ العمل، ولكن أمله قد ذاب في
أرض الواقع...
"فلماذا أستمّر بعد ذلك في الجلسات وفي الجماعة طالما أن فرصة العمل قد أجهضت.
فاستمراري في الجلسات بعد ذلك نفاق في نفاق...!"
هذا ما فكر فيه سعيد ثم انتبه على صوت أحد الأخوة:
-البلد تكدست بالبطالة، فأين هي آثار الخطط الخمسية التي أرهقوا بها أسماعنا ليلا ونهارا؟!
فرد إسماعيل:
-لقد بشرونا بمشروع جديد في توشكى، فعسى أن يكون فيه خير، وأن يأتي بالرخاء الذي
ننتظره منذ عام 1980 الذي بشر به السادات وقال سيكون عام الرخاء!
طرق حسن الباب وهو حاملا صينية كبيرة فيها طعام العشاء. تبسم الغرباوي قائلا:

-لقد رضيت عنا أم حسن. ولا بد أن تكون هذه الليلة مباركة. وهذا رزق من السماء. والعشاء أفضل من الشاي.
فضحك إسماعيل:
-ولكن العشاء لن يكون بدلا من شاي الجلسة المقدس.
فضحكوا.
واصل إسماعيل:
-سنضرب بتعليمات الدكتور صلاح عرض الحائط، وسنشرب شاي الجلسة المقدس بعد العشاء مباشرة، وليس بعد ساعتين، حتى لو أتلّف حديد الطعام وحوله إلى خشب!
فانفجروا ضاحكين...
تركوا كراسي الصالون العتيق مبتهجين وجلسوا على السجادة.
تبسم الغرباوي:
-أضحك الله سنك يا أخ إسماعيل. واعدروني لتناول الطعام على الأرض لعدم وجود سفرة.
وأذكركم بحديث الرسول -عليه الصلاة والسلام- ((نحن قوم نأكل بأرض)).
فلو ما صلاح ناحية الغرباوي:
-لكن الإسلام لا يمنع السفرة.
-نعم، يا أخي. إن أمر الإسلام أوسع مما نظن. والمائدة أريح للركب من الجلوس على الأرض.
قال علي عبد المنعم:
-من السنة أن نتحدث أثناء تناول الطعام.
تسائل طارق:
-ما رأيك يا أخ سعيد أن تقدم صورة من شهادة الدبلوم لمكتب القوى العاملة؟
فابتئس سعيد وهو يرد:
-لقد ذهبت إليهم فقالوا لي بأنه قد توقف تعيين المهندسين منذ الستينات، أما أصحاب الشهادات الثانوية الفنية... فلم يكمل جملته لأن صلاح الشيمي قاطعه:
-هؤلاء لم يُعينوا منذ أيام الملك فاروق!
فضحكوا.
فقال إسماعيل ضاحكا:
-وربما منذ أيام الملك فؤاد!
فضجوا ضحكا.
قال الغرباوي ضاحكا:
-يعني منذ أيام جدك الزامل!...

-11-

في حجرة الأطباء وقبل بداية العيادات، كان الدكتور صلاح الشيمي يقرأ أشعاراً أجنبية عالمية، وفي أحيان قليلة جداً، أشعاراً عربية. وأحياناً تكون الأشعار في نهاية حوار الصباح، أو لا يكون هناك موضوع للحوار فتكون الأشعار هي لب الحوار... واليوم لم يكن هناك موضوع للنقاش أو الجدل الصباحي، فطلب منه الدكتور مجدي النحال أن يتحفهم بقصيدة من جرابه الشعري. فأخرج صلاح دفتره الشعري والذي يحمله معه في حقيبته كما يحمل عدسة مكبرة وبعض الآلات الطبية للفحص.

امتد الصمت في الحجرة وتمطى لسماع صلاح. وبدأ يقرأ بصوته المؤثر:

-عندما عشنا سوياً

على الصخور قديماً

حيث ينساب الماء

والغابة تهتز

في منزل يجاور الغابات

كان عندها عشر سنين وثلاثون عندي

وأنا دنياها كنت

أه، كعشب معطر

تحت أشجار ممتدة وخضراء

لقد صنعت مصيري المزدهر

عملي خفيف وسماوي زرقاء

عندما قالت لي: أباي

صرخت من قلب: يا الله

عبر رؤاي التي لا تحصي

سمعت كلامها المنتشي

وجبهتي استضاءت في الظلام

من ضوء عينيها

كان لها سمت الأميرة

حينما أمسكتها بيدي

بحثت عن الزهور بلا انقطاع

والفقراء في الدروب

فقالوا له: لمن هذا الشعر؟ فرد عليهم مبتسماً:

-قصيدة: "شمس عشقي" لفكتور هوجو.

فانطلقوا يتناقشون في معانيها...

-12-

كانت نجوى تتلفع برداء الهموم والأحزان...
قال طارق في نفسه:

الله يخرّب بيت الجواز العرفي واليوم الذي تزوجنا فيه.
لم رداء الحزن هذا الذي تردينه يا حبيبتي؟
ردت بحزن:

-لا تقل حبيبتي، فلو كنت حبيبتك حقا لسألت عني!
فسألها ببرود:

-كيف أسأل عنك؟ وبأي صفة أسأل أهلك؟ زميل؟ حبيب؟ أم زوج من الزواج العرفي؟
والدي سيكرهك بمجرد رؤيتك بتدينك الزائف!...

-لا بد أن نتزوج يا نجوى بأي شكل...

-تعالى وقابل أبي واخطبني منه.

-لا أستطيع يا حبيبتي. ظروف صعبة. الأفضل أن نتزوج عرفيا مثل كثير من زملائنا. أنا غير
قادر على البعد عنك. أنا بحبك قوي قوي يا نجوى...

-يا حبيبي يا طارق.

-أرجوك. وافقي. ولنتوكل على الله...

بكت نجوى وهي تجتر الذكرى...

اصطنع طارق التأثير بيكائها:

-لماذا هذا البكاء يا حبيبتي؟

أجابته بصوت باك:

-لو مت أثناء الإجهاض ما نبض قلبك نبضة حزن!

دبت السعادة في قلب طارق...

هل أجهضت حقا؟ يا رب تكون قد أجهضت وتخلصنا من كابوس الحمل... يا رب... يا رب...

-لولا أنني معتقد أن الأغاني حرام لذكرتك بأغنية عزيزة جلال (سامحتك كثير).

ثم تساءل بتلهف شديد:

-هل تم الإجهاض حقا؟

ردت نجوى وهي ترمقه بشعاع من الضيق والغضب:

-لا تفرح كثيرا. إن الإجهاض لم يتم لأن أكثر من طبيب أكدوا بأن الإجهاض فيه خطورة على
حياتي.

-ولكن الكثيرات أجهضن بلا خطورة.

فعبست في وجهه:
-أخفض من صوتك. نحن لسنا وحدنا في الكلية.
فرد في صوت خفيض:
-اطمئني. فأكثر من نصف الدفعة متزوجون عرفيا، ويفكر باقي الدفعة في هذا الزواج! ولكن أخبريني لماذا غبت الفترة الماضية؟
- كانت حالتي النفسية سيئة جدا، وخاصة بعد تأكيد الأطباء لخطورة الإجهاض على حياتي؛ فأخذت راحة حتى تهدأ أعصابي.
كان طارق يتمنى أن تخبره بإجهاضها، ولكنه أصيب بخيبة أمل شديدة...
"الحب... الرغبة الجنسية تتفجر داخلي... أريد أن أعيش في الحلال... أخي حسن... أخوتي... الفقر... العادات والتقاليد... بساطة الزواج في القرن الإسلامي الأول... الزواج العرفي له مشاكل عويصة... حلال أم حرام؟!... أين موافقة ولي أمر الزوجة...؟"
خرج طارق من شروده على صخب زميله سمير وزوجته -من العرفي أيضا- رانا حيث تساءلا:
-ما هذه الكآبة؟ هل تفرجتما على فيلم هندي حزين؟!
أجابت نجوى بحزن:
-يريد أن أجهض.
فتساءلت رانا باندعاش:
-لماذا لم تتجنبيا الحمل؟
وتحمس سمير:
-الواقي الذكري يا جماعة أفضل وسيلة.
طرز الخجل وجه نجوى ورانا.
واصل سمير بالحماس نفسه:
-ليس بين الأزواج حرج. وكما قال لنا شيخنا طارق: "إن للمرأة سبعين ثوبا من الحياء، فإذا تزوجت زال عنها تسعة وستون ثوبا، فإذا زنت زال عنها السبعون".
فصحح طارق:
-هذا ليس قلبي، إنما قول الإمام الشافعي.
ثم تساءل:
-وما العمل الآن في الحمل؟
أجابته رانا:
-تفعلا كما فعلنا نحن.
فسألها طارق بعينيه:
-بأن تخبرا أهلكما.

-وهل استقبل أهلك الخبر بهدوء؟
-والذي رجل عملي كما هو رجل أعمال. ولقد اتفق مع سمير بإعلان الخطبة الآن وإعلان
الزواج بعد التخرج.
فاندھشت نجوى:
-إعلان الزواج العرفي؟!
فتبسم سمير:
-ما هذه السذاجة يا نجوى؟ المقصود إعلان الزواج العادي.
قال طارق بحيرة:
-لكني لا أستطيع أن أخبر أخي حسن. ونجوى لا تستطيع أن تخبر أهلها أيضا.
ثم هتف وهو يهز يديه بقوة:
-فالإجهاض هو الحل.
قالت نجوى:
-والذي رجل ليبرالي ويستطيع أن يتقبل الزواج العرفي ولكنه يريد أن يكون الزوج رجلا بمعنى
الكلمة ويتحمل المسؤولية بشهامة ورجولة.
تدفق الدم في وجه طارق ولم يعلق...
أوماً سمير رأسه ناحية طارق مداعبا:
-الكرة في ملعبك الآن يا شيخ طارق.
ازدر طارق ريقه ولم يرد...
مرت بجوارهم مظاهرة صاخبة، فقال طارق بحماس مصطنع ليشنت تركيزهم عن الحديث عن
الزواج العرفي وتحمل المسؤولية والشهامة والرجولة:
-المظاهرة خرجت في كل الجامعات بسبب دعوة كلينتون لانعقاد مؤتمر للسلام في أوهايو.
علق سمير:
-عسى أن تصل الرسالة إلى كلينتون ليوقف نزيف الدم في البوسنة.
وأعقبه طارق:
-ألا يكفي الغرب ثلاث سنوات من التلذذ بالفرجة على مجازر المسلمين في البوسنة!
فاحتدت رانا:
-وهل فعلت الدول المسلمة شيئا؟!
أجابتها نجوى وهي تتناسى أحزانها وحملها:
-اكتفت بالفرجة أيضا!
فتهكم طارق:
-ولكن بلا تلذذ!
وسخر سمير:

-والأمم المتحدة لم تفعل شيئاً واكتفت بالفرجة مع المشاهدين!
وأعقبته نجوى:
-الصرب يأخذون جنود الأمم المتحدة رهينة عندهم!
وأعقبها رانا غاضبة:
-هذه فضيحة للأمم المتحدة!
فقال طارق وقد سعد باندماجهم في هذا الحديث:
-حتى أمريكا سكنت ثلاث سنوات تتفرج حتى تثبت للعالم أن أوروبا لا تستطيع أن تفعل شيئاً
لوقف الحرب الدائرة على أرضها!
وبسخرية:
-وها هي تدعو رؤساء البوسنة وكرواتيا والصرب لعقد مؤتمر السلام على أرضها وليس في
أوروبا!
قال سمير متهمكماً:
-أمريكا تريد أن تقول: "إنها إذا أرادت شيئاً أن تقول له كن فيكون!"
فتساءلت نجوى في ضيق:
-هل سنكتفي نحن أيضاً بالفرجة؟
فردت عليها رانا في حماس:
-هيا بنا نلتحق بالمظاهرة ونهتف معهم...

-13-

كان الانتداب في أغلب منشآت وزارة الصحة لا يخضع للشفافية، إنما تتدخل فيه العلاقات الشخصية والأهواء! وكان الدكتور صلاح الشيمي من الأطباء الذين ظلموا كثيرا من الانتدابات الكثيرة والمتكررة والمملة والمعتلة أحيانا لعمل الطبيب في عمله الخاص الذي لا يستطيع أن يتخلى عنه طبيب في المحروسة بسبب هزلة مرتب وزارة الصحة! بل أغلب موظفي الحكومة المصرية يعملون عملا ثانيا بعد الظهر لكي يحاول أن يحيا حياة كريمة بقدر الإمكان. فنظام ثورة يولييه 1952 وحكوماته المتعاقبة دمرت الطبقة الوسطى تماما!...

دخل الدكتور صلاح الشيمي على مدير المستشفى حاملا خطاب الانتداب إلى مستشفى الزاوية الحمراء. تساءل غاضبا:

-لماذا هذا الانتداب الآن يا دكتور سليم، ولم أعد من انتداب مستشفى الخليفة إلا منذ شهرين فقط؟!

رد المدير ببرود:

-لست وحدك المُنْتدَب إلى مستشفى الزاوية، معك طبيبان آخران.

-ولكن توزيع الأطباء على الانتداب غير عادل!

رشق سليم صلاح بعينه:

-ماذا تقصد؟

-إن عدد أطباء المستشفى حوالي 150 طبيبا، ومع ذلك يوجد بيننا من لم يُنتدَب ولا مرة!

تبسم المدير ابتسامة باردة، وقال في سره:

طبعاً، أنت عارف السبب يا شيمي ولكنك (تستعبط) علي... تدعي الاستقامة الكاذبة...!

-إن الانتداب يُوزع على أطباء المستشفى، ولكن أخبرني عن اسم طبيب لم يُنتدَب ولا مرة؟

-الدكتور سامي حليم.

ضحك المدير ضحكة عريضة:

-إن سامي حليم مثل السمك في الماء، فإذا خرج من الحوض المرصود فإنه يموت!

تبسم الشيمي ساخرا:

-يعني سيادتُكَ تريد أن تقول بأن سامي حليم (مائي)، وبقية أطباء المستشفى (برمائيون)!

ضحك سليم مقهقها متفعدرا.

فقال الشيمي في نفسه:

لا أضحك الله سنك. وكاد أن يقول: "الله يخرب بيتك وبيت سامي حليم معا".

وبعد أن شبع المدير قهقهة، تفرس في عيني صلاح:

-أحمد ربك. أنت مُنتدَب إلى مستشفى عام، ولم تُنتدَب إلى وحدة الإسعاف، والنوبتجية فيها تتغير

كل 8 ساعات على مدار 24 ساعة، يعني (برنجي وشنجي وكنجي).

وبابتسامة مزيفة:

-ويا سيدي، مستشفى الزاوية قريبة من سكنك في شبرا.
دخل الأطباء: أحمد إسماعيل، وحكيم نخلة، وعلية علي، ومجدي النحال، وابتسام عوض الله، ثم دخلت مدام سعدية سعد مدير شئون الموظفين. أراد صلاح أن يشارك الحاضرين في مشكلته فربما يُلغى هذا الانتداب الجائر.
-أيها الزملاء، الدكتور سليم مصمم على أن أُنْتدب دائما. وكأنه لا يوجد طبيب في المستشفى غيري!

فنظر سليم إلى الأطباء:
-المديرية هي التي ترشح الأسماء.
ثم عضضت سعدية رأي المدير:
-يأتينا قرار المديرية شهريا وفيه أسماء المرشحين للانتداب.
حدج الدكتور أحمد إسماعيل كلا من سليم وسعدية وقال:
-ولكن المديرية المصونة تقرر الأسماء بناء على الترشيح الصادر من المستشفيات. فكل مستشفى أدرى بأحوال أطبائها ومن هو الذي تسمح ظروفه للانتداب. فربما يكون طبيب في أجازة مرضية طويلة، فهل سترشحه المديرية وتستدعيه من أجازته المرضية؟!
بُهِت المدير وسعدية...
قال صلاح:

-الدكتور سليم يعلم أن مستوانا العلمي ينخفض بمجرد بعدنا عن المستشفى.
وقال حكيم نخلة:
-حقا يا دكتور صلاح، لأن الحالات النادرة، وحالات¹⁰ atypical presentations نفقدها ويهبط مستوانا بمجرد بعدنا شهرا واحدا عن الحوض المرصود.
هزت الدكتورة ابتسام عوض الله رأسها موافقة لرأي الدكتور حكيم:
-وخاصة أن المستشفيات الأخرى لا يوجد بها حالات جلدية ذات قيمة.
ووافقها الدكتور أحمد إسماعيل:
-حتى أساتذة الجامعات حريصون على حضور الكونسلتو الأسبوعي هنا حتى يحافظوا على مستواهم العلمي.
قال الدكتور مجدي النحال:
-الحق أننا أحيانا نعاني من بعض الانتدابات، وخاصة أن إدارة بعض المستشفيات التي نُنْتدب إليها لا تفرط فينا بسهولة للعودة إلى هنا بعد انتهاء فترة الانتداب.
فرد عليه الشيمي ساخرا:
-مكافأة لنا على جهدنا!

¹⁰ الأمراض التي تظهر بصورة شاذة غير صورتها المألوفة

فاندھشت سعدية:

-كيف يحدث هذا؟ إنه انتداب وليس نقلا!

وتساءل المدير:

-ما هذا التضامن مع الدكتور صلاح؟ هل هو أول طبيب سيُنتدب؟ ومع ذلك يمكن المحافظة على المستوى العلمي، لأن العمل في مستشفيات الانتداب يكون عادة يوم بعد يوم، ويمكن للطبيب أن يأتي هنا في اليوم الخالي من العمل، ويحضر الكونصلتو اليومي بعد عيادات الصباح بالإضافة إلى حضور الكونصلتو الأسبوعي مع أساتذة طب القاهرة وعين شمس. فhez مجدي النحال رأسه موافقا:

-هذا كلام جيد جدا يا سيادة المدير، ولكن لا ينطبق على كل المستشفيات والوحدات التي ننتدب إليها.

ثم سأله:

-وأين العدالة في التوزيع العادل للانتداب؟

فاحتدت الدكتورة عليّة:

-إنها عدالة موءودة!

ثم أردفت:

-المفروض أن يكون الانتداب للأخصائيين الجدد أو للذين بوظيفة مساعد أخصائي. فردت عليها الأستاذة سعدية:

-الانتداب يكون حتى الدرجة الثانية من السلم الوظيفي بغض النظر عن العمر. فقال الدكتور أحمد إسماعيل:

-ويجب أيضا يا مدام سعدية، أن يُوزع بجدول دوري بدون أي شبهة ظلم لأحد. فاحتد المدير:

-هو صلاح أحضركم كمحاميين له، أم أنتم عملتم (رباطية) مع بعض! فاشتاطت عليّة:

-ما هذا الهراء الذي تقوله يا دكتور سليم؟! رباطية!!

وغم أكثر من طبيب لا عترضهم على كلام سليم...

غضب صلاح:

-يا جماعة، لقد عُدت من انتداب مستشفى الخليفة منذ شهرين فقط. حرام هذا الظلم.

قال حكيم بهدوء ليطفئ شرر النار التي تستعر:

-العدل أساس تقدم الأمم، يا سيادة المدير. ونحن نعترض على كلامك.

رشق أحمد إسماعيل المدير بنظرات نارية:

-أنت تعلم يا دكتور سليم، أن كثيرا من أطباء المستشفى لم يُنتدبوا ولا مرة. وكثير منهم لم يدخلوا عيادات الصباح المجانية ولا مرة. ومنهم من° يجلسون في مجالس النسيمة الصباحية

يحتسون القهوة وهذا هو دوامهم اليومي. والفجيرة الكبرى أنه يوجد أطباء لا نراهم إلا حينما نتسلم الراتب الشهري!

قالت سعدية لتهدأ النار المتأججة في النفوس:

-يا جماعة، اهدءوا. يا دكتور أحمد، لا داعي لهذه العصبية.

تهكم النحال:

-مجموعة الأطباء الأخيرة تذكرنا ببعض المجندين الذين لا يأتون وحدثهم إلا في آخر الشهر ليتسلموا الراتب! جنود مرفهون أصحاب الوسائط الكبرى.

وأكملت عليّة بالتهكم نفسه:

-والعزائم الصغرى!

تدخل سليم للتهدة:

-يا دكتور أحمد، عدد أطباء المستشفى أكبر من المطلوب لقوة العمل، فعدد عيادات الرجال أربعة ومثلهم عيادات النساء. فلو وضعنا 10 أطباء لكل عيادة -وهذا عدد كبير للعيادة الواحدة- فستكون قوة العمل المطلوبة 80 طبيباً، وهذا هو العدد المناسب لقوة عمل المستشفى.

أومات مدام سعدية برأسها ناحية الدكتور صلاح وأكملت ما قاله المدير:

-وحيئذ، لن تأتي قرارات كثيرة من المديرية للانتداب، لأن قوة عمل المستشفى تتناسب طردياً مع ...

فضحكت لأنها لم تستطع أن تكمل الجملة.

فأسعفتها الدكتورة ابتسام عوض الله:

-تتناسب طردياً مع قوة الأطباء الحقيقية الموجودة بالمستشفى.

فضحكت سعدية:

-شكراً يا دكتورة ابتسام، لقد أنقذتيني في الوقت المناسب.

ثم استطردت وهي تبتسم:

-المشكلة الكبرى أنني بليدة في الرياضيات، فحينما كنتُ في كلية التجارة سألني أحد أساتذة الاقتصاد ما هو حاصل ضرب 7×9؟ فظللْتُ برهة من الزمن وأنا مترددة في الرد، وأخيراً قلت له: 63، ولكن اعذرني لقد كنتُ في الثانوية العامة أدبي!

فانفجرت الحجرة ضحكا. أعقبت:

-أستاذ الاقتصاد ضحك أيضاً.

وبابتسامة عريضة:

-ولكني الآن نسيْتُ جدول الضرب كله.

فضحك الأطباء.

قالت الدكتورة ابتسام بابتسام:

-بعد العيادات الصباحية، سوف أعطيك درسا خصوصياً في حفظ جدول الضرب...

-14-

على الدَرَج، اشتكى أحمد الغرباوي للدكتور سامي حليم -الساكن في منزل الغرباوي- عن كثرة انتداب الدكتور صلاح الشيمي...

تبسم سامي:

-الدكتور صلاح لا يعيش في الدنيا ولا يعرف كيف يسوي أموره جيداً. ألم يسمع عن الهدايا التي نعطها للمدير حتى نستريح من كد وعناء سيل الانتداب الذي لا ينتهي أبداً؟ فهناك انتداب لمستشفى الخليفة، ومستشفى المنيرة، ومستشفى منشية البكري، ولأماكن أخرى كثيرة... وهذا الانتداب متكرر باستمرار...

فسأله الغرباوي:

-ولماذا أطباء مستشفىكم هم هدف المديرية للانتداب؟

-لأن المديرية تنظر إلى عددنا المائة والخمسين.

-يعني قوة الأطباء أكبر مما تحتاجه المستشفى!

-نعم، ولا حل عند المسؤولين بالمديرية إلا انتدابنا.

فتساءل الغرباوي مندهشاً:

-ولكن لماذا تعينكم المديرية والعمل لا يحتاجكم؟

تبسم الدكتور سامي وهو يجيب:

-لأن أغلبنا تعين في الحوض المرصود بالواسطة!

ضحك الغرباوي:

-يعني (اللي معه واسطة يركب الباسطة)! يبدو أن الموضوع شيق. هيا بنا نحتسي الشاي عندي.

وأثناء احتساء الشاي، تساءل الغرباوي:

-يا دكتور سامي، هل المستشفيات التي تُنتدبون إليها تحتاج إليكم؟

-أحياناً نُنتدب إلى مستشفيات لا يوجد بها أخصائي جلدية وتناسلية.

-يعني إسراف هنا وتقطير هناك!

-سوء توزيع نتيجة (الواسطة)!

-شيء عجيب. ترضخ مديرية الصحة لضغط أصحاب الرفعة والسعادة؛ فتعين أطباء لمكان

مكتظ بالأطباء، وتترك مستشفيات أخرى بلا أخصائي جلدية!

-الأطباء حريصون، يا أستاذ أحمد، على التعيين في الحوض المرصود حتى يتقنوا تخصص

الجلدية والتناسلية جيداً. وهذا هو الذي أدى إلى هذا الوضع الغريب.

-ولماذا لا تنشئ الوزارة مستشفى جلدية في كل محافظة؟

ضحك سامي وأجاب:

-الإنجليز حينما كانوا محتلين مصر هم الذين أنشئوا مستشفى الحوض المرصود عام 1901،

وليست وزارة الصحة.

-تريد أن تقول بأن مستشفى الجلدية الوحيد في مصر لم تنتشئه وزارة الصحة.
-رشف الغرباوي رشفات من الشاي بدون صوت كعادته ثم قال:
-لقد سمعت من الدكتور صلاح أن المستشفى أنشئت لكي تعطي تراخيص طبية للداعرات.
ضحك سامي قائلاً:
-لكي يمارسن الدعارة على نظافة، ولا يُصاب جنود الجيش الإنجليزي المحتل بأمراض تناسلية.
فتبسم الغرباوي ساخراً
-ولكن الدعارة تُمارس الآن بدون هذه النظافة!
ضحك سامي وهو يقول:
-لقد أتت إلينا في المستشفى امرأة ساقطة مصابة بالزهري، فأخبرتنا بأنها تمارس بما لا يقل عن
ثلاثة عشر لقاء في اليوم الواحد مع طالبي المتعة.
تساءل الغرباوي متعجباً:
-وكيف تجد وقتاً لكل هؤلاء الزبائن؟!
-العجيب أنها لا تمارس الدعارة في بيتها، ولكن في أماكن الزبائن.
فضحك الغرباوي وهو يقول ساخراً "أكيد أن لديها قناعة في دورها القومي في حل مشاكل
الجنس!"
قهقهه سامي:
-ليس للمصريين فقط، ولكن للزائرين العرب كذلك!
-ربما تقوم بحل مشكلة الوحدة العربية نيابة عن السياسيين والزعماء الفاشلين...!
-لا يوجد أعظم من الجنس لحل أي مشكلة.
-حقاً ما تقول يا دكتور سامي. والجنس أيضاً هو سبب كثير من المشاكل والمعضلات والطلاق
أيضاً!
تعجب سامي وتساءل مع نفسه:
هل هذا الرجل البسيط يريد أن يخبرني أنه قرأ عن فرويد مثلاً؟
وبعد أن رشف الغرباوي عدة رشفات أخرى من كوب الشاي، قال في خبث:
-من المؤكد أن هذه الداعرة لو عملت في أي مصلحة حكومية لا تُنتدب منها أبداً!
احمر وجه سامي وتصهد...
ماذا يريد أن يقول هذا الرجل؟ من المؤكد أن الشيمي أخبره عن عدم انتدابي.
قطع الغرباوي حبل أفكاره قائلاً وقد طبع على شفثيه ابتسامة مكررة:
-ولكني سمعت أنك لا تُنتدب أبداً يا دكتور سامي!
رد سامي بعدما ازدرد ريقه الذي جف:
-فعلاً، أنا لا أُنْتدب؛ والسبب يا أستاذ أحمد، أنني أعطيت دم قلبي من الهدايا والمكوس حتى أظل
بالمستشفى.

فتساءل الغرباوي والابتسامة الماكرة مازالت لا تفارقه:
-ولكن أليست هذه رشوة؟!
تصبغ وجه سامي باللون القرمزي وتسارعت نبضات قلبه، فرشفت رشقات ليغطي على
انفعالاته وقال:
-إن ديني يمنعني من الرشوة.
فقاطعه الغرباوي:
-لا يوجد أي دين ولو دين وضعي يدعو إلى الرشوة.
استطرد سامي:
-أخبرني بربك، كيف أدير عيادتي الخاصة؟ والانتداب ما هو إلا تعطيلاً لكل شؤوننا. فالوزارة
تعالج -بالانتداب- خطأ بخطأ آخر...!
ثم استرسل:
-يوجد الكثير من أطباء المستشفى لا يُنتدبون أبداً، وهؤلاء لابد وأن يقدموا المكوس في
المناسبات المختلفة؛ مثل عيد ميلاد المدير، نجاح أبناء المدير في الدراسة، فوز الأهلي على
الزمالك...! ألم يسمع صاحبك عن جنيهاات الذهب التي تُقدم إلى كبار الموظفين المرموقين في
المديرية؟!
وقبل أن ينصرف، قال:
-يا أستاذ أحمد، يوجد أطباء عندنا لا يأتون المستشفى إلا يوم استلام الراتب الشهري...

-15-

- "قابلني يا علي في أرض الجمل... في أرض الجمل... أرض الجمل... أرض...
الجمل... الجمل... الجمل..."
استيقظ علي من النوم وأنفاسه تلهث، والعرق الغزير ينصب من جبهته... من° هذا الرجل
الوقور؟ من° هذا الرجل الوقور؟!...
هل هو ولي من أولياء الله؟
هل هو نبي؟
هل هو ملاك؟
هل هو شيطان؟!
فإذا كان ولي أو نبي أو ملك، فلماذا أقابله في أرض الجمل؟ وهي أرض فضاء محصورة بين
السكة الحديد يلعب الشباب فيها الكرة. فلماذا لا يكون اللقاء في مسجد؟!
وإذا كان شيطان، فلماذا يأتي في صورة طيبة مهيبة؟ هل هو خداع من الشيطان؟!
هل يوجد خطر على حياتي؟
هل هي أضغاث أحلام؟
أم ماذا؟!...

-قابلني يا علي يا بن عبد المنعم غداً بعد صلاة العشاء في أرض الجمل.
-من° أنت يرحمك الله؟
-أنا عبد من عباد الله.
-كلنا عباد لله. ولكن هل أنت ملك من ملائكة الله؟
-قابلني يا علي يا بن عبد المنعم غداً بعد صلاة العشاء في أرض الجمل.
-هل أنت نبي؟
-قابلني يا علي يا بن عبد المنعم غداً بعد صلاة العشاء في أرض الجمل.
-هل أنت ولي؟
-قابلني يا علي يا بن عبد المنعم غداً بعد صلاة العشاء في أرض الجمل.

إنه يعرف اسمي واسم أبي. أنا في حيرة يا ربي. أهدني يا ربي. أرشدني يا ربي...
من° هذا الرجل؟ هل أقابله؟ هل أقابله بمفردي أم أخبر الأخوة ليحضرُوا معي؟ ماذا أفعل يا
ربي؟
الأمر أمرك يا رب. الصانع هو أنت يا رب. كل شيء بقضائك...
نام علي مرة تالفة فرأى الرؤيا نفسها...

- "قابلني يا علي غداً بعد صلاة العشاء في أرض الجمل... يا علي... لا تخبر أحداً بهذا اللقاء..."

ظل علي يذكر الله ويطلب منه العون. وفي آخر الأمر، عزم أن يصلي العشاء غداً في المسجد المقابل لأرض الجمل من جهة شارع أحمد حلمي، ثم يصلي ركعتين استخارة، ويتوكل على الله، ويقابل رجل الرؤيا...
ثم نام بعد هذا العزم وهذه النية، فلم يرَ الرؤيا للمرة الرابعة.

-16-

كان الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح يعاني من عقم مزمن ولم تحمل زوجته روحية خالد ولا مرة منذ زواجهما منذ أكثر من سبعة عشر عاماً. لم يفكر إسماعيل أن يتزوج من امرأة أخرى لتنجب له ولي العهد حتى لا يغضب روحية. وضرب كلاهما أروع مثل في الرضا بقضاء الله وقدره... وكان الحب هو أقوى رباط بينهما...

زاره الدكتور صلاح الشيمي وزوجته زبيدة رمزي ليقفا على آخر ما وصلت إليه حالتها. قالت روحية:

-جلدي يجف كثيراً في الشتاء يا دكتور صلاح.

فرد صلاح مبتسماً:

-سأحضر لك من المستشفى مرهم أكسيد زنك، وهو مفيد جداً في ترطيب الجلد.

سألت زبيدة روحية وهي تشير إلى بطنها:

-ما أخبار الحمل وتحاليه؟

-لقد تعبنا من كثرة الفحوصات وكلها بلا فائدة.

-يا أختي، يجب ألا نياس من رحمة الله.

-ونعم بالله.

فتهمك إسماعيل:

-العجيب في حالتنا أن الأطباء أجمعوا على أننا سليمان!

فتبسم صلاح:

-توجد حالات يكون كلا من الزوجين سليمين، ولكن الزوجة تكون أجسام مضادة ضد الحيوانات المنوية للزوج.

فرد إسماعيل:

-عملنا تحاليل الأجسام المضادة وكانت سلبية.

-ربما يكون كلا منكما subfertile، يعني معدل الخصوبة أقل من الطبيعي.

وقال في سره:

ولو تزوجت يا إسماعيل من امرأة أخرى سليمة لأنجبت، وكذلك الحال مع روحية.

ثم تساءل ضاحكاً:

-ما أخبار آخر الفحوصات مع الطبيب رقم ألف أو أكثر والذي تتابع معه؟

فأجاب إسماعيل:

-الفحوصات أثبتت أن الخصوبة عندنا طبيعية.

كاد صلاح أن يقول: الآية الكريمة: {وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا} ¹¹.

¹¹ جزء من الآية 50 من سورة الشورى

ولكنه تساءل:
-هل تم عمل أشعة تلفزيونية جديدة على الخصيتين؟
-نعم، وأخبرني الطبيب أنه لا توجد دوالي كما كان من قبل.
ثم سأل الدكتور صلاح روحية:
-هل الدورة الشهرية منتظمة كما كانت من قبل؟
-نعم، والله الحمد.
فسألت زبيدة روحية:
-ألم تجربوا عسل النحل وغذاء ملكات النحل وخاصة أن الآية الكريمة تقول: {فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} ¹²؟
-لقد جربنا وصفات شعبية كثيرة، ولكن بلا فائدة.
وبسخرية وتهكم:
-لقد جربت كل شيء، حتى الخزعلات جربتها، وأنا المثقفة مدرسة العلوم!
فضحكت زبيدة وتساءلت:
-وما هذه الخزعلات؟!
-لقد أخذت الهيكل العظمي من أم علي عبد المنعم، ومررت عليه سبع مرات.
فضحك صلاح:
-هذا الأمر شائع جداً، وربما له خلفية علمية.
فضحك إسماعيل متسائلاً:
-وما هذه الخلفية العلمية يا دكتور صلاح؟
-الشعور بالخوف من أي شيء، وخاصة من هيكل عظمي لإنسان ميت، ربما يحسن من خلل ما في الجهاز العصبي، فيصلح خلل التبويض والدورة الشهرية...
قالت روحية:
-كثير من نساء الحي يأخذن هذا الهيكل لكي يحملن.
فتبسمت زبيدة ضاحكة:
-يجب أن يستفيد الدكتور علي وأمه مادياً من هذا الهيكل العظمي...

¹² جزء من الآية 69 من سورة النحل

-17-

دخل علي عبد المنعم من فتحة سور السكة الحديد -والتي تُسمى (شَرْم)- عند محطة محمد فريد بشارع أحمد حلمي. مشى خمسين متراً في عزبة الورد ثم صعد دَرَج كوبري الورد ليصل إلى الشرايبة. سار إلى اليمين بجوار سكة حديد الفرز، عابراً بحراً من عشش الذين تهدمت منازلهم وليس لهم مأوى إلا تلك العشش التي لا يصل مستواها المعيشي إلى مستوى عشش الدجاج!...

ترحم علي على أيام الملكية وحكامها (غير المصريين) والتي حدثها عنها الأستاذ محمد الوكيل في بعض اللقاءات وأخبرهم أن شوارع المدن كانت تُكنس وتُرش بالماء في الثانية صباحاً بل ويرش الجو بالعطور...

أما الآن ونحن نودع القرن العشرين، فإن المصريين يفترشون الغبراء والإسفلت وتحت الكباري والعشش وحتى المقابر، ويلتحفون بالسماء!!!

عبر سكة حديد الفرز حيث لا يوجد سور ثم نزل إلى أرض الجمل. وهي أرض مثلثة الشكل، قاعدتها تحت كوبري الورد، وضلعها سكة حديد كلا من الوجه البحري والفرز. الأرض رملية. الظلام مطبق لا يبده إلا قبس من نور يأتي على استحياء من مساكن الشرايبة المطلة على السكة الحديد والمشاهدة للموقف في صمت...

الصمت شامل ولا يقطعه إلا صوت القطارات على فترات متباعدة أو هسيس بعض الأوراق نتيجة دفع الريح.

القمر يسبح في بحار الظلام. النجوم متألئة، تنظر إلى علي عبد المنعم وكأنها تبتسم له...

النجوم تسخر مني ومن تفاهة الجري وراء خزعات الأحلام وأضغاثها... ما التي أتى بي إلى هنا؟

رؤيا؟

أين رجل رؤيا؟!...

ظل علي يقطع أرض الجمل طولاً وعرضاً، ويتلفت يمينا ويسارا. وكلما مر الوقت بلا ثمرة؛ يزداد توتراً واضطراباً، وتتوتر شرايين قلبه، وتلهث أنفاسه وتقرع كأنها الطبل، وتتساقط قطرات العرق من جبينه بالرغم من برودة الجو!...

وأخيراً جلس من الإعياء على حجر وظلّ يتذكر الرؤيا...

لقد آتاني الرجل الوقور عدة مرات. "قابلني قابلني... أرض الجمل أرض الجمل... الجمل... الجمل... بعد صلاة العشاء"...

أين أنت يا رجل الرؤيا؟ لقد خُذعت! إنه شيطان ملعون! الوغد ضيع وقتي وشغل بالي بالتافهات... قابلني يا علي يا ابن عبد المنعم في أرض الجمل. ها أنا علي ابن عبد المنعم في أرض الجمل، فأين أنت؟

استعاذ علي من الشيطان الرجيم، ورتل آية الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين بصوت مرتفع، ثم ظل يذكر الله ويسبحه ويمجده...
سبحان الله سبحان الله سبحان الله...
لا إله إلا الله...
لا إله إلا الله...
لا إله إلا الله... محمد رسول الله...
تسربت السكينة إليه رويداً رويداً، والتأمت أنحاء نفسه المبعثرة، وهدأ قلبه...
فلا يوجد أنس ولا جان. إنها أضغاث أحلام. لقد تزين الشيطان لي بشكل رجل صالح وقور ليشغلني ويضيع وقتي. ما أتفهني...
حسبي الله ونعم الوكيل...
ثم أخذ نفساً عميقاً، وتوكل على الله، وقرر أن يغادر أرض الجمل...

-18-

تعتقد بهيجة اعتقادا شديدا في الوظيفة (الميري) لأنها تمنح الأمان...

تتناجى مع نفسها:

ربنا يرزقني وظيفة حكومية. يا رب. وربنا يرزقك يا سعيد يا ابني، وظيفة ميري. فالوظيفة الميري أمان وتأمين صحي ومرتب مستمر حتى أثناء الأجازات المرضية والغير مرضية. المرتب مستمر مهما حدث. أما القطاع الخاص، فالعمل فيه يعتمد على صحتنا وقوتنا، فإذا ما أصابنا أي مكروه -لا قدر الله- فلن يُصَرَف أي مرتب، ولن تُقدَّم حتى الخدمة الطبية... فحقا "إذا فاتك الميري اتمرغ في ترابه".

بعد تناول العشاء، قالت لسعيد:

-يا ليت تكلم الدكتور صلاح ليبحت لي عن وظيفة في مستشفى الحوض المرصود أو في أي مكان يتبع وزارة الصحة.

امتعض سعيد. سألها في تذمر:

-ولماذا يا أمي العمل الحكومي ومستوصفك ليس به بأس؟

أنت لا خير فيك أبدا. حتى رذك ناشف! أعوذ بالله. كيف ستجد عملا لي وأنت فشلت في البحث عن عمل لك؟ مات أبوك مبكرا وترك لي هموم الدنيا والآخرة.

-أنت تعلم يا سعيد، أن أُملي القديم هو في العودة للعمل في الحكومة بعد استقالتني منها وسفري إلى السعودية.

-ولكن المستوصف الخيري أكثر راحة في العمل بالإضافة إلى قربه من البيت، أليس كذلك يا أمي؟

-بلى يا سعيد، ولكننا نعمل به اعتمادا على ذراعنا وقوتنا وصحتنا، وبالتالي لن يصرف أي مرتب عند حدوث أي مرض لا قدر الله.

ثم أضافت:

-ولا تنسَ أن العمل الطبي الخاص لا يوفر أي تأمين صحي ولا معاش...

تذمر سعيد وصمت ولم يرد.

-الدكتور صلاح رجل محترم، فأخبره وهو سوف يهتم بالأمر.

تذمر سعيد أكثر. قال في نفسه:

الله يخرب بيت العمل الحكومي والمعاش والتأمين الصحي في يوم واحد. ماذا أقول للأخوة؟ ابحثوا عن عمل لي وعمل حكومي لأمي...

-19-

عزفت الرياح عزفها الجنوني. وتفجر البرق في الفضاء. وصرخ الرعد صراخه الخرافي، وضرب بأذرعه السماء ضربات ساحقة؛ فارتجت رجا عنيفا، وتفتحت أبوابها فتحا مجلجلا، وانهال المطر سيولا مدمرة عاتية...
ترك الدكتور أحمد إسماعيل والدكتور حكيم نخلة جلستهما الصباحية تحت شجرة الصفصاف وهرعا إلى حجرة المدير.
تساءل أحمد إسماعيل وهو يضحك:
-المطر ينزل عادة بعد الظهر، فلماذا هذا التباكير؟
فتبسم المدير ضاحكا:
-حتى يأتي قبلك، فلا تدعي أنك أول الحضور.
وأتبعه حكيم:
-لقد وقع المطر في دفتر الكون مبكرا، بينما دفاتر المستشفى هاجعة.
والمدير:
-السماء الآن مشغولة بتنزيل الحمولة الثقيلة التي تنوء بطنها بها من الماء.
وأحمد:
-حتى تستريح من الحمل.
فضحكوا.
قال حكيم ضاحكا:
-وتأخذ نَفْسها.
وقال المدير والابتسامة مازلت مطبوعة على شفتيه:
-الإفطار عليّ اليوم حتى نصالح الدكتور أحمد بعد خصام طويل.
فتساءل حكيم:
-والقهوة؟
فضحك سليم وأجاب:
-عليك يا حكيم.
دخل أكثر من طبيب إلى حجرة المدير مسرعين. قال الدكتور مجدي النحال منفعلا:
- السيول تدمر زنازين ال¹³syphilis.
فقال المدير:

¹³ مرض الزهري

-لقد استرحنا من هدمها نسبيا لأن الوزير الجديد، أستاذ أمراض جلدية وتناسلية، ومهتم جدا بالمستشفى، ولقد أصدر قرارا بتحويل المستشفى إلى معهد للأمراض الجلدية والتناسلية؛ فكان لابد من هدم زنازين الsyphilis.

فحزن الدكتور أحمد قائلا:

-ولكنها كانت ذكرى وتاريخا.

فرد عليه الدكتور سامي حنا:

-على العموم، الزنازين كانت مبنى مهجورا منذ اكتشاف البنسلين في الأربعينات، واستغلال مكانها سيعمل على تطوير المستشفى تطويرا مذهلا.

فسأله أحمد إسماعيل:

-ما هو هذا التطوير المذهل؟

-بتحويل المستشفى إلى معهد قومي؛ سيتم بناء وحدة جراحات الجلد والتناسلية، وهذا ما تفتقده المستشفى.

-ولكننا لم نتدرب على إجراء هذه الجراحات. ولا يوجد تخصص تخدير بالمستشفى.

فرد المدير:

-سيتم تدريبنا يا دكتور أحمد. وسيتم توفير كل ما تحتاجه غرفة العمليات إن شاء الله.

قالت الدكتورة ابتسام عوض الله:

-كل أقسام الجلدية والتناسلية بالمستشفيات الجامعية بها وحدات عمليات لجراحات الجلد والتناسلية وهذا يزيد الفرق كثيرا بين مستوانا العلمي والعملية ومستواهم...

وأكد الدكتور وجدي النحال:

-وهذا هو الفرق في المستوى بين المستشفيات الجامعية ووزارة الصحة.

ثم أردف في سره:

لكن وزارة الصحة شاطرة في الانتدابات!

فتساءل الدكتور سليم:

-ولماذا لا نكون مثلهم؟ وخاصة أن الكثير من أساتذة الجلدية والتناسلية بطب القاهرة وعين شمس يحضرون الكونسلتو الأسبوعي هنا.

فرد عليه حكيم:

-عند حق يا سيادة المدير، يجب أن يكون مستوانا مثلهم أو حتى قريبا منهم.

-إن وزارة الصحة تعين دائما استشاري للمستشفى من أساتذة الجامعات حتى يرتقى مستوانا العلمي وتتطور مستشفانا، ولكن هذا وحده لا يكفي، ويجب تطوير المستشفى تطويرا كبيرا لأنها المستشفى الوحيد في الدول العربية كلها الخاصة بأمراض الجلدية والتناسلية.

فتساءل أحمد إسماعيل في امتعاض:

-وإذا -لا قدر الله- تغير وزير الصحة، فهل سيكمل مشروع تحويل المستشفى إلى معهد قومي أم سيتوقف بمغادرة الوزير الوزارة؟!
فأجابته الدكتورة عليّة علي ساخرة:
-غالب ظني أن المشروع سيتوقف، إلا إذا رزقنا الله بوزير جديد متخصص في الجلدية والتناسلية أيضا!
انفعل مجدي النحال:
-طبعاً، سيتوقف المشروع يا عليّة، بمجرد تغيير الوزير لأننا نفتقد الفكر الإستراتيجي!
فرد عليه حكيم بحكمته المعهودة:
-فعلاً، يا مجدي. ولننظر إلى الهند كيف بدأت معنا في الستينيات في البرنامج النووي وهي الآن على وشك الالتحاق بالنادي النووي. بينما توقف مشروع صاروخ "القاهر" وصاروخ "الظافر" عند مرحلة الحبو ثم مات!
فعضد أحمد رأيّه:
-وجاراتها الباكستان على وشك الالتحاق بالنادي النووي...
فصاحت عليّة ساخرة:
-حتى عدوتنا إسرائيل عندها سلاح نووي رادع منذ الخمسينات. وأطلقت أول قمر صناعي تجسسي منذ أسابيع. بينما قادتنا السياسيين وعلى رأسهم رئيس الجمهورية يتحدثون في تصريحاتهم وخطبهم عن فضل "الرغيف الطباقي" بعد رفع سعر رغيف الخبز إلى خمسة قروش مرة واحدة!
أشار الدكتور سليم على أذنه وقال بهسيس:
-الحيطان لها ودان يا دكتورة عليّة!
فردت عليه بصوت قوي:
-الله يطرشها!
فضجت الحجرة ضحكا...
ظلت الريح تعوي في الخارج والمطر لا ينفك عن ضرب جدران المستشفى بجنون جامح...
دخل الدكتور حمدي علي ذو السابعة والعشرين ربيعاً، والدكتور فوزي نجيب ذو الثلاثة والخمسين ربيعاً، ومدام سعدية سعد، مسرعين.
ضحك المدير قائلاً:
-المستشفى كلها هنا.
فردت سعدية عليه ضاحكة:
-لنحتمي بسيادة المدير من المطر.
فتساءل أحمد إسماعيل في سره:
ما هذا النفاق الرخيص؟!

قال الدكتور حمدي علي:
-يبدو أننا لن ندخل العيادات اليوم.
وقال فوزي نجيب:
-لن يأتي مرضى اليوم إلا إذا توقف المطر.
وساخرا:
-ولكن أخبرني يا حمدي، هل أنت تدخل العيادات حتى تتحدث عنها؟
-الحال من بعضه يا دكتور فوزي!
فتدخل سليم:
-حمدي عنده ظروف خاصة تجبره لعدم التواجد في العيادات.
فتسائل فوزي والسخرية قد انزوت في جانب فمه: "وما هي هذه الظروف؟"
فاحتدت عليه:
-يا فوزي، المدير قال لك عنده ظروف خاصة. فهل من اللباقة أن يذكرها لك على الملأ؟
فقال حمدي وقد تورّد وجهه قليلا: "أنا أذكرها لك يا دكتور فوزي، حتى تكفوا لغطكم حولي".
فقال ابتسام في هدوء:
-دعني أقولها أنا يا دكتور حمدي لأنك منفعل. يا دكتور فوزي، حمدي له ابن يعاني من مرض
C.P.¹⁴، وعلاجه الشهري يتكلف ما يقرب من 5000 آلاف جنيه، فمن أين يأتي بهذا المبلغ
ومرتبه 150 جنيه؟
قال فوزي في نفسه:
طبعاً، ابتسام تتكلم نيابة عنك. لماذا؟ توجد نظرات حب بينكما على ما يبدو منذ فترة. العيون
أقوى رسول. ولكن ابتسام أكبر منك في العمر بكثير يا حمدي. وأنت فاضي للحب يا رجل...
أكملت مدام سعدية:
-فاضطر أن يأخذ دبلوم تسويق من الجامعة الأمريكية، واشتغل به مندوباً للمبيعات في إحدى
شركات الأجهزة الطبية، بعدما استأذن من الدكتور سليم. ولا يعلم هذا الأمر إلا قليل.
ثم أضافت وهي تشير بيديها:
-والمستشفى -كما تعلم يا دكتور فوزي- بها وفرة من الأطباء.
استطار الشرر من عين عليه وهي تقول:
-يا سيادة المدير، يوجد بعض الأطباء الذين يدخلون العيادات المجانية قبل بدايتها لكي يكشفوا
على أكبر عدد من المرضى ويخبرونهم -للأسف- بأنهم يحتاجون إلى تحاليل لا تتوفر إلا في
العيادات الاقتصادية!
قال فوزي في نفسه: "تركتم موضوع حمدي لتهاجموني".

¹⁴ C.P.=Cerebral Palsy الشلل الدماغي

فأكمل أحمد إسماعيل:
-و حين تأتي الساعة التاسعة، إذا بهؤلاء الأطباء ينصرفون، ولا يضعون ورقة التوت على
سوءاتهم، ولا يكملون العيادة مع زملائهم!
وجم المدير لأنه يعلم هذه الحقائق، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً.
ولكن أنظار الحاضرين اتجهت إلى فوزي لأنه من أشد الأطباء الذين يفعلون ذلك... فكشر
فوزي وجهه وقال بصوته الخشن:
-لماذا تنتظرون إلي؟ فهل أنا الوحيد الذي يفعل ذلك؟ الكثير من الزملاء من يفعل أكثر من ذلك.
ألا تعلمون أن مستشفيات الصحة ستتحول كلها إلى الاقتصادي؟ فالعمليات الجراحية التي كانت
تتم بمنتهى السهولة فيما مضى، أصبحت الآن تتم عن طريق استخراج قرار علاج على نفقة
الدولة. وأنتم تعلمون المهازل والذل في استخراج هذا القرار! انسوا مرحلة العيادات المجانية.
غول العولمة سيكتسح الجميع. انظروا يا سادة، إلى الدولة كيف تبيع كل ممتلكات الشعب باسم
الخصخصة؟! وكيف رفعت ثمن رغيف العيش من قرش صاغ إلى خمسة قروش دفعة واحدة؟
ثم حذج عليّة بنظرة حادة وهو يواصل:
-ويا حاجة عليّة، أنتِ سافرتِ إلى السعودية عدة مرات. وأموالك الآن تتضاربين بها في
البورصة. فدعي الأطباء الكادحين هنا -والذين لم يسافروا إلى الفردوس التي سافرتِ إليها-
يأكلون لقمة عيشهم المرة.
نظرت عليّة إليه شزراً ولم تعلق.
قالت ابتسام في ثوريتها المعروفة:
-ولكن ما تفعله يا دكتور فوزي، غش للمرضى، وفيه ابتزاز لأموالهم!
-وزارة الصحة تريد ذلك!
فسأله حكيم: "وأين القسم الذي قسمته يا فوزي؟"
تدعون أنكم شرفاء! ألا تعلمون أيها المنافقون، أن الخمس نقاط في الاقتصادي لا تعتمد إلا على
التحاليل؟
-هل هذه محاكمة لي أم ماذا؟ وعلى العموم، أنا لم أقسم القسم، لأنه قسم الإخوان المسلمين الذين
ابتدعوه بعدما دخلوا النقابة. فلو أعادوا القسم القديم سأقسم.
فتساءل أحمد إسماعيل بضيق: "وماذا سيصنع القسم بالطبيب إذا لم يراع ربه؟"
ثم وهو يضرب كفا بكف:
-القسم القديم هو القسم نفسه الموجود الآن مع تحوير بسيط لا يخل بالمعنى. ثم إنك يا فوزي قد
تخرجت في أول السبعينات قبل دخول الإخوان النقابة في منتصف الثمانينات!...

-20-

بعدما هرع علي عبد المنعم يمينا ويسارا للبحث عن رجل الرؤيا ولم يجد أحدا، قرر أن يغادر أرض الجمل. فلم يمش إلا خطوات حتى شعر بسريان تيار كهربائي في جلده... ما هذا؟ هل يوجد مجال مغناطيسي حولي؟! توجد قشعريرة في جلدي، عضلات شعر جلدي تتقلص، تنتفض. شعري جسمي كله يتحرك، يرتجف، يقف. التيار الكهربائي يتسرب إلى كل جسمي من أسفل قدمي إلى فروة رأسي. ربيقي يجف. لساني عاجز عن قراءة آية الكرسي... حاول أن يتعوذ بالله من الشيطان، فلم يطاوعه لسانه. ثقلت رجليه عن الحركة كأنها مقيدة في سلاسل جبليّة...

بدأ يشعر بضربات قلبه، ازدادت رويدا رويدا، أمست كأنها الطبل، أو كصوت عجلات قطار السكة الحديد السريع...

تصيب العرق من كل جسده. بدأ يلهث...

شعر بقوة المجال المغناطيسي تقترب منه، تزداد قوة على قوة، المجال المغناطيسي في ظهره الآن على أشد ما يكون. حاول أن يلتفت فلم يستطع!...

يد دافئة تربت على ظهري، الطمأنينة تسري مع دمي إلى كل أنحاء جسمي. أستطيع أن التفت الآن. الله. الله... رجل الرؤيا!... ابتسامة حانية وديعة تكسو وجهه. الله. الله... ما هذه الهالة البيضاء المتوهجة المحيطة بجسده؟ أضواء "كرليان"؟ لازال يبتسم. لماذا لا يتكلم؟ هل أنا في يقظة؟ أم نمث هنا في أرض الجمل؟ هل أنا في حلم؟

راحة تتدفق في كل أنحائي، سعادة لا أعرف كنهها تتوهج في نفسي وروحي وكياني كله... بالرغم من الراحة والسعادة والطمأنينة إلا إن لساني لا ينبت ببنت شفة، لا يتحرك عن مكانه، ثقيل كأنه الجبال. شفتاي ملتصقتان كأنهما ملتصقتان منذ الأزل!...

الهالة البيضاء المتوهجة تزغلل عيني لدرجة أنني لا أستطيع تمييز ملامحه جيدا ماعدا الابتسامة الحنون. المجال المغناطيسي اشتعل حولي...

خرست أصوات القطارات...

اختفت أرض الجمل من حولي...

اختفت السكة الحديد...

اختفت مساكن الشرايية...

هل أنا في حلم وانتقلت إلى مكان آخر؟

طنين دوار...

الأرض غير الأرض...

السما غير السماء...

حتى الليل غير الليل...

هل أنا مت؟
هل أنا في البرزخ الآن؟
الشيخ المضيء هو هو. ابتسامته المزروعة على شفتيه هي هي...
من جوفي أحاول أن أكلمه. تكلم أيها الرجل المضيء، تكلم. أخبرني من أنت؟ من أنت؟ من أنت؟
أنت يرحمك الله؟

بدأت الجبال تنزاح عن لساني؛ جبل وراء جبل، هضبة وراء هضبة، كتلة وراء كتلة، حجر وراء حجر...
لساني يخف وزنه الآن رويدا رويدا، عقاله ينفك. بدأت عقد الغراء من شفتاي تتفتت، تذوب، تسيل...
صعد الكلام من جوفي رويدا رويدا. فرحت. تهلل وجهي سرورا. اشرأبت السعادة من أنحائي...
قلت:
-لا إله إلا الله.
فرد عليّ بابتسامته الوديعه الحنون:
-محمد رسول الله...

-21-

في الفترة المفتوحة في لقاء أسرة الغرباوي الإخوانية، بلغ سعيد طلب أمه للدكتور صلاح الشيمي. تبسم صلاح قائلاً:
-ولكن والدتك كبيرة -نسبياً- بالنسبة إلى المتخرجات حديثاً من مدارس التمريض. وأظن أن فرصة توظيفها صعبة نسبياً.
-هذه هي رغبتها، وهي مصرة عليها. كما هي مصرة على أن أعمل في شركة كبيرة حتى أضمن التأمين الصحي والمعاش.
فسأله الغرباوي:
-والدك -رحمه الله- متوفى منذ فترة طويلة؟
-نعم، ولم أره.
-يبدو أنها تحملت كثيراً في تربيتك. ولكن لماذا هذا الإصرار على العمل الحكومي؟
فأجابه سعيد:
- هي تبحث عن الأمان. لأن العمل الخاص ليس به استقرار ولا أمان.
فقال صلاح:
-عليها أن تقدم صورة من الدبلوم وشهادة خبرة من المستوصف الخيري إلى مديرية الشؤون الصحية بالعتبة. وإذا ما توفرت درجة مالية، فربما يتم تعيينها إن شاء الله. وسوف أسأل في المديرية عن هذا الأمر.
تبسم إسماعيل عبد الفتاح:
-بيد أن والدتك تعتقد في المثل القائل: (إن فاتك الميري اتمرغ في ترابه).
ثم تحدث الغرباوي عن مقابله مع الدكتور سامي حليم.
فاحتد صلاح:
-النفاق والرشوة هما سيذا الأخلاق في هذه المستشفى!
فقال إسماعيل:
-النفاق والرشاوي والفساد في كل مكان.
واصل صلاح:
-والعجيب أن النفاق لم يظل داخل أسوار المستشفى، إنما امتد إلى مداينة وتملق النظام الحاكم. فمنذ عامين، وضعت إدارة المستشفى لافتة كبيرة على بوابة المستشفى الرئيسية يعلنون فيها عن مبايعة إدارة المستشفى والأطباء والعاملين للرئيس. فمن أعطى لهم صكا بمبايعتنا؟!
فتبسم طارق ضاحكاً:
-حتى أصحاب الأكشاك والمحلات والمطاعم وضعوا اللافتة نفسها.
وبضيق:
-نفاق في نفاق...

هز إسماعيل رأسه موافقا:
-لقد نفذ أصحاب هذه المحلات والمطاعم الأوامر التي أُلقيت عليهم...
وقال الغرباوي بمرارة:
-وإلا ستُغلق.
وقال علي عبد المنعم:
-لابد أن يُظهر النظام الحاكم للدنيا كلها أن البلد كلها تباع وتقول نعم لمبارك. وفي دول العالم الثالث، بوجه عام، تتم المبايعة للرؤساء من كل شيء.
وبسخرية:
-أفراد، دواب، أشجار، تراب، رمل، زلط... وبنسبة...
فقطع صلاح كلامه:
-خمس تسعات!
فقال الغرباوي ساخرا:
-أكيد الواحد في الألف الذي لم يبيع هم من المجانين!
وتهكم إسماعيل:
-أو من الموتى الذين لم يبيعوا لأنهم كانوا من المعارضة!
فضحكوا...
وأثناء احتساء الشاي، سأل الغرباوي كلا من سعيد وطارق:
-ما رأيكما في خبر النشرة الأسبوعي المتعلق بضرب أتوبيس السياحة في الهرم؟
فتهلل طارق وهو يرد:
-الجماعة الإسلامية صنعت خيرا حتى تقلل من الوفود السياحية.
فاندesh الغرباوي وتساءل:
-وما الحكمة في تقليل أو منع السياح من دخول مصر؟!
فأجابه سعيد محتدا:
-ألا ترى تبرج السياح وعريهم يا شيخ أحمد.
فعبس الغرباوي:
-هل الشريعة الإسلامية أباحت لنا قتل أجانب دخلوا البلد آمنين مسالمين يدفعون لنا أجر السياحة بالعملة الصعبة؟!
-نعم، لأنهم شبه عرايا.
-وهل حد التبرج والعري في الشريعة الإسلامية هو القتل؟!
فلم يرد طارق ولا سعيد.
فتساءل إسماعيل:
-وحتى لو افترضنا أن حد التبرج هو القتل، فهل يقوم الأفراد بتطبيق هذا الحد؟

فرد صلاح:
-ولي الأمر هو المسئول عن تطبيق الحدود.
وأكد علي:
-لو فُتح الباب للأفراد بإقامة أي حد، لأصبحنا نعيش في غابة...!
فتهمك سعيد:
-ولي الأمر لا يطبق الشريعة الإسلامية ولا حدودها.
فغضب الغرباوي:
-ليس هذا مسوغا للأفراد لتطبيق أي حد من حدود الله. والتبرج يا أخوة، حده لن يزيد عن
"التعذير" وليس القتل!
ثم أضاف:
-والرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول فيما معناه: ((إن بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة))،
فهل يقوم الأفراد بقتل تارك الصلاة لأنه كافر! والعجيب أن جماعات العنف والإرهاب لم تقتل
تارك الصلاة -وإلا عشنا في حمامات دم بسبب كثرة تاركي الصلاة- وتقتل السياح رجالا ونساء
لأنهم متبرجون! مع العلم أن الرسول لم يقل على تبرج النساء بأنه كفر. فأين العقول التي تفهم؟!
تساءل إسماعيل ساخرا:
-إننا نتفهم قتلهم للنساء السائحات بسبب تبرجهن. ولكن لماذا يقتلون الرجال السائحين أيضا؟!
فضحك صلاح الشيمي وهو يجيبه:
-أكيد أباحوا دمه لأنه مرتدي لشورت!
فقال علي في سخرية:
-إذن يجب قتل لاعبي كرة القدم لأنهم متبرجون أيضا.
وصاح ساخرا أيضا:
-لماذا لاعبي كرة القدم فقط يا أخ علي؟ لاعبي أي رياضة بدنية يرتدون الشورت.
امتعض طارق وعبس وتضايق وهو يسألهم:
-وأين أنتم من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم
يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان))؟
تحمس سعيد:
-وأخوة الجماعة الإسلامية استطاعوا أن يغيروا المنكر بأيديهم. فجزاهم الله خيرا.
قال الغرباوي بيقين المتبحر في الدين:
-أولا: لا بد أن نحدد المنكر وحدّه في الشريعة الإسلامية. وقتل السياح بحجة تبرجهم، لهو السفه
والغباء والجهل بأحكام الشريعة الإسلامية. ثانيا: أجمع جمهور الفقهاء على أن تغيير المنكر
باليدين إذا أدى إلى فتنة ومنكر أشد، فإنه لا يُغير باليد. ثالثا: تغيير المنكر باليد في المجتمع على
الحاكم وليس على الأفراد. وإذا قصر الحاكم فهو المسئول أمام الله. ولو فُتح باب تغيير المنكر

باليد للأفراد، لأضحت الفتنة والفوضى تضربان بأطنابهما في البلاد. رابعا: هؤلاء السياح ينطبق عليهم ما يُسمى في الفقه الإسلامي "بالمستأمن"، والمستأمن هو من غير المسلمين، ويدخل لبلاد المسلمين لقضاء مصلحة، والدولة الإسلامية تعطي له الأمان حتى يخرج منها بسلام. فالسياح، يا إخوة، مستأمنون، لا يجب أن نتعرض لهم بأدنى سوء، بل نؤمنهم حتى يعودوا لبلادهم بسلام. وأخيرا، لا بد أن نقرأ تفسير هذا الحديث الشريف جيدا ولا نأخذه بظاهره...

امتعض صلاح وهو يتساءل:

-أليست السياحة لها دور هام في تنمية اقتصاد البلد؟ أليس هذا أمر بديهي؟!

ثم تسأل إسماعيل:

-ولكن، يا أستاذ أحمد، رب الأسرة يستطيع أن يغير المنكر باليد في محيط أسرته.

فرد عليه الغرباوي:

- نعم، يا أستاذ إسماعيل.

عبس علي:

-الجماعة الإسلامية بعملها هذا شوهت الإسلام أمام العالم...!

نظر طارق وسعيد إلى بعضهما، ولسان حالهما: هل نحن في أسرة من الإخوان المسلمين،

الجماعة الأم للجماعات الإسلامية، أم مع أعضاء في الحزب الوطني الحاكم؟!

فكر سعيد في اليوم الذي يقول فيه للإخوان: "إلى اللقاء" بعدما يجد الغرباوي عملا له في شركة

المقاولون الشرقية، وفكر طارق في اليوم الذي يقول فيه للإخوان "باي باي"...

تجهم سعيد:

-لم يتبقَ إلا أن نصف الجماعة الإسلامية بالإرهاب، كما نصف عملها بالإرهابي.

وأكد طارق:

-مثل وصف الإعلام الرسمي.

وأردف في سره:

أعوذ بالله.

واستطرد في أعماقه:

يبدو أنكم لا إخوان ولا مسلمون! أعوذ بالله...

لم يعلق أحد على كلامهما. ولسان حالهم هم فعلا "إرهابيون"...

أراد صلاح أن يقول: "بعد حادث باص الهرم بأيام قليلة، ونحن على أبواب القرن الواحد

والعشرون، قامت نقابة الأطباء بعمل ندوة عنوانها: (هل السياحة حلال أم حرام؟) فإذا كان هذا

هو فكر جماعة الإخوان المسلمين المعتدلة التي تسيطر على النقابات، فماذا نتوقع من جماعات

أشباه المتعلمين والجهلة بالدين؟"، ولكن لم تكن مساحة الحرية كافية لكي يعرض صلاح وجهة

نظره؛ فأمسك بتلابيب لسانه، وأثر الصمت العميق...

-22-

أحمد الغرباوي ملتزم بأسرة تُسمى " الإخوان العاملون"، وهي أعلى درجة في تقسيم الأفراد والأسر في السلم الهرمي لدعوة الإخوان المسلمون في حقبة الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين حيث تبدأ قاعدة الهرم من تقسيم الأفراد إلى "محب"، وهو يكون في مرحلة الدعوة الفردية، ثم يترقى الفرد -بناءً على كفاءته- إلى "مؤيد"، "فمؤيد قوي"، "فمنتسب"، "فمنتظم"، "فاعمل". وكل مرحلة أشد وأكثر مهام من المرحلة السابقة لها. فالإخوان العاملون هم خلاصة وتنقية الإخوان من المراحل السابقة...

بعد انتهاء الجلسة، سأل محمد الوكيل -ذو السبعين ربيعاً ونقيب الغرباوي في أسرة "الإخوان العاملون" - كل أخ عن الأسرة المسئول عنها، فجاء الدور على الغرباوي الذي قال: -الأخ علي عبد المنعم هو الوحيد المتحمس جداً للدعوة، أما الدكتور صلاح والأستاذ إسماعيل فهما مترددان بعض الشيء. ولكن الأخوين طارق عمر وسعيد عوض فجسداهما مع الإخوان، وقلباهما مع الجماعة الإسلامية!

تأمل محمد الوكيل ما قاله الغرباوي ثم هز رأسه: -بالنسبة لتردد الأخوين صلاح وإسماعيل فطبيعي جداً، بسبب الخوف على الزوجة والأبناء، بالإضافة إلى توقيت انضمامهما للجماعة في مرحلة سنوية متقدمة عن مرحلة الشباب والكهولة. أما طارق وسعيد، فستتار بصيرتهما بالمعاشرة للإخوان فترة طويلة، وسيكونان مع الإخوان إن شاء الله قلباً وقالباً.

فقال الغرباوي:

-هما متأثران بثمرات تغيير المنكر باليد مثل غلق بعض الخمارات في بعض مدن الصعيد.
-ليس فقط التأثير بغلق بعض الخمارات، ولكن ستجد كثيراً من الشباب متعاطفين ومتأثرين باعتقال الكثير من أعضاء الجماعة الإسلامية والجهاد.

فقال أخ1:

-يعتقد الكثير من الشباب أن الجماعة التي على الصواب هي التي تتعرض للاعتقالات.
فاحتد أخ2:

-الإخوان هم أكثر الناس تعرضاً للمحن والاعتقالات وخاصة في الخمسينات والستينات.
فأوماً الوكيل بوجهه إلى أخ2:

-ذلك كان فيما مضى، فربما يظن البعض أن هناك تحالفاً بين الإخوان والنظام الحاكم في المرحلة الحالية.

فتساءل الغرباوي غاضباً:

-كيف يكون ذلك؟ ألم تجر اعتقالات لكثير من الإخوان في الثمانينات وفي الفترة الحالية؟
وطارق وسعيد يعلمان أننا اعتقلنا -وكثير من الإخوان- في انتخابات 1984 و1987.

فقال أخ3:

-الشباب يرى أن من يُعتقل من الجماعة الإسلامية لا يُفرج عنه، بينما من يُعتقل من الإخوان المسلمين فإنه يُفك أسره بعد فترة حتى لو طالته.

فتحمس أخ2:

-طبعاً، لأن الإخوان لم تُخضب أيديهم بدماء الأبرياء.

فسأل محمد الوكيل الغرباوي:

-هل الأخوان سعيد وطارق ملتزمان بالحضور في الجلسات؟

-نعم، ولكن بلا روح! حتى تحضير النشرة من الأخ سعيد لا يتم بالوجه المطلوب، فمثلاً خبر اقتحام القوات الروسية للعاصمة الشيشانية جروزني -وهو خبر هام جداً- ومع ذلك لم يذكره.

تساءل أخ1:

-في تقييمك الدعوي يا أخ أحمد، هل يستمران مع الإخوان؟

-رأيي مثل رأي الأستاذ الوكيل، أن نعطيهم الفرصة. فربما يتغيران بمخالطتهما للإخوان مع الوقت.

ثم سأل الوكيل:

-هل يبايعان الآن؟

-نعم، يبايعان مع باقي أفراد الأسرة. وادعُ الأسرة للمبايعة في كتيبة الشهر القادم.

فسأل أخ2 الوكيل:

-وإذا لم يتغير حالهما إلى الأحسن، فهل سيستمران في الجماعة؟

-نعم، طالما ملتزمان بالحضور، ولم يصدر عنهما ما يعرقل مسيرة الأسرة.

فتساءل أخ1:

-وإذا طال بهما الزمن ولم يحرزا تقدماً في طريق الدعوة، فهل سيُصعدان إلى مرحلة الأخ "المؤيد" أم سيظلان في مكانهما؟

فرد الوكيل بقوة:

-لن يُصعدا، ولو ظلا في مستوى "المُحب" مائة سنة، إلا إذا تقدم مستواهما الدعوي وتحمسا لجماعتنا.

وأثناء تناول الشاي، قال الغرباوي:

-أغلب الشباب -بوجه عام- متأثرون بالجماعات المسلحة الآن.

فعبس الوكيل:

-لا تقل، يا أخ أحمد، "أغلب الشباب" لأن أغلب أعضاء جماعتنا الآن من الشباب.

-معك الحق يا أخ محمد، ولكنهم من طلبة وخريجي الجماعات. فأين طبقة العمال في الإخوان؟

-توجد شريحة العمال في صفوف الإخوان، ولكن ليست بالكثرة كما كانت في الماضي. ثم ضحك الوكيل وتساءل:

-وأسرتنا هذه أليست من العمال؟

فأجابه أخ3:
-نعم، ولكن الله يرحم قطار "أبي زعل".
ضحك الوكيل قائلاً:
-ذلك عصر قد مضى.
تحمس أخ2 وهو يقول:
-كان العمال والشعب بوجه عام متميزين بانتماءات مختلفة؛ فذلك نجد الإخواني، والوفدي،
والسعدي، والشيوعي، ومصري الفتاة...
فلو ما الوكيل مؤكداً:
-كان الشعب عنده هدف قومي ألا وهو تحرير البلد من المحتل الإنجليزي، وكان الانتماء إلى
التيارات المختلفة هو الطريق لتحرير البلد.
فقال الغرباوي:
-ولكن أغلب الانتماءات كانت للإخوان وللوفد.
-نعم، يا أخ أحمد. ويكفي أن عدد الإخوان في الأربعينات يربو عن ثلاثة ملايين. وكان الوفد هو
حزب الأغلبية في الوقت نفسه.
علق الأخ3 غاضباً:
-الأحزاب الآن أرادها النظام ديكوراً.
ثم وهو يمسح شفتيه ضيقاً:
-الانتماء أضحى إلى السعي إلى لقمة العيش!
فوافق الوكيل:
-الأحزاب منذ نشأتها في عهد السادات وهي لا تتعدى الديكور. والنظام لا يريد للشعب أن يحيا
بكرامة ولا أن يشبع حتى من الخبز! وانظروا إلى طوابير الخبز غير المسبوقة في أي دولة في
العالم. وهذا -بوجه عام- صنيع نظام العسكر بعد انقلاب يوليو 1952.
فانفعل أخ2:
-حتى يذلوا الشعب!
واشتمز الوكيل:
-يذلوه بالخوف والجوع!
وقال أخ1 بغیظ:
-ويمرغوا أنفه في التراب!...

-يا ابن الكلب... كل زملائك من الإخوان ينحنون أمام تمثال الزعيم ويقدمون له التحية. وأنت يا
ابن القحبة، حينما يأتي دورك تبصق على وجه الزعيم!

- هذا هو اعتقادي في تكريم زعيمكم. يكفي أنه حكم مصر وكانت حرة وتحكم حتى غزة، والآن انظر إلى خمس مصر المحتل!
-ولماذا ينحني زملائك؟ أليسوا إخوانا مثلك؟
-هم ينحنون خوفاً من سياطكم، أما أنا فلو أن لي ألف نفس أزهقت بأيدي جلادكم فلن أنحني إلا لله وحده... والله قد كرمني ولست ابن كلب ولا ابن قحبة.
-أنا سأمرغ أنفك في التراب. وسأذيقك الذل كله، يا محمد يا وكيل!

عاد محمد الوكيل من اجتراره للذكريات على قول الغرباوي:
-يكفي أن من بركات حكومتنا العسكرية بعد الانقلاب المشؤم، أن شعبنا الوحيد على وجه الأرض هو الذي يسكن المقابر!
فعبس الغرباوي:
-فعلاً، وإنها لوصمة عار في جبين الثورة!
فامتعض أخ3:
-لقد دمرُوا الطبقة الوسطى!
-ودمروا الطبقة الدنيا!
-بل دمروا شعباً كريماً!
-وأذاقوه صنوف الذل والعذاب والجوع والخوف!
-وكله من الثورة المباركة!...
-ويكفي أننا نُحكم بأحكام عرفية تقريبا منذ 1952 وحتى الآن، ماعدا فترة الرئيس السادات، وإن كان قد أنهى حكمه بتشريع قوانين جائرة سيئة السمعة، ولم يمت إلا بعدما فتح المعتقلات التي أغلقها بيديه في أول عهده!
تساءل الغرباوي:
-ولكن، ألم يشارك الإخوان في دعم الثورة؟
فأجابه الوكيل:
-النظام الخاص، الذي يهيلون عليه التراب الآن، هو الذي دعم انقلاب يوليو وساعد في نجاحه.
فسأله الغرباوي:
-فلماذا إذن انقض عليه عبد الناصر؟
-عبد الناصر انقض على الجميع؛ الأحزاب، الإخوان، الضباط الأحرار في مجلس قيادة الثورة بداية من محمد نجيب وانتهاء بعبد الحكيم عامر، ولم يبقَ إلا الذين كانوا في الظل!
-استطاع ناصر أن يقضي على التنظيم الخاص، وزرع الفتنة بينه وبين الإخوان، ولكنه لم يستطع أن يقضي على الإخوان المسلمين.

-قادة الإخوان هم الذين تركوا التنظيم الخاص لينتهي. أما جماعة الإخوان نفسها فلم يستطع ناصر أن يقضي عليها لأنها دعوة الله سبحانه وتعالى.
فأوما الغرباوي رأسه ليؤكد كلام الوكيل:
-الأخوان أضحت كالشمس والهواء والماء، فهل يستطيع أحد أن يحجز شعاع الشمس؟ وهل يستطيع أحد أن يمنع الهواء؟ وهل يستطيع أحد أن يوقف تيار الماء؟
قال أخ 1 بقوة الإيمان بالله:
-الأنظمة الديكتاتورية تستطيع أن تعتقلنا. أن تصفينا جسدياً. أن تزهدق أرواحنا. ولكنهم لن يستطيعوا أن يزحزحوا إيماننا بدعوة الإخوان...
ثم بكى وانسلت الدموع الرقاقة من أعين بعضهم.
قال الغرباوي بصوت متهدج من البكاء:
-يكفي أن آلاف الشباب الآن قد انضموا إلى الإخوان، وقد قرءوا عن المحن التي تعرض لها الإخوان المسلمون.
فقال الوكيل:
-يا أخوة.
ثم سكت قليلاً وبعدها استكمل:
-الإخوان المسلمون أضحت كالشجرة الباسقة، جذورها في الأرض وفروعها في السماء. وهذه الشجرة لا تُروى إلا بالإخلاص والتضحية...
وواصل:
-وأبشركم بأن دعوة الإخوان الآن موجودة في خمس وستين دولة.
وفي نهاية الجلسة بلغ الواجبات والأوامر:
-الواجبات في الفترة القادمة:
(1) الكتيبة في الخميس الأول من الشهر القادم.
(2) في الكتيبة المقبلة، ستنتم المبايعة ستنتم للأخوة الجدد إن شاء الله. فنرجو عدم تخلف الأخوة عن الحضور.
(3) تبليغ الأسر بالاستعداد لانتخابات مجلس الشعب في نوفمبر القادم بإذنه تعالى...

-23-

يا حكيم. الإسلام لا علاقته له بالإرهاب. أما هؤلاء الشباب المتطرف فإنهم ضحايا الجهل والتعصب والفقر واليأس من الحياة...!

-لكن تعليق الإعلام وخاصة في الغرب لن يكون إلا اتهام الإسلام بالتطرف، وخاصة أن عدد ضحايا باص الهرم السياحي كبير!

دخل طبيب جديد، فسلم وجلس معرفا نفسه:

-الدكتور عماد الدسوقي، طبيب مقيم جلدية تناسلية. ومنتدب للعمل هنا بالمستشفى.

فسأله الدكتور حكيم:

-طبيب مقيم أساسي أم منتدب؟ فرد بأنه أساسي.

-من أي الجامعات تخرجت يا دكتور عماد؟

-من طب بنها، دفعة ديسمبر 1991.

وسأله الدكتور أحمد:

-وهل أنت من دسوق؟

-هذا لقب العائلة، ولكني جذور عائلي كلها من شبرا مصر.

فقال حكيم:

-يعني قاهري الأصل.

تساءل أحمد:

-ولماذا لم تلتحق بطب عين شمس وهي ليست بعيدة عن سكنك؟

-كنت فيها في السنوات الثلاث الأولى، والتحق بطب بنها في سنوات البكالوريوس الثلاث التالية.

فتساءل مرة أخرى مندهشا:

-ولم هذا التعب؟

فابتسم عماد:

-حتى أستطيع أن أحصل على تقدير أفضل.

فتبسم حكيم:

-يا أحمد، ألم تسمع عن تسمية الطلبة لجامعة عين شمس بالسم الشنيع؟! فضحك أحمد قائلا:

-يقلبون الاسم لصعوبة الحصول على تقدير مرضي. ولكن لم يكن في أيامنا نترك الجامعة ونلتحق بأخرى بسبب التقدير.

فقال عماد الدسوقي:

-أريد التعرف عليكما وعلى أقسام المستشفى ونظام العمل؟

فقال أحمد مشيرا إلى حكيم:

-الدكتور حكيم نخلة، استشاري جلدية وتناسلية، دفعة 1973، طب القصر العيني. وأنا الدكتور أحمد إسماعيل، استشاري جلدية وتناسلية، دفعة 1969، طب القصر العيني أيضا. فضحك حكيم وقال:

-عجوزان.

فتبسم الدكتور عماد قائلا:

-بارك الله لكما.

بدأ الدكتور أحمد يعرفه أقسام المستشفى:

- بالنسبة إلى المستشفى، فلها ثلاثة أبواب؛ الباب الرئيسي الذي تدخل منه السيارات، وبابان صغيران يؤديان لعيادات الرجال والنساء. وأمامنا توجد وحدة الأمراض التناسلية والمختبر. وفي ظهرنا توجد مباني: شئون الموظفين، ومخزن الأجهزة الطبية، والمطبخ الذي يعلوه قاعة المحاضرات. فتبسم الدكتور حكيم:

-حتى تكون المحاضرات ساخنة! ثم التفت يسارا وقال:

-وهذا المبنى العتيق خاص بجناحي التنويم الرجال والنساء.

-وآين الصيدلية؟

-جوار باب عيادات الرجال.

-وآين سكن الطبيب النوبتجي؟

-أعلى عيادات الرجال.

-وآين عيادات الرجال والنساء؟

-لن نراها من موقعنا، ولكنها قريبة من سور المستشفى المطل على شارع قدري، والبابان الصغيران يؤديان لها مباشرة.

-وآين مكتب التوقيع؟ أجابه أحمد:

-حينما تدخل من البوابة الرئيسية، تجد طريقة عريضة عن يسارك، وفيها يوجد مكتب المدير على اليمين، وحجرة الكونصلتو على اليسار، ومكتب التوقيع أمامك تماما.

ثم تبسم:

-وملاصق لمكتب التوقيع، توجد حجرة هامة جدا للأطباء، وهي حجرة النميمة بالمستشفى!

فضحك الدكتور عماد قائلا: "الحمد لله أن للنميمة حجرة واحدة فقط!"

ثم تساءل:

-أريد أن أعرف نظام العمل؟ وأضاف: وتاريخ المستشفى؟

فرد الدكتور حكيم:

-إجابة هذا السؤال الثاني بالذات تحتاج إلى جلسة خاصة. ولقد وصل الدكتور عبد الوهاب والدكتورة سميرة المسئولان عن التوقيع، فهيا بنا للتوقيع.

-24-

ابتهج صلاح الشيمي وهو يقول لسعيد عوض:

-لقد سألت عن عمل لوالدتك في مديرية الشؤون الصحية، فأخبروني بأن الوزارة تحتاج إلى ممرضات، وتوجد درجات مالية خالية. فهل قدمت والدتك المستندات المطلوبة للمديرية؟ -نعم.

تصفح أحمد الغرباوي شهادة دبلوم سعيد، فانتبه إلى لقب العائلة "الزامل":

-سعيد عوض مسفر الزامل! يا أخ سعيد: جدك "مسفر الزامل" من مصر؟
لم تنتبه إلى اسم جدي إلا الآن!

-إن أبي كان سعودياً، وكان يملك المستوصف الذي كانت تعمل فيه والدتي في الرياض. وبعد فترة بسيطة تزوجها، وترك العمل.

-ولماذا لم عادت والدتك إلى هنا؟ وهل أخذت الجنسية السعودية؟

-لم تأخذ الجنسية السعودية، بل ظل جواز سفرها في المستوصف بعد الزواج. حتى أنا لم أخذ الجنسية السعودية.

فسأله صلاح: "أين استخرجت شهادة ميلادك؟"

-من مصر لأنني ولدت هنا.

وبمرارة:

-بعد وفاة والدي، حجب أخوتي من أم سعودية الميراث عنا.

فسأله إسماعيل: "ولماذا لم تذهب والدتك إلى القنصلية المصرية هناك؟"

فرد سعيد في أسى:

-ذهبت. وقالوا لها قدمي شكوى للمحكمة الشرعية لتأخذي حقا. وقدمت الشكوى في المحكمة الشرعية، فقالوا لها ميعاد النظر في الشكوى بعد ستة أشهر. وبعد أسبوع من تقديم الشكوى، أخبر أخوتي أمي بضرورة المجيء معهم لأمر هام يتعلق بالميراث، وكان هذا خدعة منهم، حيث كان الأمر الهام هو السفر النهائي لأمي. وفي المطار أخبروا أمي بضرورة السفر وإلا السجن في انتظارها لأنهم تقدموا بشكوى لقسم الشرطة تفيد سرقة أمي لخزنة المستوصف بعدما استولت على مفتاحها من أبي قبيل موته! وأظهروا صورة من محضر الشكوى. ظهر التأثير والوجوم على الحاضرين وغرقوا في صمت عميق لم يُنتشلوا منه إلا على قول سعيد:

-لقد عادت بملابسها التي ترتديها فقط. والحمد لله.

فسأله الغرباوي: "هل تقدمت والدتك بشكوى للقنصلية السعودية هنا؟"

-احتسبت عند الله، ولم تتقدم بشكوى حتى الآن.

ثم أردف: ؟ولكنها استطاعت بوثيقة الزواج أن تثبت أبوة أبي لي واستخرجت شهادة الميلاد من القنصلية السعودية هنا".

فاحتد علي: "لو كانت سفاراتنا بالخارج قوية ما حدث مثل هذا أبدا!"
وانفعل صلاح: "ترحموا على عبد الناصر والسادات، فقد كنا في أيامهما لنا قيمة".
فقال الغرباوي:
-ما ضاع حق ورائه مطالب. يمكن أن تقدم والدتك شكوى للسفارة السعودية هنا، ولن يضيع
حقوقكم إن شاء الله.
ثم استطرد:
-يا إخوة، الدعوة قامت على الحب والتآخي في الله، فأرجو منكم أن تفتح مكنون صدورنا
لبعض، وأي أخ عنده مشكلة يجب أن يعرضها في الجلسة، وإن شاء الله سوف تُفرج بإذن الله.
"أقول مشكلتي العويصة أم ألتزم بالصمت؟ ولكن ماذا أقول لهم؟ أقول لقد تزوجتُ عرфия؟
أقول إن زوجتي حامل في الشهر الثالث الآن؟! كيف أقول ذلك؟ ربما أسقط من نظرهم.
أرشدني يا ربي. توكل على الله، وأخبرهم، فلا حرج بين الإخوة..."
هذا ما فكر فيه طارق عمر. ثم تشجع وقال:
-يا إخوة، عندي مشكلة عصية على الحل. فأرجو منكم المشورة.
فرد عليه الغرباوي: "تفضل يا أخ طارق".
-أنا في حرج لعرض مشكلتي، ولكنني سأتوكل على الله وأعرضها. لقد تزوجت من زميلة في
الدفعة زواجاً عرфия، وهي الآن حامل في الشهر الثالث تقريبا، ولا أدري ماذا أفعل؟
صدم الغرباوي والحاضرون...
قال الغرباوي في نفسه:
جيل فاسد، لا يستطيع أن يضبط شهوته إلا بالزواج العرفي! يورط نفسه ويريد أن ننشله من
ورطته. ماذا تظن أن نفع لك؟ هل تريد أن أجمع تبرعات من أعضاء الأسرة لكي نزوجك
زواجاً رسمياً؟ أنا مسئول عنك في الدعوة منذ ما يقرب من سنة ونصف، فلماذا لم تخبرني قبل
الإقدام على هذه الخطوة؟!
سأله إسماعيل:
-هل عرف أخوك حسن بهذا الأمر؟
-لم يعرف حتى الآن.
فقال الغرباوي ساخرا:
-الحمد لله أنه لم يعرف، لأنه لو عرف لضربك ببندقية آلية في ميدان عام!
وأعقبه صلاح وهو يضحك:
-أو بمدفع آر بي جيه!
تساءل الغرباوي بضيق:
-لماذا لم تخبرنا وتستشيرنا قبل هذا الزواج؟
-لقد تخرجتُ أن أخبركم.

فهتف صلاح:
-أرى أن الإجهاض هو الحل!
فتساءل إسماعيل:
-ولكن أليس فيه خطورة على حياتها؟
فأجابه صلاح:
-فيه خطورة على حياتها بالطبع. ولكن ما العمل وهو لا يستطيع الزواج؟
فقال الغرباوي بحزم:
-الإجهاض حرام.
وأيده علي:
-الإجهاض حرام حرام.
ثم تساءل:
-هل تستطيع يا أخ طارق، أن تشهر زواجك العرفي أمام عائلتها؟
-لا...
فهتف سعيد:
-الزواج الإسلامي البسيط هو الحل.
فقال الغرباوي:
-عندك حق يا أخ سعيد. فلو بسطنا أمور الزواج ما لجأ الشباب إلى الزواج العرفي من وراء
الأهل...
تساءل صلاح:
-لماذا لم تأخذ زوجتك وسيلة لمنع الحمل؟
-لم نفكر في موضوع الحمل.
هكذا بمنتهى السذاجة. لماذا تستشيرني كطبيب؟ أهم شيء قضاء الوطر!
سأله الغرباوي:
-هل علم أهلها بهذا الزواج؟
-لم يعلموا.
فانفعل الغرباوي قائلاً:
-يا بني، كيف يكون الزواج شرعياً ولم يتم الإشهار ولا موافقة ولي الأمر؟!
هذا ما جعلني متردداً في إخباركم بالأمر. فبدلاً أن تجدوا حلولاً للمشكلة، جعلتم من أنفسكم قضاة
لمحاكمتي، تبا لكم... تبا لكم...
فتساءل صلاح:
-ولكن بطن زوجتك سيتضخم بعد قليل، فكيف ستواجه أهلها؟!
أجابه طارق وقد سخن وجهه وشعر بحرج شديد:

-أنا في ورطة، فأرجو منكم العون حتى أخرج منها بسلام.
فقال الغرباوي:
-أرى أن تخبر أهلها بهذا الزواج، فربما تفهموا الوضع وخاصة أن هذا الزواج العرفي أضحي
بلاء عاما في هذه الأيام بين طلبة الجامعات.
عبس إسماعيل:
-وماذا بعد إخبار أهلها؟ وماذا سيصنعون بالحمل؟
فرد الغرباوي:
-بعد تفهم أهلها لهذا الأمر، يتم عمل حفلة عائلية بسيطة، ويشهر هذا الزواج.
فتساءل علي:
-وأين سكن الزوجية؟
فأجابه سعيد:
-في حجرة بشقة أهلها. وهذه هي بساطة الإسلام في القرون الأولى.
فأوما الغرباوي رأسه موافقا لسعيد:
-في الفقه الإسلامي يجوز أن تتنازل الزوجة عن سكن الزوجية إذا دعت المصلحة إلى ذلك.
فقال إسماعيل: "ولكن لا بد أن تخبر أخاك حسن يا أخ طارق".
فرد طارق: "أنا لا أستطيع بمفردي".
فحنق علي:
-يا طارق، تستطيع أن تقرر بمفردك الزواج العرفي، ولا تستطيع أن تتحمل تبعاته. الرجولة
موقف يا أخي!
أتعطيني درسا في الرجولة وتحمل المسؤولية؟ أنت لا تعرف أخي حسن، تبا لك يا علي أنت
الآخر...
قال الغرباوي:
-الإخوان سيدخلون انتخابات مجلس الشعب في نوفمبر القادم إن شاء الله، وستتوزع عليكم
المهام للاستعداد لهذه الانتخابات في الأيام المقبلة. وعندكم كتيبة الخميس الأول من الشهر
القادم، وستبلغون بالمكان قبيل الموعد مباشرة إن شاء الله. وأذكركم بجدية السعي لضم أفراد
جدد للجماعة.
ثم قال لطارق بعد انصراف الأخوة:
-اطمئن يا أخ طارق. استعن بالله ولا تعجز. مهد لنا زيارة أخيك حسن لمشاورته في هذا الأمر.
ستفرج إن شاء الله.
وبعد برهة قال وهو يضحك ضحكة ممطوطة:
-يبدو أن لديك شقة تمارس فيها مشاعر الزواج العرفي!...

-25-

أثناء تناول طعام العشاء، سأل أحمد الغرباوي ابنته عائشة:
-ما هو حجم ظاهرة الزواج العرفي بين شباب طلبة الجامعة؟
تبسمت عائشة وهي تجيب:
-النسبة كبيرة يا أبي!
فاندفع حسن:

-حتى بين طلبة الثانوي نجد هذه الظاهرة!
فقالت وداد شاهين زوجة الغرباوي ساخرة:
-ربما غار طلبة الثانوي من طلاب الجامعة!
فضحك مصطفى:

-الدور على طلبة الإعدادية يا أبي!
فقال الغرباوي بضيق:
-بيد أن هذه الظاهرة ستدمر جيلاً، والعياذ بالله.
فأومأت وداد مؤكدة:

-يا أحمد، الفتن شديدة أمام الشباب وخاصة الفيديو كليب الذي انتشر في بلدنا منذ عدة سنوات.
ربنا يلطف بهذا الجيل...

-الفتن شديدة، والجيل سيدمر بها الشكل. ولا حول ولا قوة إلا بالله. والأغاني الخليعة انتشرت
مع ازدهار القنوات الفضائية، ليس فقط في القمر الأوروبي بل في قمر عرب سات الجديد!
فهزت وداد رأسها مؤكدة:

-الدولة نشرت أغاني الفيديو كليب حتى في التلفزيون الحكومي لكي تضرب الصحة
الإسلامية...!
فقالت عائشة:

-رد فعل أمام الإرهاب.

-يا بنيتي، هم لا يريدون إلا تجفيف منابع الدين نفسه!
-يا أبي، الدولة لازالت تكتوي من نار الإرهاب، وليس حادث باص الهرم ببعيد.
-علاج الإرهاب لا يكون بنشر الانحلال باسم الفن!
قالت وداد:

-حتى الغناء القديم أصبح منزوياً في الإعلام الرسمي، وانحسرت مساحته جداً.
فأكمل حسن:

-ليفسحوا الطريق للوافد الجديد...

وتهكم مصطفى:

-الغناء القديم يُسمى الآن الغناء الكلاسيكي...

امتعضت وداد قائلة:
-حينما أسمع هذه الأغاني الجديدة الماجنة الآتية من الجيران ومن السيارات، أتعجب على تشابهها في الصخب واللحن غير العربي! ونجد أغنية من هذه الأغاني التافهة تنتشر جداً ثم تختفي ولا يُسمع لها حس ولا خبر.
-حتى أصوات المغنيين متشابهة.
-لا توجد بصمة غنائية مميزة لكل واحد منهم.
-توجد بصمة في العري والخلاعة...!!
فتساءل الغرباوي:
-يا وداد، توجد فتن أمام الشباب. ولكن هل الزواج العرفي هو الحل؟!
-أفضل من الزنا، والعياذ بالله.
فغضب الغرباوي قائلاً:
-ولكن هذا الزواج يشبه الزنا، لأنه زواج متعة، ويتم من وراء ولي أمر البنت.
-ربما يأخذ هؤلاء الشباب برأي أبي حنيفة في عدم اشتراط موافقة ولي الأمر.
-يا أم حسن، أبو حنيفة خالف جمهور الفقهاء في هذه المسألة.
ثم تساءل:
-وهل هؤلاء الشباب يعرفون أبا حنيفة أو فتاويه؟! هم يهرعون وراء شهواتهم...
وبقرف:
-للأسف!
قالت عائشة:
-الزواج العرفي عادةً يتم بين شباب في أسر مفككة؛ فالأب يعمل خارج البلاد، وأحياناً الأب والأم معاً في الخارج، وأبنائهم تلاطمهم أمواج الغربة في الداخل.
أشار الغرباوي بيده لكي ينصرف مصطفى، ثم قال بصوت ضعيف:
-أحد طلبة الجامعة متورط في زواج عرفي. وزوجته حامل في الشهر الثالث. ولا يستطيع أن يعلن الزواج أو يخطبها من أهلها ليتزوجها بسبب ظروفه المادية السيئة. فما رأيكم لحل هذه الورطة؟
رأى حسن أن يتوكل على الله ويتزوجها الزواج الإسلامي البسيط، وخاصة أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: (أقلهن مؤنة أكثرهن بركة).
فانفعل الغرباوي:
-يا بني، هو لا يملك حجرة للزواج، فضلاً عن شقة.
ورأت عائشة أن يتم إجهاض هذا الحمل.
فاحتدت وداد:
-الإجهاض حرام حرام.

فقال الغرباوي بمرارة وامتعاض شديدين:
- عما قريب سيكبر بطنها، فماذا ستقول لأهلها؟!
وتساءل حسن:
- وأيضاً ما موقفها أمام زملائها في الكلية؟
فأجابته عائشة:
- الطلاب المتزوجون عرفياً معروفون. فلا توجد مشكلة في الكلية، المشكلة أمام أهلها والمجتمع.
غرقوا كلهم في صمت وتفكير عميقين ولم يُنتشلوا منه إلا على صوت وداد:
- يا أحمد، لا أرى إلا تحمل مسؤولية هذا الزواج من الطرفين، والاعتراف به أمام أهلها.
فوافقوها.
وبعد انصراف حسن وعائشة، تساءلت وداد ومشروع ابتسامة على جانب شفيتها:
- لا تؤاخذني، يا أبا حسن، أين تم هذا الحمل؟
- في شقة زميل له، أبواه يعملان في إحدى دول الخليج. وهذا الزميل متزوج أيضاً عرفياً.
فضحكت وداد:
- شقة الزميل هذا تقوم بدور اشتراكي عظيم للزواج العرفي... فأذن المشكلة قد حُلّت.
كيف؟
- هذا الطالب وزميله يقتسمان هذه الشقة ويتزوجان فيها.
فتبسم الغرباوي قائلاً:
- ويقوم والد الطالب المتغرب بدور الأب البنكي لمصاريف بيتي الزواج العرفي!...

-26-

تناقلت الأخبار العالمية نقلا عن وسائل الإعلام الإسرائيلية أنباء وصور دفن الأسرى المصريين أحياء في حربنا مع إسرائيل في عامي 1956 و1967... أما وسائل إعلامنا المحلية فنقلت هذه الأخبار على استحياء!...

فسأل طارق شقيقه حسن:

-ألم تسمع عما أعلنه التلفزيون الإسرائيلي من أخبار وصور المجازر الجماعية ودفن أسرارنا أحياء في حربي 1956 و 1967؟

-سمعت. وأخبار هذه المجازر قد وصلت إلى قيادة الجيش منذ زمن بعيد، ولكن القيادة رأت أن تتكتم عليها حتى لا تتحطم معنويات الجيش ونستعد للثأر.

فتهكم طارق:

-أين هذا الثأر؟! ففي عام 1967 لم يتم أي ثأر لما حدث في 1956، بل كانت هزيمة مروعة، وفضيحة عسكرية، لم يُصب بها جيش من قبل. هل سمعت عن جيش ينسحب بظهره بلا تغطية في التاريخ البشري كله؟!...

-الجيش لم يحارب في 56 ولا في 67. وكانت القيادة السياسية في عام 1967 تظن أن القطبين الكبيرين سيتدخلان ولن تتم الحرب وسنخرج منتصرين كما حدث في العدوان الثلاثي في عام 56.

-ولكن القيادة أغلقت خليج العقبة أمام السفن الإسرائيلية، وطردت قوات الأمم المتحدة من الحدود مع إسرائيل، ونشرت أكثر من مائة ألف جندي من قواتنا في سيناء... أليس بذلك تعلن الحرب؟! ولم تكتفِ قيادتنا المجيدة بذلك، بل جعجت وأعلنت بأنها ستلقي بإسرائيل في قاع البحر!...

فقال أم حسن:

-لا تظلموا عبد الناصر. فهو لم يرد إلا الخير للبلد. المشكلة كانت في الجيش الذي لم يكن على استعداد للحرب.

فعارضها طارق:

-عبد الناصر هو المسئول عن الكارثة التي ليس لها مثيل في تاريخنا كله. وإذا كان الجيش ليس مستعدا للحرب، فلماذا تدخله القيادة السياسية في المعركة إذن؟! لكي ينهزم؟ لكي ينهزم حتى يتخلص الرئيس عبد الناصر من المشير عبد الحكيم عامر؟ يدمر جيشه ومائة ألف نفس تزهق بلا جريرة لكي يتخلص الرئيس من المشير في صراعهما على السلطة؟!...

قال حسن في أسى:

-يا أمي، ليس على جيشنا الوزر، ولكن على قيادتنا السياسية.

ثم تساءل:

-ألم يثار جيشنا العظيم في سنة 1973؟ ألم يعطِ العدو درسا لن ينساه؟

فرد طارق:
-نعم، ولكنه لم يحرر سيناء كاملة في تلك الحرب.
-أنت تعلم السبب يا طارق.
-الجسر الجوي الأمريكي. ولكن ألم يكن يأتينا السلاح من الروس في التوقيت نفسه؟
-ليس بحجم مساعدة أمريكا لإسرائيل. فمصر كانت محاصرة من ناحية التسليح بالاتفاق الدولي بين السوفيت والأمريكان.
تدخلت سناء أختها، ذات التاسعة عشر ربيعاً:
-الله يرحم السادات رحمة واسعة لأنه حرر سيناء بحرب أكتوبر المجيدة وأكمل تحريرها بمعاهدة السلام.
فقال كرم، ذو سبع عشرة سنة:
-يا أختي، إن إسرائيل تستطيع أن تحتل سيناء مرة أخرى في ثلاث ساعات أو في ثلاث دقائق!
فحنق طارق:
-طبعاً، لأنها منزوعة السلاح!
فقال حسن:
-يا إختوتي، سيناء ليست كلها منزوعة السلاح. وإسرائيل ملتزمة بمعاهدة السلام أمام العالم، ولن تستطيع أن تنسف المعاهدة بين عشية وضحاها.
فاحتدت سناء:
-تفعلها إسرائيل لأن لعبها يسيل أمام خمس مساحة مصر الفارغ من الجيش والسلاح!
وتهكم طارق:
-بل فارغ من الكثافة السكانية منذ قديم الأزل!...
-وهذا هو الذي سهل للغزاة منذ فجر التاريخ لاحتلال مصر من بوابة مصر الشرقية.
فعارضهما حسن:
- ولكن لنا قوات على الحدود مع إسرائيل.
فرد طارق في تهكم:
-هذه القوات لا يتعدى عددها ثلاثة آلاف جندي. وتسليحها بنادق آلية.
فهزت سناء كتفها:
-في الوقت الذي لنا في سيناء قوات رمزية، نجد أن إسرائيل حشدت على حدودنا ثلاثة لواءات!
فقالت أم حسن في يقين:
-ثلاثة لواءات أو عشرة، فمصر منصوره بإذن الله. ومصر ولادة يا أولادي؛ فمصر هي التي أنجبت عبد الناصر الزعيم الذي ليس له مثيل والذي كاد أن يكون صلاح الدين الأيوبي في عصرنا الحديث لولا الاستعمار وإسرائيل، ومصر أنجبت السادات الزعيم الداهية صاحب قرار العبور العظيم الذي مسح عار هزيمة 67، ومصر أنجبت حسني مبارك القائد العظيم صاحب

الضربة الجوية في حرب أكتوبر المجيدة والتي لها الفضل الكبير في العبور العظيم، وستتجيب
غيرهم إلى يوم القيامة...
قال طارق لنفسه:
أنا غير مقتنع بهؤلاء الزعماء الثلاثة.
وحاول أن يتحدث عن زيارة الغرباوي المرتقبة لكي يتشاور مع حسن في زواجه العرفي
والورطة التي وقع فيها، ولكنه لم يستطع، فأجل الحديث إلى أن يستجمع قوته النفسية لهذا الأمر
العصيب...
تحمس حسن قائلاً:
-الخير كله في مصر... إن عساف ياجوري كان تعتبره دولة العدو المثل الأعلى للجيش في
العمل المدرع، وأفضل من° يستخدم الدبابات في تاريخ إسرائيل، وكان يقود اللواء 190، ومع
ذلك أسر في حرب أكتوبر 1973 المجيدة، ودُمرت مجموعته المدرعة تماماً يوم 8 أكتوبر،
يعني في بداية الحرب. والعجيب أن دولة العدو أعلنت أنه في مستشفى اللد يُعالج من جروح
بمجرد إعلان جيشنا عن أسره، فاضطر جيشنا المظفر إلى أن يجري حواراً معه في التلفزيون
المصري حتى يفضح أكاذيب العدو. وكانت فضيحة للعدو الجبان بجلال!...
بلغ حسن ريقه، وأخذ نفساً عميقاً وواصل حانقاً:
-عساف ياجوري هذا، كان برتبة رائد في حرب 1967، وكان يدهس بدباباته ضباطنا وجنودنا
الأسرى في تلك الحرب!...
بكت أم حسن -بقلبها الرقيق قبل عينيها- وظلت تردد:
-حسبنا الله ونعم الوكيل... حسبنا الله ونعم الوكيل...
ربت حسن على كتفها، وقبلها في رأسها، وقال:
-ومع ذلك، يا أمي، حينما أسرناه في حرب 73، لم يُعامل إلا معاملة كريمة حتى فُك أسره في
تبادل الأسرى بعد الحرب...!

-27-

أحدثت أخبار دفن إسرائيل لأسرانا أحياء في حربي 56 و 67 ضجة كبرى على المستوى العالمي والمحلي...
ففي الجلسة الصباحية تحت شجرة الصفصاف المعمرة، قال الدكتور حكيم نخلة لصديقه الأثير أحمد إسماعيل:
-يا دكتور أحمد، هذه فضيحة للنظام الذي كتم أخبار دفن الأسرى في حروبنا مع إسرائيل. ثم نفاجا بإعلان إسرائيل نفسها عن هذه المخازي.
-إن إعلان إسرائيل الفج، وإظهار صور الخنادق التي حفرها جنودنا بأيديهم، والتي يعقبها دفن الجيش الإسرائيلي لجنودنا أحياء، فهي إهانة ليس فقط للنظام بل للأمة كلها...!
تساءل حكيم مستغربا:
-العجيب أنني لست أفهم لماذا تفضح إسرائيل نفسها وتعلن أمام العالم عن انتفاء آدميتها في حروبها معنا؟!
-يا حكيم، لا تتعجب. فإن إسرائيل لا بد وأن تهدف إلى شيء من إعلانها هذا... ولكن دعنا من السياسة، وأخبرني هل نويت السفر للعمل بالخارج؟
-فعلا، أنا مضطر للسفر بسبب ظروف مادية. وأحاول أن أجمع الحسنات والمساوئ لتجارب الزملاء الذين خاضوا هذه التجربة، حتى أخرج برأي نهائي.
فانفعل الدكتور أحمد إسماعيل:
-حتى الآن لم تجمع حسنات وسينات العمل بالخارج؟ هيا بنا إلى المدير فعنده أخبار تجارب أطباء المستشفى، وربما تجارب أطباء منطقة جنوب القاهرة الطبية كلها.
مع سؤال الدكتور حكيم عن تجارب الزملاء الناجحة والفاشلة، تبسم المدير وسأله:
-ما الذي يجعلك تسافر يا حكيم والسفر يحتاج إلى الشباب؟
فأجابه حكيم ساخرا:
-ماذا يصنع الطبيب مع غلاء المعيشة؟ فمرتب الوزارة هزيل، ولا يضمن ولا يغني من جوع. بالإضافة إلى توزيع راتب الاقتصادي العجيب هنا؛ فبعض الأطباء يأخذون خمس نقاط بخمسمائة جنيه، والأكثرية -وسياتك أبو العارفين- يتلقون نقطة في قلوبهم!
قال سليم والابتسامة لازالت على شفثيه: "بالنسبة للاقتصادي -والذي تسميه عجيبا- هذا هو توزيع المديرية. أما الراتب..."
فقاطعه الدكتور أحمد: "الدولة (تستعبط) في إعطاء رواتب الموظفين عامة والأطباء خاصة".
فعلا صوت الدكتورة عليّة الثوري: "ليس (استعباطا)، يا دكتور أحمد، بل إذلالا للشعب عامة ولأطباء خاصة!"
تحمس حكيم: "الله يرحم الملك فاروق. فقد كان مرتب الطبيب في عهده ثلاثين جنيها ويتكون من خمسة عشر جنيهاً كراتب، وخمسة عشر جنيها كبدل طبيعة العمل أيضا".

فامتعضت عليه:
-لازلنا نتسلم الخمسة عشر جنيها كبذل طبيعة العمل حتى الآن، مع إنها كانت مائة في المائة من الراتب.
فتساءل أحمد محتدا:
-حتى لو أخذنا مائة في المائة كطبيعة عمل الآن، فماذا ستضيف والراتب لا قيمة له أصلا !
فتهمك الدكتور مجدي النحال:
-إذا أردت أن تذلل شعبا جوعه!...
فأشار سليم بيده وأوما برأسه: "على رسلكم. فالحيطان لها آذان..."
ثم اتجه برأسه ناحية حكيم:
-يا دكتور حكيم، على العموم في السفر خمسة فوائد. وأرض الله واسعة. وتوجد تجارب ناجحة في العمل بالخارج.
ثم نظر إلى الأطباء وتبسم:
-ولكن السفر يفقدكم درجات الترقية للمناصب الحساسة بالوزارة، من أول مدير مستشفى إلى وكيل وزارة.
فضحك الأطباء قائلين: "تركنا لك هذه المناصب يا سيادة المدير".
فاستطرد مبتسما:
-الدرجة التي أنتم زاهدون في درجات الوزارة السنية العليا؟
ضحكت عليه قائلة:
-يا دكتور سليم، إن مرتبك الحكومي الشهري كنت أتقاضاه من المستوصف الخاص الذي عملتُ به في الرياض في يومين!
فوافقها المدير بإيماءة من رأسه:
-صحيح يا دكتورة عليه. ولكن صاحب المستوصف أنهى عقدك بمجرد حضورك حفلة عيد ميلاد أحد زملائك بالمستوصف!
-ذلك لأنني كان يجب أن أستأذن منه -ككفيلي- قبل الحضور.
-ولكن كانت الحفلة فيها طبيبات أخريات، وممرضات، بالإضافة إلى أسرة الطبيب صاحب الحفلة.
-كل هؤلاء الطبيبات والممرضات قد استأذن قبل الحضور.
فسألها حكيم مندهشا:
-ما هذا الاستئذان؟ هل كنتم في سجن أو معتقل؟!
-كنتُ أيامها غير متزوجة وليس معي محرم. أما الزميلة المتزوجة فلا تحتاج إلى استئذان.
وعلى العموم، هذه كانت أول تجربة لي. وبعد ذلك سافرت ثلاث مرات، وكانت تجارب ناجحة والحمد لله.

نظر سليم في ساعته، وقال: "موعد العيادات قد قرب".
ثم نظر إلى حكيم: "يا حكيم، المثل يقول: (منْ خرج من داره قل مقداره). وحتى لو وجدنا بعض الإيجابيات في العمل بالخارج، فالسيئات أكثر".
ثم نظر إلى الدكتور مجدي النحال وتذكر تجربته المريرة الفاشلة في السعودية فضحك في سره وقال لنفسه: لو ذكر النحال تجربته لما سافر حكيم ولا غير حكيم.
ثم نظر ناحية -الدكتور صلاح الشيمي الذي كان على وشك أن ينهي الانتداب بمستشفى الزاوية ولكنه حضر اليوم ليتسلم راتبه الشهري- وقال: "صلاح الشيمي سافر منذ عدة سنوات فليخبرنا بتجربته".
تبسم صلاح ولم يتكلم.
فقالوا له: "لم تتبسم؟"
فقال وهو يكتم مشروع ضحكة كبيرة:
-أهم إيجابية في تجربتي أنه لا توجد انتدابات لمستوصفات أخرى.
فانفجرت الحجرة ضحكا...
فقال مجدي النحال ساخرا: "والله عندك حق يا صلاح. وهل وزارة الصحة عندنا فالحة في حاجة غير الانتدابات؟!"
استطرد صلاح يشرح تجربته:
-عيب القطاع الخاص -الذي عملتُ به- أننا يجب أن نأتي بإيراد عال جدا من دخل العيادة، وإلا تعرضنا لضغوط كثيرة من صاحب المستوصف.
ثم واصل وهو ينظر ناحية حكيم:
-وهذه الضغوط، يا دكتور حكيم، قد تصل إلى فسخ العقد في أي وقت؛ وبالتالي نضطر إلى زيادة دخل العيادة بطرق وهمية من تحاليل وخلافه...!
فقال أحمد إسماعيل: "لقد قلت لحكيم أن يتجنب القطاع الخاص إذا أراد السفر".
وصاحت عليّة بحماس: "بوجه عام السفر فيه سبعة فوائد وليس خمسة كما قال المدير".
فقالوا لها: "هات ما عندك يا دكتورة عليّة".
فتحسست أكثر وهي توضح: "يكفي فائدة السفر للعمل بدول الخليج في سهولة القيام بالحج والعمرة".
تبسم حكيم ولم ينطق!
فضحك أحمد وقال: "يا حكيم، سافر للعمل بإحدى دول الخليج، ومن هناك سافر إلى القدس، ولما تعود إلينا سنلقبك (بالمقدس حكيم)".
فضحكوا جميعا.
قال المدير وهو ينظر إلى ساعته: "الساعة التاسعة. هيا إلى العيادات".

-28-

"قم من النوم يا علي... قابلني في أرض الجمل... قم من النوم يا علي... قابلني..."
استيقظ علي عبد المنعم من النوم مندهشاً...
الرجل النوراني كلمني بجوار السرير أم كلمني في حلم؟ صوته كان قريباً في أذني، كأنه كان بجواري! سأذهب إليه فوراً...
في أرض الجمل، كانت الابتسامة الحنون مطبوعة على وجه الرجل النوراني وهو يسأله:
-أنت لا تأتِ إليّ مقابلتي إلا بإيقاظك من النوم؟
-أنا في شوق إليّ لقاءك.
-كيف حالك؟
-الحمد لله.
-هل الاختبارات على الأبواب؟
-اختبارات آخر السنة في شهر يولييه المقبل إن شاء الله.
ثم تساءل:
-أخبرني من أنت؟
هل أنت ملك من الملائكة الكرام؟
هل أنت نبي من أنبياء الله عليهم السلام؟
هل أنت الخضر؟
رد الرجل النوراني وابتسامته الحنون لازالت تكسو وجهه وتشع منه الصفاء:
-لماذا تشغل نفسك بي؟ ألم أقل لك من قبل إنني عبد من عباد الله.
-هل أنا من أولياء الله حتى أكرم بالرحلة المباركة التي صحبتني فيها؟
تلاأت ابتسامته على وجهه المبارك وهو يجيب:
-هذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.
فتساءل علي في حيرة:
-ما الهدف من الرحلة المباركة في كون الله ومن مقابلتك الكريمة؟
-يا علي... أنت الآن في مرحلة إعداد لمهمة عظيمة ستكلف بها بإذن الله.
جال الصمت بينهما وصال... تأمل علي في الوجه النوراني... تساءل مع نفسه:
ما هذه المهمة التي أعد لها؟ وهل سأكون أهلاً لها؟ الأمر لله وحده. اللهم أعني...
ثم جرح الصمت:
-هل هذه المهمة لها علاقة بالإخوان المسلمين؟ وهل أنا أهل لها؟ وهل؟ وهل؟ وهل
طريق الإخوان المسلمين صحيح في الوصول إلى رضا الله؟
أشرق وجه الرجل النوراني وهو يرد:

-الطريق إلى رضا الله -عز وجل- عظيم، ولا يعرفه كله إلا الله وحده، ولا يرتبط طريق الله بحركة أو جماعة فقط. قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}15...

-فإذا كان الإخوان المسلمون وغيرهم من الجماعات الدعوية على الطريق الحق، فلماذا لم ينتصروا حتى الآن ويكونوا الدولة الإسلامية التي تطبق شرع الله؟
-ليس المطلوب من الذين يدعون إلى الله النصر. فالنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: ((يأتي النبي يوم القيامة ومعه الرجل والرجلان، ويأتي النبي وليس معه أحد)). فليس على الذين يدعون إلى الله إلا الدعوة بصدق والإخلاص لله عز وجل.
-لقد قال الله في كتابه الكريم: {وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ}16، فأين الغلبة للإخوان أو لغيرهم إذا كانوا من جنود الله؟!
تبسم النوراني:

-يا علي، إن الإخوان وغيرهم من الحركات الإسلامية بهم دخن! اسمع إلى قوله تعالى في سورة آل عمران معقبا على هزيمة المسلمين في غزوة أحد: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}17...
ثم استكمل:

-يا علي، منكم من يريد الدنيا! وهذا هو أس الفشل في الدعوات. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنَصَّرُوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمُ وَيُخْرِجْكُمْ أَفْئَادَكُمْ}18... لابد للدعوات أن تمحص قبل أن يأتي النصر {وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ}19... {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}20...
وبقوة:

-واعلم يا علي، بأن الأمة تحتاج إلى النهضة في كل أمر من أمور حياتها.
وبيقين:

-واعلم يا علي، بأن الفرج مع الكرب، وإن النصر مع الصبر، وإن مع العسر يسرا...
ما كاد علي أن يتساءل ما هي المهمة التي أعد لها إلا وقد اختفى الرجل النوراني فجأة وهو يقول: "يا علي، يجب أن تصوم صيام داود عليه السلام"...

15 الآية 69 من سورة العنكبوت

16 الآية 173 من سورة الصافات

17 الآية 152 من سورة آل عمران

18 الآية 7 من سورة محمد

19 الآية 141 من سورة آل عمران

20 جزء من الآية 179 من سورة آل عمران

-29-

-أنت مجنون يا طارق؟! أليس عندك أدنى إحساس بالمسئولية؟ كيف تتزوج عرفيا من بنات الناس؟ أليس لك شقيقتان؟ أتريد أن يحدث لهما مثلما فعلت مع زميلتك؟! ثم رفع حسن صوته مناديا: -تعال يا سناء بسرعة. ثم بصوت منخفض: "لترى أفعال أخيك المحترم". أقبلت سناء بسرعة، وتساءلت في لهفة: "ما الأمر؟" فقال حسن في حنق: -الشيخ، (الدنچوان)، الحبيب، تزوج من زميلته زواجا عرفيا بعد قصة حب وهيام. وهي حامل الآن في الشهر الثالث. تبسمت سناء نصف ابتسامة وهي تقول: "نصف الدفعة في كليتنا متزوجون عرفيا". وبنصف الآخر من الابتسامة: -والنصف الآخر يفكرون. وقع كلام سناء بردا وسلاما على طارق. سألها حسن وقد تبخر نصف غضبه: "ما هذا الهراء الذي تقولينه؟" فأومأت برأسها مؤكدة: -يا حسن، الزواج العرفي بين طلبة الجامعات أصبح بلاء عاما! فتشجع طارق: -يا أخي، أنت كنت شابا مثلي. وتعلم الكبت الجنسي الذي نعانيه في مرحلة الشباب. فافعل حسن وهو يضرب كفا بكف: -كبت جنسي! لماذا حدث السعار الجنسي حتى تكبته؟ وما دور هذه اللحية التي تملأ وجهك؟ أين تدنيك؟! فرد طارق: "الفتن في كل مكان، وفي الجامعة أشد". -وأين غض البصر يا أبا المشايخ؟ وأين الصوم الذي نصح به الرسول -صلى الله عليه وسلم- الشباب؟ فأجابه طارق وهو يخشى أن ينفجر حسن في أي لحظة: -لقد صمت كثيرا. أم يكون الصوم أزليا في رأيك الفقهي؟ فغضب حس: -لقد تركت لك المشيخة والآراء الفقهية. ولكني أعرف الأصول، والذي صنعته أنت بعيد عن الأصول والصواب. وليس لديك ذرة إحساس بالمسئولية. فتساءل طارق بحذر: -هل صنعت حراما يا حسن حتى تحاكمني هكذا؟

فرد حسن بغیظ:
-لا تقل إن هذا الزواج الذي يتم من وراء أهلك وأهلها حلال!
فهمست سناء:
-أخفضوا من صوتكم حتى لا تسمع أمنا. تجنبوا أي انفعال لها حتى لا تأتيها الذبحة الصدرية.
ثم تساءلت:
-هل أهل زوجتك يعلمون بهذا الزواج السري وخاصة بعد الحمل؟
-لم يعلموا.
فسأله حسن:
-ويطنها التي كبرت؟
فأجابه:
-الحمل هو أكبر ورطة الآن. وربما علم أهلها به. وهو الذي جعلني أحدثك بأمر هذا الزواج.
فقال حسن ساخرا:
-الحمل هو الذي جعلك تحدثني بزواجك. يعني لو لم يحدث الحمل ما حدثتني أبدا!
فقالت سناء في يأس:
-طارق في ورطة كبيرة يا حسن...
قال حسن:
-يا طارق، أنا أخوك الكبير. وعمري خمسة وثلاثون عاما. وأنت تعلم أنني ضحيت بكلية الهندسة، والتحقّت بالجيش حتى أستطيع أن أقوم بأعباء البيت. ولم أتزوج حتى الآن بالرغم من المغريات التي تتحدث عنها. فكان يجب عليك أن تتحمل المسؤولية، وتركز في مذاكرتك، وتتفوق، وتخرج من الجامعة، وتساعديني في تحمل أعباء الأسرة. ولكنك قد خبث خيبة كبرى!
تساءل طارق في حيرة:
-وما هو الحل الآن للخروج من هذه الورطة؟
فرد عليه حسن في سخرية مرة:
-من أين لي بالماديات التي أزوجك بها؟ أسرق؟!
فقالت سناء:
-يجب أن نخبر أهل زوجتك بما حدث.
فانفعل طارق:
-يجب أن تتصرف يا حسن. لا بد من عمل شيء. أنقذ الموقف. أخ أكبر مسئول بلا فائدة.
فوقف حسن غاضبا، وصفع طارق على وجهه، وهو يقول:
-ألزم حدودك. تعلم الأدب في الحوار مع أخيك الكبير. تفسد الدنيا في الجامعة، وتريد أن أصلح ما أفسدته.
ثم قعد مستويا، وتساءل في أسي: "ومن أين لي ذلك؟"

-30-

سأل أحمد الغرباوي أفراد أسرته الإخوانية عن جهودهم في ضم أفراد جدد لدعوة الإخوان، فلم يجبه أحد بالإيجاب إلا صلاح الشيمي الذي أخبره بمتابعته لطبيب جديد في مستشفى الحوض المرصود وجار في الوقت نفسه. ابتهج الغرباوي وتساءل:
-هل له أي اتجاهات لأي جماعة إسلامية؟
-ليس له أي اتجاهات.

فقال الغرباوي دون أن ينظر إلى جهة سعيد وطارق:
-من الأفضل، يا أخوة، أن نلحق بقاطرة الجماعة أفرادا ليس لهم أي ميول لأي جماعة إسلامية، حتى نستطيع أن نشكلهم بسهولة.
ثم وجه حديثه لطارق:

-أهم خبر اليوم في نشرة اليوم، هو خبر دفن العدو لأسرانا أحياء في حربي 1956 و 1967، فما تعليق أخيك الأستاذ حسن عليه؟ وما تأثير هذا الخبر على الجيش؟
-رأيه أن إسرائيل تريد شيئا ما من هذه الأخبار. أما قيادة الجيش فالتزمت الصمت!
فتحمس إسماعيل:

-وزارة الخارجية أعلنت أنها لن تسكت، وستقاضي إسرائيل في محكمة العدل الدولية.
فاحتد صلاح:

-ولماذا لم تقاضبها من قبل؟ من المؤكد أن القيادة تعلم بهذه الأخبار من الأسرى الذين تركتهم إسرائيل أحياء ليحكوا ما رأوه رأي العين.
فلو ما طارق برأسه مؤكدا:

-أخي حسن أخبرني أن القيادة تعلم بهذه الأخبار منذ وقوعها، لكنها منعت نشرها حتى لا يُبث الوهن والذعر في صفوف الجيش والشعب للاستعداد لمعركة الثأر.
فتساءل صلاح:

-لماذا لم تفضح القيادة إسرائيل في العالم لأنها خالفت القوانين الدولية في التعامل مع الأسرى؟
وأين ذلك الوهن الذي كان سيؤثر فينا؟!
هز سعيد رأسه مؤكدا:

-بل نشر هذه الأخبار في حينها سيعضد الثأر في نفوس الجيش...
ولكن إسماعيل رأى:

-أن القيادة في حينها كتمت هذه الأخبار حتى لا تتحطم معنوياتنا.
فتساءل الغرباوي:

-ولماذا لم تنشر القيادة هذه الأخبار بعد معركة الثأر لكرامتنا في حرب 1973؟ وكان الجو العام حينئذ هو جو انتصار، ومعنوياتنا كانت في السماء...
لم يرد على تساؤل الغرباوي أحد.

مرت فترة من الصمت الثقيل فمزقه الغرباوي ممتعضا:
-ربما رأيت قيادتنا أن نشر هذه الأخبار سيؤثر على السلام الذي كانت تنويه بعد حرب 73!
فامتعض إسماعيل:
-من الآراء المنتشرة الآن، أننا دخلنا حرب أكتوبر 73 لكي نقوم بالسلام!
فأوما الغرباوي برأسه موافقا:
-سمعنا هذا.
ثم تساءل:
-ولكن لماذا لم تسرب المخابرات الحربية أخبار دفن الأسرى لكتاب السيناريو والأفلام لكي
نفضح إسرائيل أمام العالم؟
فوافقه صلاح قائلا:
-وهذا بعيد عن السياسة. يعني فن في فن.
فقال طارق:
-الله أعلم بنية القيادة في التكتم على هذه الأخبار.
فتساءل علي متحيرا:
-ولكن لماذا تفضح إسرائيل نفسها الآن بنشر هذه الأخبار في تلفازها؟
فرد عليه صلاح:
-حتى تخرج قيادتنا أمام شعبها!
وقال إسماعيل:
-وحتى تهين الشعب المصري بسبب عدم التطبيع معها.
وقال الغرباوي:
-لقد سمعت من قيادات الإخوان أن إسرائيل نشرت هذه الأخبار حتى تخرج القيادة السياسية التي
ستضطر إلى أن تشكو إسرائيل في المحاكم الدولية لتطالب بالتعويضات المادية لأسر الشهداء
سواء المدفونين أحياء أو شهداء المعارك. وعدد هؤلاء لا يقل عن مائة ألف شهيد في حرب
1967 وحدها! وإسرائيل تريد أن تدفع تعويضات لا تقل عن خمسة آلاف دولار لكل أسرة،
وهي بذلك ستدخل إلى قلوب أغلب شعبنا، لأن المبلغ ضخم لشعب 98% منه تحت خط الفقر!
فتحمس إسماعيل قائلا:
-إسرائيل تريد بذلك أن تسخن السلام البارد.
وقال علي:
-وبالتالي التطبيع معها.
فأكد الغرباوي كلامهما بيقين:
-هذا فعلا، ما تريده إسرائيل بنشر هذه الأخبار.
تساءل علي:

-ربما تريد أشياء أخرى لا نعرفها؟
فأجابه الغرباوي:
-نعم يا أخ علي. فאלله أعلم بمرادها.
ثم شررد برهة، وكأنه تذكر شيئاً:
-لقد عارض الإخوان معاهدة السلام منذ قيامها.
فأوماً صلاح رأسه مؤكداً:
-وبالتالي التطبيع.
فقال الغرباوي:
-رأي الإخوان بوجه عام أن إسرائيل تنتصر علينا في السلام أكثر من انتصارها في الحرب!!...
فقال صلاح بضيق:
-عندك حق يا أستاذنا. فبعد معاهدة السلام، زادت حالات الفشل الكلوي ومرض السرطان
بطريقة غير مسبوقة في بلدنا!
فأردف إسماعيل بسرعة:
-السبب الواضح والذي تلوكه الأقلام منذ فترة، هو الأسمدة الصناعية المسرطنة والمستخدمة
على نطاق واسع في الزراعة والتي استوردها نظامنا الحاكم من إسرائيل!....

-31-

عادت نجوى إلى الكلية بعد غيبة طويلة. فلم يقابلها طارق عمر مقابلة الحبيبة الغائبة، إنما سألها بفتور:

-ما هذه الغيبة الطويلة يا نجوى؟ شهر بكامله؟

-الأيام تثبت أن حبك كذب في كذب يا طارق!

-طبعاً، لو غبتُ الدهر كله لن تسأل عني لأنك في الحقيقة تدعي حبي بلا أي دليل.

-لم يجب طارق عن ابتزازها له، ولكنه قال:

-لقد ظننت أن غيابك هو استعداد للاختبارات.

-على الأقل، كان يجب عليك أن تعرف أخباري من رانا. ولكنك لا يخطر على بالك أن تسأل عني.

وفي حزن:

-ولو كنت تحبني حقاً لامتلك الشجاعة لتعترف بزواجنا وتواجه أهلي بذلك.

فقال بعصبية:

-طوال الفترة الماضية، كنتُ أحاول أن أجد حلاً لمشكلتنا، حتى أخي حسن فاتحته في هذا الأمر.

-فضحكت ضحكة ممطوطة، وتساءلت في سخرية:

-وهل ضربك بالنار في ميدان عام؟!!

فرد في يأس:

-هو لا يستطيع أن يفعل شيئاً بسبب الظروف المادية.

فقالت وقد طبعت على وجهها ابتسامة ساخرة مأكرة:

-"الحب يصنع الأمل. الحب يقفز فوق أسوار الواقع. الحب يقفز فوق كل أسوار المستحيلات.

الحب يسبح ضد التيار. الحب يصنع المعجزات..." أليس هذا كلامك؟!!

ثم ترنمت ساخرة:

-كيف ذاك الحب أمسى خبراً

وحديثاً من أحاديث الجوى

ثم بمرارة وحنق:

-أي ظروف مادية؟ هل طلبت منك أن تجهز شقة للزواج؟ ألم أقل لك أن نتعلم من رانا وسمير

اللذين أعلنوا الخطوبة أمام الجميع. مع العلم أن أهلهم قد علما بزواجهما العرفي.

تلثم طارق:

-أهل... أهل سمير... أهل سمير يعملون في الخارج. وسمير... سمير... يستطيع أن يعلن

الخطوبة أو الزواج إذا أراد.

فتساءلت في غضب:

-هل إعلان الخطوبة يستدعي ماديات؟!!

-أهل سمير ورانا على الأقل تفهما الموقف. ولكن أهلي وأهلك؟
-وما المانع أن يتفهما كما تفهما غيرهما؟
لم يرد على سؤالها، ولكنه حاول أن يجد موضوعا ليتحدث فيه بعيدا عن أسئلتها الاستفزازية والتي لا يجد لها جوابا ولا ردا، فلم يجد موضوعا.
نظر إلى بطنها فاندھش...
لقد ضمّر! أين ذهب الحمل؟! يا رب تكون قد أجهضت... يا رب... يا رب...
قال وهو يشير إلى بطنها:
-والحمل؟
فضحكت ضحكة عريضة:
-الحمد لله، لقد سقط من عند الله.
فتساءل بحيرة وفرحة ولهفة:
-كيف ذلك؟ وهل هذا الإعياء الذي تبدين به بسبب سقوط الحمل؟
طبعاً، فرحان لسقوط الحمل!
-لقد سقط الحمل فجأة منذ أسبوعين. ولقد قال الطبيب: بأن سبب سقوط الحمل هو أن دمي قد (تزفر). ولا أعلم ما يعني بقوله هذا.
ولماذا لم تسألينه؟
-لم يرد أن يخبرني بأكثر من ذلك. ولكنه أخبرني بأن أكشف عند طبيب جلدية وتناسلية. ولكنك ألا تحزن من فقد ثمرة زواجنا؟
الحمد لله أن الحمل قد نزل وخلصنا من غمه وكربه. اطمئن يا أخي حسن لقد فُرجت...
فُرجت... فُرجت من عند الله...
-الحمد لله على السراء والضراء. ولكن لماذا تبدين مرهقة؟
ثم أحس جبينها:
-يبدو أنك تعاني من سخونة.
-نعم يا طارق، ويوجد طفح غريب في جسمي.
فقال وهو ينظر في جدول المحاضرات:
-يوجد طبيب صديق يعمل في مستشفى الحوض المرصود، سنذهب إليه يوم الثلاثاء المقبل إن شاء الله...

-32-

تبدأ أعمال الكتيبة عند الإخوان المسلمين بالتجمع قبل صلاة المغرب في سكن فسيح لأحد الإخوة ليستقبل أكبر عدد من الأفراد من الشعبة نفسها أو من عدة شعب. يتجمع الأخوة فرادى حتى لا يلتفتوا الانتباه. يتم تلاوة أذكار المساء "الوظيفة الكبرى" من كتاب المأثورات لحسن البنا. ثم يتناولون تمرات للإفطار عند أذان المغرب لأنهم غالباً يكونون صائمين. ثم يصلون المغرب جماعة، ويكون التأمين بصوت منخفض حتى لا يلتفتوا انتباه الجيران. بعد الصلاة يتناولون طعام الإفطار ويتم التعارف بينهم أثناءه...

حضر أفراد أسرة أحمد الغرباوي الكتيبة، وعرفوا أنفسهم مع الحاضرين. نظر إليهم أفراد الكتيبة متطلعين، لأنهم جدد في الجماعة.

بعد الإفطار، يقدم أحد أخوة الشعبة المحاضر للأخوة. ويكون المحاضر عادة من كبار الدعاة في الإخوان، أو من المحاضرين في الجماعة، ويمكن أن يكون من أعضاء مكتب الإرشاد أو المرشد نفسه في أحيان نادرة. ويتعرف المحاضر على الأخوة الحاضرين، فيقدم الأخ بيانات تعريفه؛ الاسم، والعمر، والوظيفة، وعنوان السكن، والحالة الاجتماعية. ثم يقوم المحاضر بإلقاء محاضرة طويلة يعقبها أسئلة من المستمعين. وعادة تتنوع مواضيع المحاضرة من كتيبة لأخرى طبقاً لبرنامج الكتيبة. وبعد ذلك يصلون العشاء، ثم صلاة القيام، ثم النوم. ويكون أحد الأخوة مستيقظاً -كأنه في حراسة أثناء حرب- ليوظ النائمين لصلاة التهجد في السحر. ويتبادل أكثر من أخ أعمال الحراسة، حتى يوقظ الأخير منهم النيام. وبعد صلاة التهجد، يصلون الفجر، ثم يتلون أذكار الصباح، ثم ينصرفون فرادى كما أتوا...

تكلم المحاضر في السيرة النبوية، ومما قاله:

-يا أيها الإخوان... يوجد لنا أخوة جدد على طريق الدعوة المبارك فمرحبا بهم. وقبل أن يبايعوا لابد أن يعرفوا بأن طريق الدعوة هو طريق الأنبياء، وطريق الأنبياء ليس بالطريق الممهد السهل، بل هو طريق وعر شاق، هو طريق كله ابتلاء ومحن، يبتلينا الله -سبحانه وتعالى- فيه؛ ليمحص إيماننا، وليميز الخبيث من الطيب، وليميز الكاذب من الصادق...

يا أيها الإخوان، طريق الإخوان ليس مفروشا بالورود، بل هو مفروشا بالأشواك؛ ليس مفروشا بالشهرة بدخول مجلس الشعب أو بالتحدث في وسائل الإعلام، بل هو مفروشا بالمحاكمات وبغياهب السجون والمعتقلات...

أيها الإخوان، إن لنا في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الأسوة الحسنة. لقد جاهد وناضل، وكذلك صحابته الكرام، لكي يصل هذا الدين إلينا. لقد اضْطُهد الرسول -عليه الصلاة والسلام- والصحابة الكرام في مكة، وشدّد الكفار العذاب على الضعفاء منهم، واستشهد منهم الكثير تحت ضربات التعذيب والتنكيل... ووصل العذاب الزبى! حتى قال خباب بن الأرت: "يا رسول الله، ألا تستنصر لنا، ألا تدعوا الله ليخفف عنا ما نحن فيه؟" فرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم: ((لقد كان فيمن قبلكم يُشَقُّ بالمنشار شقين فلا يزحزحه ذلك عن دينه)).

واستهزءوا بالرسول وسخروا منه {وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا} 21... وكذبوه عليه الصلاة والسلام: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} 22...

أيها الأخوة... قبل أن تباعوا، عليكم أن تعلموا أن جماعة الإخوان المسلمين قد أذن الله أن تقوم لكي تعيد مجد الإسلام وحضارته. إن الذين يبايعون في جماعة الإخوان المسلمين إنما يبايعون الله. يد الله فوق أيديهم. ومن يبايع فيجب أن يعلم أنه يبايع على إعادة تكوين:

(1) الفرد المسلم كما كان في عصور الإسلام الذهبية، (2) الأسرة المسلمة، (3) المجتمع المسلم، (4) الدولة المسلمة التي تطبق شرع الله، (5) الخلافة الإسلامية، ثم (6) أستاذية العالم...

إننا نبايع على أن يكون الله هو غايتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا...

أيها الإخوان، إن أركان بيعتنا عشرة وهي: الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرد، والأخوة، والثقة...

وظل المحاضر يشرح كل ركن من أركان البيعة العشرة، وفي بند الفهم شرح للإسلام الشامل: "الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء..."

واستفاض المحاضر في شرح كل ركن من أركان البيعة العشرة. ثم استطرد:

- أيها الأخوة، إن الحضارة الحديثة الآن تعاني من مادية طاغية لا تبقي ولا تنذر! إن العالم اليوم في حاجة شديدة إلى الإسلام وحضارته. إن العالم اليوم في حاجة شديدة إليكم أنتم معشر الإخوان...

أيها الأخوة الجدد، بايعوا على بركة الله...

أيها الأخوة الجدد. أيها الأخوة الجدد...

كونوا من رجال الله...

كونوا من أنصار الله...

كونوا من أنصار رسول الله...

كونوا من أنصار دين الله...

واعلموا أن لكم إخوان قد ضحوا في هذه الدعوة حتى وصلت إليكم. فلقد أعتقل الآلاف، وأعدم العشرات...

21 آية 41 من سورة الفرقان

22 آية 33 من سورة الأنعام

يا أيها الإخوان... يا أيها الإخوان...
ألا يستحق الله الملك القدوس السلام أن نضحى من أجله؟
ألا يستحق المؤمن المهيمن الكبير أن نضحى من أجله...؟
ألا يستحق العزيز الجبار المتكبر أن نضحى من أجله...؟
ألا يستحق الخالق البارئ المصور أن نضحى من أجله...؟
ألا يستحق من له الأسماء الحسنی والصفات العلی أن نضحى من أجله...؟ سبحانه... سبحانه...
لا نحصى ثناء عليه كما أثنى هو على نفسه.... سبحانه... سبحانه...
وانفجرت الكتيبة بمن فيها بكاء...
وكان آخر ما قاله المحاضر بصوت مبجوح من البكاء قوله تعالى:
{وَكَايْنِ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ *}{²³...

²³ الآيات 146 - 148 من سورة آل عمران

-33-

ترك الدكتور أحمد إسماعيل مجلسه الصباحي وذهب مع بعض أعضاء حزبه الشجري إلى حجرة الأطباء للسلام على الدكتور صلاح الشيمي الذي أتى لحضور الكونسلتو الأسبوعي. وقبل الوصول، كان الضجيج والعجيج ينبعثان من الحجرة... فتساءل أحمد إسماعيل:

-مال القوم اليوم؟ ما هذا الضجيج؟ أخبرنا يا مجدي يا نحال يا وكالة أخبار النميمة في المستشفى.
فضحك الأطباء.

وضحك الدكتور حكيم قائلاً:

-وياك أن تلسعنا بنحك!

فضحك الدكتور النحال وهو يقول:

-لقد أنت سيدة منذ أسبوع إلى عيادة الاقتصادي بابنها للفحص، وأخذ منها موظف المختبر ثلاثة أضعاف ثمن التحاليل!

فمط أحمد إسماعيل شففيه ممتعضاً:

-طبعاً، لن تمر حالة في العيادات الاقتصادي إلا بتحاليل!

ثم تساءل:

-ولكن كيف عرفت هذه السيدة أن الثمن مضاعف ثلاث مرات ولا توجد قائمة بأسعار التحاليل؟ فأجابه النحال:

-من سوء حظ الموظف، أن السيدة كانت معها صديقة تكشف على ابنها ودفعت ثمن التحاليل أقل منها ثلاث مرات، والتحاليل كانت هي هي.

فتساءل حكيم:

-وكيف عرفت هذه المرأة أن التحاليل هي نفسها تحاليل ابن صديقتها؟

-لأنها تقرأ الإنجليزية.

-وما هي هذه التحاليل؟

ردت طبيبة¹:

-تحاليل ²⁴cbc ووظائف الكلى والكبد.

فتساءل حكيم ساخراً:

-ولماذا أخذ منها أكثر من صديقتها؟

فتبسم الدكتور عماد الدسوقي وأجاب:

-لأنها كانت (متريشة)!

²⁴ صورة دم كاملة

فقال أحمد إسماعيل:
-أفصح أكثر.
-كانت ترتدي ملابس فاخرة وحليا من الذهب...
فضحك الدكتور صلاح الشيمي:
-موظف المختبر أدرى بالثراء يا دكتور أحمد.
ثم أردف:
-ويا ليتّه كان اشتراكيا فيخفض من ثمن التحاليل للفقراء. وما أكثرهم.
سأل حكيم النحال:
-وماذا تم بعد ذلك؟
-أخذت وصلي التحاليل، فضحت المستشفى في بعض القنوات الفضائية.
فقال طبيب 1:
-وكانت فضيحة (بجلجل).
سألت الدكتورة عليّة الدكتورين حكيم وأحمد:
-ألم تسمعا عن هذه الواقعة؟
تبسم أحمد وحكيم وردا معا:
-ليس عندنا إلا التلفزيون المحلي.
ثم تساءل الدكتور أحمد:
-وماذا جرى مع الموظف؟
فرد عماد الدسوقي:
-تحقق المديرية معه بعد استجواب وزير الصحة في مجلس الشعب.
فاندهش حكيم:
-إلى هذه الدرجة. استجواب الوزير!
وهامسا:
-ربما يُقال فيها الدكتور سليم!
فقال صلاح الشيمي:
-إذا كان رب البيت بالدفع ضاربا، فشيمة أهل البيت الرقص والطرب!
فتساءل الدكتور أحمد:
-وماذا يصنع موظف المختبر حينما يجد أمامه قائمة من التحاليل الوهمية طوال اليوم؟
فهتفت طبيبة 1:
-قلينهب مع الناهبين.
وقال عماد الدسوقي:
-لقد رأيت أن الشرفاء في هذه المستشفى لا يعملون بالاقتصادي.

فاحتدت الدكتورة ابتسام عوض الله:

-لا تقل ذلك يا دكتور عماد. فكثير من الأطباء مضطرون إلى العمل بالاقتصادي ولا يطلبون أي تحاليل وهمية.

وقال صلاح الشيمي:

-البعض منا يحتاج إلى العمل بالاقتصادي لظروفه المادية، وفي الوقت نفسه، يراعي ربه في عمله. مع العلم أن راتبه من الاقتصادي لن يتعدى مائة جنيه طالما يسير على الطريق المستقيم.

فاحتد الدكتور فوزي نجيب ساخرا بصوته الأجش الخشن:

-ومن أنت يا تاجر السيارات، حتى تقول إن الشرفاء لا يعملون بالاقتصادي؟

فغضب الدكتور عماد:

-أنا أتاخر بالسيارات بشرف. وأنا لا أضحك على المرضى وأسرقهم. وما حدث من سرقة أموال تلك السيدة هي ثمار هذه المنظومة الفاسدة المفسدة.

ثم انصرف غاضباً.

فاستأنف فوزي نجيب:

-هو أيضاً يغش المشتريين، فيقول في الإعلان: إن السيارة استعمال طبيب، وهو في الحقيقة يتاجر بها، ويستغل وظيفته.

فأوما صلاح الشيمي لفوزي:

-عماد طبيب حديث التخرج. ومرتبته لا يفي بشيء. فاضطر أن يتاجر بالسيارات حتى يفي بمصاريف دراسة الماجستير.

ثم خاطب الأطباء مشيراً بيديه:

-وعلى العموم، الرجل قد ترك لكم الاقتصادي بما حمل.

فقال الدكتور حكيم نخلة:

-يا فوزي، يا زعيم العيادات الاقتصادية، دعنا من الدكتور عماد. وأخبرنا ما رأيك في حادثة سرقة وابتزاز أموال هذه السيدة علناً من موظف المختبر؟

فامتعض فوزي:

-لقد قلت لكم من قبل إن عيادات الاقتصادي ستصبح هي الأصل. الدولة ترفع أيديها تدريجياً عن كل شيء. الدولة تتبع القطاع العام سواء كان ناجحاً أو فاشلاً. الدولة أضحت الآن دولة رخوة أمام الشركات عابرة القارات. انتهى عصر التأميم والاشتراكية. نحن الآن في عصر انتصار اقتصاد السوق والرأسمالية. العولمة هي إله العصر الجديد! ولكن مدى رؤيتكم لا يتعدى أرنبه أنوفكم. أفيقوا يا قوم من سباتكم العميق. أفيقوا...

فغضب الدكتور أحمد إسماعيل:

-أنت لم تجب عن سؤال الدكتور حكيم. لسنا الآن في نقاش عولمتك. أخبرنا عن رأيك في دفع السيدة ثلاث أضعاف ثمن التحاليل؟ هل هذه هي العولمة التي تبشرنا بها؟!!

فامتعض الدكتور فوزي وهو يرد:
-لست مسئولاً عن تصرف هذا الموظف. ولم تأمره إدارة المستشفى بسرقة المرضى.
فقال أحمد إسماعيل ساخراً:
-ولكنه فعل روح العيادات الاقتصادية اجتهداً منه.
ثم أضاف:
-ولكل مجتهد نصيب!
فقالت الدكتورة ابتسام عوض الله:
-هو مقتنع بأن قائمة التحاليل وهمية وغير مطلوبة، فتأثر بهذا الجو العفن.
قال فوزي في نفسه:
أتعملين واعظة لنا الآن يا ابتسام؟ واضح أن رفضك للزواج من الكثيرين الذين تقدموا لخطبتك
بسبب غرورك العلمي وغرورك بشعرك الذهبي وجمالك الفاتن أدى إلى طول فترة (العنوسة)
التي أثرت كثيراً علي عقلك. اذهبي ودعي عنك سيدك فوزي. وابحثي عن عروس فهو أفضل
لك.
أكد الدكتور مؤمن رأي ابتسام:
-الجو العام عفن يا دكتورة ابتسام. فمنذ خمس سنوات، وكل وزارة حريصة على زيادة مواردها
بأي شكل؛ فزادت قيمة التمتع والضرائب، وزادت الضرائب على العاملين بالخارج، وزادت
رسوم التقاضي بالمحاكم، بل اخترعت ضرائب جديدة كضريبة المبيعات، واخترعت القسم
الاقتصادي والعيادات الاقتصادية بالمستشفيات الحكومية. بصراحة الصورة بشعة...
فتوجه الدكتور فوزي برأسه ناحية الدكتور مؤمن:
-أخبرهم حتى يدروا ما يدور حولهم.
فانفعل أحمد إسماعيل:
-أتعلمنا أنت ما يجري حولنا؟ لقد ضيعتم القيم والمبادئ.
فقال فوزي في نفسه:
حتى أنت تريد أن تعمل واعظاً لنا؟ أنتم تتسلمون راتبكم من كدي وكد غيري ممن يعملون
بالاقتصاد. ولكن أنى لكم أن تدروا شيئاً؟ ويا أخي، بدلاً من أن تعمل واعظاً لنا وتدعي
الطهر والاستقامة، اذهب وحل مشاكلك الزوجية الأزلية... أنت لم تستمر مع زوجة إلا عدة
أشهر وسرعان ما تطلقها. لماذا؟ لأنها تطمع في أموالك التي جمعتها في الكويت. فاشل في
حياته الأسرية، ويعمل فيها نبيا في قومه...
ثم تساءل بسخرية:
-هل أنتم اشتراكيون أكثر من الدولة التي تدعي في دستورها بأن نظامها اشتراكي وهي الآن
تنتهج كل النهج الرأسمالي؟
فتحمست الدكتورة ابتسام قائلة بصوتها الثوري:

-بيد أن بالمستشفى الآن كثيرا من الأمريكيين العرب الجدد الذين يبشرون بالليبرالية واقتصاد السوق.

فتضايق فوزي:

-يا دكتورة ابتسام، لقد ماتت الاشتراكية في مهدها في روسيا، وكل دول أوروبا الشرقية تحولت إلى الرأسمالية منذ خمس سنوات، وبالضبط منذ سقوط حائط برلين، حتى روسيا نفسها تحولت إلى اقتصاد السوق.

وبامتعاض:

-اخلعي رداء الاشتراكية الكاذب الذي ترتدينه في غير أوانه.

وفي سره:

عاملة فيها يسارية؟ غوري يا شيخة. شيخة؟! ها... ها... أقصد يا رفيقة! شيوعية كافرة!

فاندفع صلاح الشيمي بحماس:

- لا مستقبل للرأسمالية لأنها متوحشة. والرأسمالية لا تخدم إلا طبقة أصحاب المال الذين تحالفوا مع السلطة السياسية، وهو تحالف يمكن أن نقول فيه إنه "زنا سياسي"! ولقد قال كارل ماركس: إن الرأسمالية -بحكم طبيعتها- ستدمر نفسها بنفسها. ولقد تنبأ كثير من كبار الاقتصاديين بفناء الرأسمالية، لأنها تحمل بذور فشلها بسبب التناقض الكبير بين الطبقة العاملة المنتجة الكثيرة العدد وطبقة الأفراد القلائل المستحوزين على الفائض الرهيب من الربح، سواء كانوا أصحاب المال أو المديرين...

تبسم فوزي ساخرا:

-الرأسمالية هي التي خرجت منتصرة بعد صراع البشرية منذ فجر التاريخ. وعجلة التاريخ لا ترحم، وستهرس كل من يقف في طريقها.

ضحكت ابتسام:

-الدكتور فوزي يتكلم بأسلوب ماركسي وهو يمدح الرأسمالية!

فاستكمل فوزي:

-انظري لكل الدول الاشتراكية بدءاً من بلدنا الاشتراكي العظيم، وانتهاء بمنبع الاشتراكية بالاتحاد السوفيتي المنحل اللامأسوف عليه.

ثم توجه ناحية الدكتور صلاح:

-يا دكتور صلاح، يكفي للرأسمالية أنها تحمل أهم صفة للتقدم ألا وهي العقلانية، وعقلانيتها في كل شيء يتعلق بالاقتصاد. وهذا هو سر نجاحها وتفوقها على أي نظام اقتصادي آخر.

فرد صلاح بحماس:

-الرأسمالية فشلت فيما مضى وستفشل فيما هو آت يا دكتور فوزي. وحتى الاشتراكية فشلت أيضاً لأنها ضد فطرة التملك. والاشتراكية يا دكتورة ابتسام، تحمل تناقضات كبرى، وتطبيقها كان فاشلاً.

فقال مؤمن:

- الاشتراكية فكرة جميلة ولكن على الورق. وتطبيقها الصحيح يحتاج إلى حوار بين الأنبياء!

فهز فوزي رأسه مؤكدا:

-عندك حق يا دكتور مؤمن. فلقد كان ربيع التأميم لا يذهب إلى الشعب كما تنص قوانين الاشتراكية، ولكن يذهب إلى جيوب أعضاء الحزب الشيوعي السوفيتي!

فهز مجدي النحال رأسه موافقا لرأي فوزي:

-وكذلك الحال كان عندنا أيام الإتحاد الاشتراكي ولجنة الإقطاع.

فاندفعت ابتسام بحماس شديد:

-ولكن الرأسمالية هي التي أفرزت لنا الاستعمار المقيت الذي مص دماء شعوبنا!

فرد عليها فوزي:

-ولكن الرأسمالية هي التي انتصرت في النهاية يا دكتورة ابتسام. والرأسمالية هي التي أثمرت في بلادها الحرية والديمقراطية، وهما أساس التقدم الرهيب في الحضارة الغربية...

فصاحت الدكتورة عليه بصوتها الثوري القوي:

-الحرية لهم؛ ولكن لنا الاستعمار الذي ظل أعواما طويلة ينهب خيراتنا ويقتل شعوبنا. وأخيرا قبل أن ينسحبوا من بلادنا، زرعوا لنا إسرائيل حتى لا تقم لنا قائمة بعد ذلك.

فهز فوزي رأسه قائلا:

-حركة التاريخ تخبرنا أن الغلبة دائماً للقوي. فنحن الذين اخترنا دور الضعيف في كل شيء، وخرجنا خارج حركة التاريخ منذ قرون...

فقال صلاح:

-عندك حق يا دكتور فوزي. فنحن الذين اخترنا دور الضعيف وتركنا ديننا وتعاليمه التي تحث على اختيار دور القوي في كل شيء؛ سياسة، اقتصاد، علم، حضارة... واستوردنا مرة الرأسمالية وفشلنا، ومرة الاشتراكية وفشلنا أكثر! والاشتراكية قد فشلت في مهداها. والرأسمالية تحمل بين جنبها بذور فشلها، وقد كانت لها أزمت قاتلة في الثلاثينات...

لم يكمل الجملة لمقاطعة الدكتور فوزي الحادة بصوته الخشن:

-اقتصاد السوق مهما حدث له من أزمت، فإنه يستطيع أن يصب أي خطأ من داخل آليات السوق نفسه. أما الاشتراكية حينما وقعت، فقد ماتت بالسكتة القلبية!...

فرد الدكتور صلاح بحماس بالغ:

-المستقبل للنظرية الإسلامية في الاقتصاد، يكفي أنها تحرم الربا الذي سبب نكسات وأزمت عالمية رهيبة.

فسأله فوزي:

-ما هي النظرية الإسلامية في الاقتصاد؟

وفي نبرة سخرية:

-هل تريد أن تقول بأن "الإسلام هو الحل" كما يقول الإخوان المسلمون. ولكن هذا لا يزيد عن مجرد شعار!

فرد صلاح في قوة:

-النظرية الإسلامية تقوم على المضاربة والمشاركة في الأرباح والخسائر، وتحس على زيادة الإنتاج، وتحرم الربا والاحتكار واستغلال الشعوب...
وبثقة:

-ولا يوجد في الاقتصاد الإسلامي ما يُسمى بالاقتصاد الوهمي الذي تقوم به الرأسمالية!
فأولاً فوزي برأسه نافياً:

-أنا غير مقتنع بما يُسمى بالاقتصاد الإسلامي. بل لا يوجد ما يُسمى بالاقتصاد الديني على مدار التاريخ كله. والاقتصاد الإسلامي ربما يكون قريباً من اقتصاد السوق. وسألخص لكم الأمر كله بالآتي:

مريض العيادة المجانية يدفع جنيهاً واحداً. ويقف في طابور طويل حتى يأتي دوره في الكشف. وحينما يدخل العيادة، لا يجد فحصاً من الطبيب بسبب الزحام. فلا يقتنع بروشتة العلاج ولا بالفحص، فيذهب بالروشتة إلى طبيب آخر ليفحصه مرة ثانية، وفي النهاية لا يقتنع إلا بالفحص الهادي في عيادات الاقتصادي. فالمريض عنده قناعة شديدة بأن يدفع أكثر ليستفيد أكثر. وهذا هو اقتصاد السوق بمنتهى البساطة. فالمريض حريص على صحته. فليهن ماله ولا يهن نفسه وصحته. وليذهب مرهم السلسليك والزنك اللذان تعدهما أم حنفي في طشت الغسيل للعيادة المجانية إلى الجحيم!...

فقال الدكتور أحمد إسماعيل:

-يا قوم... لا يوجد منا يميني حقيقي، ولا يساري حقيقي، ولسنا منتسبين لأي حزب. وكلنا لا نسعى إلا على لقمة العيش. فدعوا هذه السفسطائية التي لا طائل ورائها.

وأعقبه حكيم مخاطباً صلاح الشيمي:

-اقرأ لنا قصيدة من جرابك الشعري لترطب قلوبنا التي جفت وقست وتشققت من حديث السياسة والاقتصاد.

فتبسم صلاح:

-والله عندك حق يا دكتور حكيم. تغور السياسة والاقتصاد.

ثم تبسم أكثر وهو يخرج دفتره الشعري وقال:

-سأقرأ لكم قصيدة "الحرية" للشاعر الروسي الشهير ألكسندر بوشكين. وبدأ يقرأ بصوت مؤثر:

-ألا ابتعدي عن طريقي

يا ربة الأوتار الخافتة

أين أنت، أين أنتِ أيتها العاصفة الرجولية

يا مغنية الحرية الفخورة؟
اقتربي ومزقي إكليلي
وحطمي فيثارتي الناعمة
أريد أن أتغنى الحرية الإنسانية
وأفضح الرذيلة في عروشها.

دخل الدكتور سليم وهو عابس الوجه، فأشار الأطباء له أن يسكت حتى ينتهي صلاح من القصيدة.

آه لو أن لصوتي القدرة على أن يهّز النفوس
لم هذا اللهب المتوقد، عبثاً، في صدري
ولم تمنح لي موهبة الكلمة الرهيبة؟
أتراني أرى شعبنا، يا أصدقائي، وقد تحرر
من جور العبودية بأمر من القيصر؟
أو لم يحن لفجر الحرية الوطنية الرائع
أن يشرق على وطننا أخيراً؟

وقيل أن يعلق المدير، قال الأطباء في صوت واحد:
-ماذا دهاكم اليوم؟! الساعة قد تجاوزت التاسعة. المرضى في انتظاركم...
وانصرفوا ضاحكين...

-34-

أثناء نوم علي عبد المنعم في الكتيبة، صعدت روحه وتقابلت مع الرجل النوراني الذي استقبلها بابتسامته المضيئة:

-هيا بنا يا علي، إلى العروج في السماوات والملكوت...

فتساءلت روح علي:

-هل العروج سيكون بي فقط أم بالجسد أيضاً؟

-بك وبالجسد أيضاً!

-كيف ذلك والجسد هناك في الكتيبة نائماً؟!

فسبح النوراني مترنماً:

-سبحان ذي العزة والملكوت... سبحان ذي القوة والجبروت... سبحان من سبحه يونس في بطن

الحوت... سبحان ذي العزة والملكوت... سبحان ذي القوة والجبروت... سبحان من سبحه يونس

في بطن الحوت... سبحان ذي العزة والملكوت... سبحان ذي القوة والجبروت... سبحان من

سبحه يونس في بطن الحوت...

ثم هتف:

يا علي... سبح بحمد من أمره "كن" فيكون...

-سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم... سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم... سبحان الله

وبحمده سبحان الله العظيم...

فقال الرجل النوراني متحمساً:

-ها أنت الآن علي عبد المنعم بشحمه ودمه!

فهتف علي متحيراً:

-سبحان الله! ما هذا؟!...

ثم تساءل بحيرة شديدة:

-كيف يكون ذلك كذلك؟ كيف يكون لي جسدان في ذات الوقت؟ إن جسدي هناك في الكتيبة

نائماً؟!

فسر النوراني بابتسامته المضيئة:

-إن الروح تستطيع أن ترتدي عدة أجساد في الوقت نفسه...

-وضح ذلك يا أستاذي الجليل.

فأشرق وجه الرجل بابتسامته الحنون النورانية وهو يجيب:

-ألم تعلم عن العبد الصالح الذي ذهب للحج فوجد في طريقه امرأة أرملة وعيالها يضيئون

جوعاً، فتبرع لها بما معه من أموال وزاد الحج، وعاد ولم يحج. فلما عاد أهل بلدته من الحج

أكدوا أن هذا العبد الصالح كان يحج معهم... والروح يا علي، تستطيع أن تخترق الحجب

المكانية والزمنية بمنتهى السهولة، وتستطيع أن تذهب إلى ملايين السنين القادمة وترتدي جسداً

وتعيش في الجنة... ألم تعلم عن روح الصحابي بلال ابن رباح الذي رآه الرسول -عليه الصلاة والسلام- في الجنة في المعراج وقال له: ((لقد سمعت قعر نعليك في الجنة، فيما سبقتنا إليها يا بلال؟)) فقال بلال: (كلما أحدثت توضأت وصليت ركعتين لله). فروح بلال -رضي الله عنه- اخترقت ملايين السنين من حجب الغيب، وارتدت جسداً آخر غير الجسد الأرضي المعاصر للرسول -عليه السلام- في زمن بعثته. وهناك مثل آخر للصحابي الذي رآه الرسول -عليه الصلاة والسلام- يقرأ القرآن الكريم في الجنة. فروحه اخترقت الحجب المكانية والزمانية واكتست جسداً وقرأ صاحبها القرآن الكريم...

تساءلت روح علي:

-ومن هذا الصحابي يا معلم؟

-حارثة بن النعمان.

-سبحان الله...

تبسم المعلم وهو يواصل:

-وحينما ينالم المؤمن، فإن روحه تصعد إلى تحت العرش وتسجد لله... والوصول للعرش العظيم اختراق رهيب لحجب رهيب...

-سبحان الله... سبحان الله...

-واعلم يا علي، أن الروح لا تنعم ولا تُعذب إلا إذا لبست جسداً...

-كيف ذلك يا أستاذي الجليل؟

-اسمع حديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم- الذي يقول فيه: ((إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة)). فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، كما قال الله تعالى في كتابه الكريم: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} * فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} *²⁵، لذلك فإن أرواحهم لا بد وأن تكون في جسد حتى تنعم بنعيم الجنة. وهذا الجسد هو حواصل طير خضر تسرح في الجنة إلى قيام الساعة...

تساءل علي:

-وما أخبار المؤمن الصالح غير الشهيد في قبره؟

-هذا المؤمن يختلف عن الشهيد. فالمؤمن الصالح في حياته البرزخية يرى مقعده من الجنة فيستبشر خيراً ويقول: (يا رب أقم الساعة. يا رب أقم الساعة...)، ولكنه لا يُنعم بالجنة كالشاهد، ولا يحيا في البرزخ كحياة الشهيد.

-نفسى أعرف من أنت أيها الرجل الصالح؟

²⁵ الآيات 169 - 171 من سورة آل عمران

فأجابه:
-دع عنك هذه الأفكار يا علي. وركز فيما أنت فيه الآن.
فتحير علي متسائلاً:
-ولكن جسدي النائم الآن في الكتيبة، فكيف يكون حياً وروحي الآن هنا بجسدي الذي أكلمك به الآن؟!
-جسدك في الأرض الآن متصل بروحك، فهي تمده بالحياة بإذن الله. وهذا يحدث دائماً كلما نام أي إنسان أو طائر أو حتى حيوان...
مرت فترة من الوقت والرجل النوراني يسبح بحمد ربه، ثم أكمل:
-ولكن الروح من دقة خلقها وشفافيتها وسرها العظيم الذي أودعه الله فيها، تستطيع أن تكون في أكثر من جسد في ذات الوقت. فلا يعلم سر الروح إلا الذي خلقها سبحانه وتعالى.
-ولكن إذا أوقظني الأخ المسئول عن الحراسة في الكتيبة الآن، هل ستدخل روحي جسدي وأستيقظ؟
-طبعاً، يا علي.
فتساءل علي والحيرة قد تملكته أكثر:
-ولكن ماذا يحدث في الحلم؟ هل تدخل الروح جسداً آخر غير جسد النائم؟
-ربما! ولكن العلم عند الله.
-كلما اقتربت من اقتناعي بفكرتك عن الروح، كلما ابتعدت أنت عني!
-أبداً يا علي. ولكني تذكرت قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} 26...
-صدق الله العظيم.
فتحمس الرجل النوراني بقوة وهو يهتف:
-هيا بنا إلى عالم الملك والملكوت...

26 الآية 85 من سورة الإسراء

-35-

في المستشفى، ربح الدكتور صلاح الشيمي بطارق عمر وزوجته من الزواج العرفي
نجوى فهمي...

سألت نجوى الدكتور صلاح:

-يا دكتور، ما معنى أن دمي زفر؟

تمعض وجه الدكتور صلاح واكتسى بسحابات ضيق وقرف.
سألها:

-مم تعانين؟

فردت بحيرة:

-ما معنى زفارة الدم؟

تقاطر الامتعاض والضيق والقرف من وجه الدكتور صلاح!...

ورد الفعل هذا لا ينبغي أن يكون من طبيب مهما كان المرض التناسلي الذي يعاني منه
المريض، ومهما كان السلوك الجنسي الذي أدى إلى ذلك المرض. فالطبيب طبيب، وليس شيخا
ولا قسيسا... وطبعاً، يعلم الدكتور صلاح معنى كلمة "دمي زفر"، وهي تعني مرض الزهري.
رد صلاح وهو يحاول أن يزيح انفعاله جانباً:

-أخبرك بعد الكشف السريري.

فقال طارق:

-لا بد من طبيبة يا دكتور صلاح.

فقال صلاح في نفسه:

لماذا لم تكن حنبلياً حقيقياً وتتزوج على السنة بدلاً من الزواج العرفي؟ جيل غريب. غريب...

تبسم صلاح قائلاً:

-حنبلي أكثر من اللازم. والحمد لله أن زوجتك ليست حنبلية مثلك كما يبدو.

استدعى صلاح الدكتورة ابتسام. وبعد الفحص، أخبرته صلاح بالمرض باللغة الإنجليزية.

فتساءل طارق:

-ما نتيجة الكشف يا دكتور صلاح؟

-سأخبرك بعد فحصك سريرياً.

وأثناء فحصه، سأله:

-متى جامعته زوجتك؟

فأجاب طارق والقلق قد بدأ يتسرب إلى نفسه:

-منذ أسبوعين يا دكتور صلاح. ولكن أخبرني ما نتيجة الفحص؟ لقد قلقنا جداً.

-توجد أعراض مرض الزهري عند نجوى للأسف.

فاصفر وجه نجوى وأسقط في يدها!

استطرد صلاح:
-والزهري هو سبب سقوط الجنين.
فتساءل طارق:
-وأنا؟
-سليم.
فتورد وجه طارق وهتف:
-الحمد لله.
لا يهتمك صحتي ولا الجنين الذي فقدناه... أهم شيء هو نفسك. أناثية. لا حب ولا يحزنون!
قالت نجوى بعد أن عاد إليها تماسكها:
-لم تخبرني يا دكتور عن معنى أن دمي زفر بالضبط.
فلم يرد صلاح، وإنما أجابتها ابتسام:
-يعني أن الدم قد تلوث بميكروب الزهري.
وبصوت خفيض:
-يجب عدم الجماع حتى يتم الشفاء وفحص تحاليل الزهري لكما.
الفحوصات أثبتت خلو دم طارق من الزهري، وفي الوقت نفسه لا توجد أي أعراض جلدية للمرض عليه.
فتناقش الشيمي وابتسام...
-لقد نام معها منذ أسبوعين، يعني في مرحلة ²⁷secondary stage وهي مرحلة معدية جدا.
كيف لم يُصَب بالمرض؟!
-أكيد مناعته قوية، وربما سيظهر عليه المرض بعد فترة الحضانة.
فقوس صلاح حاجبيه اندهاشا وتساؤلا:
-تحاليل طارق سليمة من الزهري، فمن أين أتى الزهري لنجوى؟!
جحظت عينا ابتسام، وارتسمت على وجهها علامات استفهام. وأطبق الصمت عليهما...
بعد فترة، جرحت نجوى الصمت:
-ربما عولجت بدم ملوث بعد ما سقط الجنين.
ثم نكشت ذاكرتها وقالت:
-ولكن الحمل سقط بسبب ²⁸syphilis.
-ربما أخذت دما ملوثا لأي مرض آخر، وربما أصيبت بـsyphilis لأي سبب!
-سوف تأتي اليوم للمتابعة وسأسألها.

²⁷ المرحلة الثانوية من مرض الزهري

²⁸ مرض الزهري

فهز صلاح رأسها أفقيا:
-لا داعي لإحراجها يا دكتورة ابتسام.

لم تسمع ابتسام لنصيحة صلاح الشيمي. ففي زيارة نجوى التالية، سألتها:
-هل تم الجماع مع أحد غير طارق؟
احمر وجه نجوى وتساءلت:
-ما هي المشكلة بالضبط يا دكتورة ابتسام؟
-المشكلة أن تحاليل طارق سلبية لمرض الزهري، وتحاليلك إيجابية. فمن أين أتى لك مرض الزهري؟ هل نُقل دم لك في الخمسة أشهر الماضية؟
ووضح الدكتور صلاح أكثر:
-ربما نُقل لك دم ملوث بمرض الزهري.
-لم يُنقل لي أي دم.
فانتقلت أشعة استفهام واستغراب بين عيني صلاح وابتسام.
هزت الدكتورة ابتسام رأسها:
-إذا لم يكن السبب نقل دم ملوث، فلا بد أن يكون لقاءا جنسيا.
فنظر صلاح إلى ابتسام نظرة معارضة لتساؤلها المحرج...
ثم جال الصمت قليلا، ولكن قطعتة نجوى وهي تقول:
-حتى لا تسوئا الظن بي، لقد تزوجتُ عرفيا قبل طارق.
فسألها صلاح:
-متى كانت آخر علاقتك بزوجك قبل طارق؟
-آخر نومي مع زوجي كان قبل أسبوع من زواجي بطارق.
هز صلاح ونجوى رأسيهما أسفا...
فقالت ابتسام:
-إذن زوجك السابق هو الذي نقل لك الزهري.
عصر الشيمي ذاكرته، ثم سأل نجوى:
-هل كنت حاملا من زوجك السابق؟
-لا.
فسألها مندهشا:
-وكيف تتزوجين بعد أسبوع من زواجك السابق؟
فردت مندهشة أيضا:
-وما المشكلة في ذلك؟
فانفعل صلاح:

-والعدة؟!
-فردت متسائلة باندعاش أكثر:
-وهل توجد عدة للزواج العرفي؟
ثم بيقين:
-أنا أعرف أن العدة في الزواج العادي.
نظر صلاح وابتسام إلى بعضهما نظرة اندعاش من الجهل المطبق بأحكام الدين.
فتبسمت ابتسام قائلة:
-العدة في الزواج العرفي كالزواج العادي.
وصلاح متبسما:
-الزواج العرفي هو زواج، ولكنه لا يُوثق في المحكمة. وأحياناً يكون سرياً.
تنهدت نجوى:
-وأضح أنني في ورطة شديدة لأنني قد تزوجت عرفياً ثلاث مرات قبل طارق.

يا بنت الـ... تتزوجين أربع مرات عرفياً وبدون عدة. دجاجة وأربعة ديوك. الدكتورة ابتسام الجميلة الفاتنة لم تتزوج وإن كانت قد رفضت خطاباً كثيرين. وأنت تزوجت أربع مرات بالرغم من وجهك الأصفر وعينيك الغائرتين الخاملتين وجسدك المريض الذي لا يحمل أي فتنة أو حتى أنوثة... ولكن "لكل فولة كيال، ولكل فولة مسوسة كيال أعمى"...
جال الدكتور صلاح الشيمي النظر بين نجوى وابتسام، وهو يندهش من المقارنة ومن سخرية القدر...

-36-

أنت مركبة نارية تجرها خيول نارية...

تبسم الرجل النوراني وهو يقول:

-هيا اصعد إلى عالم العلو والملكوت...

ركب علي والرجل النوراني على المركبة النارية، فانطلقت بهما وسط جلبة وعاصفة شديتين...

وأثناء العروج، قال النوراني:

-اعلم يا علي، أن ما أنت فيه الآن هو من فضل الله ورحمته يهبهما لمن يشاء من عباده. قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾*29...

ثم سكت برهة يسبح الله عز وجل...

استطرد:

-لقد ركب على هذه المركبة غيرك الكثير من أنبياء وصالحين.

فابتهج علي وتمتم:

-الحمد لله على فضل الله وكرمه.

حطت المركبة في ملك رهيب وسط جلبة من تسبيح وتمجيد وتهليل لله عز وجل...

تأمل علي ما حوله من ملك وملكوت، فقال مندهشا:

-سبحان الله، ما هذا؟

ثم تساءل:

-يا معلم، أين نحن الآن؟ وما هذه الكائنات اللامتناهية العدد؟

-نحن الآن في الكوكب الأول، وهذه هي الملائكة التي تعبد الله منذ خلقها إلى قيام الساعة...

-سبحان الله. ولا حول ولا قوة إلا بالله...

نزل علي والرجل النوراني -أو المعلم بتعبير علي- من المركبة النارية، وترجلا وسط جو بديع

ليس له مثيل على الأرض...

ارتسمت علامات الجد والوقار على صفحة وجه الرجل المعلم وهو يهتف:

-في البدء خلق الله السماوات والأرض...

ثم قال:

-انظر إلى هذه اللوحة.

فاندهش علي هاتفا:

-سبحان الله... ما هذا؟

²⁹ الآية 2 من سورة فاطر

-الأرض مظلمة، مقفرة، موحشة، مرعبة، ليس بها حياة ولا مخلوق.
أشار النوراني بيده إلى اللوحة الرهيبة التي أمامه والتي تشبه شاشة سينمائية مهولة أو خرافية الحجم، وقال:
-لقد ظلت الأرض والسماء هكذا ملايين السنين، ثم شاء الله للأرض أن تنير، وأن تعج بالحياة بعدما انفصلت عن أمها السماء.
وأضاف:
-ونبضت الأرض بالحياة. وجعل الله -سبحانه وتعالى- من الماء كل شيء حي. وظلت السماء على ظلامها الأول، ولكن نجومها وكواكبها منيرة.
فتحمس علي وهو يهتف:
-سبحان من فطر وخلق، وقدر وهدى، وأحيى وأمات...
تبسم المعلم قائلاً:
-انظر إلى هذه اللوحة.
فاندش علي وتساءل:
-ما هذا التمثال الضخم يا معلم؟
فازداد تبسم المعلم وهو يفسر:
-هذا أبونا آدم -عليه السلام- قبل نفخ الروح فيه. انظر يا علي، إلى إبليس وهو يدخل في التمثال ويخرج.
ثم غمغم:
-وهو يسير داخل أجساد بني آدم هكذا، بل هو يجري في أجسادهم جريان الدم!
-على إبليس لعنة الله.
أوما المعلم رأسه قائلاً:
-انظر يا علي.
فاندفع علي بحماس بالغ:
-لقد دبت الروح في أبينا آدم عليه السلام. ولكن يا معلم، ما هذه الكائنات اللامتناهية العدد في ظهره؟
-هذه ذرية آدم. ولقد أشهدهم الله على توحيده -عز وجل-، لذلك يولد كل مولود على فطرة التوحيد. ولنتذكر حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)). ولقد شاهد بنو آدم -وهم مرحلة الذر- كل المواقف التي تثبت التوحيد والإيمان واليقين بالله سبحانه وتعالى وعز وجل...
فتساءل علي مستغرباً:
-وضح لي، يا معلم، ماذا تقصد بمشاهدتنا ونحن في مرحلة الذر كل المواقف التي تثبت التوحيد والإيمان واليقين بالله؟

- لكي يثبت التوحيد والإيمان واليقين بالله في مرحلة الذر، كان ولا بد وأن يشاهد ويعايش بنو آدم الأحداث الهامة في تاريخ البشرية.

فتساءل على باندهاش أكثر وحيرة أشد:

- وهل البشر وهم في مرحلة الذر عندهم خلل في يقينهم حتى يحتاجوا إلى تثبيته؟

- لا يوجد خلل يا علي. ولكن لابد وأن يولد المولود وهو في قمة فطرة التوحيد والإيمان واليقين.

- ولكن يا معلم، لا نتذكر شيئاً مما شاهدناه في مرحلة الذر.

فرد المعلم بيقين تام:

- كل ما شاهدته بنو آدم مطبوع في الفطرة، ولكن الذنوب هي التي تطمس هذه المعالم والمواقف والأحداث.

تحير علي أكثر وأشد:

- ولكننا لا نذكر هذه المواقف حتى ونحن أطفال أبرياء قبل مرحلة الذنوب والتكليف.

فتبسم المعلم شارحاً:

- عندكم في دراسة الطب توجد أجهزة طبية إذا وُصلت على أجزاء معينة من رأس أي إنسان، فإنه يتذكر أحداثاً غابرة وهو جنين أو في بداية حياته في مرحلة الرضاعة أو الطفولة، وهذه الأحداث مطموسة من الذاكرة الواعية تماماً.

أوماً علي برأسه مؤكداً وقد ذهبت عنه بعض الحيرة:

- عندك حق يا أستاذي. فالذاكرة تخزن كل الأحداث، ولكن كثيراً من تلك الأحداث تكون في أعماق الذاكرة.

- فإنن فأنت معي أن الأصل في الفطرة هو توحيد الله عز وجل.

فهز علي رأسه أسفاً:

- ولكن الناس يغيرون هذه الفطرة ويحاولون أن يطمسوها بعبادة غير الله، والعياذ بالله.

- ولكن الفطرة هي الفطرة يا علي. فالذين يتلثون يقولون: الأب والابن والروح القدس إله واحد، وإذا سألتهم هل تتلثون؟ فسجيبونك: إن الإله واحد. وحتى عباد الأصنام كانوا يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى. والفلاسفة من قديم قالوا بالعقل الأكبر... فالكل يتجه إلى الله مهما كانت طريقه معوجة عن طريق الله المستقيم. فالألجنة تتعدد لغاتها ولهجاتها ولكنها تتوجه كلها إلى الله الواحد القهار... وما أرسل الله الرسل إلا لتعود البشرية إلى الطريق المستقيم المؤدي إلى التوحيد النقي الخالص لله عز وجل... والذي ينكر الله ويلحده في أسمائه وصفاته، ما ينكره ولا يلحده إلا بلسانه...

ثم تحمس المعلم حماساً شديداً وهو يستطرد:

- واعلم يا بني، أن التوحيد واليقين المطبوعين في الفطرة يتفجران ويتلألأان حينما نكون في الشدة، فأعتى الناس كفراً حينما يكون في شدة - وخاصة في وسط البحر - ويفقد أسباب النجاة؛ فإنه لا يدعو إلا الله عز وجل، وتنقش عنه سحب الكفر والشرك بالله تماماً... اسمع إلى قوله

تعالى: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} 30...

-دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ...

-دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ...

-دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ...

-مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...

-مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...

-مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...

وظل المعلم يكرر هذا الجزء من الآية الكريمة، ثم قال:

-انظر يا علي إلى قوله تعالى: "مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ"، يعني قمة الإخلاص لله في دعائهم وعدم الالتفات إلى أي معبود آخر من دون الله، ولا إلى أي أسباب أخرى من دون الله، ولا إلى أي قوة أخرى دون قوة الله...

أوما المعلم رأسه أسفا وهو يواصل:

-ولكن للأسف:

{فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} 31...

تمطط الزمن في الشاشة السينمائية أمام علي والمعلم، وإذا بعلي يصيح:

-انظر يا معلم، إن آدم وحواء يأكلان من الشجرة المحرمة!

تبسم المعلم قائلا:

-إن إبليس ضحكك على آدم وحواء، وأوعز إليهما أنهما لو أكلا من الشجرة المحرمة لأصبحا من الخالدين. وللأسف ابتلع آدم وحواء الطعم، وعصيا الله، ولم يخلدا... ولكن الذي خلد هو إبليس نفسه عليه لعنة الله...

أيقظ آخر أخ مسئول عن الحراسة في الكتيبة الأخوة النائمين لصلاة التهجد، فعادت روح علي إلى جسده في لمح البصر...

30 الآية 22 من سورة يونس

31 الآية 23 من سورة يونس

-37-

كان الدكتور عماد الدسوقي هو أول ثمرة من ثمار الدعوة الفردية للدكتور صلاح الشيمي. فرأى أحمد الغرباوي أن الدكتور عماد مناسب في هذه المرحلة لكي ينضم إلى أسرته الإخوانية التي تضم صلاح الشيمي وإخوانه، وكان هذا مخالفا لنظام الجماعة الذي يقتضي أن يستمر الأخ في مرحلة "الدعوة الفردية" سنة على الأقل...
رحب الغرباوي وأفراد أسرته بالدكتور عماد الدسوقي. وعرف كل أخ نفسه له. وكان الدكتور عماد معروفا لهم لأنه جار قديم.

قدم عماد نفسه:

-أخوكم: عماد محمود الدسوقي، السن 27 سنة، طبيب جلدية وتناسلية بمستشفى الحوض المرصود، أسكن في 5 شارع محمد يوسف، أعزب ولا أعول.
فقال الغرباوي:

-من تجارب الأخوة أن من يعمل في الدعوة سنتين لا بد وأن يتزوج في نهايتهما.

فتعجب الأخوة، وابتسم الدكتور صلاح الشيمي متسائلا:

-وما موقف الأخ المتزوج بعد السنتين من العمل الدعوي؟

فرد الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح ضاحكا: "أكيد سيتزوج الثانية طبقا لهذه المعادلة الدعوية!"

فضحكوا... تساءل طارق عمر ساخرا:

-هل هذا الزواج هو زواج عرقي أم زواج عادي؟ فضحك الغرباوي:

-من يعمل في الإخوان سنتين فسيتزوج زواجا عاديا، أما من يعمل في الحزب الوطني الحاكم فسيتزوج زواجا عرفيا مشكوكا فيه!

فضجوا ضاحكين...

قال الشيمي مبتسما:

-الدكتور عماد يتاجر في السيارات لكي يصرف على الماجستير، فلا أدري في أي مجال سيتاجر لكي يصرف على الزواج؟

فكتم الغرباوي الضحك وهو يجيب: "في القطارات".

فانفجروا ضاحكين...

دخل حسن بالشاي، ورحب بالدكتور عماد والحاضرين.

أوما سعيد عوض برأسه ناحية عماد سائلا:

-يا دكتور عماد، هل يوجد مانع أن أعمل معك في تجارة السيارات؟

فحدجته الغرباوي:

-عما قريب ستتوفر فرصة عمل في شركة المقاولون الشرقية. فلا تربط نفسك بعمل آخر.

رد عماد الدسوقي على تساؤل سعيد:

-معي طبيب شريك يا أخ سعيد. وتجارة السيارات تحتاج إلى رأس مال كبير وأكثر من شريك. ولكن للأسف، ربما سنتوقف عنها عما قريب، لأننا قد عُرفنا في السوق. فتساءل طارق عمر:

-ما معنى أنكما قد عُرفتما في السوق؟ وما المشكلة في ذلك؟

-في الإعلان عن بيع سيارة أعلن أنها "استعمال طبيب"، ومع كثرة البيع عُرفنا بأننا تاجران! فتساءل سعيد:

-ما حكم بيع السيارة بأنها استعمال طبيب وهي في الواقع غير ذلك؟

فرد عليه أحمد الغرباوي:

-في هذه البيعة نوع من الغرر بالمشتري، "والبيع الغرر" محرم شرعاً! فقال الشيمي:

-الدكتور عماد مضطر إلى هذه التجارة بسبب مرتب وزارة الصحة الهزيل. فأكمل الغرباوي:

-ما يناسب الشرع هو عدم ذكر أنها استعمال طبيب، وهو في الواقع اشتراها ليتاجر بها وليس لاستخدامها.

فأكد علي عبد المنعم رأي الغرباوي:

-وأنا أرى ذلك هو الصحيح. والأفضل أن يبتعد الأخ عماد عن الشبهة. فتحمس الغرباوي قائلاً:

-هذه البيعة فيها غرر، وهي بيعة حرام، وليست مجرد شبهة حرام. اندمى إسماعيل عبد الفتاح:

-أنا لم أتصور أن يضطر الطبيب إلى تجارة السيارات. فالطبيب لا يعمل إلا في مهنة الطب، وهي أشرف مهنة. فامتعض صلاح الشيمي:

-حكومات الثورة هي السبب في كل ذلك، فهي قد دمرت الطبقة الوسطى بكل فئاتها. فسأل الغرباوي الدكتور عماد:

-ما قيمة المرتب الهزيل يا أخ عماد؟ "150 جنيهاً". فضحكوا... قال علي عبد المنعم ضاحكاً: "من حَقُّك أن تأخذ زكاة المال يا دكتور عماد". فقال الغرباوي ضاحكاً:

-أي موظف في الدولة من حقه أن يأخذ زكاة المال حتى درجة وكيل وزارة. تكرر صوت يقول: "كان الله في عون الموظفين". وقبل انصراف الأخوة، قال الغرباوي: "من الواجبات القادمة، الجولة الشهرية. وستكون سيراً على الأقدام. وستبدأ في الساعة السادسة صباحاً في أول يوم جمعة من الشهر القادم إن شاء الله، وسنعرف مسار الطريق ساعتها".

-38-

وجد الأستاذ أحمد الغرباوي عملاً لسعيد عوض في شركته. ووجد الدكتور صلاح الشيمي درجة مالية خالية لأم سعيد في وزارة الصحة، وكان توظيفها بمستشفى الحوض المرصود. كانت بهيجة فرحات، أم سعيد، سعيدة جداً بعملها وعمل ابنها... وفي المستشفى، كان توزيعها على القسم الداخلي. وفي صباح أحد الأيام، وجدت بهيجة الدكتور صلاح أمامها، فانفجرت أساريرها سرورا وهي تقول:

-جزاك الله خيراً يا دكتور صلاح عما صنعته معي.

-فتبسم صلاح وهو يرد:

-لا شكر على واجب يا أم سعيد. أتمنى أن يكون العمل هنا بالقسم الداخلي مناسب لك.
-مناسب جداً. والحمد لله.

"ما هاتان العينان السوداوان النجلاوان؟ ما هذه الروح التي تشدني إليهما؟ وما سر الجاذبية التي تشدني إليك يا بهيجة؟ ما هذا الشعور الذي أحس به الآن؟ وما حقيقته؟ ما هذا يا ربي؟ بهيجة تسكن في بيتي منذ عدة سنوات، وكأنني أراها لأول مرة. أول مرة. أول مرة فعلاً. ما هذا؟ ما هذا يا ربي؟!... ما...؟"...

هذا ما يحس به صلاح الآن.

أما بهيجة فقد قالت في سرها:

لماذا يتأملني الدكتور صلاح هكذا؟ كأنه يراني لأول مرة. وأنا أيضا كأنني لم أراه من قبل. لقد رأيته مرات كثيرة وهو نازل من السلم أو صاعد وكان يغض بصره. ورأيته مرات لا حصر لها في الشارع. ولكنني كأنني أراه الآن لأول مرة في حياتي... سبحان الله... أنا لا أستطيع أن أبعد عيني عنه أيضاً. أنا مشدودة إليه بقوة رهيبية. ما هذا؟ السر في عينيه الخضراوين الجذابتين. أنا مشدودة إليهما بقوة عنيفة جبارة. ما هذا؟!... أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. لا حول ولا قوة إلا بالله...

أفاق صلاح على صوت الدكتور أحمد إسماعيل:

-هيا بنا إلى العيادات يا دكتور صلاح.

وكان أحمد إسماعيل يبتسم ويحاول أن يكتم ضحكه...

قال صلاح لبهيجة وهو يحاول أن يداري حرجه لطول تأمله لها:

-إذا احتجت أي شيء، فاطلبيه مني ولا تتردي.

فردت عليه وقد ضرب وجهها الخمرى بالحمرة والخجل:

-ألف شكر يا دكتور صلاح.

بالرغم من قصر هذا الحوار بين الشيمي وبهيجة، إلا أن الدكتور صلاح قد أحس بأحاسيس غريبة...

شيء غريب يشدني إليها. أريد أن أعود لأتحدث إليها. حديثها عذب ممتع. ما سر الجاذبية التي وجدتتها أثناء الحديث معها؟ عيناها السوداوان الحلوتان جذابتان. روحها فيها مغناطيسية تشدني إليها. مغناطيسية رهيبة... ما هذا يا ربي؟ هل هو إحساس من الشيطان؟ هل هو حب؟ أم شفقة؟ أم عطف لظروفها؟ أم هل هو حب من أول نظرة؟ أول نظرة؟ أول نظرة بعد عشرة وجيرة لمدة تزيد عن عشر سنوات؟ ولكنني أشعر كأنني أراها لأول مرة فعلا... هل أنا أحبها من زمان دون أن أدري؟ لا حول ولا قوة إلا بالله... رحماك يا ربي بي... رحماك بي يا ربي... يا ربي... إن قلبي لا يحتمل... إن قلبي يضرب بعنف... أكيد الدكتور أحمد يسمعه الآن. ولماذا هو ساكت ولا يتحدث؟ لماذا ابتسم وهو يقول لي: "هيا بنا إلى العيادات؟" ابتسامته كانت مكررة. مكررة جدا. الدكتور أحمد زكي جدا، "يفهمها وهي طائيرة" كما يُقال. ابتسامته الماكرة تشي بالكثير... هل تسربت إليه أحاسيسي؟ الممر إلى العيادات كأنه سفر بعيد جدا.. ابتسامتها حلوة. إطرافها شجي. نظرتها. أنفها، أنفها الدقيق المستقيم. شفتاها الدقيقتان المتوردتان. لونها الخمرى... مغناطيسية روحها... ما هذا يا ربي؟ هل هي رغبة جنسية؟ لا وألف لا. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. هل أحبها فعلا دون أن أدري؟ أحبها؟ حب من أول نظرة؟ أم هو حب عميق في مجاهل قلبي من قديم، وتفجر الآن وخرج من مكنونه؟ العرق يتساقط من جبتي. العرق فقط؟ الخجل أيضا يتقاطر من جبيني. أنفاسي تلهث. قلبي يزداد ضرباً ودقاً. أكيد الدكتور أحمد يسمعه الآن. المستشفى كلها تسمع هذا الدق. المستشفى كلها تشاهد خجلي الآن وهو ينزف مني ويملاً أرض المستشفى... - ما هذا العرق يا صلاح؟! اذهب واسترح في حجرة الطبيب النوبتجي، أو اذهب إلى المنزل. وسأقدم لك على إذن انصراف. - شكراً يا دكتور أحمد. أشعر بإرهاق فعلاً. سأذهب إلى حجرة الطبيب النوبتجي لأستريح قليلاً.

يا بهيجة... يا بهجة قلبي... يا حبيبتي...

لقد وقعت فعلاً في شباك الحب...

أنا بحبك يا بهيجة، وهذا هو حقيقة شعوري نحوك...

أنا بحبك بحبك... أنا بحبك فعلاً...

أنا بحبك قوي... قوي... قوي... قوي...

أنا بحبك بكل ذرة في كياني...

قلبي يعزف أحلى سيمفونية للحب الآن...

روحي تطرب...

روحي تهيم في الفضاء...

روحي تهيم في الفضاء اللانهائي...

الله... الله... الله...

ولكن لابد أن أكرم هذا الحب. ((من أحب، وكرم، ومات، مات شهيداً)) صدقت يا رسول الله.
لابد أن أكرم هذا الحب.
زبيدة؟
ماذا سأقول لها؟
زوجك وحبيبك قد أحب!
خالد وسحر؟
ماذا سأقول لهما؟
والدكما قد أحب!
بماذا ستقولان؟
والدنا مراهق في الأربعينات!
ولكن الحب لا يعرف العمر يا ولداي.
الحب لا يعرف التوقيت المناسب لكي يدخل القلب.
الحب كالحية التي تتسلل إلى جحر القلب في نعومة وخفاء شديدين حتى تستولي عليه وتتمكن
منه كل تمكن...
الحب كالقضاء المستعجل لا قدرة لنا ولا قوة على صده...
الحب كالسيل الجارف المنهمر، فلا تقف أمامه أي عقبات أو فوارق سواء كانت اجتماعية أو
غيرها...
والحب، يا زبيدة، كالبركان الذي يتفجر في لحظة بدون أي مقدمات...
آه يا قلبي... آه... آه...
لقد أصابت الحمى صلاح، واصفر وجهه، وذبل، وظل مريضاً ثلاثة أسابيع في الفراش...

-39-

في لقاء أسرة الغرباوي الإخوانية، كان أحمد الغرباوي يجلس دائما في كرسي الصالون الأسبوطي الكبير في منتصف الحجرة أمام الباب، ويجلس عن يساره مباشرة في ذات الكرسي الدكتور عماد الدسوقي، ويسار عماد يكون علي عبد المنعم مستويا على ذات الكرسي، بينما يجلس إسماعيل عبد الفتاح في الكرسي يمين وعمودي على الغرباوي ويجلس صلاح الشيمي في الكرسي الذي يليه في ذات الجهة. وتوجد مكتبة قيمة في الحائط خلف إسماعيل وصلاح. أما سعيد عوض فيجلس في مواجهة إسماعيل وصلاح على الكرسي الوسط، ويجلس طارق عمر في ذات الكرسي يسار سعيد. وكان كل أخ يحافظ على مكان تواجد بالجلسة، فإذا غاب أحدهم ظل مكانه خاليا...

في بداية اللقاء وأثناء احتساء الشاي، تفرس أحمد الغرباوي في وجوه الأخوة ولاحظ غياب صلاح وسعيد، فقال:

-أفكركم بالجولة في الجمعة الأولى من الشهر المقبل بإذن الله، فأرجو أن تفرغوا أنفسكم لها.

ثم توجه برأسه ناحية إسماعيل عبد الفتاح:

-ما أخبار الدكتور صلاح؟ ولماذا لم يحضر الجلسة؟

-مريض يا أستاذ أحمد، وهو طريح الفراش بمنزله.

ارتسمت علامات التأثر على وجه الغرباوي. قال:

-إذن يجب أن نزوره غداً إن شاء الله.

ثم تساءل عن سعيد:

-لماذا تغيب هو الآخر؟

فرد عليه الدكتور عماد الدسوقي:

-أمه مريضة أيضاً، وذهب بها إلى المستشفى.

فكاد أن يتساءل الغرباوي في نفسه: ما هذا التوافق المرضي بين الاثنين؟ ولكن استتراد الدكتور عماد قطع تساؤله:

-يمكن تغير الفصول هو السبب، لأنه يؤدي إلى اضطراب المناعة.

فقال الغرباوي داعياً:

-عسى أن يتم الله شفاء الجميع.

ثم تبسم قليلاً:

-وأبشركم يا أخوة، بأن الأستاذ إسماعيل قد أستاذن الشيخ عبد الحميد كامل لزيارته الخميس بعد القادم بعد صلاة المغرب مباشرة إن شاء الله.

ثم سأل الدكتور عماد الدسوقي:

-وما أخبارك يا دكتور عماد في المستشفى؟

-الحمد لله، إدارة المستشفى تركت لي ثلاثة أيام لحضور محاضرات الماجستير في القصر العيني.

وسأله الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح:

-ألا توجد انتدابات مزعجة كما يحدث مع الدكتور صلاح؟

-الانتدابات عادة تكون للأخصائيين ومساعدى الأخصائيين.

ثم سأله الغرباوي:

-لقد تناقلت بعض الجرائد والفضائيات أخباراً سيئة عن العيادات الاقتصادية بمستشفيات وزارة الصحة. فما حقيقة ذلك؟

-العيادات الاقتصادية سيئة السمعة للأسف بسبب سوء استخدامها من معدومي الضمير من الأطباء وحتى من بعض الموظفين. وهذه الظاهرة سببها وزارة الصحة نفسها.

فتهكم علي عبد المنعم:

-هذه بركات نظام اقتصاد السوق والخصخصة.

ووافقه إسماعيل عبد الفتاح:

-وهذا هو الدين العالمي الجديد الذي تبشر به أمريكا العالم الآن، حتى الدول الاشتراكية نفسها خلعت عباءة النظام الموجه عن رقبتها.

قال الغرباوي وهو يرتشف رشقات من الشاي بدون صوت كعادته دائماً:

-فوكوياما... فوكوياما هو الذي أعلنها صراحة بنهاية التاريخ بانتصار كاسح نهائي للرأسمالية والنظام الليبرالي والحضارة الغربية على كل الحضارات.

فقال إسماعيل:

-ولكنه انتصار مؤقت لأن الرأسمالية لا تخدم إلا السلطة الحاكمة، وما هي في الواقع إلا أصحاب رؤوس الأموال.

تساءل علي عبد المنعم:

-تريد أن تقول: إن أصحاب رؤوس الأموال هم الذين يوجهون السياسة لخدمة مصالحهم؟

فأجابه إسماعيل:

-نعم يا أخ علي.

فامتعض علي:

-ولكن هذا لا يؤدي إلا إلى ظلم الشعوب وتخمة أصحاب المال على حساب شعوبهم.

-ليس فقط على حساب شعوبهم، بل على حساب شعوب العالم كله. وانظر إلى أمريكا كيف تتدخل في سياسات الدول بحجة المساعدات المالية...

فامتعض الغرباوي قرفاً:

-حتى صندوق النقد الدولي، ما يفعل إلا ما تفعله أمريكا في التدخل في سياسات الدول والتحكم فيها.

فتساءل عماد: "والبنك الدولي كذلك؟"
فرد عليه الغرباوي ساخراً: "البنك الدولي ابن عم الصندوق الدولي؛ إن لم يكونا شقيقين".
فتضايق إسماعيل:
-هما اللذان يقدمان النصيحة للدول النامية بخصخصة السوق وبيع القطاع العام، وفي الحقيقة هي نصيحة لتدمير الاقتصاد الوطني!
فقال عماد: "يا أستاذ إسماعيل، القطاع العام -للأسف- قد نُهب بالقائمين عليه في أغلب الدول ذات النظام الاشتراكي، وفي بلدنا كذلك. أما أصحاب نظام السوق فيقولون: إن أي أخطاء في نظامهم الاقتصادي سيعالجها السوق نفسه، يعني السوق يعالج أخطائه بنفسه بدون تدخل الدولة".
فتبسم إسماعيل قائلاً: "ولكن في الأزمات الكبرى -كما حدث في الثلاثينات- تتدخل الدولة، يعني تطبق مبادئ النظام الاشتراكي".
فهتف علي ساخراً: "يعني" الاشتراكية هي الحل"! فضحكوا...
قال عماد: "الاشتراكية تحتاج إلى المخلصين الشرفاء في كل موقع حتى تنجح، وهذا من النادر جداً أن يتحقق".
فأوماً إسماعيل برأسه مؤكداً:
-فعلاً يا دكتور عماد، فالاشتراكية في منبعتها في روسيا نفسها فشلت. ولكن في ذات الوقت، الرأسمالية متوحشة، وتحمل معها بذور فشلها التي ستنتب في أي وقت وستؤدي إلى أزمات قاتلة مدمرة ربما للاقتصاد العالمي كله.
ثم مبتسماً: "والعياذ بالله". ثم ارتشف رشقات من الشاي، وهتف بقوة:
-فعصر "وول ستريت" سينتهي لا محالة!
كاد أن يتساءل طارق عمر عن معنى (وول ستريت)، ولكنه أثر الصمت. وكيفيه كدر وجوده في جماعة غير مقتنع بفكرها...
فاندفع علي متحمساً: إذن: "الإسلام هو الحل".
فهز الغرباوي رأسه موافقاً وهو يعلق على قول علي:
-على الأقل، يحافظ على خصوصيتنا ومبادئنا وقيمنا بدلاً من الأفكار والانحلال والانهيال عابري القارات.
فتلا علي عبد المنعم قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ...} 32.
ولم يكمل الآية لأن روحه صعدت إلى الكوكب الثاني مع الرجل المعلم...
وتجمع الأخوة والدكتور عماد ليسعفونه ويوقظونه ولكن بلا جدوى...

32 جزء من الآية 153 من سورة الأنعام

لم يستطع صلاح الشيمي أن يكتم حبه عن بهيجة؛ فنظراته فضحت حبه أمامها، وتعبيرات وجهه كشفت ما يمور به قلبه، وكل كيانه يعبر عما تفور به روحه... دخلت بهيجة عليه ذات مرة في عيادته بالمستوصف الخيري، فجاش قلبه حباً وغراماً وهياماً، وفاض، ولم يستطع أن يكبح سيل تدفق مشاعره فقال:
- يا بهيجة...

صمت برهة ليجمع عزمه كله، ثم خرج صوته غريباً على سمعه:
- أنا بحبك...

احمر وجه بهيجة، وضرب قلبها ضرباً عنيفاً، وضافت شعبها الهوائية فلم تستطع أن تتنفس... فخرجت مسرعة وهي تشعر أن جبال الدنيا قد جثمت على رئتيها وفتحت فمها لتأخذ هواء... ماذا جرى لي؟! أنا أعلم بحبه من قبل، فلماذا لمّا صارحني لم أستطع أن أتحمّل؟ لقد شعرت بحبه من أول لقاء في المستشفى، وانفعل جسمي لمعاناته فمرضت لمرضه... أنا أحبك أيضاً يا صلاح. أحبك يا حبيبي. أحبك. أحبك. أحبك. أحبك الحب كله. أحبك... هل أحبه لذاته؟ أم أحبه لحبه لي؟ أم أحبه لوقوفه بجواري ومساعدته لي؟ ولكن أنا أحبه حقيقة، إن مشاعري تجاهه متعمقة في أعماق قلبي...

وما ذنب زوجته الطيبة زبيدة؟ ولكن ما ذنبي أنا يا ربي؟ أنا بحبك فعلاً يا صلاح يا حبيبي، ليس بسبب وقوفك بجانبني، ولكن بحبك أنت يا صلاح يا حبيبي... لقد كنتُ حين ألقاك على الدَرَج مصادفة لا أستطيع أن أنظر إليك. وكيف أنظر إلى الطائر المخلق في الجوزاء وأنا على الأرض ليس لي جناحان لألحق بحبيبي؟ وأنى لي أن أرتبط بك وأنت نجم في السماء وأنا في باطن سابع أرض؟ ولكن كيف تدفقت مشاعرك تجاهي وأنت من أنت وأنا من أنا؟ يا إلهي كم أنت عظيم؟ فالحب لا يعرف درجات الناس لأنه هبة منك يا ربي، كم أنت عظيم يا رب... فقلوبنا بين يديك تقلبها كيف تشاء؟ لا تحكم لنا في قلوبنا، لا يوجد زر في القلب للحب، ولكنه يتفجر بإرادتك يا عظيم يا ربي...

أنا بحبك فعلاً يا صلاح. أنا بحبك يا حبيبي. بحب روحك. بحب عينك الخضرة الجميلة. بحب وجهك الأبيض المشع بالحنان والحب ودفء وصدق العاطفة. بحب طولك. بحب مشيتك. بحب ظلك وهو يتبعك في فناء الحوض المرصود. بحب شهامتك. بحب رجولتك. بحبك كلك...

أنا بحبك من زمان دون أن أدري. لقد تفجرت ينباع حبك في قلبي ولن تتوقف أبداً حتى ألقى الله لأن روافدها متشعبة في أعماق قلبي، بل تمتد وتتشعب في كل ذرة من جسمي وروحي وعقلي...

وغنى قلبها:

أمل حياتي يا حب

غالي ما ينتهي ش

قلبي ولا تتنسيــــــــــــش
النهاردة خليني أعيــــــــش
خليني في حضن قلبــــــــك
يا ريت زماي ما يصحنيش
يا أغلى مني عايــــــــه

يا أحلى غنوة سمعها
خذ عمري كله بس
خليني جنبك خليني
وسيني أحلم سيني
أمل حياتي عينيــــــــه

لم تستطع بهيجة أن تكمل العمل، فاستأذنت من مدير المستوصف وعادت إلى بيتها...

-41-

صعدت روح علي عبد المنعم إلى الكوكب الثاني مباشرة. كان المعلم في انتظاره بابتسامته الوادعة الحنون وترحابه الدفيء...
-مرحباً بك يا علي في الكوكب الثاني.
-مرحباً بك يا معلم. إنني صعدتُ بدون المركبة النارية.
ابتسم المعلم وهو يقول:
-الروح لا تحتاج إلى المركبة النارية لأنها مخلوق شفاف وخفيف ويطير حيث أراد. وأنت روح الآن وتعرف حقيقة خفة وشفافية الروح.
-أعرف يا معلم. وروحي وجميع الأرواح المؤمنة تصعد في لمح البصر إلى تحت عرش الرحمن وتسجد لله -سبحانه وتعالى- حين نوم الجسد الذي نرتديه. ولكن الأخوة في لقاء الأسرة متحIRON الآن، فهم يحاولون أن يوقظوني ولكن بلا جدوى!
-لن يستطيعوا أن يوقظوك إلا إذا أراد الله.
سرحت الروح تتأمل في الفضاء اللانهائي أمامها ثم قالت متعجبة:
-الكوكب الأول الرهيب لا يعادل شيئاً في هذا الكوكب.
فرد المعلم بحماس:
-الكوكب الأول يعادل نقطة في هذا الكوكب...
-سبحان الخالق العظيم.
-هيا بنا يا علي، لكي نطير بسرعة الضوء لننتأمل آيات الله المبهرة...
فتساءلت الروح مندهشة:
-يا معلم، كيف ستطير بسرعة الضوء وأنت بجسدك هذا؟
-وما المشكلة في ذلك طالما أن الطيران يتم بحول الله وقوته؟
-لو طار الجسد بسرعة الضوء فسيتحول حتماً إلى فيتونات ضوئية.
فأشرق وجه المعلم بابتسامته المضيئة وهو يهتف:
-أنا رجل لي قدمان؛ إحداهما أرضية، والأخرى سماوية!
تعجبت روح علي وتساءلت:
-ما معنى أن القدم الثانية سماوية؟
-يعني أنني أحمل صفات من حياة الكائنات السماوية، أما الأولى التي في الدنيا فتعني أنني أحمل صفات من الحياة الدنيا.
تعجبت الروح من الرجل المعلم وكنهه وحقيقته، وتساءلت مع نفسها:
كيف يحمل صفات الأرض والسماء في الوقت نفسه؟
وأثناء الطيران في سماء الكوكب بالسرعات الخيالية وفي المسافات الهائلة، تعجبت الروح أكثر من الرجل النوراني الذي لم يتحول إلى فيتونات ضوئية...

عجيب أمرك يا معلم. كيف تعيش في الدنيا والآخرة في الوقت نفسه؟ وكيف تطير هكذا بسرعة الضوء؟ ولكن لم العجب؟ والذي عنده علم من الكتاب أتى بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام في لمح البصر! أكيد طار بسرعة الضوء... فאלله على كل شيء قدير...

صاحت روح علي من الفرح:

-أصف بن برخيا... أصف بن برخيا...

ولمّا وصلا بعدما طارا على عوالم عجبية لا يوجد على الأرض مثلها، تساءل المعلم:

-لماذا تهتف باسم الرجل الصالح أصف ابن برخيا؟

ردت روح علي بثقة:

-أصف بن برخيا هو الذي أتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرف عين سليمان -عليه السلام- إليه. أليس كذلك؟

بلى يا علي.

-إذن، أصف بن برخيا طار بسرعة الضوء ليحضر العرش من اليمن إلى الشام.

تبسم الرجل المعلم:

-لأنه يعلم اسم الله الأعظم.

ثم أشرقت ابتسامته أكثر:

-أكيد ربطت بيني وبينه بسبب الطيران بسرعة الضوء...

فهتفت الروح بكل ثقة:

-أنت أصف بن برخيا.

فقال المعلم وهو يبتسم ضاحكاً:

-يوجد عدد من الصالحين من قدم التاريخ لم يموتوا مثل: أبي العباس، وربما أصف بن برخيا، والإمام الغائب عند الشيعة الإمامية -وإن كان هذا بدعة-، ومن الأنبياء المسيح -عليه السلام-، ومن الملائكة؛ جبريل عليه السلام، وإسرافيل، وميكائيل، وكل الملائكة الكرام تنبض بهم الحياة منذ أن خلقهم الله عز وجل.

ثم صمت برهة وأضاف:

-ويأجوج ومأجوج موجودون منذ خلقهم الله حتى يخرجوا في آخر الزمان قبل قيام الساعة بإذنه تعالى...

ثم صمت أكثر وواصل:

-وإبليس -عليه لعنة الله- يعيش منذ خلقه الله إلى النفخ في الصور. ولكني لستُ من هؤلاء كلهم يا علي.

تساءلت الروح:

-من هو أبو العباس؟

-الخضر عليه السلام.

تحيرت روح علي أكثر فتساءلت:
 -طالما أنك لست من الصالحين المعمرين، فمن أنت؟
 -كلما مر الوقت ستعرفني، وستتضح صورتي أكثر. فاطمئن يا علي.
 ولبت المعلم يتأمل الكون اللانهائي حوله...
 تأملت الروح أيضاً في الكون العظيم حولها، وسبحت بحمد ربها:
 -سبحان عظمتك يا ربي في خلقك... كون رهيب لم يتلوث بالذنوب والآثام كما تلوثت
 الأرض... سبحان عظمتك يا رب...
 ثم استمرت الروح في مناجاتها لله:
 -((يا رب لا توبخني في إبان غضبك، ولا تؤذيني في احتدام سخطك، ارحمني يا رب لأنني
 ضعيف... ارحمني يا رب لأنني ضعيف... ارجع يا رب وحرر نفسي، أنقذني بفضل رحمتك...
 لقد أرهقني تنهدي، فأغرق سريري كل ليلة بدموعي وأبلل بها فراشي. وهنت عينايا من فرط
 الغم...))³³
 بعدما تأمل الرجل المعلم في الكون الرهيب حوله، وناجى ربه، قال بجديّة:
 -يا علي، سوف نلتقي عما قليل مع أول آية من آيات الله في الكوكب الثاني...
 اقترب كائن غريب، مهول الحجم، يسد الأفاق، مضيء، يشع بالحرارة والضوء، وكلما اقترب؛
 زادت الحرارة، وسطع الضوء... فنظروا إليه مندهشين!
 سأل الكائن المشع روح علي:
 -ألا تعرفني يا علي؟
 فردت الروح:
 -من أنت يرحمك الله؟
 فبكى الكائن بكاءً خرافياً مهولاً وتفجرت منه أنهاراً من دموع ساخنة ملتهبة... صرخ
 صراخاً رهيباً مفزعاً مهولاً:
 -كم أنا في حاجة إلى رحمة الله...
 فبكى المعلم والروح لصراخه وبكائه الرهيبين.
 قال المعلم بحماس:
 -هذا هو الرعد يبكي من خشية الله.
 فارتجفت روح علي وبكت، وفي الوقت نفسه ارتجف جسمه في جلسة أحمد الغرباوي، وسح
 بالعرق الغزير...
 قالت روح علي:

³³ المزمور السادس من مزامير داود عليه السلام بتصرف

-سبحان الله. الرعد يتكلم ويبكي من خشية الله.
فصاح الرعد:
-ألم تسمع إلى قوله تعالى: {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ...} 34.
فقال علي والمعلم بلسان واحد:
-كأننا نسمعها لأول مرة الآن.
-حتى السماء والأرض يبكيان. اسمعا إلى قوله تعالى: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} 35...
قال المعلم بوجل:
-تجلت قدرة الله -عز وجل- في كل شيء... حتى العمل الصالح يتجسم للرجل الصالح في قبره في صورة رجل حسن الهيئة طيب الرائحة. فيقول له المؤمن: مَنْ أَنْتَ إِنْ وَجْهَكَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ؟ فيقول: أنا عمك الصالح... وكذلك العمل السيئ يتصور في القبر في صورة رجل قبيح المنظر نتن الرائحة...
قال الرعد بقوة:
-وددت يا علي، لو أكون عذاباً لمن يخلقه الله ويعبد غيره، ويرزقه الله ويشكر سواه، ويكرمه الله ويكرم سواه... ولكن الله أرحم به في الدنيا مني...
ثم أردف:
-لقد كنت سعيداً بانتقام الله الجبار من الأقوام الغابرين المفسدين في الأرض بعد إصلاحها.
قالت الروح:
-إن رحمته -سبحانه- سبقت غضبه...
-صدقت يا علي. ولكن روائح ذنوب البشر قد صعدت إلى السماء فاشمأزت منها جميع المخلوقات العليا...
سكت برهة يسبح الله ثم استأنف:
-لقد كان الكون كله في انسجام تام كما خلقه الله -عز وجل- حتى خلق الله الجان والإنسان، فمار الكون فساداً وإفساداً وضلالاً وإضلالاً...
ظل الرعد يسبح الله بجلال حتى ارتجت أركان الكوكب لتسبيحه...
ثم نظر لروح علي وقال:
-قبل أن أتركك يا علي، أذكرك بتوحيد الله -عز وجل- فهو النجاة لك في الدنيا والآخرة، ولن يقبل أي عمل إلا بالتوحيد الخالص. وهذه هي الرسالة التي كُلِّفْتُ أَنْ أبلغها لك...
عاد الرعد بشكله المخيف، وارتفع إلى السماء رويداً رويداً ليعود إلى كوكب الأرض...

34 جزء من الآية 13 من سورة الرعد
35 الآية 29 من سورة الدخان

كان اللقاء الثاني مع رجل مهيب مضيء بسطوع شديد...

فتساءلت روح علي في وجل وهيبة:

-من هذا يا معلم؟!

-هذا هو البرق يا علي...

دار الحوار كما دار مع الرعد...

ومما قاله البرق:

نحن في سماء الأرض نحب الله مصدر كل خير، ونسبح بحمده تعالى كما تسبحون أنتم يا علي، { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَأَنْتُمْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ... }³⁶ ونحن أيضاً نكي من خشيته كما تكون. والكون كله في انسجام تام، وفي خشية من الله، والخلل لا يأتي إلا من الإنس والجن...

قالت روح علي:

-فعلاً، كون الله في سيمفونية منتظمة بديعة، والنعمة النشاز في هذه السيمفونية هو الإنسان. ووافقه المعلم:

- فعلاً، الخلل لا يأتي إلا من الثقلين الإنس والجن.

وقبل أن يغادر البرق ويعود إلى كوكب الأرض، نصح علي:

-أرجو ألا تغفل يا علي عن تسبيح الله وتمجيده فهو زادك الذي يعينك على أمور الدنيا والآخرة.... وهذه هي الرسالة التي كُلفت أن أبلغك إياها...

كان جسد علي أثناء الحوار مع البرق يضيء ويشع، ويستعجب الغرباوي والأخوة ولا يستطيعون أن يصنعوا شيئاً...

تبسم المعلم:

-أترى، يا علي، إلى مخلوقات الله كيف تجسدت وحرصت على تذكيرك بتوحيد وتسبيحه وتعظيمه؟

-نعم، يا معلم. إن توحيد الله وتمجيده هما النجاة في الدنيا والآخرة...

وكان اللقاء الثالث مع الصواعق التي تجسدت في صورة كائن حي مهيب كما تجسد من قبل الرعد والبرق.

وقبل اللقاء، قال المعلم:

-أنا لا أستطيع أن أحضر هذا اللقاء.

-ولماذا يا معلمي؟

-لأن الروح مخلوق نوراني يستطيع أن يتحمل مقابلة الصواعق. أما أنا، يا علي، فلن أتحمل...

³⁶ جزء من الآية 44 من سورة الإسراء

فاضطربت الروح وتساءلت:
-أتتركني في مثل هذا الموقف الرهيب؟
-أنت تستطيع أن تتقدم، وتخترق حاجز الصوت، وستتحمل... أما أنا فإني أعرف مقامي جيداً،
فلو تقدمت معك لتصدعت واحترقت... اطمئن يا علي. ستحمل الخير منها. الصواعق كلها
خير، ومنها الخير، وبها الخير...
بكت روح علي وهي تقول:
-أفي هذا اللقاء يترك الحبيب حبيبه؟!
لم يرد المعلم. والتقت روح علي مع الصواعق. ولم أسمع عن أحد في ذلك الوقت عرف ما تم
في لقاء علي والصواعق، ولا الدروس والعظات التي تلقاها، ولا الرسالة التي كُلف بها، ولا
انعكاس هذا اللقاء على إيمانه وروحه...
وكان جسده يرتجف بقوة أشد وأعظم من الرجفة مع الرعد والبرق. وكذلك العرق أيضاً كان
أغزر. ولم يستطع أحد من زملائه أن يوقظه إلا بعد لقاء الصواعق، حينما عادت روحه إلى
جسده بعد غياب دقائق معدودة بالنسبة لزمن الأرض...

-42-

تناثرت الأقوال والإشاعات، ولاكت الألسنة عن الحب المتبادل بين الدكتور صلاح الشيمي والمرضة بهيجة فرحات... لذلك طلب الدكتور أحمد إسماعيل من الدكتور صلاح الشيمي أن يشرب معه الشاي تحت شجرة الصفصاف العتيقة بعد الكونسلتو.

نظر الدكتور أحمد إلى أوراق الشجرة المعمرة وهو يقول:

-الجو اليوم ربيعي جميل، ورياح الخماسين بعوائها الغبي وهياجها لم تولد بعد.

-أظن أنها تهب في الغالب في شهر مايو وجزء من يونيو.

تبسم أحمد إسماعيل قائلاً:

-يعني أمامنا شهر نستمتع بالربيع ونضارته إن شاء الله.

أتى عم محمود بالشاي.

أخذ الجد يكسو ملامح الدكتور أحمد هو يهمس:

-سأكلّمك في موضوع هام يخصك وأرجو أن تتقبله بحسن نية.

أكد ستتكلّم فيما أفصحت فيه عيناى بحب بهيجة. أكيد...

-تفضل يا دكتور أحمد.

قال أحمد بصوت منخفض:

-البعض هنا يرجفون بحبك للممرضة بهيجة.

فتساءل الدكتور صلاح بتوتر وقلق:

-ومن أخبرهم أنني أحبها؟

-هم يتحدثون عن هيامك بها حين تتحدث معها.

-أنا ساعدتها في البحث عن عمل بوزارة الصحة. وهي تشعر بالامتنان لي.

لا تهرب مني يا أبا الصلح فعيناك قد أخبرتني بكل شيء...

قال أحمد بقوة:

-ألست صديقاً لك؟ أخبرني بالحقيقة حتى نتناقش على بينة، ونجد حلاً لكلام المرجفين، وما أكثرهم في هذه المستشفى...

فتعصب صلاح:

-أنا فعلاً، قد وقفت بجانبها في التعيين في الوزارة.

-كلنا نعرف أنك قد قمت بكل إجراءات التوظيف بالوزارة، ولكن وقوفك معها وقتاً طويلاً ونظراتك لها ونظراتها لك، أدى إلى القيل والقال...!

أتريد أن أخبرك أنني أحبها. هذا صعب يا أحمد يا إسماعيل. صعب. صعب...

تساءل صلاح بانفعال مصطنع:

-هل حديثي معها في الحب والغرام؟

تبسم الدكتور أحمد وهو يرد:

يا شيمي، حديثك عادة يكون عن instruction³⁷ حول مرضاك في القسم الداخلي، ولكنه طويل جدا عن المعتاد، ويصاحبه نظرات المحبين الولهانيين... ويبدو أنكما لا تشعران بمضي الوقت من الهيام والغرام...

قال صلاح وهو يحاول أن يند ابتسامة في جوفه:

-يا دكتور أحمد، أنتم لا تعلمون أنها تسكن في بيتي منذ سنين عديدة، يعني هي جارة.

أخذ الدكتور أحمد رشفة كبيرة من الشاي، وأسقط أشعة فاحصة في عيني صلاح:

-يا أخي الفاضل، لا داعي لئن ننأى بعيدا عن الهدف الذي أحضرتك هنا من أجله. فهيا بنا نجد حلاً عملياً للقليل والقال. وما أكثر التافهين الذين لا يجدون عملاً في المستشفى إلا الخوض في أعراض الناس!

استسلم صلاح قائلاً:

-تفضل. أخبرني ما هو الحل الذي تراه؟

قال أحمد وهو يرشف الرشفة الأخيرة من الكوب:

-أفضل شيء أن نُنْدَب فترة طويلة جداً وألا تأتي المستشفى للكونصلتو ولا حتى لتسلم الراتب. ووكّل أحدنا لاستلام الراتب بدلاً منك حتى يضيع هذا الموضوع من ذاكرة التافهين هنا.

فقال صلاح بخضوع وضعف:

-لا أستطيع يا دكتور أحمد.

فتبسم الدكتور أحمد ضاحكاً مقهقهاً مترنماً:

-رجعوني عينيك لأيامي اللي راخوا علموني أندم على الماضي وجراحه

اللي شفته قبل ما تشوفك عينيّه عمر ضايح يحسبوه ازاي عليّ

أغمض صلاح الشيمي عينيّه، وحرق إلى الأرض مطرقاً صامتاً خجلاً...

قال أحمد:

-أشرب الشاي سيبرد.

بدأ صلاح يشرب الشاي. تساءل والخجل يلفه:

-ماذا تفعل لو كنت مكانني؟

تبسم أحمد وهو يهتف بقوة:

-الانتداب هو الحل...

تبسم صلاح لتبسم أحمد وقال:

-وإذا كنت لا أستطيع؟

ملاً الضحك وجه أحمد:

-حاول.

وبنبرة إشفاق:
-ولكن أخبرني يا صلاح، هل هي تحبك فعلاً؟
طأطأ صلاح رأسه خَجلاً...
-أخشى أن تكون بهيجة قد نصبت شباك الحب حول قلبك المسكين.
أوما صلاح برأسه نفياً، فضحك الدكتور أحمد وهو يضرب كفا بكف برفق ويقول:
-(دنچوان) و(دنچوانة) في الأربعينات!
فقال صلاح بحياء:
-الحب ليس بأيدينا حتى نتحكم فيه...
-حدث هنا أكثر من قصة حب بين طبيب وطبيبة. ولكن هذه أول قصة حب في المستشفى بين
طبيب وممرضة.
- القدر.
-ولكن ماذا ستصنع زوجتك؟
ثم انفجر أحمد ضحكا وهو يجيب لنفسه:
-أكيد ستضربك بالنار!
ضحك الشيمي داعياً:
-ربنا يستر.
-أصدقك النصيحة كأخ أكبر لك، أنا أرى أن تبعد فترة طويلة عن المستشفى حتى يتبين لك
مشاعرك الحقيقية تجاهها. وكما قيل في المثل: "البعيد عن العين بعيد عن القلب".
-ولكنها -كما قلت لك- تسكن في بيتي.
تفرس أحمد وجه صلاح وقال:
-عجيب أمرك يا شيمي. تسكن في بيتك منذ عدة سنوات ولا تحبها إلا حينما تعمل بالمستشفى.
-فعلاً، قدر عجيب.
فاحتد أحمد:
-ولكن استمراركما في العمل بالمستشفى، سيزيد من الهمز واللمز، والقليل والقال؛ فلا بد من حل
سريع ناجع.
فقال الشيمي بيأس واستسلام:
-للأسف، أنا لا أجد حلاً.
-يا سعادة الدكتووووور... إذا لم ترَ الانتداب هو الحل، فالزواج هو الحل...

-43-

استأذنت بهيجة وعادت إلى بيتها بعدما صرح لها صلاح بحبها في المستوصف. وفي الطريق كانت تريد أن تحضن الشجر، والناس، والسماء، والأرض، وكل شيء...
لقد ولدتُ مرتين يا حبيبي، المرة الأولى حينما ولدتني أمي، والثانية حين تسلل حبك إلى فؤادي وتخلل وامتزج في كل ذرة من ذرات جسمي...
لقد روى نهر حبك أرض قلبي العطشانة المتصدعة اليابسة البلقع...
يا حبيبي... لقد روى حبك نفسي الميتة الهالكة فأحيانا وأحي كل ذرة من كياني...
يا حبيبي... لقد أحيانا حبك روحي اليائسة الميتة...
لقد أثار حبك أغوار نفسي الكئيبة المظلمة...
لقد أشرقت شمس حبك في روحي فبعثت فيها الحياة والنضارة والسعادة والحبور...
لقد مرت كل أحزاني كأنها لمح البصر بمجرد أن نبض قلبي بحبك...

ماذا أقول يا حبيبي يا صلاح؟
أقول إن السعادة قد رفرفت في كل أنحاء روحي؟ إن هذا لا يكفي في التعبير عن حبك...
أقول إن السعادة فد طارت بي وحلقت عند سدرة المنتهى؟
إن هذا لا يكفي في التعبير عن حبك...
اللغة لا تساعدني في البوح بحبك...
قلبي مغمور بمعان رهيبة يعجز لساني وتعجز بلاغة لغات العالم كلها في التعبير عنها...

ماذا أقول يا حبيبي؟
أقول إن السعادة التي تغمرني الآن تملأ الكون كله وتفيض؟
أقول إن السعادة التي تغمرني الآن تمسح الحزن عن كل الحزاني؟
أقول إن السعادة التي تغمرني الآن تمسح البؤس والكرب عن الثكالي؟
أقول إن السعادة التي تغمرني الآن تزرع البسمة في شفاة اليتامى؟
بماذا أقول وأعبر عن السعادة التي تحتويني يا حبيبي؟
بماذا أقول وأعبر عن حقيقة حبك يا صلاح؟
حب وسعادة وفرحة وبهجة وانسراح وسرور وحبور...
أخشى على قلبي ألا يتحمل هذه الجرعات من الحب...
أخشى على نفسي أن تذوب من فرط السعادة...
أخشى على روحي أن تحترق من وهج الفرحة...
سعادة في سعادة في سعادة...
سعادة في بهجة في فرحة في انسراح في حب في حبور في سرور...

خطة عجيبة من المعاني النبيلة السامية التي لا أستطيع أن أعبر عنها...
لا أستطيع أن أكتبها... لا أستطيع أن أتفوه بها بلساني...

ماذا أقول يا حبيبي يا صلاح؟
لو قلت إنني أحبك، فلن أوفي المعاني الجياشة التي يفور بها قلبي وتمور بها نفسي وتشع بها
روحي ويلهج بها كل كياني...
إن ربي فقط هو الذي يعلم حقيقة ما أحس به الآن من الحب والسعادة والفرحة...

ولكن قلبي مسكين يا ربي، فهو لا يستطيع أن يتحمل هذه الجرعات السعيدة....
أنا فعلا، لا أستطيع أن أتحمل هذه السعادة...
إن قلبي تأقلم مع الحزن والكآبة والشقاء أعواما طويلة...
أعوام طويلة مملّة من الهم والحزن والكرب...
في مصر وفي السعودية وفي مصر مرة أخرى...
أخشى عليه أن يتمزق...
أخشى عليه أن يتهرأ...
أخشى عليه أن يحترق...
بل أخشى عليه أن يتفحم...

لقد خبئت لي يا ربي أعظم قدر -وكل أقدارك عظيمة- في حب صلاح...
ما أعظمك يا رب... وما أعظم أفعالك... وكل أفعالك خير...
ما أعظم أفعالك في قلوب العباد التي تحركها كيفما شئت ووقتما شئت...
إن الحب يا ربي، هو أعظم شيء في الوجود...
هو الذي تفجره في قلوبنا بإرادتك الأزلية النافذة...
ولا حول ولا قوة إلا بك...
يا حبيبي، يا صلاح، أنا بحبك، وبحب حبك، وبحب ربي الذي فجر حبك في قلبي، يا حبيبي يا
صلاح...

ماذا أقول يا حبيبي يا صلاح؟
أقول إنك يا حبيبي، قد ذبت في الشجر؟
أقول إنك قد ذبت بكل فرع أخضر؟
أقول إنني أراك ممتزجا بكل ورقة خضراء؟
أقول إن كل ثمرة في كون الله قد تفجرت حلاوتها بذوبانك فيها؟
أقول إن كل ذرة في كون الله قد فاحت نضارة وعبيرا وسعادة بذوبانك فيها؟

إن لغات العالم لا تسعفني يا حبيبي يا صلاح، في التعبير عن حبك بالرغم من البلاغة التي
كساها حبك للساني...
أريد أن أحضن كل الشجر الذي أمامي...
يا حبيبي، يا صلاح، أنا بحبك...
يا حبيبي، يا صلاح، أنا بحبك فعلا وحقيقة...
فعلا وحقيقة...
فعلا وحقيقة...
فعلا وحقيقة...
يا حبيبي، يا صلاح، أنت ذبت في كل نسمة هواء...
أريد أن أحضن الهواء لأحضنك يا حبيبي...
أنت يا حبيبي، ممزوج بكل ذرة من أجساد الناس...
أريد أن أحضن كل الناس لأحضنك يا حبيبي...
أنت يا حبيبي، ممزوج بكل جرم من أجرام السماء...
بل بكل ذرة من السماوات نفسها...
أريد أن أحضن السماوات...
أريد أن أحضن السماوات لأحضنك يا حبيبي...
يا حبيبي أنت قد ذبت بكل ذرة في هذا الكون... أريد أن أحضن الكون... أحضن كل شيء لأنك
ذائب فيه يا حبيبي...
أريد أن أحضن كل الناس الذين أمامي، كل السيارات، كل القطارات، كل المنازل، كل شيء...
كل شيء... كل شيء...
أريد أن أضم إلى صدري نهر النيل، وأنهار الدنيا، وبحار الدنيا ومحيطاتها...
بل أريد أن أحضن كل ذرات الأرض والسماوات...
إن قلبي يريد أن يكون له ذراعان ممدودان إلى مالا نهاية ليحضن الكون اللانهائي الممتدد
أمامي...
أريد أن أضم كل الكون إلى حضني ضما أبديا أزليا...
ضما أبديا أزليا...
ضما أبديا أزليا...
ضما أبديا أزليا...
ضما أبديا أزليا لا فراق فيه أبدا... أبدا... أبدا...
إن لغات العالم لا تسعفني في التعبير عن حبك...
أنا فعلا، لا أستطيع أن أعبر عما يجيش به فؤادي...
ثم هتفت بلسانها: -الرحمة يا رب... الرحمة يا رب...

-44-

أحست زبيدة بالتغيرات التي طرأت على صلاح الشيمي، وعلمت بالحبيبة الجديدة...
المحب الولهان. ما هذا يا صلاح؟ أتحب ممرضة؟ شيء عجيب. إنها تسكن عندنا منذ عشر
سنوات أو أكثر، فلماذا الحب الآن؟! بهيجة ليست أجمل مني. ومستواها الاجتماعي متدني. ما
هذا الذي يحدث يا ربي؟
عاد الشيمي من المستوصف الخيري وهو مبتهج...
طبعاً، منتشي بعد مقابلة الحبيبة والعمل بجوارها في المستوصف مساءً والمستشفى صباحاً...

-يا حبيبتي... لا أستطيع أن أراك كل أسبوعين كما يشترط والدك.
-بابا يريد ألا تؤثر خطوبتنا على دراستي في الماجستير.
-أنا لا أستطيع أن أصبر طوال هذين الأسبوعين.
-يا حبيبي، ستة أشهر وسأتم الماجستير وسنتزوج إن شاء الله.
-يا مهجة فؤادي، كلمي عمي ليجعل المدة أسبوعاً بدلاً من أسبوعين.
-لا أستطيع يا صلاح.
-أرجوك أنا لا أستطيع صبراً...

حقيقة، أنت لا تستطيع صبراً الآن على عدم رؤية الحبيبة الجديدة يا صلاح.
-ماذا بك يا زبيدة؟ ألا تعيشنا اليوم؟
لم ترد زبيدة، وظلت ساهمة شاردة... فسألها بصوت عالٍ: "أين أنت يا زبده؟"
أفاقت على كلمة زبده وقالت: "لم تقل لي زبده منذ فترة طويلة!"
-يا حبيبتي، سأقولها لك دائماً.
يا حبيبتي!... القلب يحب اثنين؟! الغربال الجديد له شدة... الحب الجديد مفعم بالحياة والحيوية...
الحب الجديد له توهج...
-تقول لي: يا حبيبتي؟
أشعة شرار تتفجر من عينيك يا زبيدة... أكيد حسك الأنثوي قد أوحى إليك بشيء. ماذا أصنع يا
ربي؟ ألطف يا رب. ألطف بعبدك المسكين...
تساءل صلاح في تلثم:
-ماذا تقصدين يا حبيبتي؟
فردت عليه متسائلة أيضاً:
-لماذا يا صلاح تعمل الآن في المستوصف الخيري وتقطع جزءاً كبيراً من وقت عيادتك؟

- عملي بالمستوصف هو عمل تطوعي لله. ومع ذلك فليس مجانياً، إنما أتقاضى منه راتباً شهرياً.
- ولكن ألا يؤثر ذلك على عيادتك؟
- طالما أن العمل لله، فلن يؤثر على عيادتي ولا على دخلي منها.
أخذت زبيدة صلاح بعيداً عن ابنيهما وتساءلت:
- ألم تسمع إلى قوله تعالى: {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} ³⁸؟!
لم يرد. فسألته:
- ألم تفهم الآية الكريمة؟
- ماذا تقصدين أنت بالآية الكريمة؟
أجابته زبيدة في قوة:
- إذا كنت لم تفهم الآية، فمن المؤكد أنك تفهم الأغنية التي تغنيها شادية وتقول فيها:
ما اقدرش أحب اثنين
علشان ما ليش قلبين!
توهج وجه صلاح ولم يستطع أن يتكلم أو أن ينظر إلى عينيها المحاصرتين له...
- لماذا لا تجبني؟ ألسنتُ حبيبتك؟
من المؤكد أن معركة حربية على وشك الانفجار... ألطف يا رب بعبدك المسكين الغلبان...
تقلقل قلب زبيدة وانتفض وغلَى كالمرجل وتفجرت مشاعرها فبكت...
حاول الشيمي أن يربت على كتفها، فدفعت يديه. واستسلمت للبكاء الشديد...
الأمر أمرك يا رب... القضاء قضائك... أهدني يا رب إلى الوسيلة التي أتفادى غرق السفينة...
الرياح عاتية... الرياح عاتية عنيفة... ماذا أصنع يا رب؟ ماذا أقول لها؟
هدأ قلب زبيدة نسبياً، واستطردت بمرارة:
- تبحت عن عمل للحبيبة بوزارة الصحة فلا تجد مستشفى إلا الحوض المرصود. ولا تستطيع
أن تغيب عنك الحبيبة في المساء، فتترك عيادتك ساعات طويلة وتعمل بالمستوصف حتى تكون
بجوارها. ألا يكفيك أن تكون بجوارها صباحاً؟
حاول الشيمي أن يزدرد ريقه الجاف فلم ينجح. بحث عن كلمات ليرد فلم يجد. بحث عن أي
فعل ليهداً من روع زبيدة فلم يفلح. فأطرق رأسه في الأرض واستسلم للصمت العميق...
قالت زبيدة وقد عاد إليها تماسكها:
- أتخونني بعد هذا العمر يا صلاح؟
تماسك الشيمي وقوى من عزمه وهو يرد:
- أنا لم أخنك يا حبيبتي.
صاحت: - "لا تقل حبيبتي. فلستُ حبيبتك الآن".
أخذ صلاح زبيدة في حضنه، فابتعدت عنه وسألته في حنق: "أتحب ممرضة علي؟"

تماسك الشيمي أكثر ورد:
-ربما شفقة على أوضاعها. إنما الحب الحقيقي لك يا حبيبتي.
-أتكذب يا صلاح بمنتهى البساطة؟
يجوز الكذب في هذه الحالة يا زبده...
-كيف أكذب عليك يا زبده؟
استجمعت زبيدة قوتها ثم قالت:
-إذا كنت لا تحبها فعلاً، فاترك العمل بالمستوصف وركز في عيادتك واعمل بمستشفى أخرى بعيداً عن الحوض المرصود.
-كيف أترك الحوض المرصود وأشتغل بعد ذلك كأخصائي جلدية وتناسلية؟
فتساءلت زبيدة في غضب:
-صحيح. كيف تترك الحوض المرصود وتبعد عن الحبيبة؟!
-يا زبيدة، حينما أبتعد ثلاثة أشهر عن المستشفى في الانتداب، يهبط مستواي العلمي. ولست وحدي في هذا الأمر، فكل أطباء المستشفى يحدث لهم ذلك.
-ولم يا صلاح؟
-لأن الحالات الهامة في تخصصي لا نراها إلا في الحوض المرصود.
-عجيب أمرك يا صلاح. أكل أخصائي الجلدية في البلد فاشلون إلا الذين يعملون في الحوض المرصود؟!
تبسم الشيمي وهو يجيب:
-كثير منهم يأتون في كونصلتو يوم الاثنين ليشاهدوا الحالات الهامة، حتى بعض أعضاء هيئة التدريس في طب القاهرة وعين شمس يحضرون هذا الكونصلتو.
-ولماذا يحضرون عندكم؟ ألا يشاهدون الحالات الهامة في مستشفياتهم الجامعية؟
-توجد حالات هامة كثيرة في المستشفيات الجامعية ولكن عندنا أكثر بكثير جداً، حتى الحالات النادرة تأتي إلينا أكثر من عندهم.
قل الحقيقة يا صلاح بدلاً من هذا اللف والدوران...
تساءلت زبيدة في خبت:
-وهل هذه الحالات النادرة تأتي في المستوصف الخيري أيضاً؟!
لم يستطع الشيمي أن يرد. صرخت:
-بيتنا أهم من ألف حوض مرصود أو مستوصفات خيرية أو حالات نادرة...
-عندك درجة الغيرة زائدة يا زبيدة.
فاحتدت غاضبة:
-ليست غيرة، إنما ما يحدث الآن ما هو إلا إرهابات لخراب بيتنا للأسف. ثم استسلمت لنوبة بكاء شديدة...

-45-

جلس الدكتور صلاح الشيمي مع الدكتور أحمد إسماعيل تحت شجرة الصفصاف بعد انتهاء العيادات الصباحية وأثناء انشغال الأطباء بالكونصلتو. تتمم الشيمي:

-الحمد لله، نستطيع أن نتحدث الآن بعيداً عن الزملاء المشغولين بحالات الكونصلتو. وبوجل:

-يا دكتور أحمد، أرجوك توسط لي عند المدير ليلغي هذا الانتداب. تبسم أحمد إسماعيل. رد:

-ولكن مستشفى المنيرة قريبة من الحوض المرصود. بسيارتك البولونيز ستأخذ ثلاث دقائق لتصل إلى هنا. ثم أضاف ضاحكاً:

-وترى حبيبتيك. تساءل صلاح حائراً:

-هل سأترك العمل لكي أراها؟ أجابه الدكتور أحمد بصوت خفيض:

-في الانتداب لديك يومان بدون عمل. تعالى إلينا. واحضر الكونصلتو. وتمتع برؤية الحبيبة... قال صلاح حزيناً:

-أرجوك توسط لي عند الدكتور سليم ليلغي هذا الانتداب. وبمرارة:

-كفاني انتدابات. أنا أكثر واحد أنتدب في هذه المستشفى. ضحك أحمد وتساءل:

-كيف ألغي هذا الانتداب وأنا الذي رشحتك له؟ فسأله صلاح حائراً:

-كيف ذلك يا دكتور أحمد؟ أخذ الدكتور أحمد رشفة من الشاي وقال:

-يا شيمي... لقد لاكت الألسن قصة حبك للممرضة بهيجة حتى وصلت للمدير. فناقشني في علاج هذا الأمر، فقلت له: أن يرشحك للانتداب فترة طويلة ولو تسعة أشهر أو حتى سنة حتى تُقطع هذه الألسن...

وضع الشيمي يديه على رأسه وتأمل في رمل فناء المستشفى تحت رجليه ثم قال:

-المشكلة هنا بالمستشفى أمرها هين. الآن تأزم كل شيء بعد معرفة زوجتي لهذا الحب، وهي لا تقبل بتاتاً أن تكون لها ضرة. طبعاً، لن توافق أن تكون ضررتها ممرضة.

فقال الشيمي بحدة:
-حتى لو كانت وزيرة، فلن توافق.
ثم واصل بضيق:
-ولو أمضيئ الزواج من بهيجة فستطلب الطلاق أو حتى الخلع الذي ذاع صيته في هذه الأيام.
-ألا يوجد وسطاء في العائلة ليتدخلوا ويحلوا هذا الإشكال؟
-الموضوع حساس فلم ندخل أحدا حتى الآن.
صمت الدكتور أحمد ليفكر. كاد أن يقول اجعلني واسطة بيني وبين زوجك ولكنه أحجم. تساءل:
-كيف تقول إن الأمر هنا هين؟
-بعد دقائق من الآن سأحل مشكلة الألسن الطويلة هنا.
تعجب الدكتور أحمد وتساءل:
-كيف ذلك؟
تبسم الشيمي تبسم الواصل وهو يجيب:
-سأكون معي لترى بعينيك وتسمع بأذنيك.
وبالحاح:
-ولكن أرجوك. أرجوك يا دكتور أحمد، أن تلغي هذا الانتداب.
-عجيب أمرك. عجيب أمرك يا صلاح. أليست هذه الممرضة تسكن في بيتك؟ فما المانع أن
تنتدب إلى أي جهة طالما أنك تستطيع أن تراها في أي وقت؟
-كيف أراها في البيت في أي وقت؟
صمت الدكتور أحمد ليفكر ثم قال:
-أمامك حلان؛ إما أن تنساها وتخرجها من قلبك تماماً حفاظاً على بيتك من الانهيار، وإما أن
تتزوجها زواجاً عرفياً وهو منتشر الآن في البلد كلها.
وبهسيس:
-ولكن هذا الزواج العرفي لابد أن يكون معلناً هنا في المستشفى كأنه زواج عادي حتى تقطع
الألسن المشحودة للنهش من عرضك وعرضها.
صمت أحمد ليتأمل هذين الحلين ثم أضاف متبسماً:
-وعليك أن تجد سكناً بعيداً عن بيتك لتقابل عروستك الجديدة.
تبسم الشيمي، وتورد وجهه بالبشر. قال:
-تقريباً أنا أوافقك على الحل الثاني ولكن أرجو أن تلغي الانتداب.
احتد أحمد إسماعيل:
-يا أخي، كرامتك أهم من أي شيء. تحمل البعد عنها فترة معينة حتى تقرر الزواج منها.
ثم هتف بقوة:
-كفى مراعاة يا رجل!

فقال الشيمي:
-أنت لم تجرب الحب.
تبسم أحمد قائلاً:
-جربناه يا سيدي.
ثم غمغم:
-ربما تكون أحاسيسك هي أزمة منتصف العمر، وليست مشاعر حب حقيقي.
فغر الدكتور صلاح فاه مندهشاً...
ففسر أحمد:
-لا تتعجب. فكثيرون غيرك يعانون مما تعانيه ويظنون أنهم قد وقعوا في شباك الحب. وفي الحقيقة ليس بحب ولا يحزنون، إنما هي أزمة منتصف العمر.
فاعترض الشيمي:
-لا وألف لا يا دكتور أحمد. هو الحب بعينه.
صمت الدكتور أحمد ولم يعقب.
قال صلاح بحماس:
-هيا بنا إلى الكونصلتو لأقطع الألسن الجبابة...
دخل صلاح الشيمي ويتبعه أحمد إسماعيل إلى حجرة الكونصلتو الكبيرة. ثم انتظر حتى يفرغ الأطباء من مناقشة الحالة التي بين أيديهم. وقبل بدء نقاش الحالة التالية، أمر الشيمي المريض أن ينتظر قليلاً خارج الحجرة، ثم قال بصوت جهير:
-أيها الزملاء. إنني أحب الممرضة بهيجة. ولقد اتفقنا على الزواج في القريب العاجل كما أمرنا الشرع، ونحن نعد الآن لإجراءات الزواج. ولا داعي للخوض في هذا الأمر أكثر من ذلك.
وأسف على قطع ال³⁹consultation.

³⁹ الكونصلتو

زار الأستاذ أحمد الغرباوي وأفراد أسرته الإخوانية التي تضم صلاح الشيمي وإخوانه الشيخ عبد الحميد كامل في بيته...

كان صلاح الشيمي وإسماعيل عبد الفتاح يصليان صلاة الجمعة في مسجد الشيخ عبد الحميد في السبعينات، وكانا يزوران في بيته أحيانا.

وكان مسجد الشيخ قبلة المصريين في السبعينات حيث كان يصلي ورائه في صلاة الجمعة أكثر من مائة وخمسين ألف فردا... وقد كان أكثر من مسجد في تلك الحقبة قبلة لجماهير غفيرة من المصلين. وكانت الصحوة الإسلامية في أوجها. وكان الرئيس السادات قد أتى بعد الحكم الناصري الديكتاتوري الغاشم، لذلك سمح ببعض الحريات حتى يخفف عن الشعب المعاناة في الحقبة السابقة؛ فظهرت بعض الأحزاب المعارضة كحزب العمل الاشتراكي، وحزب الأحرار اليمني، وحزب التجمع اليساري، وطبعاً، ظهرت بعض صحف المعارضة، وانتشرت أيضاً، ظاهرة المساجد المعارضة لنظام السادات الحاكم، وكان مسجد الشيخ عبد كامل من تلك المساجد المعارضة...

والشيخ عبد الحميد كامل يحب الإخوان المسلمين وتحدث عنهم كثيراً وبخير حينما كان يخطب. ولقد أعتقل الشيخ في اعتقالات 4 سبتمبر 1981، وخرج بعد مقتل السادات بعدة أشهر، ولم يعد إلى منبره حتى الآن بالرغم من عدم إدانته من المحكمة التي حوكم أمامها! رحب الشيخ بهم. وعرف صلاح وإسماعيل أفراد أسرتهما إلى الشيخ...

سأل الغرباوي الشيخ عن أي بارقة أمل في عودته إلى منبره، فرد الشيخ: -في عام 1985، طلبوني لمقابلة هامة في مقر مباحث أمن الدولة الرئيسي بلاطوغلي. وكان الجو شديد البرودة، ومع ذلك، ظلت ماکثاً هناك أكثر من ثلاث ساعات حتى أذنوا لي بالدخول على الضابط المسئول عن ملف مسجدي!

هز الغرباوي رأسه: "هذا المكث الطويل من أساليبهم في المخابرات وفي أمن الدولة حتى يحطموا الفرد نفسياً قبل التحقيق".

استطرد الشيخ: "ولما دخلت على الضابط، قال لي: "ألا تريد أن تعود إلى منبرك؟" فقلت: بلى". فتبسم الشيخ ساخراً: قال لي: "العودة إلى منبرك سنحققها لك بشروط ثلاثة"...

فقاطع الغرباوي الشيخ: "وما لأمن الدولة والمنابر أصلاً؟"

فرد الشيخ: "أمن الدولة أضحي الآن دولة فوق الدولة!"

فاحتد إسماعيل عبد الفتاح حانقاً: "دولة فوق الدولة. دولة داخل الدولة. المنابر ليست من اختصاصه، وإنما هي اختصاص وزارة الأوقاف أصلاً".

وقال صلاح الشيمي: "حتى لو كان المسجد له شعبية وجماهير غفيرة..."

وقال علي عبد المنعم: "بالإضافة أنكم يا فضيلة الشيخ، لم تُدانوا في المحكمة التي حوكمتم فيها كما سمعنا".

فتبسم الشيخ ضاحكا وهو يقول: "السادات حبسنا رهينة في المعتقلات حتى تخرج إسرائيل من آخر جزء من سيناء طبقا لمعاهدة السلام".

فقال الغرباوي: "ولكن الرئيس مبارك أخرج كل المعتقلين قبل الموعد النهائي لخروج الصهاينة في أبريل 1982، ومع ذلك خرجت إسرائيل من سيناء ماعدا طابا، ولم تتحجج بالمعارضين لمعاهدة السلام الذين خرجوا من المعتقلات".

فلو ما الشيخ رأسه مؤكدا: "مبارك أخرج ثلاثين من المعتقلين واستقبلهم في قصر الرئاسة بمجرد توليه الرئاسة، ولكننا خرجنا كلنا بالمحاكمات التي برأتنا من تهمة نظام السادات التي لفقونا إياها..."

فتبسم الغرباوي وهو يسأل الشيخ: "ما هي الشروط الثلاثة التي اشترطوها في أمن الدولة لكي تعود للخطابة؟"

فتبسم الشيخ ساخرا وهو يجيب:

- "أول شرط أن أخطب في كل جمعة في مسجد جديد"، يعني لن أخطب في مسجدي كما كان من قبل، ولا في مسجد ثابت.

فتبسمت وقلت للضابط: والشرط الثاني؟ فقال:

"لن أعرف المسجد الذي سأخطب فيه إلا قبل صلاة الجمعة بوقت قليل".

فضحكت ساخرا وقلت: والشرط الثالث؟ فقال:

"لن تخطب إلا في مسجد فيه ضريح".

فصمت ولم أعقب. فقال الضابط: "ما لك صامت! أموافق على هذه الشروط؟" فقلت له وللضابط

الحاضرين الذين كانوا يعلقون أحيانا: أنتم قد فكرتموني بمسألة رياضية سألها معلم لتلاميذه.

فسكت لأشدد تفكيرهم. فقالوا: "وما هي؟" فقلت: هي مسألة ثلاثية أيضا على وزن شروطكم الثلاثة. قال الأستاذ: إذا كان القطار به ثلاث عشرة عربة، والعربة بها أربعون راكبا، ووزن الركاب بين ثلاثين وثمانين كيلو جراما، فمتى يصل إلى طنطا إذا تحرك من محطة القاهرة في الثالثة بعد الظهر؟!...

فغضب المحقق وقال "أقول لنا فوازيير؟" فقلت له: هي مسألة ليس لها حل كشروطكم الثلاثة التي لن يوافق عليه أي أحد...

وانقطع الاتصال معي منذ ليلتها، يعني منذ عشر سنوات.

بدأوا يحتسون الشاي. فاسترسل الشيخ:

-ويا ليت الأمر وقف على عدم الخطابة، إنما كلما ذهبت لأصلي صلاة الجمعة، مأموما طبعا، أجد ثلاث سيارات ورائي تراقبني حتى تتأكد أنني لن أخطب.

فقال الغرباوي:

-جهاز أمن الدولة أصبح له أذرع في كل مؤسسات الدولة.

وبامتعاض:

للأسف.

وقال إسماعيل عبد الفتاح:
-حينما كنا في الجامعة في السبعينات، كان يعين عميد الكلية بالانتخاب.
فأولاً صلاح الشيمي برأسه ناحيته:
-ليس فقط في السبعينات يا إسماعيل، بل حتى بداية الثمانينات كان تعيين عمداء الكليات بالانتخاب، أما بعد ذلك فبالترشيح.
واستكمل الغرباوي:
-ولابد من الموافقة على التعيين من جهاز أمن الدولة.
وبقرف:
-وحتى تعيين أصغر موظف بالجهاز الحكومي لابد من موافقة أمن الدولة عليه أولاً. ولم يقتصر على موظفي الحكومة، إنما الصحافة والإعلام والقضاء، والأحزاب. فلهم الآن أذرع في كل مكان كالإخطبوط!...
ثم بصوت خفيض:
-بصراحة، إن دور هذا الجهاز الهام هو مكافحة الإرهاب والحفظ على أمن البلاد من الجواسيس والعملاء والخونة.
ثم ساخراً:
-ربنا يجعل كلامنا خفيف عليهم.
فضحكوا.
تهكم الشيخ عبد الحميد:
-بصراحة، إن دور جهاز أمن الدولة الآن هو الحفاظ بأي شكل على النظام الحاكم وكرسي الرئيس...
فاعترض الغرباوي:
-ولكن له دور كبير في مكافحة الجماعات الإسلامية الإرهابية والمسلحة. ولقد ضحى كثير من ضباط أمن الدولة بأرواحهم وهم يحاربون تلك الجماعات الإرهابية، ولازالوا يضحون. وبصراحة يا شيخ عبد الحميد، أنا لي عتاب عليكم وعلى كثير من المشايخ الفضلاء مثلكم.
تفضل يا أستاذ أحمد، خير؟
-حينما كنتم تخطبون، لم يتعد دوركم إلا مهاجمة النظام السابق والرئيس السادات، بينما تركتم الجهاد والجماعة الإسلامية والتكفير والهجرة يفسدون في الأرض حتى وصل فسادهم إلى قتل الرئيس السادات الله يرحمه في المنصة.
-لم يكن دوري هو مهاجمة السادات الله يرحمه، إنما دوري كان ولازال هو الدعوة إلى الله عز وجل.
وساخراً:

-وبالرغم أنني وكثير من مشايخ ذلك الزمان لم نكن من علماء السلطة، إلا أن هؤلاء الجماعات لا تسمع لنا، وبعضهم كانوا يكفروننا لأننا نتسلم راتبنا من وزارة الأوقاف يعني من الدولة الكافرة! فبالله عليك، فكيف تقنع هؤلاء بالفكر الإسلامي الصحيح؟! فقال علي:

-يا فضيلة الشيخ، كان يجب ألا تيأسوا من نصحهم وإرشادهم. ناقشت بعضهم يا بني، ولكن لا بلا جدوى.

طبعاً، امتعض طارق عمر وتغير وجهه ضيقاً من الحديث السيئ عن الجماعات الإسلامية الحقّة -وخاصة الجماعة الإسلامية- في نظره. بينما كان سعيد عوض قد انشرح قلبه لجماعة الإخوان ونفض عنه غبار مرحلة التردد والتذبذب بين الإخوان والجماعة الإسلامية، لذلك تحمس سعيد قائلاً:

-لا زالت البلد تكتوي بنار إرهاب هذه الجماعات المتأسلمة، وما تفجير باص الهرم بالسياح عنا ببعيد.

فرد عليه الشيخ:

-عندك حق يا بني. ولكن هؤلاء لا يقتنعون إلا بتفكيرهم هم. فاندفع علي:

-ولكن عبد الله ابن عباس -رضي الله عنهما- أقنع كثيراً من الخوارج بالفكر الإسلامي الصحيح وعاد كثير منهم من فكرهم المنحرف إلى الإسلام الحق. قال الغرباوي: "ولكنك يا شيخنا، لم نر منكم كتاباً يدحض تكفير المجتمعات المسلمة وإباحة تغيير المنكر باليد للأفراد للرد على هؤلاء المنحرفين عن دين الإسلام". فرد الشيخ:

-عند حق يا أستاذ أحمد. فأنا وزملائي مقصرون بسبب اليأس من إصلاح هؤلاء. ولا ننس أن زعماء هذه الجماعات قد أعطوا ظهورهم للمشايخ الثلاثة الكبار في جامع الأزهر منذ شهور قليلة!

فقال علي:

-ولكن كتاباً قيماً منكم يا فضيلة الشيخ، سيساهم في دحض هذا الفكر المنحرف، وسيحمي أجيالاً من الشباب المسلم من الوقوع في براثن التكفير والتجهيل والتدمير والتفجير للمجتمعات المسلمة بحجة القيام بالدين الحق...

وواصل: أو تقوم لجنة من فضيلتكم وبعض المشايخ الغير محسوبين على السلطة بإصدار سفر عظيم يبين الدين الحق ويمحس كل مدمر ومفجر ومكفر لمجتمعه المسلم... وفي سره هتف بقوة: أنتم مقصرون... أنتم مقصرون... وتمتم بينه وبين نفسه: الصواعق عندها الحق.

تبسم الشيخ:

-إن شاء الله...

-47-

ذهبت زبيدة رمزي زوجة صلاح الشيمي إلى بيت الأستاذ أحمد الغرباوي لتشتكي له صلاح وهي غير مصدقة ما حدث، وكأنها تقرأ رواية عبثية. كيف تستولي ممرضة تسكن عندهم قلب زوجها بهذه البساطة؟ ومتى؟ بعد عشرة سنوات من الجيرة. ومتى ثانياً؟ بعدما تركت بهيجة شرخ الشباب...

وهل عملها بمستشفى الحوض المرصود هو السبب؟ ولكن صلاح يراها منذ عادت من السعودية وكانت شابة ومليحة، فلماذا الآن؟ لماذا الآن يا ربي وصلاح يغض البصر وإنسان محترم. ولكن الحب يعرف احترام وغير احترام؟ وما هو الشيء المفقود عندي ووجده صلاح عند الممرضة الحقيرة؟ فهي ليست أجمل مني، بل إن جمالها متواضع. ما هذا العبث يا ربي؟ الله يخرب بيت الحب. الله يخرب بيت الكره. الله يخرب بيت كل شيء... الله يخرب بيت الدنيا... الله يخرب الدنيا كلها... الرحمة يا رب. الرحمة بقلبي الضعيف يا رب... الرحمة... هزت وداد شاهين زوجة الغرباوي رأسها نفيا بعدما سمعت شكوى زبيدة، وقالت:

ربما أوهام لا علاقة لها بالواقع.
فردت زبيدة:

يا أختي، ليست أوهاما. لقد تغير تماما، واضطربت أحواله. حتى عيادته أهملها وأمسى يعمل بالمستوصف الخيري ليكون بجوارها طوال اليوم...

دخل الغرباوي فسلم وجلس. فأخبرته زبيدة بما حدث لزوجها، فقال:

-أنا لاحظت عليه بعض الاضطرابات وانشغال البال منذ شهر أو أكثر.
قالت زبيدة:

-لقد نسجت الخبيثة خيوطها حوله حتى أوقعته في شباكها.
فامتعض الغرباوي:

-اللهم اغفر لنا ولها. لا داعي لئن تسببها في غيابها.
وقالت وداد:

-أم سعيد سيدة طيبة جدا، بل من أطيب الناس في الحي، وظروفها الاجتماعية سيئة للغاية.
فأشار الغرباوي بيده:

-من الأفضل أن نتريث ولا نصدر أحكاما جزافا.
فاحتدت زبيدة:

-يا أبا حسن، لقد عمل بالمستوصف الخيري لأنه لا يستطيع أن يبعد عنها.
ربما عمل بالمستوصف ليساعد الفقراء.

ثم هز رأسه مؤكدا:

-أكيد أنه اشتغل بالمستوصف ليساعد الفقراء.

-لمماذا لم يعمل بالمستوصف إلا الآن؟ هل الفقراء لم يظهروا إلا هذه الأيام فجأة؟!

يا أم خالد، نحن لا نعرف ضميره ولا نيته. فربما قد زاد إيمانه فتحته على فعل الخير.
قالت وداد وهي تشير إلى فنجان القهوة:
-القهوة بردت يا أم خالد.
لم ترتشف زبيدة أي شفقة، ولكنها استطردت:
-حتى العمل الحكومي الذي بحث لها عنه، لم يجد درجة مالية لها إلا بمستشفى الحوض
المرصود. القاهرة تعج بمستشفيات ومراكز وزارة الصحة، فلماذا الحوض المرصود بالذات؟!
أكد هو الذي وراء تعيينها بجواره.
رد الغرباوي:
-هذا أمر قدرى. ولو كان الدكتور صلاح يعرف أحد المسؤولين بمديرية الشؤون الصحية لمنع
الانتدابات الكثيرة التي يعاني منها.
صرخت زبيدة:
-صلاح يحبها يا أستاذ أحمد. زوجي سيضيع مني يا ناس.
واستسلمت للبكاء المرير...
رق لها الغرباوي:
يا أم خالد، اطمئني سأبحث الأمر جيدا. وسنحاول حل هذه المشكلة إن شاء الله.
وقالت وداد:
-الدكتور صلاح رجل محترم، ولا نعرف عنه إلا كل خير.
هدأ البكاء قليلا ...
ثم فجأة اندفعت كالحيوان الجريح:
-يجب طرد هذه السيدة من بيتنا.
فأشارت وداد بيديها لتهدأ:
يا زبيدة. يا زبيدة... ما ذنب هذه السيدة الأرملة الطيبة؟ وما ذنب ابنها المسكين؟
ضم الغرباوي شفتيه أسفا:
-إن ظروفها المادية سيئة للغاية فهي تحتاج للشفقة والعطف.
خرج شعاع غضب من وجه زبيدة وهي تقول:
-هذه السيدة الطيبة هي وراء كل المصائب التي ستنزل بنا. سيُخرب بيتي يا ناس. سينخرب
بيتى يا ناس. يا ناس...
ثم استسلمت لنوبات من البكاء...
ربت وداد على كتفها:
يا أم خالد، استعيني بالله واصبري. ستحل هذه المشكلة إن شاء الله.
وقال الغرباوي:
-لا بد بعد الاستعانة بالله -عز وجل- أن نتعامل بعقل وبهدوء حتى نستطيع أن نهتدي إلى الحل
الأمثل.

فقالت زبيدة بعصبية:
-لابد من طرد هذه المرأة من بيتنا.
فسألها الغرباوي:
-كيف ستطرد؟ إن قانون الإيجار أجلي لا نهاية له.
فاحتدت زبيدة:
-الله ينتقم من الذي وضع هذا القانون الجائر.
ابتسم الغرباوي:
-هو الآن عند ربه يحاسبه على مثاقيل الذر.
تساءلت وداد:
-لماذا تطردون هذه المسكينة؟ وأين ستذهب؟
فرد الغرباوي عليها:
-لن يستطيع أحد أن يطردها بسبب قانون الإيجار.
فاشتاطت زبيدة:
-أنا سأطردها شر طردة. فهي السبب في كل الشرور التي حدثت والتي لم تحدث...
حاول الغرباوي أن يهدئها:
-يا أم خالد، أرجو أن نتحدث بهدوء ولا داعي للعصبية. لنفترض أن الدكتور صلاح هو الذي
يحبها فعلا وليس وهما ، فما ذنبها هي؟
-هي التي أوقعته في حبها.
فاندهشت وداد:
-ولماذا توقعه الآن وهي تسكن عندكم منذ سنين طويلة؟
أسقط في يدي زبيدة، فبماذا تجيب؟
قال الغرباوي بهدوء:
-وربما لا يحبها، وكل هذه أوهام في أوهام.
فقالت زبيدة في حدة:
-هو يحبها حقيقة. فعندما كان مريضا كان يتحسس النظر من النافذة ليراها حين تعود من
المستشفى...
تبسم الغرباوي:
-ولكنها كانت مريضة في تلك الفترة.
-هي مرضت في أواخر فترة مرضه.
ضحك الغرباوي:
-الحمد لله أنك لم تقولي أنها مرضت لمرضه.
-الله أعلم بالحقيقة.
فانفرجت أسارير الغرباوي أكثر:

-أحسن كلمة فعلا هي: الله أعلم بالحقيقة.
ثم أضاف:
-ولنفترض أنه مشفق عليها لظروفها الاجتماعية السيئة، أو يريد أن يتزوجها عطفًا وشفقة بها.
ألم يُحلّ الشرع للزوج أن يتزوج أكثر من واحدة؟
فألت زبيدة في نفسها بمرارة:
أتيت إليك لتحل مشكلتي فوصلتني للزواج الثاني! على العموم، هذا طبيعي منكم معاشر
المتدينين. فأنتم أكثر الناس حرصًا على الزواج الثاني لتطبقوا الشريعة الإسلامية بطريقتكم
الخاصة!...
أجابته زبيدة منفعلة:
-أنا لا أطيق أن يكون لي ضرة. فهذا فيه خراب بيتي.
ثم تساءلت:
-أيرضى الشرع أن تكون ضررتي ممرضة؟
قال الغرباوي في سره:
شيء جيد أن يصل الحوار معك إلى النقاش في وظيفة الضرة...
ثم ضحك:
-أن تكون لك ضرة فهذا يعود إليكما. ولكن بوجه عام ما المشكلة أن تكون الممرضة زوجة
أولى أو ضرة؟ يا أم خالد، أنت أخت من أخوات الجماعة والأخت أم سعيد أختك ورفيقتك في
الدعوة. والعبرة في الزواج سواء كان أولا أو ثانيا بتدين وتقوى المتزوج والمتزوجة.
تسلل اليأس إلى نفس زبيدة:
-أخبر صلاح بأنني لن أستطيع أن أعيش معه إلا إذا أخرج هذه المرأة من حياته. ولن أعود إلى
البيت، وسأذهب إلى بيت أهلي ولن أرجع إلا بعد طرد هذه المرأة من حياته نهائيا.
فسألها الغرباوي محتدا:
-كيف تتركين البيت بدون إذن الزوج؟
لم تجبه وأطرقت صامتة تنظر إلى الأرض يلفحها اليأس والضيق.
قالت وداد:
-يا أختي، لا تتسرعي. وخذي بيد زوجك حتى تمر هذه الأزمة وتوصلا إلى بر الأمان بسلام...

بعدما زارت زبيدة الأستاذ أحمد الغرباوي، عزمت عزمها على زيارة بهيجة لتضع حدا
لحد هذه المهزلة بتعبيرها...
دخلت زبيدة، فقالت بهيجة في نفسها:
وجهك هذا لا يأتي بخير! أعوذ بالله... خير يا زبيدة؟ خير؟ هل علمت بالخطوبة الكاذبة التي
أعلنها صلاح في المستشفى؟ أم ماذا؟ وجهك يتقاطر شررا وشررا... أعوذ بالله... ألطف يا
رب... ألطف...
بعدما جلست زبيدة مباشرة، نظرت نظرات غاضبة في وجه بهيجة وهي تقول:
-أليس عندك نقطة دم في وجهك؟
احمر وجه بهيجة الخمرى. ضاق نفسها...
هذا ما كنت أتوقعه من الغدر المرسوم على ملامحك. أعوذ بالله من شياطين الإنس والجن...
-ما هذا السباب في بيتي؟
احتدت زبيدة: "أتأخذين رجل من زوجته وأولاده ولا تريدين أن تسمعي سبابا؟"
فردت بهيجة بضيق: "أنا أختك في الله في الدعوة فعيب أن تشتميني!"
وبقرف: وعيب أن تشتميني في بيتي.
-فعلا، شتم الناس في بيوتهم عيب. ولكن ما هو رأيك في المرأة التي تريد أن تخرب بيت الناس
الآخرين الذين لم يؤذونها بشيء؟
-أنا لم أخرب بيت أحد.
فاحتدت زبيدة: "ستخربين بيتي وستجعلين عاليه أسفله".
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. يبدو أنك أنت التي ستخربين بيتك بنفسك.
-ماذا فعلت حتى أخرب بيتك؟
يا خبيثة... تضحكين على صلاح بالحب والهيام وتستهلين الآن. وتقولين أختك في الدعوة؟
دعوة إيه يا خبيثة؟
-إدعائك الحب والغرام لزوجي الدكتور صلاح، أليس هذا يخرب البيوت؟
توهج وجه بهيجة. ضاقت أنفاسها. أسرعت ضربات قلبها لاهثة...
قالت بعصبية: "أنا لم أدع ما تقولينه للدكتور صلاح أو لغيره".
فغضبت زبيدة: "الرجل قد اضطربت أحواله بعد عمالك في الحوض المرصود".
-ربنا يصلح أحواله. ولكن ما ذنبي في اضطراب أحواله أو استقرارها؟
-اضطربت أحواله بسبب حبك يا أم سعيد.
ردت بهيجة بقوة: "يا أم خالد، لقد قلت لك إنني لم أقل لزوجك ولا لغيره إنني أحبه".
وبشبه تبسم: "نحن كبار على هذه الأمور".
-وهل الحب يحتاج إلى البوح به؟ ألا تكفي النظرات؟ أليست هي خير رسول بين المحبين؟

تساءلت بهيجة غاضبة: "من قال لك إنني أحب زوجك؟"
- هو يحبك يا هانم.
- وما ذنبي أنا؟
- أنت التي أوقعته في شباكك.
ردت بهيجة وهي تحاول أن تجهض دموعا قبل أن تتكون:
- أنا لا أوقع أحدا. وعيب عليك أن تتفوهي بهذا الكلام.
رشتها زبيدة بنظرات نارية: "العيب عليك أنت".
فتساءلت بهيجة وقد ضاق صدرها ولسانها: "ماذا؟ ماذا تريدني مني بالضبط؟"
- كلمة واحدة: ابعدي عن زوجي.
- أنا بعيدة عنه.
قالت زبيدة وهي تحاول أن تكتم بكائها:
- هو يحبك منذ اشتغلت بالحوض المرصود.
فردت بهيجة:
- يا أختي... أنا أسكن في بيتكم منذ أكثر من عشر سنوات، فلماذا يحبني زوجك الآن؟
اشتعل وجه زبيدة الأبيض احمرارا... وتساءلت مع نفسها:
أختك! أي أخوة في الله حرصت عليها؟ ولماذا يحبك الآن؟ أكيد قد ملئت فراغا في نفسه. ولكن
صلاح يحبني جدا، فماذا حدث يا رب؟
لم تستطع زبيدة أن تقاوم البكاء.
وبعد قليل قالت باكية:
- أسألي نفسك يا بهيجة.
فتساءلت بهيجة بصوت مختلط ببكاء:
- أسأل نفسي ماذا؟
وبصوت باك:
- إن تعاملني مع الدكتور صلاح في المستشفى في حدود العمل.
ثم انتحبت وكاد قلبها أن يتقطع وهي تهتف:
- الأمر لك يا ربي... الأمر لك يا ربي...
أحست زبيدة -بحس الأنثى- بحب وآلام وحيرة بهيجة...
مرت فترة من الصمت ضمدت خلالها كل واحدة جراحها النفسية بعدما هدأت المعركة الحربية
الحرّة الأليمة بين زوجة تحب زوجها وبيتها وغير مصدقة أن يحب عليها أي امرأة بعد الحب
والعشرة الزوجية الطويلة، وبين امرأة تفتحت زهرات قلبها على الحب لأول مرة في حياتها
وظنت أن الدنيا قد ابتسمت لها أخيرا... وهي لا تعرف بماذا سينتهي هذا الحب؟ هي تحاول
جاهدة أن تكتم هذه العاطفة بقدر الإمكان للحرص الشديد من كلام الجيران، وكلام الأخوة

والأخوات في دعوة الإخوان المسلمين، وكلام الزملاء والزميلات في المستوصف الخيري...
أما في المستشفى، فقد حلها صلاح بإعلان الخطوبة.

عبست زبيدة:

-يا أم سعيد، حتى المستوصف الخيري لم يعمل به إلا منذ أحبك حتى يكون بجوارك صباحا ومساء.

يا حبيبي يا صلاح... يا حبيبي يا صلاح... يا حبيبي يا صلاح... يا حبيبي... يا حبيبي... يا
حبيبي... أن بحبك يا صلاح يا حبيبي... بحبك قوي... قوي... يا الله... يا الله... يا الله...
يا حبيبي يا صلاح يا حبيبي... أن بحب اسمك وظلك وكلك وكل شيء مرتبط بك... كل شيء يا
صلاح يا صلاح يا حبيبي... يا الله... يا الله... يا الله... يا الله... يا الله... يا
الله... يا الله... يا حبيبي يا صلاح... يا حبيبي يا صلاح... يا حبيبي... يا حبيبي... يا
حبيبي... يا حبيبي... أن بحبك يا صلاح يا حبيبي... بحبك قوي... قوي... قوي... يا الله... يا
الله... يا الله...

لم تستطع أن ترد بهيجة وظلت صامئة شاردة ظاهريا، ولكنها في الحقيقة، تستمع لقلبيها وهو
يلهج بحب صلاح. وهي سعيدة بالاستماع لنبضات قلبها وروحها ونفسها وكل ذرة في جسدها
وهي تهتف بحب حبيبها صلاح... وهي استمرت هذا الهاتف الداخلي لأنه بلسم لنفسها الجريحة
المحطمة منذ سنوات بعيدة...

ثم انتهت على صوت زبيدة التي انقضت كالفرسة المجروحة:

-أنا لن أستسلم أبدا لخراب بيتي. هي كلمة واحدة يا امرأة، اتركي بيتنا وابحثي لك عن بيت آخر
تسكنين فيه وإلا سأدمرك إذا لم تتركي زوجي في حاله...
ثم انصرفت مباشرة ولم تعط نفسها فرصة لتستمع أي رد من بهيجة...

-49-

كانت جولة المشي تبدأ من شارع الترعة البولاقية عند محطة الجراچ إلى نهاية شارع الترعة مع شارع أحمد حلمي عند الشيخ رمضان، ومن عند الشيخ رمضان حتى ترعة الشرقاوية بعد المؤسسة، ثم الانحراف يسارا مع ترعة الشرقاوية حتى طريق المؤسسة - القناطر الخيرية، ثم السير حتى حدائق القناطر، والتجمع بجوار مسجد محدد في وسط الحدائق. وهذه المسافة تقريبا في حدود عشرين كيلومترا .

اتفق الغرباوي على أن يسير: إسماعيل مع الشيمي، وطارق مع سعيد، والغرباوي مع علي، وعماد في آخر القافلة. وأن تكون المسافة بين كل اثنين والذين بعدهما لا تقل عن ثلاثمائة مترا تقريبا. وممنوع شرب الماء أو تناول أي طعام طوال السير. وإذا قُبض على أي أحد؛ فلا يلتفت إليه أحد، وليكملوا المسيرة إلى نهايتها...

كان صلاح الشيمي وإسماعيل عبد الفتاح في أول القافلة. وكان الشيمي طوال الطريق صامتا سارحا حاملا هما ثقيلًا ... وحين وصلا إلى قرية أبو الغيط، قطع إسماعيل الصمت: -منذ مرضك، ومزاجك عكر وتميل إلى الصمت كثيرا! وطوال سيرنا في الجولة سارحا مهموما وكأن على صدرك هموما ثقيلة. فما الأمر يا صلاح؟

ماذا أقول لك يا إسماعيل؟ هل أقول إنني أصبحت أحب كالمراهقين؟ هل أقول لك إنني أحب والدة زميلنا في الجلسة؟ هل أقول إنني أحب ممرضة؟ ولكن ما علاقة الحب بالمهنة أو المستوى الاجتماعي؟ وما علاقة الحب بأم زميل في الجلسة أو خارج الجلسة؟ بالإخوان أو بغير الإخوان؟ أنا أحبها فعلا. أحبها حقيقة لا مرية فيها. أحبها حقيقة لا شفقة عليها ولا على ظروفها. أحبها حقيقة جليلة كجلاء الشمس في يوم صفاء... وأتمنى أن تكون في الجولة معي الآن لنسير سويا إلى آخر العالم...

"واضح أن صلاح في مشكلة عويصة فعلا. الرجل لم يرد على تساؤلي وكأنه مُغيب! ربما لم يسمعني!"

-يا صلاح، ماذا دهالك؟ وما هذا الهم الذي ينوء به كاهلك؟ حتى شعرات ذقنك تركتها تسرح وترعى في وجهك. هل ستلتحي؟

لا بد أن أخبرك يا إسماعيل. سأموت إذا لم يحدث أحدا. سأموت...

تمتم الشيمي بصوت ضعيف وعاجز كأنه يتكلم من القبر:

-ما أقوله سيعتبر سرا بيننا حتى على زوجك.

ثم تردد قليلا، وبعدها اشتد عزمه وهو يكمل:

-أنا الآن قد غصتُ إلى قمة رأسي في مشكلة وليس لها حل.

-يا صلاح، تكلم. فضفض. سرك لن يتطلع عليه أحد.

تردد صلاح ثانية ثم عزم عزمه:

-بين غمضة عين وانتباهها، همتُ حبا بمرضة في المستشفى.
هو الحب الذي قلب حالك. مسكين يا أبا الصلح. مسكين والله...
تبسم إسماعيل وتساءل:
-وهل هي تحبك؟
-لا أدري، ولكن الحب تفجر من أول لقاء معها بالرغم من معرفتي بها منذ سنين طويلة.
تحيّر إسماعيل وتساءل:
-ما معنى ما تقول؟ كيف تعرفها منذ سنين طويلة ولم تلتق بها كل هذه السنوات؟!
أسقط بين يدي صلاح، فبماذا سيرد؟ ولكنه وجد مهربا:
-لم يكن معها احتكاك في العمل إلا منذ فترة بسيطة.
كيف تكون معك في المستشفى منذ سنين ولم تحتك بها في العمل؟ مُحْتَجِبَةٌ عنك؟ هل كانت
منتدبة؟ ولكن ما أعرفه أن الانتداب يكون لفترة معينة فقط وليس لسنين. هذا لغز محير!
استطرد صلاح:
-يا أخي، بعدما تألق الإيمان وشع في قلبي بعد الكتيبة، إذا بطارق الحب يدخل قلبي بقوة شديدة
جدا، بل تمكن مني كل التمكن...
قال إسماعيل وهو مشفق على الشيمي:
-يا صلاح، ربما توهم وخاصة أن مشاعر الحب تفجرت بطريقة غير طبيعية وضد المنطق.
-ألا يوجد حب من أول نظرة؟
تساءل إسماعيل مع نفسه بحيرة شديدة:
كيف يكون من أول نظرة وهي موجودة منذ سنوات بالمستشفى؟!
-ربما أوهمك الشيطان بهذه الأحاسيس حتى يشوش على الإيمان المتألق في قلبك...
-والله إنني أحبها. حتى ظلها على الأرض أحبها. حتى ذرات التراب التي تسير عليها أحبها.
وحتى نسمات الهواء الذي تتنفسه أحبها... وطيفها ملأ كل كياني... ونار الغيرة تسربت إلى
فؤادي دون أن أحس وأضحت الآن تأكل قلبي كلما رأيتها تكلم أحد الزملاء، مع أنه كلام عادي
بخصوص أحد المرضى. سيصيبني الجنون يا إسماعيل. سيصيبني الجنون...
ثم ذرفت عيناه بدمعات حارة واستسلم للصمت العميق...
-كان الله في عونك يا صلاح.
ظل الصمت الشامل مطبق عليهما وهما يفكران بعمق حتى وصلا إلى محطة قطار شلقان حيث
سارا يسارا مع الطريق القادم من طريق الإسكندرية الزراعي إلى القناطر.
وفجأة، مزق الشيمي الصمت وهو يكاد أن يصرخ:
-سيصيبني الجنون فعلا يا إسماعيل. سيصيبني الجنون.
ثم بكى مرة ثانية...

أما أحمد الغرباوي وعلي عبد المنعم، فقد كانا في ثاني القافلة. قال الغرباوي:

-لقد خفنا عليك في الجلسة التي أُغمي عليك فيها. ولقد حاولنا أن نوقظك ففشلنا. فخفنا عليك أكثر. فما سبب هذا الإغماء؟
-لقد أخذت عهدا على الشيخ المعلم ألا أخبر أحدا بما يحدث لي معه، فبماذا أقول للأستاذ أحمد يا ربي؟

-لست أعاني من أي مرض، ربما كنتُ مرهقا .
-لقد كان جسمك يرتجف. والعرق الغزير يسيل على جبينك، وكنا نجفقه ونحاول إيقاظك ولكن بلا جدوى. حتى عاد وعيك إليك. والعجيب أن جسمك كان يشع ضوءا!
-شيء عجيب. هذه أول مرة يحدث لي ذلك.
-الدكتور عماد قال بأنك كنت تعاني من نوبة صرع.
-أنا لا أعاني من الصرع. على العموم، الحمد لله على كل حال.
أراد علي عبد المنعم أن يبعد عن هذا الموضوع، فقال:
-قوات حلف الأطلنطي أعلنت أمس أنها ستتدخل حتى تفك الحصار عن سراييفو.
-متى ستتدخل ونزيف الدم في البوسنة والهرسك لم يتوقف منذ ثلاث سنوات؟
-الغرب لا يريد أن يتدخل لأنهم لا يريدون دولة مسلمة داخل أوروبا!
-والله يا علي، أنا أظن أن هذه حرب صليبية حاقدة ولكن داخل أوروبا نفسها. إنها وصمة عار في جبين الحضارة الغربية...!
قال علي بأسى:
-أهم شيء عندهم جمعيات حقوق الحيوان، فلو ذبحنا خروفا في عيد الأضحى لأقاموا الدنيا ولم يقعدوها.
وبضيق:
-أما ذبح المسلمين في البوسنة فلا يحرك لهم رمش!...

كان ترتيب طارق عمر وسعيد عوض في ثالث المسيرة.
وأثناء الجولة، تساءل طارق ساخرا:
-لا أدري كيف سيطبق الإخوان الشريعة الإسلامية وهم لا يستطيعون تطبيق سنة النبي- صلى الله عليه وسلم- في إعفاء اللحية؟
-أكد للإخوان رأي فقهي في حلق اللحية وخاصة أن الأمن يتعقب الملتحين.
-ولكن إعفاء اللحية واجب في المذاهب الفقهية الأربعة.
-الإخوان يعتقدون أنها سنة مؤكدة لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ذكر إعفاء اللحية في حديث "سنن الفطرة عشرة".
-يا أخ سعيد... إن تنصروا الله ينصركم، فكيف ينصرهم الله وهم قد خالفوا رسوله في إعفاء اللحية؟ حتى لو اعتبرنا أن هذا الإعفاء سنة مؤكدة، فهل ترك سنة مؤكدة من السهل اقتراه؟
-ما المشكلة يا طارق؟ ألسنت ملتحيا؟ أليس الغرباوي ملتحيا؟

-ولكن الملتحين قلة في الإخوان.
-بعد أحداث سبتمبر 1981، ارتأى الإخوان أن يحلقوا اللحي حتى تسهل حركة الأخوة.
-حتى أنت يا سعيد، حلقت لحيتك وأمسييت إخوانيا حقيقة. فأين آراءك في الجماعات الإسلامية الجهادية الحقيقية؟
-الحمد لله، لقد هداني الله إلى الجماعة الحققة. ومن النفاق يا طارق، أن تكون في جماعة وقلبك مع جماعة أخرى!
عما قريب سأترك الإخوان إن شاء الله. كفة فذلقة فارغة يا رجل.
-لقد تغيرت كثيرا يا سعيد. وعلى العموم، انظر إلى أخوة الجماعة الإسلامية، فهم ملتحنون، وحريصون على ارتداء الثوب الأبيض. يعني يطبقون السنة بحذافيرها. ولذلك نصرهم الله؛ فهي الخمارات في محافظات الصعيد تُغلق، والسياحة المحرمة التي بها كثير من العري قد انخفضت، والمتبرجات قد تحجبن...
-يا أخي الفاضل، ارتدي الثوب الأبيض القصير واترك اللحية أكثر وأكثر، فلن يكلمك الإخوان في شيء.
-أنا أتكلم على الأغلبية في الإخوان المخالفين للسنة.

معروف عن جماعة الإخوان المسلمين، أن الأخوة بين أفرادها على أعلى درجة من الحب والصفاء والقوة... ومشهور عنهم أن من عطس في أسوان، قال له أخوه في الإسكندرية: يرحمك الله... لذلك لا نندهش من احتراق إسماعيل عبد الفتاح في جوفه لبكاء الشيمي. ولا نندهش من ذرف قلبه بدمع حار حزنا على أخيه في الله...
ربت إسماعيل على كتف صلاح:
-هون عليك يا حبيبي. فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. وخُلِق الإنسان ضعيفا. وما نحن إلا ذرات في مهب الريح تفعل بنا المقادير ما تشاء. استعن بالله يا أخي، وسيأخذ بيدك إلى بر الأمان...
قال صلاح بعدما تسربت السكينة قليلا إلى بركان قلبه المتفجر:
-هل أنا مراهق في الأربعينات؟
-الحب لا يرتبط بعمر.
تساءل إسماعيل وقد بدأ الهدوء يدخل إلى نفسه قليلا:
-هل أم خالد تعلم؟
-نظراتها لي تدل على معرفتها بشيء. وأنا مشفق عليها من هذا الأمر.
-ولكنها بطبيعة الأنثى ستعرف الأمر بحذافيره.
أوما صلاح برأسه إلى إسماعيل مؤكدا، وسأله حائرا:
-أخبرني ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟
-هل تستطيع أن تتحمل المسؤولية كاملة وتخبرها وتتزوج ممن تحبها؟

-زوجتي لن توافق على هذا الزواج وخاصة من ممرضة.
فاحتد إسماعيل:
-أليست الممرضة إنسانة يا أخي؟
-زوجتي لن تقبل بالزواج الثاني حتى لو كان من وزيرة.
وصل إسماعيل والشيمي إلى حدائق القناطر بجوار المسجد المتفق عليه حينما قال إسماعيل في حدة:
-الشرع أباح الزواج من أربعة، ولا يشترط موافقة الزوجة الأولى.
أشار صلاح بيده قائلاً:
-أخفض من صوتك. فالشيخ الغرباوي والأخ علي قد وصلا إلى بداية الحديقة.
وصل طارق وسعيد إلى قبيل محطة قطارات شلقان بقليل حينما قال سعيد وقد تبرم من حديث طارق:
-يا أخ طارق، توجد كثير من التنظيمات الحركية الآن وقد حلق أعضاءها لحاهم.
-مثل من؟
-الجهاد الذي يُعاد بنائه في هذه الأيام، والأمر بالمعرف والنهي عن المنكر المنشق من تنظيم الجهاد، والجهاد الحركي المنشق أيضاً من الجهاد، والقطيبيون...
أما عماد الدسوقي فقد كان في آخر القافلة بمفرده يذكر الله ويراقب حركة الأخوة أمامه... وعند محطة شلقان، رأى رجال أمن في كمين وقد قبضوا على طارق وسعيد...
علم الغرباوي ما قد حدث لطارق وسعيد، ففض اللقاء قائلاً:
كل أخ يجب أن يعود بمفرده إلى القاهرة. وألا يبيت أحد في بيته فربما يأتي الأمن للقبض علينا...
ثم قال في سره:
لحية طارق هي السبب!...

قبضوا على طارق عمر وسعيد عوض، ونزعوا قميص كلا منهما، وذموا بهما -كعصابة- على عيني كليهما. ومع الركلات من كل الجهات والسباب المُقذع والدفع من الخلف، ركبا سيارة ميكروباص أجرة، أُجبر سائقها لئِنْزِل الركاب ويستخدمها لحساب الأمن القومي للدولة بالمجان!...

نزل سعيد وأتبعه طارق، وهما يرتجفان ويتمتمان بذكر الله. وضعوا يدي طارق على كتفي سعيد الذي يسحبه أحد أفراد الأمن إلى الزنزانة...

وقفا أمام الزنزانة طويلا، وطال زمن الوقفة وهما يتوقعان صعقات الركلات. ولكن لم يمسهما أحد بسوء طوال هذه الوقفة الطويلة. وتوقع الضرب أشد ألما وعذابا على النفس من الضرب نفسه! وأخيرا، أدخلوهما الزنزانة بعدما رفعوا العصا عن الأعين...

تنفسا الصعداء بعد رفع العصا. شاهدا زنزانة ليس لجدرانها لون، كئيبة، عتمة إلا من إضاءة خفيفة من نور النهار الذي يتسرب على حياء من الشبكة الحديدية للشباك الصغير جدا والذي لا يتناسب مع ارتفاع الحائط وحجم الزنزانة الكبيرين! كانت الزنزانة مفروشة بموكيت متآكل ضاع لونه مع الزمن، وكانت مفروشة أيضا بعدد من الشباب المقبوض عليهم ما بين ملتجٍ وحليقٍ، وإن كان يبدو عليهم الهدوء نسبيا، والتأقلم مع الحياة في هذه الزنزانة... علم سعيد وطارق أنهما قابعان بهذه الزنزانة في البدروم أسفل مبنى مباحث أمن الدولة بلاطوغلي...

أول من تكلم معهما (مواطن1). كان شابا في الثلاثين من عمره، وكان ملتجيا، ولا تبدو عليه أي آثار التعذيب المشهور في هذه البناية العتيقة. قابلهما بابتسامة لطيفة تكاد أن تكون دافئة. وشد من أزرهما. وحدثهما عن وجود زنازين أخرى بجوارهم مفروشة بالماء والحشرات، أما هذه الزنزانة فهي نعمة كبرى! وتحدث معهما عن وسائل التعذيب المرعبة داخل هذا الجهاز المرعب!... وحاول أن يفتح لهما بابا للحوار ليفضفضا، ولكنهما كانا حذرين معه لأن الغرباوي قد فطم أسرته على الحذر من الملتحين في زنازين أمن الدولة لأنهم قد يكونون بصاصين للأمن، أو قد يكونون من الأمن نفسه، بالإضافة إلى أن الزنزانة نفسها يمكن أن تكون مراقبة بكاميرات خفية وبأجهزة تصنت...

وكان ثاني المتحدثين (مواطن2)، شابا في أواخر العشرينات من عمره، يعمل في شركة سياحية، ومتهم بالجاسوسية. بينما كان الثالث، (مواطن3)، شابا في الثلاثينات من عمره، يُعتقل كل فترة لأنه متهم منذ كان في الجامعة في الثمانينات بتوزيع منشورات تتعلق بقتل إسرائيل أو عملائها لسليمان خاطر في زنزانته المصرية! وسليمان خاطر هو الجندي المصري الذي قتل عددا من الجنود الإسرائيليين على الحدود مع دولة الاحتلال الإسرائيلي سنة 1985. أما الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن فلم يتحدثوا معهما طوال النهار إلا قليلا. وكانوا شبابا في الثلاثينات من عمرهم أيضا. وكانوا متهمين بإحياء تنظيم الجهاد. وكانت آثار التعذيب واضحة

عليهم، وإن كان أحدهم، مواطن7، يبدو عليه أنه يعذبه في قعر جهنم نفسها، لأنه أصم، ولا علاقة له بالجهاد أو أي جماعة، والأمن مقتنع بأنه سليم من الخرس، وعضو بجماعة الجهاد!... بعد صلاة العشاء، جمع مواطن1 ثمن العشاء من أهل الزنزانة طبقا لظروفهم المادية، وأعطاه لعسكري مجند من القائمين بالحراسة. كان العشاء يتكون من الفول والطعمية والبطاطس المقلية. وكان طارق وسعيد لم يذوقا أي طعام طوال النهار. وطعام الإفطار كان المفروض أن يكون في القناطر. فأقبلوا على الطعام بنهم. تساءل مواطن1 ضاحكا:

-ما هذا النهم على الطعام؟ أتظنان أنه كباب؟
فأجابه طارق: "بمجرد أن خفت آلام الركلات التي أشبعونا بها أثناء القبض علينا، صرخت البطون جوعا".

وأعقبه سعيد: "لم نذق طعاما منذ عشاء أمس".
ثم ضاحكا: "ثم الطعمية في الزنزانة معكم كباب".
فقال مواطن2 (المتهم بالجاسوسية): "الطعمية تُعتبر كباب شعبي".
وقال مواطن3 (الموزع للمنشورات):
-شعبنا من أكثر شعوب الأرض عنقرية لأنه اخترع عدة أكالات من الفول.
فتبسم سعيد:

-كانت بعض الشعوب العربية تعتبر الفول طعاما للماشية. والآن تعلموا منا أكالات الفول المتنوعة. وأقبلوا عليها بنهم...

قال مواطن3 بقوة:
-والله شعبنا يملك حضارة عمرها سبعة آلاف سنة، وهذه الحضارة ثورت جيناتها من جيل إلى جيل.

فامتعض مواطن1:
-ولكنه أهين مع الحكومات العسكرية التي أذاقته صنوف العذاب والذل.
وبهمس:

-يا ويلنا من علي بابا والأربعين حرامي!
فطن الأخوان طارق وسعيد إلى الفخ الذي يريد الشاب الملتحي أن ينصبه لهما، فلم ينجرا إلى الاسترسال معه.

قال طارق: "يا أخوة، لا داعي لأن تذكرونا بالتعذيب وأهواله ولا بالسياسة وأوزارها ونحن مكبلون في هذه الزنزانة الكئيبة".

فقال مواطن3 متجاهلا ما قاله طارق: "لقد ابتلي شعبنا بعلي بابا والأربعين حرامي منذ قديم الأزل".

فأعقبه مواطن1 بحماس كاذب: "علي بابا والحرامية يقذفون كل شيء في بطونهم ولا يشبعون أبدا"...

فهز مواطن2 رأسه موافقا:

-طول عمر الشعب يزرع ويكدح ولا يذوق إلا القليل. ولا يملك أي شيء! وبحماس: "ولقد سال لعاب العرب للخير الوفير في مصر فلذلك احتلوها. وكانت مصر سلة ولود لدول الخلافة كلها"...

اعترض سعيد وأكثر من أخ، وقال سعيد: "لم يكن احتلالا، وإنما كان فتحا مبينا لمصر". ثم تساءل طارق: "يبدو أن الأخ مسيحي؟" فهز مواطن2 رأسه موافقا.

فامتعض طارق واستسلم للصمت لضيق أفقه! بينما استطرد سعيد:

-كان الطالب على الدنيا عند الصحابة جريمة كبرى ضد الدين الإسلامي، فكيف يفتحون مصر للخير الذي ترتع فيه؟

ثم أضاف: "يا أخي، ألا تعلم أن المسلمين الأوائل قد حرروا نصارى مصر من نير وظلم الرومان الذين كانوا يحكمون مصر في ذلك؟ والمسلمون هم الذي أعادوا بطريق الأقباط الهارب في الصحراء"...

هز مواطن2 كتفيه مؤكدا، واستسلم للصمت بعدما وجد معترضين كثر.

أما مواطن 8 فاعترض بحدة: لقد قال الصحابي ربعي ابن عامر لكسرى حاكم الفرس: "لقد ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام..."

واندفع سعيد: "ولقد ضرب عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- مثلا باهرا في العدل، ويكفي أنه اقتص من عمرو ابن العاص حاكم مصر وابنه الذي ضرب القبطي الذي سبقه بالخیل. ولقد أعطى عمر عصاه للقبطي وقال: اضرب ابن الأكرمين وهو يشير إلى عمرو ابن العاص"...

فقال مواطن6 بفرحة:

-وهذا العدل هو الذي جعل أجدادنا الأقباط تدخل في دين الإسلام أفواجا...

والإسلام قد حافظ على النصرانية ولم يبد النصارى أو أي ملة أخرى في أي بلد مثلما فعل مع الهنود الحمر في أمريكا!

قال مواطن2 في نفسه: لماذا فرحان هكذا؟ هل تظن أنني سأسلم بكلامكم هذا؟! التحق مواطن4 في طابور المعترضين، فقال متحمسا وهو ينظر جهة مواطن2:

-يا أخي، في ظل الخلافة، ازدهرت في بلدنا حضارة لم يعرف التاريخ مثلها.

تحمس مواطن 2 بشدة وخرج من صمته العميق:

-بذور الحضارة موجودة منذ قديم الزمان في مصر.

اتجه مواطن3 برأسه ناحية مواطن4 ومواطن2 وقال بيقين:

-الحضارة الإسلامية أشرقت في كل بلد مغروسة فيها بذور الحضارة من قبل.

هز مواطن5 رأسه مؤكدا:

-عندك حق يا أخي. فقد كانت بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة مشاغل للحضارة الإسلامية...

"مرشد للأمن مثقف، وجاسوس مثقف، ومتهمون بإحياء تنظيم الجهاد مثقفون أيضا، وتحدثون عن الحضارة. أي حضارة لابد وأن تُهدم بالنفاق وبالجاسوسية وبالتصرفات الحمقاء المدمرة باسم الدين!"...

هذا ما فكر فيه سعيد.

أما طارق فقد حدث نفسه: إنسان غامض، حريص أن يسأل عن تهمنا، ولا نعرف عنه شيئا، ولا يتحدث عن نفسه أبدا ولو بالكذب. ولا تبدو عليه أي آثار للتعذيب!

فقال ضميمه: ولكن يُشكر على إحضاره للعشاء...

انتبه طارق على مواطن 1 وهو يقول:

-هذه سهرة ثقافية ممتعة في زنزانة مكتئبة. ودت لو أحضرت لكم الشاي، ولكن الطغاة فوقنا لا يسمحون لنا بالشاي. ألا يكفي التعذيب الرهيب الذي يذوقونه لنا؟

"طغاة!... تعذيب!... كيف ستتحمل يا سعيد أهوال التعذيب غدا؟ مسكين يا سعيد، تحمل جسما نحيفا طويلا كالنخلة لا يتحمل نفخة هواء... وهل جسمي الرياضي الفارع الطول سيتحمل يا ربي؟ ومن يطبق جلسات الكهرباء؟ بل من يطبق الركلات من كل الجهات الجغرافية المعروفة وغير المعروفة؟ ومن يطبق نزع الأظافر أو إطفاء السجائر على الأعضاء الحساسة؟!..."

عاد طارق من أفكاره على من يقول له: "لماذا تبكي هكذا يا أخ؟ هون عليك؟ ستفرج إن شاء الله".

وقال آخر:

يا صاحب الهم إن الهم منفرج

أبشر بخير فإن الفارج الله

وقال ثالث:

ما بين غمضة عين وانتباهها

يغير الله من حال إلى حال.

وقال رابع:

يا عالم الأسرار علم اليقين

يا كاشف الضر عن البائسين

وقال خامس:

-وكم ليلة بث في كربة

يكاد الرضيع لها أن يشيب

فما أصبَحَ الصبح إلا

أتى من الله نصر وفتح قريب

وقال سادس: -{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَّ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} 40...

وقال القبطي: -إن مع العسر يسرا...

40 الآية 62 من سورة النمل

-51-

في العاشرة صباحا، سُحب طارق -وعلى عينيه عصابة مربوطة بشدة- إلى غرفة التحقيق التي بها ثلاثة ضباط أمن دولة. أجلسوه أمام أحدهم الذي سأله:
-اسمك؟ وتاريخ ميلادك؟
فأجابه طارق:

-اسمي: طارق عمر فايز، تاريخ الميلاد: 1974/12/16.

-عنوانك يا أخ طارق؟

-العنوان: في 21 شارع يعقوب.

فسأله الضابط بسخرية: "أين شارع يعقوب يا روح أمك؟ يبدو أنك ناوي تتعبنا من أولها!"

فأجابه طارق بصوت مرتجف: "في شبرا مصر".

-وأين تدرس؟

-في كلية تربية عين شمس بالفرقة الثانية.

فقال الضابط بقوة: "ندخل في الموضوع. لماذا كنت تسير ماشيا في طريق القناطر مع الأخ سعيد؟"

-وهل المشي ممنوع؟

فصرخ الضابط صراخا مفتعلا: -أنا الذي أسأل فقط.

ثم أشار بيده إلى أحد أفراد الأمن الذي انقض على طارق ضربا ولكما وركلا...

يا كفار!... يا كلاب... أنا طالب جامعي ولست مجرما. أعمل إيه يا ربي. الضرب من كل جهة...

-آه... آه...

بعد أن تكوم طارق على الأرض، أشار الضابط إلى الجلاد أن يكف عن الضرب، ثم تساءل بغلظة: "لا داعي للفلسفة وأجبنني. أجبنني يا روح أمك. لماذا كنت تسير مع سعيد في طريق القناطر؟"

رد طارق والإعياء قد هده: -كنا ذاهبين إلى القناطر الخيرية.

-سيرنا على الأقدام؟

-نعم.

-ولماذا لم تركبا وتريحا أنفسكما من عناء السير؟

يا طاغوت. نحن أحرار في تعب أنفسنا أو إراحتنا.

-لم يكن معنا فلوس.

ضحك الضابط وتساءل: "ولماذا تذهبا للفسحة وأنتما مفلسان؟"

المرّة القادمة أعطنا مصاريف الفسحة!...

-وهل الفسحة ممنوعة في الدولة للمفلسين؟!

صرخ الضابط: "رجعت تتفلسف ثانية يا ابن الكلب!" ثم أشار إلى فرد الأمن يأخذه وقال:
 - اذهب به إلى غرفة السلخانة حتى يتعلم الأدب!
 فصرخ طارق متسائلاً: - "ماذا يا باشا؟ أنا ماذا صنعت؟"
 لم يذهبوا بطارق إلى غرفة السلخانة، إنما تركوه في الممر جالسا على الأرض خارج غرفة
 التحقيق وهو معصوب العينين. وبعد ساعة، أدخلوه للضابط الثاني الذي سأله بلغة مهذبة:
 - اسمك؟ وتاريخ ميلادك؟
 لماذا تكرر الأسئلة
 - طارق عمر فايز. تاريخ الميلاد: 1974/12/16.
 - أين تسكن؟
 - أسكن في 21 شارع يعقوب بشبرا.
 - شبرا مصر أم شبرا الخيمة؟
 لقد قلت هذه البيانات عند المحقق الأول!
 - في شبرا مصر.
 - في أي كلية تدرس؟
 - في كلية التربية جامعة عين شمس.
 - أكيد أنت عضو في اتحاد الطلبة؟
 تريد أن تلبسني تهمة الإخوان المسلمين.
 - لست عضوا في اتحاد الطلبة لأن أعضاء إخوان مسلمون. وأنا لا أحبهم.
 قال الضابط بشدة:
 - ممتاز يا أخ طارق. أنت توفر علينا - بإجاباتك الزكية - الوقت والجهد...
 ثم سكت برهة وبعدها سأله:
 - ما هي الكتب الدينية التي تقرأها؟
 - كتاب ابن كثير في التفسير، والعقيدة الطحاوية في العقيدة، وسيرة ابن هشام.
 أتريد أن أخبرني أنك سلفي يا أبا الطوارق؟
 - ممتاز يا طارق. ولكن ألم تقرأ كتاب "الفريضة الغائبة"؟⁴¹
 - لا أعرفه.
 - ما رأيك في كتاب "حتمية المواجهة"؟⁴²
 - لم أسمع به.
 - ولم تسمع أيضا كتاب "حكم الطائفة الممتنعة عن شرائع الإسلام"؟⁴³

⁴¹ ألفه محمد عبد السلام فرج في بداية نشأة تنظيم الجهاد لتأصيل معنى الجهاد

⁴² ألفته الجماعة الإسلامية وشتت فيه على كل الجماعات الأخرى والهيئات الدينية الرسمية وبيت فيه أن طريق النجاة ليس إلا من خلالها وطريقها

-لا أعرفه.
 -يا طارق، لا تكذب علينا. ولا داعي لئن نستعمل معك طرق شرسة!
 -لا أعرفه فعلا يا باشا.
 فتساءل الضابط بسخرية:
 -وكتب أبو الكلام عبد الودود؟
 -لا أعرفها ولا أعرف أبو الكلام نفسه.
 -ولا تعرف كتابه المشهور "الحكومة الإسلامية"؟
 -لا أعرفه.
 تساءل الضابط وهو يبتسم نصف ابتسامة:
 -نقيب أسرتك أكيد هو الذي دربك على هذه الإجابات. أليس كذلك؟
 -لا أدري ماذا تعني بنقيب الأسرة؟ هل تعني أخي حسن؟
 قال الضابط بهدوء:
 -لا داعي لئن أجاريك في (استهبالك)... ولكن ما هو رأيك في رئيس الجمهورية، هل هو كافر؟
 هز طارق رأسه نافيا:
 -أعوذ بالله من التكفير.
 -أجب على سؤالي يا ولد ولا تتهرّب.
 -أنا لا أكفر أحدا.
 -ولكن الرئيس لا يطبق الشريعة الإسلامية.
 -أنا لا أكفر رئيس الجمهورية ولا غيره.
 -طبعاً، لأنكم دعاة لا قضاة!
 لم يعلق طارق...
 فسأله الضابط: "وكتب عيد نجم؟"
 -لا أعرفها.
 -كيف لا تعرف الأستاذ عيد نجم وهو علّم عندكم في الجماعة؟
 فأجاب طارق بخوف: "لم أقرأ له".
 قال الضابط بحدة: "يا ابن الكلب، نحن فتشنا بيتك، وأحضرنا كتبك كلها. فلا تكذب".
 -طالما أنكم قد أحضرتكم كتبتي فلم تسألوني؟!
 فرد الضابط بالحدة نفسها: "أولاً: نحن الذين نسأل وأنت تجيب، ثانياً: نحن نسألك حتى نخبرنا بالكتب التي تخفيها أو تحتفظ بها عند رئيسك في التنظيم".
 -أنا لا علاقة لي بأي تنظيم.

⁴³ ألفه محمد عصام الدين درباله وحض فيه على قتال المنتسبين للإسلام إن لم يلتزموا بشرائعه وأحكامه، وهذا القتال أولى من قتال المشركين وأهل الكتاب إن لم يقاتلوا المسلمين

فتساءل الضابط بلين بارد: "ولا الإخوان؟"
-ولا الإخوان.
-وكتاب "الرسائل" الموجود في بيتك، ماذا تقول فيه؟
-هذا كتاب يُباع في المكتبات.
-فصرخ الضابط: "أنت تجبرنا أن نتصرف معك تصرفا غير لائق".
-فضرب الضابط طارق على قفاه بقوة. فصرخ طارق:
-أنا ليس لي علاقة بالجماعات الإسلامية ولا بغيرها. ارحموني... ارحموني...
فقال الضابط صارخا: "تكلم الحقيقة وارحم نفسك"
ثم أشار إلى الجلاد وأمره أن يأخذه: "خذه إلى غرفة السلخانة!"
ولم يذهبوا به إلى السلخانة، إنما ترك ساعة أخرى مكوما على نفسه في الممر، ولم يفكوا
العصابة من على عينيه...
وبعد ساعة مرت على طارق كأنها الدهر، أدخلوه أمام الضابط الثالث الذي سأله:
-اسمك؟ وتاريخ ميلادك؟
-طارق عمر فايز. 1974/12/16.
-عنوانك؟
-21 شارع يعقوب متفرع من شارع التريعة البولاقية بشبرا مصر.
تبسم الضابط من تفصيل العنوان وقال:
-شاطر يا طارق. وكن شاطرا أكثر فأجب على أسئلتني بصراحة حتى ترجع إلى أهلك.
-تفضل يا باشا.
-أين تصلي؟
-في المسجد.
فاحتد الضابط بغلظة شديدة:
-طبعاً، تصلي في مسجد! وأين يصلي المسلم؟ في كنيسة أم في معبد؟ طبعاً، في مسجد. أنا أسأل
عن اسم المسجد الذي تصلي فيه الصلوات الخمس يا روح أمك؟
-في مسجد النصر.
-وصلاة الجمعة؟
-في المسجد نفسه.
-ومسجد الشهداء ألا تصلي فيه؟
-لا.
-ولماذا؟
-لأنه بعيد عن بيتي.
فقال الضابط بحدة:
-أنت تكذب يا ولد. لأن مسجد الشهداء أقرب لشارع يعقوب من مسجد النصر!

أكيد أنت شبراوي...
 -ولماذا لا تصلي في مسجد الصحابة فهو أقرب لبيتك؟
 -لأن فيه بدع.
 -مثل؟
 -تقام فيه حضرة صوفية بعد صلاة العشاء.
 -أنت لا تحب الصوفية؟
 -طبعاً.
 -لأنهم مبتدعة؟
 -أوما طارق رأسه موافقاً...
 -قرأ الضابط في أوراق أمامه ثم سأل:
 -ولماذا لا تصلي الجمعة مثلاً في مسجد الشهداء وهو مسجد ليس به بدع؟
 -رد طارق بتردد:
 -لأن فيه بعض الجماعات الإسلامية. وأخي الكبير حسن منعني من الصلاة في مساجد بها جماعات إسلامية.
 -في أي مسجد تحضر لقاء الثلاثاء؟
 -ما معنى لقاء الثلاثاء؟
 -أتستهيل يا ولد؟
 -لم يرد طارق.
 -فسأله الضابط بفحيح:
 -لقاء الإخوان الأسبوعي في مسجد الكردي؟
 -أنا لا أعرف مسجداً بهذا الاسم.
 -صرخ الضابط:
 -أتكذب يا ابن إل...؟ أتسكن في شبرا فعلاً، ولا تعرف مسجد الكردي الشهير في روض الفرج؟
 -أتشتتم أمي يا جبان.
 -لم يرد طارق.
 -فاستطردت تساؤلات الضابط:
 -أين يعمل أخوك حسن؟
 -متطوع في الجيش.
 -وأين يعمل والدك؟
 -متوفى.
 -وهل يوجد أحد من إخوتك غير حسن في الجيش؟
 -لا.
 -من هم إخوتك؟

-كرم في الصف الثاني الثانوي، وحسين في الثالثة إعدادي، وسناء في كلية الحقوق، وسميرة في أولى إعدادي.
-وأين تعمل والدتك؟
- ربة منزل.
-من هو نقيب أسرتك؟
-أخي حسن.
فقال الضابط بسخرية:
-عدنا للاستهبال.
ثم تساءل بحدة:
-من هم أعضاء الأسرة غير سعيد؟
-ما معنى أسرة؟
قال الضابط بهدوء:
-ستتكم بطريقتنا المفضلة في التعامل مع أمثالك.
سحب طارق إلى ممر طويل، ثم إلى غرفة كبيرة معتمدة نسبيا، وترك فيها قرابة الساعة وهو لازل معصوب العينين...
دخل الضابط الأول وفرد أمن...
فزع طارق حينما سمع الضابط يصيح فيه بفحيح:
-أنتكلم الآن أم نفتح عليك أبواب جهنم؟!
فتساءل طارق وهو يرتجف:
-ماذا أقول؟
-تحدث عن التنظيم الذي تنتمي إليه؟ ونقيبك؟ وزملائك؟
رنت في إذن طارق قول الغرباوي: "وإذا قُبض على أحد منا فلا يخبر عنا"...
-قلت لكم أنني لا أنتسب إلى أي تنظيم.
قال الضابط بهدوء:
-يبدو أنك لن تتكلم إلا بطريقتنا المفضلة!
وأشار إلى فرد الأمن الذي معه أن يخلع ملابس طارق كلها ماعدا العصابة التي على عينيه.
وبدءوا يربطونه من يديه ورجليه، ثم ثبتوا توصيلات كهربائية على أماكن مختلفة من جسده وخاصة الأعضاء التناسلية. وبدأ أزيز الأجهزة وطارق والرعب في صراخ رهيب، ثم تصمت الأجهزة بينما طارق والرعب يستمران في الأنين، وتكرر الصراخ مع تشغيل الأجهزة!!!...

-52-

لم يجد الدكتور صلاح الشيمي مكانا آمنا ليأمن من زبانية أمن الدولة وحذائهم الثقيل إلا بيت
الراقصة الشهيرة ناني التي استقبلته بترحاب وشوق شديدين:
-مرحبا بالحبيب الأول...
لم يرد عليها. فسألته:
-لماذا تبدو واجما متوترا يا دكتور صلاح؟
فلم يرد. استطردت:
-أنا أعرف السبب.
فتورد وجهه...
ماذا تعرفين يا ابتهاج؟
تساءل وقد جف ريقه:
-ماذا تعرفين؟
فضحكت ضحكة واسعة ماجنة ثم قالت:
-الحب يا حبيبي.
عاد لصلاح نفسه وهدوئه وتبسم وتساءل:
-أي حب؟
-إن أخبارك وصلتني.
ثم تساءلت:
-أتحب ممرضة على آخر الزمن يا دكتور؟
تبسم صلاح. سألها:
-ومن الذي نبأك بهذا؟
-لقد ذهبت إلى الحوض المرصود بخادمتي منذ أسبوعين وعرفت كل شيء.
-ولماذا ذهبت بخادمتك إلى الحوض المرصود؟
-ليكشف حبيب القلب عليها.
تبسم صلاح:
-بإشارة خفيفة منك؛ لأتى لك ولخادمتك كل أساتذة الجلدية في البلد.
ثم تساءل وهو ينظر حوله في البهو الفسيح:
-وأين هذه الخادمة؟
فضحكت ناني ضحكة عريضة وهي ترد:
-كان عندها حب شباب جربنا فيه علاجات كثيرة بدون فائدة فذهبت بها لتكشف أنت عليها
وللأسف لم أجذك. ولما أخبرتني أمس بمجيئك؛ رقص قلبي فرحا، فأمرتها أن تذهب لأهلها،
ليخلو الجو للحبيب الأول الذي لم يسأل عني طوال هذه السنين!

-أنا بحبك جدا يا ابتهاج.
-كيف تدعي الحب وعندما تزوجت لم تجد في الدنيا الواسعة إلا صديقتي وزميلتي؟ والعجيب أنني أنا التي قد عرفتُك بها.
-لقد كانت زميلتك في المدرسة. وأنت الآن قد استقلتِ من وزارة التعليم. وتركتِ شبرا وسكنتِ في الزمالك. وأصبحت النجمة الأولى للرقص الشرقي في البلد. فكيف يتزوج صعلوك مثلي نجمة عظيمة مثلك؟
-لو كنت تحبني فعلا، لتزوجتني بدلا من أن تخون الحب وتتزوج من صديقتي.
-أنا بحبك فعلا. وبالرغم من زواجي من زبيدة، فسأظل أحبك مادام فيَّ عرق ينبض...
-هذا الكلام نقوله في السينما، يعني كلام تمثيل، فلا داعي لئن تمثل الحب يا صلاح...

"فسأظل أحبك مادام فيَّ عرق ينبض! فسأظل أحبك مادام فيَّ عرق ينبض!"

تنهدت ناني وعادت من اجترار الذكرى وتساءلت مع نفسها:
مادام فيَّ عرق ينبض! أين هذا الحب يا صلاح؟
-أنا لم أسأل عنك طوال هذه السنين لأن أخبارك منشورة أولا بأول في جميع وسائل الإعلام.
وأنت طبعاً، لم تسألي عن واحد غلبان مثلي طوال السنوات الماضية.
تهدج صوت ناني:
-أنا لازلت على عهدي بحبك يا دكتور صلاح.
سبحان الله. أمعقول؟ مازلتِ على حبك...
-ولكنك قد تزوجتِ عدة زيجات. ونسيتِ صلاح وحبه...
-كلها زيجات فاشلة وبدون حب. ولكن قلبي لم يُفتح إلا للحبيب. وللأسف، الحبيب الآن قد نسي زبيدة وابتهاج، وهيمان في حب الممرضة بهيجة.
قال الشيمي باسم:
-لو كان على القلب بواب لتحكمنا في مشاعرنا...
فقلت ناني بضيق:
-هنيئاً للممرضة قلبك الكبير...
ما هذا الضيق؟ يبدو أنك لازلتِ على الحب فعلا!...
أسرعت ناني إلى حجرة النوم حتى لا تتفجر مشاعرهما وتبكي. جرى صلاح خلفها وهو يصيح:
-ابتهاج... ابتهاج...
ثم جلس بجوارها على السرير يجفف دمعها. تأمل جسمها المكتنز وقد برزت منه بعض المفاتن من فستان السهرة، فقال في نفسه:
أعوذ بالله... إخواني في المعتقل وأنا بجوار راقصة فاتنة على السرير!... أعوذ بالله!...

أحس الشيمي ببداية فوران الشهوة في جنبات نفسه، فأخذ بيد ناني وذهب بها إلى قاعة الاستقبال الفسيحة المزينة بلوحات فنية جميلة وأصص نباتات وأزهار صناعية وأنتيكات بديعة ... هدأت ناني قليلا ثم قالت:

-لا تؤاخذني يا دكتور صلاح. لقد تحركت المواجه من مواجهها.

-أنا محظوظ بحبك، وحب زبيدة، وحب بهيجة. وأكد أنا أناني.

وبلوم:

-ولا أستحق هذا الحب كله.

ثم قال في نفسه مندهشا:

ولكن أين ذلك الحب الذي كان بيننا؟ لقد كان حبا اصطناعيا لم يتخطَ عتبة اللقاء الجنسي وقضاء الوطر.

قالت:

-اعذرنني يا دكتور صلاح، اعذرنني. لم أقدم لك واجب الضيافة حتى الآن.

ثم ذهبت إلى المطبخ.

تأمل الشيمي في الصورة الكبيرة لناني وهي ترقص...

جسم فاتن. ولكن الوجه؟ إذا أزيلت المساحيق الثقيلة من عليه؛ فسيظهر وجه يحمل ملامح غليظة، وعينين عيناين⁴⁴ إلا أنهما خاملتان ناعستان لا تشيان إلا بالجنس والشهوة، وأنف أفطس كأن صاحبتهما ولدت بال-syphilis⁴⁵، وشفاه غليظة. يعني وجه قردة!... أعوذ بالله من أن أعيب على خلقتك يا رب... ولكن $3 \times 4 = 4 \times 3$ ، فعتاء الربوبية للناس متساو مع اختلاف التنوع من فرد لآخر. فربما يكون الوجه دميما، ولكن الجسد فاتن بالنسبة للمرأة. أو تكون درجة الإخصاب عندها عالية جدا مع جسد ذكوري الشكل. أو تكون دميمة الخلقة، ولكن جميلة الروح والنفس. أو يكون الرجل ضعيف العقل، ولكن قوي البدن والمناعة. أو يكون الرجل ثريا، ولكنه عقيما... ف $3 \times 4 = 4 \times 3$...

ولكن كيف كنت أمارس معها الحب؟ أكيد كنت أغضض عيني عن وجهها إلا عينيها الواسعتين، وأركز على الباقي الفاتن... أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. أكيد إبليس نفسه موجود الآن وجيوش من الشياطين ليزينوا كل حرام. كيف أبيت هنا عدة ليالٍ مع حبيبة القلب بمفردنا بدون دفع من الشياطين والنفس لممارسة الحرام وإعادة الكرة لما قد كان في الزمن الرديء؟ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. نحن -بأفعالنا- نجعل الزمن جميلا أو رديئا! أعوذ بالله...

عادت ناني بالعصير المثلج، فقال صلاح بمرح:

-لقد قرأت إعلانات كثيرة في أكثر من جريدة ومجلة عن رقصك الاستعراضى في ملهى النجوم السبعة. فهل تركت الرقص الشرقي؟

⁴⁴ واسعتان

⁴⁵ مرض الزهري

تبسمت ناني:
-الرقص الشرقي بلدي شوية. والفنانة الحقيقية هي التي ترقص الرقص الاستعراضى.
-طبعا، ستقولين إن الرقص الاستعراضى كله فن في فن.
ثم ضحك فضحكت وقالت:
-لقد ذاب جليد الثلج من وجهك.
فتساءل ضاحكا صاحبا:
-ما هذه البلاغة يا ناني؟
فردت:
-من كثرة قراءاتي لسيناريوهات الأفلام.
فقال متحمسا:
-الآن أنت تمثلين وترقصين. فلماذا لا تغنين؟
ثم أردف:
-حتى تكوني الفنانة الشاملة...
-جربت الغناء، ولكن صوتي وحش شوية.
فضحك صلاح وقال:
-الحقيقة صوتك خشن شوية، ربما من الخمر والحشيش...
فضحكت ضحكة خليعة وقالت:
-سامحك الله يا دكتور صلاح. فأنا لا أشرب الخمر ولا أتعاطي الحشيش.
-ولا في الأفلام يا ناني؟
-ولا في الأفلام.
-ولكنك أكيد تمثلين أدوارا تحتتم شرب الخمر.
فتساءلت مستغربة:
-ماذا جرى لك يا دكتور؟ ما هذه السذاجة؟! الخمر في الأفلام عبارة عن عصير طبيعي.
ثم أردفت ضاحكة:
-لو سكرنا حقيقة أثناء التمثيل، فسيفشل تكلمة أداء الدور.
-أكيد يوجد فنانون لا يسكرون بسهولة ويحتسون الخمر أثناء التمثيل حتى يتقنوا تمثيل الدور جيدا.
وضاحكا:
-بصراحة، هذه أول مرة أرى فنانة ولا تشرب الخمر.
-ليس فقط امتناعي عن شرب الخمر. ألم تقل لي يا دكتور صلاح، منذ سنوات بعيدة -أيام الوداد والحب- إنني أول راقصة تحمل شهادة جامعية.
ضحك الشيمي وهو يشرب عصير المانجو الطبيعي، وقال:
-قلت لك ذلك لأن أغلب راقصات الرقص الشرقي أميات!

-بعضهن يتعلمن القراءة والكتابة الآن.

ثم استطرد ساخرا:

-بعد محو الأمية، ليس ببعيد أن يحصلن على الدكتوراه الفخرية في الرقص الشرقي!

شربت رشفة من العصير وقالت بحماس:

-عما قريب، سنطالب بنقابة للراقصات.

فسألها ساخرا:

-نقابة للراقصات رقصا شرقيا أم غربيا استعراضيا؟

لو رقصت لك الآن؛ لنسيت بهيجة والهيام بها، وأوقفت سخريتك من الرقص...

ردت وقد سعدت بانشرح نفس صلاح:

-نقابة لكل أنواع الرقص.

وباستنكار:

-ولكن لا يوجد رقص غربي في بلدنا.

تعالى يا أستاذ غرباوي لتراني وأنا أحدث عن الرقص! أنتم الآن في نار المعتقل تصطلون،

وعليّ ستبكون بعدما أنجرف عما قليل من حافة هوة نار الشهوات السحيقة... عليّ ستبكون...

ستبكون...

-الرقص المصاحب لأغاني الفيديو كليب أليس برقص غربي؟

ليس كله.

-الحمد لله لقد ذاب الجليد من وجهك.

-ألا تحفظين جملة من السيناريوهات إلا هذه الجملة؟

تبسمت ناني وهي ترد:

-هذه آخر جملة حفظتها في الفيلم الأخير.

ثم قالت في نفسها:

ولكنك يا صلاح لم تخبرني حتى الآن سبب مجيئك. هل وحشك حضن ابتهاج حبيبته القديمة؟

-عشرة أيام بعيدة عني!

-ظروف السفر يا حبيبي.

-حبيبتي، أرجوك لا تبعدي عني مرة أخرى. لقد كان الشوق يحرقني في غيابك.

-أنا كنت في حيرة وعذاب. لم تكن عشرة أيام يا حبيبتي، إنما عشرة أعوام!

-ما أقدرش أصبر يوم على بعده

دالصبر عايز صبر لوحده

-خليني جنبك خليني

في حضن قلبك خليني

عادت ناني من نكش الذكريات على صوت صلاح:
-أرجوك يا ناني، لا تكوني غاضبة مني بسبب إساءة الأدب معك في آخر لقاء بيننا.
قالت وقد تذكرت تلك الطردة المهينة أمام باب شقته منذ عدة سنوات:
-أنت طررتني من بيتك شر طردة. ولكني نسيْتُ تماما يا دكتور صلاح. وهل إساءة الحبيب لها مكان في قلب المحب؟ ولقد كنت قد أتيت إليك لرأي طبي، ولكنك قد أسأت فهم مجيئي.
-سامحيني. فقد خفت أن تسوء زبيدة الظن بي وخاصة أنك في ذلك الوقت كنت ترقصين في ملهى بالزمالك ومشهورة.
ابتسمت وهي تقول:
-سامحك الله. فقد قُطعت علاقتنا منذ ذلك الوقت. ولكن الحمد لله فقد عدت ثانياً لحبيبتيك الأولى.
ضغطت على كلمة الأولى وهي تقولها، ثم ضحكت ساخرة:
-أقول الأولى، لأن قلبك أمسى الآن قطاعاً عاماً...
فتساءل صلاح مبتسماً:
-ماذا تقصدين بقلبي أمسى قطاعاً عاماً؟
-لأنه متسعاً لحب ابتهاج، وحب زبيدة، وحب بهيجة...
فضحك صلاح قائلاً:
-أكيد قلبي... فلم يكمل لأنها قالت:
-كبير جداً. ثم مالت عليه لتقبله؛ فانزعج صلاح ورجع قليلاً إلى آخر كرسي القوتيل الفاخر.
قال وقد أسرعت دقات قلبه:
-أنا لم آت لهذا!
فاحمر وجهها خجلاً...
-قديمًا أخرجتني في بيتك، والآن تخرجني في بيتي!
قال وقد سح العرق من جبينه:
-سامحيني يا ابتهاج.
واضح أنني غبية ولم أفهم قصد مجيئك جيداً...
قالت بود:
-إن قلبي يتفجر دائماً بصكوك الغفران لحبيبه...
قام وربت على كتفها.
-سامحني يا دكتور صلاح. فقد ماج قلبي بحبك، وتقلقت آلام وآهات أكثر من عشر سنوات من مخادعها...
رد بأسى وهو ينظر إلى قدميه خجلاً:
-أنا لا أستحق كل هذا الحب الكبير، بل لا أستحق قلبك الكبير...

رن جرس القلّة. دخل البواب بالعشاء الفاخر الذي أحضره مندوب من فندق ماريوت...

-53-

سُحب سعيد عوض للتحقيق وعلى عينيه عصابة محكمة الربط. ظل يصرخ بطريقة هستيرية:

-أنا ضعيف... أتقتلونني؟!... حرام عليكم... جسمي ضعيف... ليس لأمي أحد في الدنيا إلا أنا... حرام عليكم...

ولمّا وصل إلى وسط غرفة التحقيق، صرخ فيه أحد الضباط: اخرج يا ولد. ما هذه الهستيريا؟ ثم أشار إلى فرد الأمن أن يأخذه إلى أحد الضباط للتحقيق الذي قال: اهدأ يا سعيد. اهدأ. قال سعيد بهستيريا: "لقد ضربتموني قرب القناطر وكدتُ أن أموت. وأخشى أن تضربوني مرة أخرى".

قال الضابط بهدوء: "اسمك؟ وتاريخ ميلادك؟

رد سعيد بشبه بكاء: "سعيد عوض الزامل، السن: 20 سنة".

-تاريخ ميلادك بالضبط؟

ظل سعيد برهة يتذكر...

فتبسم الضابط، وتساءل: "أنسيّت تاريخ ميلادك؟"

رد سعيد: -1975/10/1 ميلادية.

ثم تمتم وقد عاد إليه هدوءه نسييا:

-ما صنعتموه معي ينسيني أي شيء!

قال الضابط: "عنوانك بالضبط؟ إياك أن تكون نسيته أيضا".

-7 شارع عطا الله حنا بشيرا.

-شبرا البلد؟

-شبرا مصر.

-أين تدرس؟

-حصلت على دبلوم صنايع.

-أين تعمل؟

-في شركة المقاولات الشرقية.

-المقاولات أم المقاولون؟

-المقاولات.

-أتكذب؟

-أنا اشتغلت منذ وقت قريب بها ولا أدري المقاولات أم المقاولون الشرقية.

-مع الغرباوي؟

لم يرد.

-ماذا تقرأ من الكتب الدينية؟

-أنا لا أقرأ إلا القرآن الكريم والجرائد.
-وكتب عيد نجم، ما رأيك فيها؟
-أنا لا أعرف نجم عيد.
تساءل الضابط بحدة: "أستعبط وتعكس الاسم؟ ألم تقرأ تفسيره في القرآن الكريم؟"
-أنا لا أعرفه.
-ما رأيك في الحاكم الذي لا يطبق الشريعة الإسلامية؟
-ليس لي رأي فيه.
تساءل الضابط بسخرية: "ألسنت مسلما؟ أليست جماعتك تنادي بتطبيق الشريعة الإسلامية؟"
-ما هي جماعتي التي تنادي بالشريعة الإسلامية؟
-أنسيتها هي الأخرى؟
-أنا لا أفهم ما تقول.
صرخ الضابط: "أستهبل يا كلب؟ أستهبل يا ابن الكلب؟ يا ابن القحبة!"
فصرخ سعيد: "أنا لست ابن قحبة يا كلاب".
وظل يكرر صارخا: يا كلاب... يا كفرة... يا أولاد الكلب...
فانكب الضابط ومن في الحجرة ضربا ولكما على وجه سعيد وعلى وكل جزء من جسمه...
فصرخ وبكى بهستريا شديدة وظل يردد: "حسبي الله ونعم الوكيل". حسبي الله ونعم الوكيل".
"ولقد كرمنا بني آدم"...
سُحب سعيد إلى خارج غرفة التحقيق والضابط المحقق من خلفه لا يتوقف عن ضربه وركله
حتى وصل الضابط إلى حالة من الإعياء!...
تُرك سعيد مكوما على أرض الممر، لم يستطع أن يقول "حسبي الله ونعم الوكيل" إلا في سره
من الإجهاد والإعياء الشديدين...
وبعد ساعة، سُحب إلى غرفة التحقيق ليسأله ضابط آخر:
-اسمك؟ وتاريخ ميلادك؟
فرد بصوت عالٍ: "لا حول ولا قوة إلا بالله... ألم أسأل عن اسمي وعنواني من قبل! لماذا هذا
التعذيب البدني والنفسي لخلق الله؟ ألسنا مصريين مثلكم؟!"
-أجب على السؤال يا ولد. واغضض من صوتك وإلا سنريك جهنم الحمراء هنا.
-سعيد عوض الزامل، السن: 20 سنة.
-تاريخ ميلادك بالضبط؟ وعنوانك؟
-1975/10/1 ميلادية.
صرخ الضابط: "بيدو أنك ناوي على خراب بيتكم. عنوانك يا كلب؟"
أجاب سعيد مرتجفا: "7 شارع عطا الله حنا بشبرا مصر بالقاهرة الكبرى بجمهورية مصر
العربية الكبرى بقارة أفريقيا الكبرى"...
تبسم الضابط، وسأل: "أين تصلي الجمعة؟"

-في المسجد.
قال الضابط بحدة شديدة: "نعم يا روح أمك! المسجد، أليس له اسم؟"
ارتعب سعيد من حدة الضابط وقال برجفة:
-مسجد النصر.
فتساءل الضابط بقوة:
-مع الغرباوي؟
تدفق الدم في وجه سعيد. تساءل:
-من الغرباوي هذا؟
سكت الضابط برهة يتأمل أوراق أمامه ثم قال بهدوء:
-طارق تحدث عن كل شيء فلا داعي لئن تنكر.
تساءل سعيد برجفة:
-ماذا أنكرك؟
-ألم تكن في جولة للقناطر؟
-فعلا، كنت ذاهبا إلى القناطر مع طارق.
-مع طارق فقط؟
تساءل سعيد:
-ماذا تعني؟
-بقية الأسرة؟
-أنا والدي سعودي ومات في السعودية. وإخوتي من أبي يعيشون في السعودية، وقد حجبوا عنا الميراث. وليس لي في هذه الدنيا إلا أُمي.
ضحك الضابط ساخرا وقال:
-أتحكي لي فيلما هنديا لتتوهني.
أقسم سعيد أنه يقول الحقيقة.
قال الضابط:
-يا ولد، لا تستعبط. أنا أتحدث عن أسرتك الإخوانية.
-ما معنى أسرة إخوانية؟
قال الضابط لرجل الأمن:
-أذهب به إلى غرفة السلخانة حتى لا يستعبط علينا مرة أخرى...
سُحب سعيد إلى غرفة السلخانة وهو يصرخ صراخا هستيريا...
وقبل إجراء عمليات التعذيب، قال الضابط:
-أتتكلم الحقيقة؟ أم نبدأ في سلاسل عذاب جهنم؟
فصرخ سعيد وازداد صراخا وهم يهمون بخلع ملابسه...
صرخ فيه الضابط:

-بدلاً من هذا الصراخ الصبياني، قل الحقيقة.
فرد باكياً:
-ماذا أقول؟ أنا ليس لي علاقة بالإخوان المسلمين ولا بغيرهم.
قال الضابط:
-الإخوان علموك أن تكذب هكذا بسهولة.
لم يرد سعيد.
فتساءل الضابط:
-والغرباوي؟ ألا تعرفه؟
-من هذا الغرباوي؟
فانقض الضابط ضرباً ولكما على جميع أجزاء جسمه وهو يقول:
-يا ابن الكلب، أليس أحمد الغرباوي ساكن في 10 عطا الله حنا؟ يعني بجوارك.
ثم صارخاً:
-أليس أحمد الغرباوي هو الذي سهل لك العمل في شركة المقاولون الشرقية التي يعمل بها؟
فقال سعيد وهو يصرخ:
-أنا لست ابن كلب... أنا لا أعرفه... أنا لا أعرفه...
قال الضابط لفرد الأمن:
-لا فائدة منه أبداً. ابدأ بعصير الليمون!
وكان الشاب الملتحي قد حدث أمام سعيد وطارق عن بعض مصطلحات أمن الدولة التي تعني شيئاً آخر. فكوب ليمون بارد مثلاً، معناه التعذيب بالكهرباء!...
صرخ سعيد صراخاً هستيرياً شديداً، ثم سقط مغشياً عليه...
قال الضابط:
-خذ. الله يخرب بيت أمه. يبدو عليه ناوي على الموت...
حاول فرد الأمن أن يوقظه عدة مرات فلم يفلح. فلما يئس، رفعه من الأرض وحمله وسار به إلى الزنزانة...
فلما شاهده طارق محمولاً، صرخ.
أفاق سعيد على الصراخ وتساءل بإعياء:
-أين أنا؟
فانكب عليه طارق يقبله وهو يبكي...

-54-

أخرجوا طارق وسعيد من جهاز مباحث أمن الدولة إلى المعتقل بمزرعة طرة. وبالرغم من تنبيه أحمد الغرباوي على أفراد أسرته الإخوانية بأن يأخذوا الحذر وألا يبيتوا في بيوتهم إلا أن الأمن قد قبض عليهم فردا فردا ماعدا صلاح الشيمي. وحتى الغرباوي نفسه قبضوا عليه. وقد حُبس الغرباوي وإخوانه في الزنزانة نفسها التي كان بها طارق وسعيد... ولم يصلوا إلى الزنزانة في سلام، إنما فُعل معهم كما فُعل بطارق وسعيد من تغمية العين والضرب والركل والسب حتى وصلوا إلى الزنزانة فجرا غير سالمين!... وكعادته في مقابلة كل زائر لهذه الزنزانة، قابلهم الأخ الملتحي القابع في الزنزانة والذي لا تبدو عليه آثار التعذيب. طبعاً، قابلهم بالبشر والترحاب كما فعل مع سعيد وطارق وربما مع الكثيرين حتى يُعرف فيستبدل بغيره من الطابور الخامس!... جمع هذا الملتحي من أهل الزنزانة المال الخاص بالوجبات...

حذر الغرباوي إخوانه من هذا الأخ الملتحي فربما يكون عينا للأمن. جلسوا ليتناقشوا بماذا سيقولون في التحقيق...

قال الغرباوي بهمس وهو يشير إلى سقف الزنزانة وينبههم إلى أماكن أجهزة التصنت: -لابد أن ننكر أي علاقة لنا بالإخوان ولا بأي تيار سلامي مهما ضغطوا علينا. فقال إسماعيل: "علاقتنا لا تتعدى الصداقة".

وقال الدسوقي: "ونحن أصدقاء فعلاً".

وقال علي: "وجيران".

وبتفاؤل: "الحمد لله أن الدكتور صلاح قد نجاه الله من الاعتقال".

أشار الغرباوي أن يصمتوا لأن الأخ الملتحي قد اقترب منهم.

سألهم الملتحي: "ماذا ستأكلون؟"

فقال الغرباوي: "الذي تأكلونه أنتم".

-نحن لا نأكل إلا الثلاثي المرح.

فضحك آل الغرباوي وتساءلوا: "وما هي الثلاثي المرح؟"

فتبسم الملتحي مجيباً: "الفول والطعمية والبطاطس المقلية".

فقال الغرباوي: "ما أحلى هذه الثلاثي المرح".

وقال الدكتور عماد مرحاً: "ثلاثي مرح. ثلاثي نغم. ثلاثي طروب. أهم شيء أن نأكل جيداً".

وقال علي ضاحكاً: "حتى نستطيع أن نتحمل عذاب السلخانة الذي نسمع عنه".

فتساءل الأخ الملتحي مبتسماً: "الأخوة الكرام، جماعة إسلامية أم جهاد؟"

تبرم الغرباوي: "لا جهاد ولا جماعة إسلامية".

فقال الملتحي بسماحة: "إذن أنتم إخوان".

ومبتسماً ببرود: "أو زعيمكم -وهو يشير إلى الغرباوي- جهاد، والباقي إخوان؟"

ضحك الغرباوي قائلاً: "توليفة بين الجماعات؟!"
ثم قال في نفسه: الله يخرب بيتك. ما هذا التطفل السمج؟!
ضحك الدكتور عماد الدسوقي:
نحن (بتوع) القناطر!
فتبسم الملتحي قائلاً:
-(بتوع القناطر)! تنظيم جديد؟!
فضحك آل الغرباوي. قال الغرباوي من خلال ضحكه:
-لقد فُبض علينا بالخطأ.
وبنبرة قوية:
-لقد جُعنا يا قوم. أين الثلاثي المرح؟
تأمل علي عبد المنعم في الزنزانة وقال:
-أول مرة أرى زنزانة مفروشة بالموكيت بدلاً من (البُرش) الذي نسمع عنه أو الإسفلت...
ثم ساخراً:
-وإن كان موكيت متآكل وليس له لون!
فسأله إسماعيل عبد الفتاح:
-وهل رأيت أي زنزانة من قبل يا أخ علي؟
-الحمد لله. لا.
فدعا الغرباوي:
-ربنا يجعلها آخر مرة لنا جميعاً.
فردوا:
-أمين...
قال إسماعيل هامساً:
-أكيد طارق وسعيد هما اللذان أخبرا عنا.
فأوماً الغرباوي:
-ربما من التعذيب.
فتساءل إسماعيل:
-ولكن أين هما الآن؟
فرد عليه الغرباوي بصوت خفيض:
-ربما في زنزانة أخرى هنا أو في أحد المعتقلات.
قال علي رافعاً يديه إلى السماء:
-ربنا يفرج كربنا جميعاً.
-أمين...

تبسم الغرباوي ساخرا، وقال:
-إن"فورا " هنا خاصة بالقبض على الناس فقط!...
فقال عماد:
-الرجاء إحضار الطبيب.
فقال السجان:
-أسلوبك الآن جيد.
قال إسماعيل في سره:
اذهب يا (بجم) بسرعة فالحالة خطيرة.
بدأ الدكتور عماد في عمل الإسعافات الأولية...
قال إسماعيل متأثرا:
-الضغوط النفسية هي التي فجرت الصرع.
ازدادت التشنجات وأتبعها زيادة العرق...
فصرخ الغرباوي:
-أين الطبيب؟
صرخ أكثر من صوت من آل الغرباوي وأغلب المقبوض عليهم بالزنزانة:
-الطبيب؟ الطبيب؟
قال عماد الدسوقي بقوة:
-يجب أن يعرض على أستاذ أعصاب بعد خروجه من هنا.
تشنج جسم علي بشدة. عاد الأخ الملتحي بالطعام فصرخ معهم:
-أين الطبيب؟ أين الطبيب؟
عاد السجان بعد ربع ساعة يسبقه كرشه وبروده والطبيب...!
قال السجان زاجرا:
-ممنوع الصراخ هنا. ممنوع. أتفهمون؟
جهر الغرباوي بصوته:
-لا تردوا عليه.
تمنى كل واحد من أهل الزنزانة أن يبصق عليه...
فتح الزنزانة بمفاتيحها الثقيلة بهدوء، ودلف الطبيب، ولمّا بدأ يفتح حقيبته الطبية إذا بروح علي
ترد إليه ويستيقظ...

في الصباح، طرقت ناني باب حجرته وتبسمت وهي تقول:
-عندي مهمة قومية اليوم. فسامحني يا دكتور صلاح، لأنني سأتركك ساعات قليلة.
شييعها صلاح بابتسامة عريضة:
-مع السلامة يا ابتها.

راقصة... ولكنها إنسانة محترمة بمعنى الكلمة... لم تسألني حتى الآن عن سبب زيارتي الثقيلة.
لازال قلبها ينبض بحبي بالرغم من إهائتي وطردي لها في بيتي... لقد ظننت أن حبها لي لا
يتعدى ممارسة الجنس. ولكن اتضح أن حبي لها هو الذي لم يتعد قضاء الوطر! حب أناني،
حب شهواني، بل ليس بحب على الإطلاق... شهوة لا أكثر ولا أقل... شهوة محرمة في وقت لا
أجد فيه الطريق الحلال لتصرفها... وحينما وجدت الحلال، لم أجد إلا صديقتها وزميلتها في
مدرسة التربة... أنانية ما بعدها أنانية... عرفنتي بزميلتها، فتعلقت بها وتزوجتها... لقد حطمت
صداقتهما بأنانيتي الحقيمة... إن قلبها كبير... نحن الأطباء لا نفهم أكثر من قشور سطحية من
نفوس الناس، حتى أطباء ال⁴⁶ psychiatry لا يفهمون أكثر من قشور عن النفس البشرية
وأمراضها النفسية...

ولكن ماذا أفعل الآن أمام هذا الحب الكبير؟ هل سأزوجها؟ من المستحيل. من المستحيل.
ستفرض الأنانية نفسها من جديد. وسيقول لي ضميري المختفي منذ دخولي هذه القلة والمتيقظ
دائما في جلسة الغرباوي لتأنيبي:

"أنتزوج راقصة شهيرة؟ حتى لو لم تكن شهيرة، أنتزوج راقصة يا رجل؟ أين تدينك؟ أين أنا
منك؟ أين دعوتك الإخوانية؟ أين الغرباوي؟ أين أخوة الدعوة؟ أين الصحبة الصالحة الطيبة؟ أين
جهاذك في الدعوة؟ ألا يكفي أن إخوانك الآن في المعتقل وأنت تنام هنيئا آمنا مطمئنا تأكل
أطياب الطعام من أفخم الفنادق؟ ألا يكفي أنك تتمرغ في دعة وسعة وراحة وطمأنينة، وإخوانك
يتقلبون على نار تحقيق وتعذيب وضيق وكرب وضغوط نفسية رهيبية؟ ومن المؤكد أنهم
يعانون الآن من تعذيب وحشي همجي رهيب..."

اللهم فرج كربهم... اللهم اربط على قلوبهم... اللهم أعدهم سالمين غانمين... اللهم ارحمهم مما
هم فيه... اللهم ارزقهم الصبر... وارزق أهلهم الصبر... اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة... وفي
الآخرة حسنة... وقنا عذاب النار...

ضغط صلاح على رأسه وقال:

وبهيجة؟

بهيجة، يا ربي، ماذا أصنع معها؟ الأمور كلها معقدة. اللطف يا رب. ألطف بنا يا رب. ولكن
هل فعلا أحبها؟ هل فعلا أحبك يا بهيجة؟ أم هي أزمة منتصف العمر كما قال الدكتور أحمد
إسماعيل وكما قالت زبيدة أيضا؟ أنا في حيرة. لا أدري ماذا أصنع؟ هل سأزوجها؟ أم سأضحي

بحبها لي وأحطم قلبها تحطيمًا ساحقًا؟ ألا يكفي مصيبتها في زواجها من السعودي الظالم؟ ألا يكفي الشروخ الرهيبة في جدران نفسها من ظلم أبناء زوجها الفجرة الظلمة؟! الأمور كلها تعقيد، تعقيد في تعقيد، عقد من داخل عقد، بل عقد من داخل عقد من داخل عقد إلى ما لا يعلمه إلا الله. لا حول ولا قوة إلا بالله...

وزبيدة؟

وبيتي الذي سيُخرب بسبب حبي لبهيجة، وسيُدمر إذا تزوجتها... المرأة لا تستطيع أن تكون لها ضرة. ربما تتحمل أن يكون لزوجها علاقات محرمة قبل أو بعد زواجها منه، ولكن تنهار تمامًا إذا تزوج عليها. ما هذا؟ أين الشرع؟ وأين مطالبتنا بتطبيقه؟ أم هي شعارات رنانة نرددتها بدون جذور لها في إيماننا وقلوبنا؟ مجرد شعارات!...

الإخلاص؟

أين الإخلاص لزوجتك؟ لماذا يا شيمي، تفتح قلبك لحب امرأة أخرى بعد زواجك؟ أين الإخلاص يا رجل؟ أين العشرة؟ أين الحب الذي كان يملأ قلبك أثناء خطبة زبيدة؟ وحتى بعد الزواج؟ لماذا هذه الأنانية؟ هل ترضى أن تحب زبيدة رجلاً آخر بعد زواجها؟ الشرع قد أباح للرجل الزواج بأربعة، وبالتالي هل للزوج أن يفتح قلبه لثلاث نساء بعد زواجه من الأولى؟ وعلى الزوجة أن تخلص لزوجها ولأبنائها ولبيتها لأن الشرع لم يبيح لها إلا زوجها فقط! طالما أن الزوجة تخلص لزوجها وبيتها وأبنائها، إذن يجب على الزوج أن يخلص لزوجته وبيته وأبنائه هو الآخر. ما أعظم أنانية الرجال الذين يطبقون الشرع على أهوائهم ورغباتهم وشهواتهم...

الشرع؟!

أنتكلم عن الشرع وأنت مختبئ في بيت راقصة؟!... ها ها ها!...

بهيجة... يا حبيبتي...

يا رب... هل لنا سلطان على قلوبنا؟ هل نستطيع أن نغلق قلوبنا بعد الزواج على زوجاتنا فقط؟ أليست القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء؟ أليس حبي لبهيجة ربما يكون رحمة من الله لها ولظروفها السيئة وأحوالها الاجتماعية المضطربة منذ عودتها من السعودية وإن كنت لم أعرف بأحوالها إلا منذ فترة بسيطة. وحبها لي، ماذا أصنع له؟

خالد؟ سحر؟

ما ذنبهما لهذا الاضطراب العائلي؟ لن تقبل أمهما ضرة ولو على جثتها...

الجماعة؟

الجماعة؟ وهل جماعة الإخوان تمنع الزواج الثاني؟ الشرع أباح. خلاص. انتهى الأمر. أهم شيء ألا يؤثر الزواج الثاني أو الثالث على جهد الدعوة إلى الله وأنشطة الجماعة...

الزواج الثالث؟

ها ها ها... الزواج الثالث من ابتهال والثاني من بهيجة. (عفارم) عليك يا رجل يا مزواج!...

ناني؟

لقد ذهبت في مهمة قومية. فما طبيعة هذه المهمة القومية؟ فهل سترقص في هذه المهمة القومية؟ ولكن طبيعة عملها لا تكون إلا بالليل. ربما سترقص في وداع وفد من بلد آخر. أو خرجت لأي أمر آخر الله أعلم به. ترقص أو لا ترقص هي وشأنها...

الحمد لله، لقد عدت الليلة الفاتنة على خير. وإن كانت حصيلتها لمس يديها، والجلوس على السرير بجانبها، والربت على كتفها، وطبعاً، النظر إلى جسمها الفاتن المثير...
لقد عصمني الله من الانزلاق في هوة الشهوات. الحمد لله...

في الكوكب الثالث، استقبل المعلم روح علي عبد المنعم بالبشر والترحاب والابتسامة الحنون:

-مرحبا بك يا علي، في الكوكب الثالث.

-مرحبا بك يا معلم.

ارتسمت سيماء الجد على وجهه النضر وهو يهتف: "هنا كوكب التمحيص. هنا لوحة الابتلاء يا علي..."

ثم تلا قوله تعالى في خشوع: {-الم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ *}⁴⁷...

قالت روح علي بحزن: "نحن الآن معتقلون في أمن الدولة".

قال المعلم بيقين: "{وَكَايْنِ مَنْ نَبِيٍّ قَاتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ *}"⁴⁸...

برزت أحداث فيلم سينمائي ضخم كسينما سكوب أمام المعلم وعلي، وازداد العرض السينمائي اتساعا رويدا رويدا حتى أصبح اتساعا رهيبا لدرجة أنه ملأ صفحة الكوكب كله...

وبالتدريج دخل المعلم ويتبعه علي إلى خضم الأحداث نفسها داخل العرض السينمائي.

تساءلت روح علي باستغراب: -"ما هذا يا معلم؟ لقد دخلنا في الأحداث نفسها".

-لقد كانت الملائكة والجن والبشر شاهدين لهذه الأفعال وقت حدوثها.

تعجبت روح علي وتساءلت: "كيف ذلك يا معلم؟"

-بالنسبة للبشرية، فقد كانت كلها داخل هذا الحدث الرهيب وهي في مرحلة الذر.

فزعت الروح وتساءلت بهلع: "ما هذا الصهد المشع؟ ما هذه النيران الرهيبة التي تضطرم من بعيد؟!"

-هذه نيران أصحاب الأخدود يا علي.

هتفت الروح: "سبحانك يا رب. سبحان تثبيتك للمؤمنين".

تعجبت: "إنني لا أجد من الموحدين أحدا يتردد أو يرهب هذه النار العظيمة"...

فرد المعلم بيقين: "ألم تسمع إلى قوله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}*⁴⁹"

47 الآية 1-3 من سورة العنكبوت

48 الآيات 146 -148 من سورة آل عمران

49 الآية 27 من سورة إبراهيم

نظرت روح علي في حشد أصحاب الأخدود، فرأت امرأة مؤمنة ومعها أبنائها تتردد حينما أوقفوها على شفا الأخدود. تنتظر برعب إلى الأخدود وألسنة النار تكاد أن تبلعها، ثم تنتظر إلى أطفالها وطفلها الرضيع وتقول:

-لا حول ولا قوة إلا بالله. ما ذنب هؤلاء الأبرياء؟ وما ذنب هذا الرضيع حتى يُطرح في النار؟ وظلت تبكي بمرارة بينما كان الجلادون يقفون منتظرين أن تنطق بالكفر بالله ربها ورب الغلام وتسبح بحمد الإله ملك البلاد...

همست المرأة وهي تناجي الله عز وجل:
"ماذا أفعل يا رب؟ أُلج في النار أم أنجو بأبنائي؟ ولكن أنجو من نار الدنيا لألج في نار الآخرة؟ ماذا أفعل يا رب؟ يا رب؟ يا رب؟

أنجو من نار ضعيفة لألج في نار عظيمة لا نهاية لها؟ ماذا أفعل يا رب؟ يا رب؟
طريق السلامة هو نفسه طريق الندامة، ماذا أفعل يا رب؟ يا رب؟ يا رب؟"
كان الجلادون يزعمون فيها بأعلى أصواتهم لكي تعبر عن إيمانها بالملك الإله رب البلاد، وتكفر بالله الواحد رب العالمين.

ولكن ضميرها يزعم هو الآخر:
"أتعودين إلى الضلالة بعد الهدى؟ أتكفرين بالله رب العالمين؟ أتكفرين بالذي خلق الناس وخلق السماوات والأرض؟ أتكفرين بالذي له الأسماء الحسنى والصفات العليا؟ أتكفرين بالله بعدما عرفتته؟ أتكفرين بالله بعدما ولجت بشاشة الإيمان به إلى سويداء قلبك؟ أتكفرين بالله بعدما ذقت طعم وحلاوة الإيمان به؟ أتكفرين بالله بعدما أشرق الإيمان وسطع في ربوع نفسك وجنّبات روحك؟ كيف يكون هذا؟ كيف؟!"

-هيا يا امرأة، أعلنني الكفر برب الغلام. أعلنني الكفر برب الغلام.
وبصياح شديد:

-أعلنني الكفر برب الغلام وإلا ستُدفعين مع أبنائك حالا إلى جهنم. هيا يا امرأة... فلم ترد عليهم.

بدأ الجلادون يلقون بأطفالها طفلا بعد طفل. وكلما ألقى بطفل، إذا بقلبها يهوي في الأخدود معه... ولم يتبق إلا طفلها الرضيع وهي...

"ما هذا يا ربي؟ لقد خفت صوت ضميري؟ أين ضميري الذي كان يحدثني منذ قليل؟ أين صوت قلبي؟ أين إيماني بالله الواحد الأحد الفرد الصمد؟ أين؟ أين؟ ماذا أفعل يا ربي؟ يا رب يا رب..."

ولما بدؤوا يأخذون الرضيع منها عنوة، إذا بالتردد يجوس ويصرخ خلال نفسها صراخا مرعبا؛ وينتج عن صدى صراخه الرهيب الخوف، والفرع، والهلع، والرعب...

ولما بدأ التردد والخوف والفرع والهلع والرعب يتعملقون في جنّبات نفسها ونواحي روحها ويتمكنون منها كل تمكن، إذا بطفلها الرضيع ينطق ويهتف:

- "لا تتردي يا أمي، إنك على الحق..."

فتوهج إيمانها وأشع في الكون كله، وهبطت بطفلها الرضيع في النار في غمضة عين!!...
 بكت روح علي وبكى المعلم وبكت الأرواح الشاهدة لهذا الموقف الرهيب...
 هتفت روح علي باكية:
 -إنا لله وإنا إليه راجعون... ما أعظم الإيمان في قلب هذه المرأة. الله الله الله... لقد اقتدت بنفسها
 وأبنائها وابنها الرضيع في سبيل الكفر بالإله المزيّف والإيمان بالله الواحد الأحد... لا إله إلا
 الله... لا حول ولا قوة إلا بالله...
 قال المعلم بصوت بالك:
 -لقد أنطق الله هذا الرضيع؛ فثبت إيمان أمه، وكل مؤمني أصحاب الأخدود، وكل المؤمنين -
 وهم في مرحلة النذر- الشاهدين لهذا الموقف الجلل...
 ثم تلا بخشوع:
 -{وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} * 50...
 تساءلت الروح والبكاء الحار مازال مسيطرا على كل الأرواح وهي تستمع إلى هسيس النار
 وهي تأكل أجساد المؤمنين:
 -كيف يتحمل هؤلاء المؤمنين هذه النار المتأججة المستعرة التي تكاد أن يأكل بعضها بعضا من
 شدة الاحتراق؟ وكيف يطيق الرضيع وإخوته الصغار هذه النار؟
 فأجابه المعلم ببرد اليقين:
 -ألا تذكر يا علي، حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الشهيد يشعر بضربات السيف
 كوخز الإبر))...
 تبسّمت روح علي:
 -صدق رسول الله.
 أكمل المعلم:
 -فهؤلاء الشهداء لا يشعرون إلا بلسعة خفيفة جدا، ثم تصعد أرواحهم الطاهرة إلى جنات رب
 العالمين...
 تضايقت الروح وامتعضت وحزنت بشدة وهي تقول:
 -انظر يا معلم، إلى الملك وزبانيته يضحكون من أعماقهم وهم يشاهدون المؤمنين وهم يذوبون
 في النار!!...
 -هذا دأب الطغاة على مر العصور.
 وبسخرية مريرة: "فإنهم يقتلون ضحاياهم بدم بارد!"
 هتفت الروح ورددت:
 -نعوذ بالله منهم... نعوذ بالله منهم...

ثم تأملت في الملكوت أمامها، وتساءلت:
 -يا معلم، أين مكاننا حينما كنا في مرحلة الذر ونشاهد هذه الأحداث؟
 فتبسم المعلم وهو يجيب: "انظر إلى خلفك في جهة اليمين فسترى العجب العجائب!"
 نظرت روح علي إلى تلك الجهة، فتعجبت وهتفت وتساءلت:
 -يا سبحان الله... يا عظمة الله... يا جلال الله... ما هذا العدد اللانهائي من الأرواح؟!
 فأجاب المعلم بيقين:
 -هذه أرواح المؤمنين في مرحلة الذر تشاهد إيمان أصحاب الأخدود، حتى يتثبت الإيمان في
 قلوب أصحابها في عالم الشهادة...
 فتساءلت الروح: "أين مكاني بين هذه الأمواج المتلاطمة من الأرواح؟"
 -مكانك الآن هو نفسه المكان الذي كنت فيه وأنت تشاهد هذه الأحداث الفظيعة.
 فقالت الروح بدهشة: "ولكننا الآن قد أتينا من عالم الشهادة إلى هذا الكوكب".
 فرد المعلم بيقين:
 -لقد تداخل الزمان معا يا علي..
 ثم سكت هنيهة يتأمل ويسمع هسيس النار وهي تذيب أجساد المؤمنين، وبعدها قال باكيا:
 -لقد ضرب مؤمنو أصحاب الأخدود مثلا عظيما في الفداء بالروح في سبيل الإيمان بالله الواحد
 القهار... ما أعظم إيمانهم... ما أعظم ثباتهم... ما أعظم صبرهم... ما أعظم تضحياتهم...
 فبكى روح علي وقالت بيقين:
 -إن ما نلاقه في التعذيب بأيدي جلادي أمن الدولة، لا يقارن أبدا بهذه النار الفظيعة التي
 يصطلي فيها أصحاب الأخدود...
 قال المعلم بزفرات باكية:
 -إن من يعرف الله وأسمائه الحسنی وصفاته العظمى، يعظمه. ومن يعظمه يحبه. ومن يحبه،
 تهون عليه التضحيات بالنفس والمال وكل شيء...
 ثم بكى بنحيب وهو يهتف:
 -يا حبيبي يا رب... يا حبيبي يا رب...
 فانتحبت روح علي، وانتفض جسده في الزلزلة في الوقت نفسه...
 وقيل أن ينصرفا من الكوكب، قال المعلم:
 -عندي لك مفاجأة عظيمة...
 فتساءلت الروح بشوق:
 -وما هي يا أستاذي؟
 فرد المعلم بحب ورهبة:
 -ستكون لنا زيارة للكوكب السابع لنقابل غلام أصحاب الأخدود العظيم إن شاء الله...

عادت ناني من المهمة القومية. وأثناء تناول طعام الغداء الفاخر، قالت بابتسامة مشرقة: -صالح... سأرفع الألقاب بيننا. -ليس بين المحبين ألقاب. -المحبين؟! أتضحك علي يا شيمي؟ إن قلبك قد امتلأ بحب الممرضة. -عسى ألا تكون قد تضايقت من غيابي صباحا. -يا ناني، لا تعطلي مصالحك بسبب زيارتي الثقيلة. -ألا تقول "يا حبيبتني" كما كنت تقول في الماضي الجميل؟ -قالت ناني وهي تضغط على الحروف: "زيارتك الثقيلة!" ثم وهي تبتسم: "يا حبيبي، على راحتك. أنا كنت أتمنى زيارتك الثقيلة هذه منذ سنين طويلة. ولا داعي لئن تقلق. فقد أخذتُ أجازة من جميع أعمالي لمدة طويلة". -والله أنت إنسانة عظيمة... أتعطلين أمورك بسبب وجودي الثقيل الغبي؟ ما أعظم شخصيتك؟ ولكن ما ذنبك في هذا التعطيل لأعمالك؟ لا بد أن أخبرها بحقيقة الأمر... -يا ناني. أرجوكِ عودي إلى ممارسة أعمالك كما كانت. فربما يطول مقامي هنا لظروف شديدة أمر بها. -تردد الشيمي قليلا ثم واصل: "إن مباحث أمن الدولة تقبض قبضا عشوائيا في الحي. ولقد قبضوا على بعض أصحابي، فأخشى أن يأتي الدور علي". -فتساءلت ناني منفعلة: "ولماذا؟ هل توجد جماعات إسلامية بشبرا؟ أنا أعلم أن الجماعات الإسلامية موجودة في عين شمس وإمبابة والصعيد". -الجماعات المتأسلمة طفيليات رهيبة غزت كل شبر من أرض مصر. -ترددت ناني قليلا ثم سألته: "هل أصحابك من الجماعات الإسلامية؟" -أمن الدولة تقبض بأسلوب عشوائي لتجمع أكبر عدد ممكن، ثم تغربل وتصنف هذه الأعداد. -ابتسمت: "طبعاً، بعدما تريهم النجوم في عز الظهر". -وبجدية: "عندهم حق يا صالح. فالبلد قد اكتوت من نار الجماعات الإسلامية؛ فهم لا يفجرون قنابلهم إلا في الأماكن المزدحمة بالناس سواء كانت مزارات سياحية، أو حتى مواقع حفر مترو الأنفاق!" -هم حريصون على ضرب اقتصاد البلد في أي شكل. ولا يطرف لهم جفن إذا مات أفراد من الشعب. ولكن ذلك كله من اليأس الذي ملك نفوسهم... أنت بهذا الشكل تدافع عنهم! هل أنت منهم يا شيمي؟ ولكن شكلك لا علاقة له بالجماعات الإسلامية؟ أنت يكفيك انشغالك بحب بهيجة... -عبست ناني: أفراد من الشعب أو من الأجانب، أليست نفوسا لا يحق قتلها بتفكير غبي جاهل؟! -رد صالح بضيق:

-كثير من هذه الجماعات يكفرون الناس أصلاً، بل يكفرون من ينشق عنهم. وبالتالي فلا حرمة لكافر في شريعتهم الشيطانية!...

عبث الضيق بوجه صلاح. قالت:

-دعنا من هذا الموضوع الرذل. وحدثني عن أحوالك بالمستشفى. لقد سمعت أنك تُتدب كثيرا إلى مستشفيات مختلفة، وهذا يسبب لك كثيرا من الضيق والمعاناة... أمعقول يا ابتهاج! تسألين عني وتعرفين أحوالي بهذا الشكل...

تهدج صوت متهدج:

-ماذا أقول لك؟ صدقيني. أنا لا أستحق سؤالك عني ولا حبك لي.

تورد وجه ابتهاج خجلاً ولم ترد...

وبعد قليل، ترنمت شعراً لشكسبير بصوت مؤثر، وكان صلاح يقوله لها كثيراً فيما مضى...

-ألا تشبهين صفاء المصيف

بل أنت أحلى وأصفى سماء

ففي الصيف تعصف رياح الذبول

وتعبث في برعمات الربيع

ولا يلبث الصيف حتى يزول

وفى الصيف تسطع عين السماء

ويحتدم القيظ مثل الأتون

وفى الصيف يحجب عنا السحاب

وما من جميل يظل جميلاً

فشيمة كل البرايا الفناء

فمادام في الأرض ناس تعيش

ومادام فيها عيون ترى

فسوف يردد شعري الزمان

وفيه تعيشين بين الورى⁵¹...

صفق صلاح مرحاً، فقالت ناني:

-أين هذا الشعر الجميل الآن يا صلاح؟ لازالت أحفظ أجزاء من هذا الشعر للشاعر الانجليزي الشهير. أكيد تقوله الآن لبهجة ملعونة. الله يخرب بيتها...

فقال في سره:

لماذا تقولين عليها "ملعونة"؟!...

ثم تعجب من تذكرها لهذه الأبيات من السونيته

قال بحب:

⁵¹ بعض الأبيات من السونيته رقم 18 لشكسبير ترجمة محمد عناني

-أنا سعيد جدا من تذكرك لهذه الأبيات يا ابتهاج.
وبوجل:
-بصراحة، المرأة أكثر إخلاصا في حبها من الرجل...
شعر صلاح بحرج شديد. نز العرق من على جبهته، فأخذ منديل ورقي من على السفرة وجفف وجهه...
قالت ناني في سرها:
يا حبيبي يا صلاح. يا حبيبي أنا بحبك... بحبك...
وصاخبة:
-دعك من إخلاص المرأة في الحب. وحدثني عن انتدابك الكثير.
-يوجد بعض أطباء المستشفى (ملطشة) للانتدابات الكثيرة إلى جهات صحية متنوعة؛ من مستشفيات، ومراكز صحية، ومبنى مديرية الشؤون الصحية نفسها، وحتى وحدة إسعاف القاهرة... وما علاقة أخصائي الجلدية والتناسلية بالعمل في وحدة الإسعاف؟!
-أليست هذه سياسة وزارة الصحة؟
تبسم صلاح ساخرا:
-سياسة تُطبق على قليل من أطباء المستشفى فقط.
ضحكت ناني وتساءلت:
-أليست تعيش في الدنيا يا شيمي؟ ألا تعرف الخيار والفاقوس؟!
ضحك صلاح:
-عرفيهما لي يا ناني.
ثم اتسعت ضحكته أكثر: "أو اجعليني من خيار المستشفى!"
قالت ناني بجدية: "انس حكاية الانتداب هذه. ولك عندي هدية خاصة بالمستشفى عما قريب ستعلمها. ولكن أرجوك يا صلاح، لا تسألني عنها الآن فهي هدية بسيطة لحبيب القلب".
وضاحكة: "يبدو أنك منزعج من الانتداب حتى لا تتبعد عن حبيبة القلب ذات العيون السود"...
أنت يا ناني، فحصتها فحصا...
لم يرد صلاح. قالت: "ولكن لو عرفت زبيدة بهذا الحب، فستضربك بالنار".
هز صلاح رأسه متأسفا: "للأسف، قد علمت به. وربما سينخرب البيت لا قدر الله".
فقالت بقوة: "قاوم هذا الحب حتى تحافظ على سفينة البيت من الغرق".
تبسم صلاح: "واضح أن السيناريوهات قد أثرت على تعبيراتك الجميلة".
-أنا أتكلم بجدية. قاوم هذا الحب. بيتك أهم.
-لا أستطيع يا ناني.
تبسمت: "صدقني يا صلاح، حب الرجل للمرأة لا يتعدى الجزء السفلي من المرأة!"
ضحك صلاح ضحكة طويلة ممطوطة. تساءل: "والحب الأفلاطوني؟"
فأجابته بضحكة ماجنة صاخبة: "انتهى من أيام قيس ابن الملوح..."

-58-

سُحب علي عبد المنعم -وعلى عينيه عصابة سوداء- إلى غرفة التحقيق. وقبل دخوله لغرفة التحقيق، تُرك حوالي ثلاث ساعات في الممر أمامها... فلما أدخلوه مسحوبا من يديه. قال أحد الضباط: -انظر إلى سمته، طويل القامة... فقاطعه ضابط آخر: -الأسرة كلها طوال من أول أحمد الغرباوي وحتى سعيد الزامل. فقال الضابط الأول ضاحكا: -يبدو أنها أسرة الطوال. ثم استكمل وصفه لعلّي: -أبيض الوجه بحمرة خفيفة، عليه سيماء الوقار والحياء. توقف الضابط برهة ثم قال: -هذا سمت الإخوان المسلمين... حرب نفسية من الأول. لا حول ولا قوة إلا بالله... استعنا بك يا رب... نجنا من هؤلاء الظلمة... {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} 52... قال الضابط: -بماذا تتمتم؟ إياك أن تدعو علينا. ضحك الضابط الثاني: -سيدخلك النار بدعواته. فقال الضابط الثالث: -نحن مسلمون وموحدون بالله. والحمد لله. هز الضابط الثاني رأسه موافقا: -الإخوان يعتقدون أنهم فقط المسلمون، وسيدخلون الجنة. وباقي الناس سيدخلون النار. فقال الضابط الأول وهو يغمز بعينه للضابط الثاني: -الإخوان غير التكفير والهجرة -ومن على شاكلتهم- من التنظيمات المكفرازية. قال الضابط الثالث: -الإخوان لا يكفرون غيرهم ولكن من المؤكد أنهم يعتقدون أن غيرهم من المسلمين (أي كلام)! فتساءل الضابط الأول: -أصحيح هذا الكلام يا أخ علي؟ لم يرد علي وإنما يظل يردد قوله تعالى: {فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} 53...

52 الآية 9 من سورة يس

53 جزء من الآية 9 من سورة يس

أجلسوه على كرسي أمام الضابط الأول الذي سأله:
-اسمك؟ وتاريخ ميلادك؟ وعنوانك؟
لم يجبه علي، فقال الضابط بغلظة:
-أطرش لا تسمع؟
رد علي بهدوء:
-لا أجيبك حتى أعرف التهمة التي حُبست بها هنا.
فقال الضابط بعنف:
-سترد علي أسئلتني شئت أم لم تشأ.
وبغلظة:
-وأنت مقبوض عليك طبقا لقانون الطوارئ.
ثم أضاف:
-يعني لا داعي للتفلسف. ولا داعي لئن تقول: أين إذن النيابة لكي تقبضوا علي؟
أعاد الضابط سؤاله:
-اسمك؟ وتاريخ ميلادك؟ وعنوانك؟
لم يرد. فقام الضابط وضربه على وجهه.
فقال علي بصوت مرتفع:
-حسبي الله ونعم الوكيل.
وظل يكررها...
صرخ الضابط:
- "حسبي الله ونعم الوكيل" فيك وفي جماعتك الضالة.
ثم أردف بفحيح وبرود شديدين:
-لا داعي لئن نفعل معك ما فعلناه مع طارق وسعيد.
وقال الضابط الثاني:
-أنت طالب في كلية الطب، وعما قليل سيُقال لك يا دكتور. فأجب البيه.
أعاد الضابط أسئلته:
--اسمك؟ وتاريخ ميلادك؟ وعنوانك؟
فرد علي متسائلا:
-أخبروني عن التهمة التي جاءت بي إلى هنا حتى أجيبكم؟
فقرأ الضابط من أوراق أمامه بصوت عال:
-علي عبد المنعم السيد صابر، تاريخ الميلاد: 1975/9/15، السكن في 7 شارع عشرة شبرا
مصر، طالب بكلية طب عين شمس بالفرقة الثانية. سكت الضابط قليلا ثم واصل:
-ذهب في جولة من جولات جماعة الإخوان المسلمين إلى القناطر الخيرية يوم الجمعة 31
مارس 1995 مع أسرته الإخوانية.

سكت قليلا ليتأمل أوراقا أمامه ثم استرسل:
-أبوه: عبد المنعم السيد صابر، كان عضوا في جماعة الإخوان المسلمين، ومات أثناء التعذيب في المعتقل في نوفمبر 1981.
فقال الضابط الثالث بسخرية:
-وسيلحقه ابنه علي عما قليل حتى ينعم سويا بالجنة. ها ها ها...
تبسم علي وقال:
-ربنا يدخلنا الجنة جميعا .
فتساءل الضابط الثالث:
-أتريد أن تخرجنا بدعوتك هذه؟
فرد علي:
-إنني أدعو بصدق...
فقال الضابط الأول بهدوء:
-طارق وسعيد تكلموا في كل شيء فلا داعي للإنكار.
فتساءل علي:
-أريد أن أعرف تهمتي بالضبط؟
-نحن نتهمك بانضمامك إلى جماعة الإخوان المسلمين. وجماعة الإخوان جماعة سرية، غير شرعية، تعمل على إثارة الفتن والقتل وتدمير السلام الاجتماعي وقلب نظام الحكم...
ضحك علي وقال:
-الحكم مقلوب أصلا ويحتاج إلى من يعدله!
فقال الضابط الثاني:
-أجب الباشا ولا داعي للتفاهة. ولا تجربنا أن نضغط عليك فتتعرض لنوبة الصرع.
فسخر علي:
-"جماعة سرية، تعمل على إثارة الفتن والقتل وتدمير السلام الاجتماعي وقلب نظام الحكم"،
هذه أسطوانة مشروخة طالما رددتموها...
ثم أضاف وهو يتبسم:
-طالما أنكم تتهموني بأنني عضو في جماعة الإخوان، فلماذا الأسئلة؟ هل تعتقدون أنني سأقول لكم: إنني فعلا عضو في جماعة الإخوان؟ وهل يوجد من الإخوان المسلمين من سيقول لكم في يوم ما أنه عضو بالإخوان؟
فقال الضابط بصوت عالٍ متجاهلا ما قاله علي:
-نريد أن نخبرنا عن رئيس أسرتك الإخوانية؟ وأسماء الأخوة في الشعبة؟
وتخبرنا أيضا عن أعضاء مكتب الشعبة؟ وتخبرنا كذلك عن لقاء الكتيبة؟ وأين يتم انعقاده؟ وعن أعمال الشعبة العامة.
وبهدوء:

-أخبرنا بوجه عام عن كل شيء في الشعبة...
تبسم علي وهو يرد:
-وإذا لم أخبرك بأي شيء، فماذا أنتم فاعلون؟
رد الضابط:
-لن تراك أمك مرة أخرى ولن تراها أنت كذلك وخاصة أنها ليس لها أحد في هذه الدنيا إلا أنت.
قال علي بيقين تام:
-إذن سيكون لقاءي مع أمي وأبي عند رب العالمين.
وبقوة:
-وعندئذ سنأخذ حقنا منكم كاملا في يوم يحاسب الله فيه على مثاقيل الذر! {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} 54...
ثم رتل قوله تعالى بصوته العميق:
{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ *} 55...
أعجب الضابط بترتيل علي. قال:
-صوتك جميل في ترتيل القرآن الكريم.
ثم تساءل بهدوء:
-هل تظن أن الله سيحاسبنا نحن فقط ويترككم؟
-نحن ضحاياكم. فحاشا لله أن يسوي بين الجلاذ والضحية.
فانفعل الضابط:
-الظالمون هم أنتم! ألم تسمع، يا أيها الواعظ، أن الرسول محمد -عليه الصلاة والسلام- قال:
((عليكم بالسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي في رأسه زبيبة))؟ ألم تعلم أن الرسول محمد -عليه الصلاة والسلام- قال: ((عليكم بالسمع والطاعة للحاكم المسلم وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك))؟
ألم تعلم أن الانقلاب -بالتنظيمات السرية أو بالمظاهرات أو بأي شكل- على الحاكم المسلم لا يجوز إلا إذا عطل الصلاة ومنعها وجهر بالكفر البواح؟ ألم تعلم أن العمل السري يخالف تعاليم الإسلام؟ والفقهاء والصحابة قد حذروا منه منذ زمن بعيد، وخاصة أن العمل السري هو الذي قد زرع الفتنة في صفوف الصحابة. ولنا في مقتل عثمان بن عفان -رضي الله عنه- العظة والعبرة في ترك العمل السري وضلاله وظلامه وفساده...
وبنبرة هادئة:

54 الأيتان 7 و 8 من سورة الزلزلة
55 الأيتان 42 و 43 من سورة إبراهيم

-وجمهور الفقهاء قد اجتمعوا منذ قديم الزمن على الطاعة للأمير الذي قد غلب حتى لا تكون فتنة...

كاد علي أن يقول: أتريد أن تعمل لي غسيل مخ كما غُسل مخك؟
ثم تذكر بعضا من تعاليم العواصف في الكوكب الثاني التي ركزت على مخالفة العمل السري لدين الإسلام في الدولة المسلمة...
فقال في نفسه:

الضابط عنده حق فيما يقول. ولكن الدولة هي التي منعت العمل العام وأجبرتتنا على العمل السري. وقد كان الإخوان قبل الثورة يعملون في النور الباهر...
طبعاً، الضابط لم ينتظر رداً، فقام وضرب علي بعصا مكهربة...
وقد كان يجب عليه أن يتم نقاشه الجيد مع علي، ولكن العقلية الأمنية الضيقة والجبروت والعنف هم الذين يتحكمون في هؤلاء الضباط...
لم يتأوه علي من تقلصات جسده التي أحدثتها العصا المكهربة. وهذا قد أغاظ الضابط كثيراً...

أخرجوا علي لينتظر كثيراً من الوقت خارج حجرة التحقيق ثم أدخلوه فسأله الضابط الثاني:
-هل أنت عضو في اتحاد الطلبة بكلية طب عين شمس؟
فأجابه علي:

-أكيد أسماء أعضاء اتحاد الطلبة في كل جامعات البلد تعرفونها جيداً. وربما عندكم معرفة بماذا يأكلون ويفكرون...!
فقال الضابط بعنف:

-أجب على الأسئلة وإلا سترى ما لم تره في حياتك من قبل...
فرد علي بهدوء:

-لا داعي لئن تلقى في قلبي الخوف...
ثم هتف بيقين وهو يشير بيديه ناحية صوت الضابط:
-بصراحة، أنا لا أخاف منكم ولا من سياطكم...

فقال الضابط بغیظ:

-أجب على السؤال.

رد علي بالهدوء نفسه:

-نعم، أنا عضو باتحاد الطلبة باللجنة الثقافية.

-من رئيس اللجنة الثقافية؟ من رئيس إتحاد الطلبة؟ من..؟ من..؟ من..؟

أجابه علي بصدق لأنه يعلم أن أسماء زملائه أعضاء اتحاد الطلبة معروفة جيداً في جهاز أمن الدولة، فضلاً عن أن موافقة أمن الدولة أساسي لترشيح الطالب لانتخابات اتحاد الطلبة.

سحبوا علي إلى زنزانتة ليأخذوه في اليوم التالي إلى الضابط الثالث المسئول مع الضابطين الآخرين عن هذا الملف. أسمعوا علي شريط كاسيت وفيه يتحدث طارق عن أسرة الغرباوي الإخوانية.

قال الضابط الثالث فرحا:

-ها قد سمعت بأذنيك ما يغني عن الوصف. فتحدث بصراحة ولا داعي لئن تلف وتدور. امتنع علي:

-أنتم أجبرتموه -تحت التعذيب- علي أن يتحدث بما يروق لكم. وهذا دأبكم منذ زمن طويل. ثم أردف بهدوء شديد أغاظ الضباط الثلاثة غيظا شديدا:
-أما أنا فلا أقول لكم إلا ما قاله سيدنا هود -عليه السلام- إلى قومه: {فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ}*⁵⁶...

سألوه أسئلة كثيرة عن الكتب التي يقرأها، والمساجد التي يصلي فيها، ولقاء الاثنين الأسبوعي عند جامع الهجين، ولقاء الثلاثاء الأسبوعي في مسجد الكردي... وعلي صامت لا يجيب... ضربوه بالعصا المكهربة. ونشبوا أظافرهم في وجهه. وضربوه بالأرجل والأيدي. وأطفئوا أعقاب سجائرهم في جسده وخاصة في الأعضاء التناسلية!... وعلي صامد يكتم توجعه وآلامه. وصموده العظيم قد أغاظهم كثيرا...

ولما ينسوا منه، سحبوه إلى غرفة جهنم الكهربائية ليمارسوا هوايتهم المفضلة في تعذيب ضحاياهم بجلسات الكهرباء...

وصلوا الكهرباء بأجزاء مختلفة من جسده وخاصة الأعضاء التناسلية المحترقة أصلا من السجائر؛ فانتفض وارتجف الجسد رجفا شديدا وكادت عظامه ومفاصله أن تتخلع من أماكنها، وفي الوقت نفسه، لم يُسمع أي تأوه منه لأن روحه قد صعدت إلى الكوكب الرابع...

⁵⁶ جزء من الآية 55 من سورة هود

عدت الليلة الثانية على خير. الحمد لله. فلا لمس لليد، ولا جلوس على السرير، ولا لمس للكتف... الحمد لله. الحمد لله...

ولكن كيف أكمل بقية الأيام؟ بل ما هي نهاية وجودي الثقيل هنا؟ وكيف أعرف أخبار الأخوة؟ لقد قُبض على طارق وسعيد. هل قُبض على الباقيين؟ وهل أفرج عنهما أو عنهم؟ تليفونات بيوتنا كلها مراقبة. من المؤكد أنها مراقبة من الجبابة الظالمين. كيف حالك يا زبيدة الآن؟

وكيف حال خالد وسحر؟ وكيف أتصل بكم؟

وكيف حالك يا بهيجة؟ كيف حالك يا حبيبتي؟ قلبي يتقطع من فراقك يا روجي... لا حول ولا قوة إلا بالله. لقد انقطع عن الدنيا تماما. ولا أحد يعرف مكاني الآن، لا بهيجة، ولا زبيدة، ولا جماعة الإخوان، ولا إدارة المستشفى ولا المستوصف الخيري... على العموم، يكفي أن جهاز أمن الدولة لا يعرف مكاني الآن. أمن الدولة فقط؟ الحمد لله. فلا أمن الدولة ولا فزع الدولة ولا الجن الأزرق ولا الأحمر يعرفون مكاني الآن... الحمد لله... أكيد بهيجة يتمزق نياط قلبها علي وعلى سعيد. أنا بجبك يا بهيجة. بحبك. بحبك. بحبك... ك...

-خير يا صلاح؟ سرحان على الآخر. حتى الطعام سرحان عنه. رد صلاح مثلثما:

-قلقان يا ناني، على زبيدة. قلقان جدا...

تبسمت ناني وقالت وهي تصوب سهام عينيها العسليتين الواسعتين في عيني صلاح: زبيدة فقط؟!!

تلثم صلاح أكثر وهو يرد: -وخالد وسحر.

فرشقت سهام عينيها أكثر، فتبسم قائلاً: -أنا فاهم من تقصدين.

ثم استسلما للصمت. وبعد تناول طعام الإفطار وأثناء شرب النسكافيه، قالت ناني: -أخبرني عن...

فقطع الشيمي كلامها:

-قبل أن أخبرك، أريد أن تخبريني أنت عن صلاتك؟ لقد رأيتك تصلين قبل الإفطار. فردت ناني ببساطة:

-إني حريصة على الصلاة تماما في أوقاتها ماعدا الفجر فإنني أصليه غالبا قضاء بسبب نومي متأخرة.

فتساءل صلاح مندهشا:

-ولكن ألا تتعارض صلاتك مع الرقص وما يصاحبه من عري وخلاعة؟
أخذت ناني شرفة كبيرة من النسكافيه. أجابت:
-الصلاة فرض يا صلاح. الصلاة فرض. أما الرقص وما يصاحبه فضريبة ندفعها للشهرة.
فقال صلاح متعجبا من منطقها:
-ولكن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر!
وباندهاش أكثر:
-والبغي!
قالت ناني في نفسها باستغراب:
سبحان مغير الأحوال. أتعظ الآن يا صلاح؟ أين ليالينا الملاح؟!
ثم تساءلت بقوة:
-ومن ذلك الذي تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر في عصرنا يا صلاح؟
والله عندك حق يا ناني. فلو كانت الصلاة تنهانا عن المنكر؛ لكان حال الأمة في أحسن حال،
وما تحكم فينا أعداء الله والصهاينة...
ثم تساءل وهو مقوس لحاجبيه:
-ولكن أليس الجمع بين الصلاة والرقص فيه تناقض؟!
فردت بيقين عميق متشعب في قلبها منذ زمن بعيد:
-الصلاة فرض. وإذا لم نصلي في الدنيا فسنصلي -والعياذ بالله- في جهنم.
فتساءل صلاح وهو يوسع من حدقة عينيه:
-والرقص يا ناني؟ الرقص؟
فردت بفلسفة:
-معصية أضطررنا إليها لكي نعيش.
-لماذا الاضطرار وقد كنت مدرسة مواد اجتماعية في مدرسة حكومية محترمة؟
أخذت ناني نفسا عميقا ثم ردت بصوت متهدج:
-ألم تكن معنا يا صلاح، ونحن نلف (كعب داير) بأبي بين المستشفيات التعليمية والجامعية
ومعهد السرطان بدون فائدة؟ فمن أين لنا المال الذي كنا سنصرف به علي سرطان البنكرياس -
الغول المتوحش- الذي أكل حياة بابا ومزق ما نملكه من حطام الدنيا؟
لمعت عيناها بدموع رقراقة؛ فتأثر صلاح وقال لنفسه:
الحمد لله. لقد دخلنا في تراجيديا مأساوية بدلا من كوميديا وخلاعة تؤديان إلى ما لا يُحمد
عقابه... إن شاء الله ستعدي هذه الليلة أيضا على خير... التباشير بدأت من الصباح...
-ولكن والدك رحمه الله من عذاب السرطان وتوفاه بعد عدة شهور من اكتشاف المرض.
جففت دموعها وهي تقول:

-لقد كنا في عجالة لعمل عملية جراحية لتسليك القناة المرارية التي انسدت من توحش السرطان وطغيانه وجبروته على الأعضاء التي حوله. ألا تذكر يا صلاح اصفرار عيني أبي وجسمه وهزله الشديد؟

-فعلا، كانت العملية عاجلة، والأبواب مغلقة أمامنا إلا المستشفيات الخاصة الكبيرة.

-لم نستطع أن ندبر أكثر من خمسمائة جنيه، وتكلفة العملية كانت لا تقل عن عشرين ألف جنيه. وغلقت الأبواب أمامنا تماما إلا باب الرقص.

-سكتت ناني ولم تكمل.

قال صلاح بحذر:

-ولكن الحرة تجوع ولا تأكل بثديها!

فردت بسرعة في حدة وانفعال:

-كنا مضطرين يا صلاح. قس هذا الأمر على من ° يأكل الميتة عند الضرورة...

وبضيق:

-وليس الرقص أكلا بالثدي كما تظن.

فقال صلاح ملطفا من التوتر:

-كان الاضطرار هو الذي يسوق الكل إلى عمل أي شيء لإنقاذ والدك من العذاب. ولكن الله كان بأبيك لطيفا رحيفا فتوفاه مبكرا قبل أن ينهش فيه السرطان أكثر. وتوفت أمك بعده بشهور كمدا وحزنا عليه. فأني ضرورة للرقص بعد ذلك؟

-طريق دخلناه ومن الصعب العودة منه. من الصعب يا شيمي، العودة من الشهرة والمجد والمال...

فقال صلاح ببساطة شديدة:

-ولكنه طريق للحرام يا ناني.

أنتكلم عن الحرام الآن؟ أصبحت شيئا واعظا على آخر الزمن؟ ولماذا لم يكن الحرام له وجود أيام الليالي التي كنت تعبدني فيها وتلهث ورائي وو...!!؟

ردت ناني بقوة:

-الفن ليس بحرام. الحرام هو الحرام. الحرام هو عمل الذنوب والآثام.

فتساءل صلاح باستغراب منفعل:

-إذا لم يكن العري في الرقص ليس بحرام، فما هو الحرام يا ناني؟

وبتفاؤل:

-ألم تسمعي عن الفنانات التائبات في الفترة الأخيرة؟

انزوت ابتسامة ساخرة على جانب فم ناني وأجابت:

-الفنانة أمينة رزق قالت إن هؤلاء الفنانات التائبات لابد أنهن تائبات من ذنوب وفواحش. أما الفن فليس بحرام حتى نتوب منه.

فسألها صلاح فاغرا فاه:

-وتعريه الجسد في الفن أليس بحرام؟ والرقص أليس بحرام؟ الأحضان أثناء التمثيل أليست بحرام؟ والقبلات أليست بحرام؟ والنوم في السرير مع رجل أجنبي وتمثيل اللقاء الجنسي أليس بحرام يا ناني؟

سمع صلاح صوت ضميره أو قلبه وهو يقول له:
وجودك تحت سقف واحد في خلوة مع امرأة أجنبية فانتة بدون محرم لها، حلال؟!...
كتم صلاح الصوت وسد منافذه بكل قوة...

أجابت ناني بحزم:

-لا أقول لك إنه حلال، ولكن اعتبره من صغائر الذنوب.

ثم قالت في نفسها:

حتى العمل القومي ليس بذنب كامل، ولكنه شبه معصية. وهو ضرورة لاستمرار الشهرة والمال والمجد...

وبعد احتساء النسكافيه، قالت:

-أنا عملت سونار وأظهر توسع في الشريان الأورطي في الجزء المار بالبطن.
وأردفت:

- مع أنني لا أشعر بأي أعراض.

وتنهدت:

-فهل توجد مشكلة أو خطورة علي؟

تبسم صلاح مجيبا:

-يحتاج إلى متابعة وإعادة السونار كل فترة وتجنب الرياضة العنيفة.

وضاحكا ساخرا:

-وبصراحة الرقص الشرقي والغربي عبارة عن رياضة عنيفة.

ربنا يستر.

ثم استأذنت صلاح للذهاب إلى عمل قومي جديد...

فسألها صلاح باستغراب بصوت مرتفع:

-إيه حكاية العمل القومي هذا؟!!

فأجابته وهي تهتم بالذهاب:

-هو عمل نعتبره ضريبة للشهرة أيضا...

صعدت روح علي عبد المنعم إلى الكوكب الرابع فوجدت أعدادا لا نهائية من أرواح المؤمنين الشاهدين لمعركة حربية حامية الوطيس تدور رحاها بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر ويتصاعد غبارها ليسد أفق الكوكب...

قالت الروح في ضيق:

-إن قوة جيش الكافرين أقوى وحصونهم أكثر تحصينا.

فهز المعلم رأسه مؤكدا:

-فعلا، جيش الكافرين أشد تحصينا، ومع ذلك فمن الممكن أن ينهزموا بسبب الروح المعنوية العالية لجيش المؤمنين.

ثم هتف: -يا علي، إن المؤمنين مطالبون بإعداد القوة. أما النصر فهو من عند الله.

ابتهجت روح علي وهي تنظر إلى ترنج معسكر الكفر تحت ضربات ورميات سواعد المؤمنين الفتية...

فر الأعداء مهولين واكتفى معسكر الإيمان بذلك.

هتفت الأرواح الشاهدة للمعركة في صوت هادر رهيب: -الله أكبر... الله أكبر...

قال المعلم: -هذه الأرواح الشاهدة للمعركة، لا يراها ولا يسمع أصواتها أحد إلا بإذن الله. وبجدية شديدة:

- يا علي... إن هذا القائد العظيم بنا أمة موحدة من عدم، لقد قضى على الوحش الذي كان ينهش في روحها... لقد بنا قوة عسكرية خرج بها من نصر إلى نصر، حتى أسس دولة مرهوبة الجانب في زمن قصير جدا... إن تأسيس هذه الدولة في زمن قصير جدا حير ألباب العالم كله. ولقد تساءلت الأمم منذ قرون وستظل تتساءل إلى نهاية الدنيا: كيف تقوم أمة -كانت متناحرة متفرقة- لا وزن لها في حساب الأمم- بالقضاء على أعظم أمم الأرض في ذلك الوقت؟!... تأمل المعلم القائد العظيم وهو في عريشه ثم استكمل: -لقد امتد سلطان هذه الأمة حتى دانت لهم الأمم جميعا...

ثم واصل بحماس: -لقد تكونت لهذه الأمة دولة عظيمة لا تغيب عنها الشمس في فترة زمنية لا تزيد عن ثمانين سنة...

قالت روح علي: "إن الروم والفرس أسسوا إمبراطوريتهما في قرون".

ثم نظرت في ساحة المعركة وتساءلت:

-لماذا لم يطارد المؤمنون الكافرين ويقضوا عليهم أو يأسروهم؟

فأجابه المعلم بامتعاض: "لقد شغل المؤمنون أنفسهم بجمع غنائم المعركة!"

وبحزن: "وطالما قد انشغل أي جيش بجمع حطام الدنيا؛ فطبقا لسنن الله، سترجح كفة الأقوى".

نظر المعلم وروح علي وأرواح المؤمنين المهولة العدد في حسرة وهم يشاهدون الجنود يتزاحمون ويتصايحون ويختلفون في جمع الغنائم...

قال المعلم بأسى:
- طالما أن الجيشين تساوبا في الحرص على الدنيا، فلا بد أن ترجح كفة الأقوى للأسف.
فتساءلت الروح في قلق:
- هل سيهزم جيش المؤمنين في هذه المعركة بعد انتصارهم؟
رد المعلم بصوت اليقين التام:
- سنة الله لا تتبدل ولا تتغير.
فقال الروح في اضطراب:
- حتى أفراد الوحدات التحصينية قد تركوا مواقعهم وانكبوا يلهثون في جمع غنائم المعركة مع بقية الجيش...
ثم صاحت في ضيق:
- انظر يا معلم، لقد حدثت ثغرة في جيش المؤمنين وهم مازالوا مشغولين في صراعهم على الغنائم.
فتضابق المعلم:
- هذا الهوان قد تكرر كثيرا منذ فجر التاريخ. وللأسف، وسيتكرر كثيرا إلى أن تقوم الساعة...
انكب الأعداء خلال الثغرة يقتلون ويسفكون دماء المؤمنين مدرارا ويمثلون بجثثهم...
بكى المعلم، وبكت روح علي، وبكت أرواح المؤمنين، وهم يشاهدون آلة القتل وهي تحصد أرواح المؤمنين حصدا...
قالت روح علي:
- لقد رجحت كفة الكافرين فعلا، وانهزم المؤمنون. وحسرتاه على جيش المؤمنين.
ثم تساءلت:
- يا معلم، هل سنظل نتفرج بلا عمل إيجابي؟ ألا نتدخل مع هذه الأرواح اللانهائية العدد لنغير من نتيجة المعركة؟
- إن دور هذه الأرواح في هذه المعركة لا يتعدى دروس العظة والاعتبار حتى لا يتكرر ما يحدث أمامنا حين ترتدي الأرواح أجسادها في عالم الشهادة.
وبمرارة:
- وللأسف سيتكرر...
فقال الروح بحرارة:
- إن الدماء سالت أنهارا يا معلمي. لا بد أن نفعل شيئا. لا بد أن نفعل شيئا...
ثم صرخت:
- لا بد أن نفعل شيئا ... لا بد أن نفعل شيئا يا معلم...
وتساءلت:

-أليست الأرواح تملك حرية الحركة؟ أليست لدى الأرواح قوة أشد من الأجساد؟ أليست الأرواح مخلوقة من النور مثل الملائكة؟ أليست للملائكة قوة بطش رهيبة؟ إذن للأرواح قوة الملائكة نفسها. فلماذا نظل هكذا عاجزين ونحن نرى أرجل الكافرين تغوص في دماء المؤمنين؟

رد المعلم في هدوء:

-هذه الأرواح لا تُكلف إلا في عالم الشهادة حين تنزل إلى الدنيا في أجسادها.
-يا معلم، ألسنتُ أنا علي عبد المنعم السيد صابر مكلف الآن في عالم الشهادة؟ أليس جسدي الآن معتقل في مبنى أمن الدولة؟

-أنت الآن في عالم الغيب. وهذه الأحداث التي نراها الآن قد حدثت منذ مئات السنين قبل أن تُولد يا علي. ولقد تداخل الزمان كما قلت لك من قبل. الماضي هو الحاضر، والحاضر هو الماضي...

نظرت الروح إلى القائد في خوف شديد...

ثم قالت بفزع واهل وهي تنظر إلى القائد: -من المؤكد أنهم سيتجهون إلى القائد ليقتلوه ليعلنوا انتصارهم...

فقال المعلم بحزم: -هذا القائد هو أعظم قائد في التاريخ البشري كله. فهو لم يكتفِ بالتخطيط مع كبار الضباط للمعركة، بل نزل إلى ميدان المعركة ليكون قدوة للجيش كله. وستأتي معارك على مدار التاريخ لا يتعدى دور القائد فيها إلا أن يكون ظاهرة صوتية أو بطلا من ورق!...

صرخت الروح: -انظر يا معلم، إن جيش العدو يعمل آلة قتله المروعة في وجه وجسد القائد...! لقد انكبت أسهم أعداء الله على القائد من كل جهة؛ قريبة وبعيدة، منخفضة ومرتفعة، من خلفه ومن أمامه، من فوقه ومن تحته... أسهم حاقدة مسمومة... أسهم حاقدة مسمومة متنوعة... لقد انكبوا على القائد ليقتلوه... ومصيبناه... ومصيبناه...

ثم هتفت بنحيب:

-إن هذا القائد هو الرمز. هو الرمز. وإذا قُتل فستهزم الأمة كلها...

فهتف المعلم في يقين:

-لن يُقتل القائد مهما كثرت الأسهم المسمومة المصوبة عليه لأن الله يؤيده. لن يُقتل أبدا... وفي حماس شديد:

-إن فمه يخرج منه سيف حاد يضرب به الأمم. ويحكمهم بعضا من حديد. ويدوسهم في معصرة سورة غضب الله القدير على كل شيء...

ثم بكى وهو يقول: "ولكن يجب علينا أن نشارك في شرف الدفاع عنه".

بكت الأرواح جميعها بنحيب رهيب وهي ترى الأعداء تعمل آلة قتلها في القائد. هتفت في صوت واحد رهيب: -إلا القائد إلا القائد إلا القائد...

وانكبت تدافع عن القائد بكل ما أوتيت من قوة...

واندفع المعلم وروح علي ليُؤدوا عن القائد بكل قوة وهما يبكيان...

الحمد لله. عدت الليلة الثالثة على خير. أخشى أن أحسد نفسي. أخشى أن يغلب الطبع. رجل وامرأة فاتنة -ماعدًا جزء بسيط من الوجه- بمفردهما في قُبلا فاخرة أو في الحقيقة في قصر فاخر، بماذا نتوقع؟! والخادمة قد صرفتها قبل مجيئي، ولن تعود إلا بعد مغادرتي المبهمة والغامضة التوقيت. ولا يوجد إلا البواب وفرد الأمن، وهما يعيشان في الحجرة الخارجية بجوار البوابة ولا يدخلان. والبواب رجل مسن، وهو الذي يحضر الطعام ويقدمه وهو على الباب ولا يذلف إلى الداخل أبداً. وفرد الأمن، (البودي جارد)، الرجل البغل، أو البغل الرجل، شيء عجيب في هذا القصر... أظن أن وزن جسمي كله لا يزيد عن وزن ذراعه. بماذا يُعلف هذا البغل كل يوم؟ الحمد لله أن هذا البغل موجود. فلو حدث لناني أي رغبات أو نزوات في فترة وجودي هنا، فالبغل يكفي ناني وكل نساء البلد! ثور بشري أو فحل بشري، ليس له دور في الحياة إلا التلقيح بعد أن يُعلف العلف الدسم. وهو أيضا لا يدخل إلى هنا ويظل قابعا في غرفته على البوابة الكبيرة مع البواب. وإن كنت قد رأيته من قبل، ولكن لا أدري أين؟ رأيته أين يا شيمي؟ لا أدري. ولكني رأيته منذ سنوات بعيدة. أين رأيته يا شيمي؟ في حفلة الزفاف؟ العلم عند الله...

أنت ناني إلى الصالة الكبيرة بتنورة طويلة بها فتحات تبرز مفاتن ساقها المكتنزين واللذين يكادان أن يصرخا ويتمددا ويفتقا التنورة الكاتمة على أنفاسهما...

صرخ صلاح في نفسه:

يا للهول! ما هذا؟! ما هذه التنورة؟! طويلة ولكن؟ آه... آه... هذا اليوم وليلته أظن أنهما لن يمرا بسلام. تباشير الليلة تبدأ من الصباح. ويبدو عليها أنها لن تذهب اليوم إلى أي مشوار ولا إلى أي مهمة قومية...

-صباح الخير يا صلاح.

صباح الخير؟! أي خير سيأتي اليوم؟! هي بداية النهاية قد حلت بمجئك بهذه التنورة الخليعة... أين الملابس المحتشمة بالنسبة إلى هذه التنورة- التي كانت في اليومين الفاتنين؟ هو حيوان الشهوات الهاجع في دياجير نفوسنا لا بد وأن يستيقظ اليوم. حيوان ابن كلب! حيوان إذا أثير لن يوقفه أحد...

امرأة + رجل + تنورة تكشف أكثر ما تستر + خلوة في قصر فاخر + أطايب أطايب الطعام + ماضي مشترك غير مشرف = ???... معادلة من الدرجة السادسة!... ها. ها...

-صباح الخير يا ابتها.

بصراحة لا يليق هذا الاسم الوقور مع هذه التنورة! الأفضل صباح الخير يا ناني. يا ناني. يا ناني الننيون... ها ها ها...

-اليوم تبدو أكثر انشراحا.

ولماذا لا أكون منشرحا ونحن سائران إلى نهاية الطريق المرسوم بكل دقة؟ سيخرج الحيوان
المارد من قمقمه عما قليل. سيخرج ابن الكلب. سيخرج الثور الهاجع ولن يستطيع أحد في هذه
الدنيا أن يوقف تمرده وإثارته وهياجانه...
أشار صلاح إلى التنورة بيديه وتساءل صاخبا:
- ألا تدعو هذه التنورة إلى الانسراح؟!
ضحكت ناني قائلة:
- اليوم حار نسبيا.
فقال صلاح فاغرا فاه:
- أي حر هنا مع التكييف المركزي للقلّة كلها؟! على العموم، هذه التنورة هي التي تناسب الحر
وخاصة أن بها فتحات تهوية كثيرة (رادياتير تنوري)!
ضحكت ناني وقالت:
- أنت كبرت، يا صلاح، على التأثير بهذه الفتحات. لقد ولى زمن المراهقة يا رجل. فيما مضى
كنت لا تستطيع أن تصبح دقيقة واحدة على فتحة واحدة من هذه الفتحات...
أتريد أن أثبت لك أنني لست كبيرا وأستطيع أن أقوم بالواجب الآن؟!
- ولكن هذه الفتحات كثيرة جدا، فكيف أستطيع أن أصبر الآن؟
تبسمت ناني قائلة:
- يا شيمي، أنت مشغول بحبيبة القلب الجديدة. فلن تتأثر بأي إغراء.
ضحك صلاح:
- ولكن عيار اليوم ثقيل جدا. سيؤدي -حتما- إلى كهرباء ذات ضغط عالي!
وبصراخ:
- وصاعقة!!...
ثم استرسل ضاحكا:
- أنسيته أننا كنا حبيبين لسنين طويلة.
ثم أصلح من خطأه، فقال بسرعة:
- ومازلنا!
أتضحك علىّ يا شيمي؟!
- أين ذلك الحب يا صلاح؟
- في القلب يا حبيبتي.
دق قلب ابتهاج وتهديج صوته، وقالت:
- أول مرة تقول "يا حبيبتي" منذ أكثر من عشر سنوات.
تغير صوتك واضطرابك يدلان على استمرار حبك بعد كل هذه الأعوام من القطيعة...
فقال صلاح بلسانه دون قلبه:

-الحب لا يموت يا حبيبتي. الحب كالشجرة جذورها في أعماق القلب وفروعها في السماء. ولكن؟

زم شفتيه أسفا، ثم قال بلهجة حزن اصطناعية:

-ولكن لم يكن لنا نصيب لنتزوج...

تساءلت ناني في نفسها بمرارة:

كيف ستتزوجني يا شيمي، وقد أخذت مني كل شيء؟ المرأة التي تعطي كل شيء لحبيبها بدون زواج، كيف تتزوج من ذلك الحبيب؟!...

-يا حبيبي، أليس من الأفضل لنا أن نتزوج؟

-كيف ستتزوج يا حبيبتي، وأنت تعرفين ظروف المادية؟

-عملي في الملهى الليلي يكفي الزواج ويزيد.

-من الذي سيتزوج الثاني يا حبيبتي؟ مئونة الزواج على من؟

-ألم تقل لي إنك على وشك السفر للعمل بالسعودية وبالتالي ستتحسن أحوالك المادية؟

-أكد بعد السفر ستتزوج يا حبيبتي.

-يا صلاح، نتزوج الآن بدون (دخلة) على الأقل.

-كلها فترة بسيطة وسأرسل لك تأشيرة استقدام.

-بأي صفة سأتي لك؟

-بعد أول ستة أشهر من العمل سأرسل لأبي ليعقد الزواج كوكيل عني...

وعَدَّت الستة أشهر الأولى والستة أشهر الثانية، وعُدَّتْ يا صلاح في أول أجازة لك، ووجدت

معي زبيدة التي كانت صديقة وزميلة في مدرسة التربة فيما مضى، وعرفتُك بها صدفة.

وتزوجتها في الأجازة نفسها قبل أن تعود للسعودية. وتأشيرة الاستقدام كانت لزبيدة!...

استسلمت ناني للصمت واجترار الذكريات...

بينما قال صلاح لنفسه:

واضح أن حب المرأة أكثر إخلاصا من حب الرجل... بمجرد قلبي "يا حبيبتي"؛ تهدج صوتك،

واضطربت، وغرقت في صمت عميق...

تساءل صلاح ليبدد الصمت الذي لا يريد أن يتوقف:

-أين أنت يا ناني؟

ثم أردف صاخبا مرحا ليخرجها من اضطرابها:

-أخبريني عن زيجاتك الكثيرة.

عادت ناني من اجترار الذكريات وردت بحزن:

-قلت لك إنها زيجات فاشلة تماما.

-ولم يا ناني؟

-لأنها زيجات براجماتية.
تبسم صلاح قائلا:
-يعني زواج مصالح.
خرجت ناني من ضيقها واضطرابها وحزنها وقالت بسخرية:
-وبعض تلك الزيجات كانت عن حب.
-حب متبادل؟
أجابت بجدية ويقين عميق: -قلت لك إن قلبي لم يُفتح إلا لصلاح...
شعر صلاح بالحرّج الشديد ولم يجد كلاما.
استطردت: "ألم يقل الشاعر: إنما الحب للحبيب الأول".
وعبست:
-وقلت لك من قبل: إن حب الرجل لا يتعدى اللقاء الجنسي، وهذا ينطبق تماما على من ° ادعى
أنه تزوجني عن حب.
ثم قالت في سرها:
وينطبق عليك أيضا -للأسف- يا شيمي! ولكنك الآن زاهد فيّ حتى في اللقاء الجنسي!!...
قال الشيمي ضاحكا:
-لقد سرت إشاعة أن أحد الزعماء العرب المعدم الصحة تزوجك سرا وأعطاك طنا من الذهب
كمهر. فما صحة ذلك؟
تبسمت ناني وهي تجيب:
-فعلا، لقد تزوجته سرا.
وضاحكة:
-لقد كانت تأتي لي طائرة خاصة يوم الخميس من كل أسبوع.
ثم اتسعت ضحكتها وقهقهته وهي تواصل:
-بعد الطائرة الخاصة والسفر، لم يكن يزيد عن تحسس أماكن معينة في جسمي.
فانفجر صلاح ضاحكا وقال:
-كفاه ذلك!
ثم أردف:
-مع العلم، أنه لو أكمل جماعا واحدا معك لذهب إلى مثواه الأخير!
فضحكت...
فقال صلاح ضاحكا: "كان الله في عونك".
فتساءلت ضاحكة: "لا أدري كيف كان يدير مملكته؟!"
فرد صلاح مقهقهة:
-أكيد من غرفة الإنعاش...

-62-

لقد طال اللغط والجدال في مستشفى الحوض المرصود حول الغياب المفاجئ للدكتور صلاح الشيمي والدكتور عماد الدسوقي...
يا دكتور أحمد، لقد طالت غيبة صلاح الشيمي وعماد الدسوقي. فما الأمر؟
رد الدكتور أحمد حزينا:
-لقد سمعت أن المدير يقول إنهما معتقلان في جهاز أمن الدولة!...
فغر الدكتور حكيم فاه. قال: "أمن الدولة...!".
ثم تمت: "إذن اللغط الذي سمعناه صحيح".
وهامسا: "ولماذا؟"
-الشيمي والدسوقي من الإخوان المسلمين.
قال حكيم مندهشا: -ولكن لا يبدو عليهما أي شيء.
استغرب الدكتور أحمد وتساءل:
-وهل الإخوان المسلمون مكتوب على جباههم إخوان؟!
-ولكن كيف عرف المدير بذلك؟
رد أحمد بصوت خفيض:
-أنسيت يا حكيم، أن المستشفى بها طبيب عميل لجهاز أمن الدولة!...
ثم وهو يخفض من صوته أكثر:
-وكل المستشفيات في المحروسة، وكل المصالح الحكومية والجامعات، بها عملاء لأمن الدولة.
ثم أضاف وهو يخفض من صوته أكثر وأكثر:
-والأحزاب، والهيئات، والمؤسسات، والجمعيات، والصحف القومية وغير القومية، والصحف الحزبية وغير الحزبية، والإذاعة والتلفزيون.
ثم واصل:
-ربما أيضا في الجمعيات التعاونية الاستهلاكية وغير الاستهلاكية!...
وأخفض من صوته تماما وقال هامسا:
-ربنا يجعل كلامنا خفيفا عليهم.
فتبسم حكيم قائلا:
-أمين... أمين...
وزم شففيه ضيقا:
-لقد أضحوا دولة داخل الدولة...
-هم مراكز القوى الجدد...
ومن هو عميلهم هنا بالمستشفى؟ وهل هو طبيب فقط؟ أم هو موجود بين كل فئة من فئات المستشفى؟!

وواصل:
-أو يكون من شلة الدكتور سليم؟ أم يكون الدكتور سليم نفسه؟!...
تبسم الدكتور أحمد، وأجاب:
-الله أعلم. وربما يكون أكثر من واحد. فالأطباء عليهم طبيب رقيب عتيد. والفنيون عليهم فني.
والمرضات عليهم ممرضة. والموظفون عليهم موظف!...
ثم ضاحكا:
-وربما يكون أحد العملاء مرصودا على عم محمود ومقصفه.
ثم ضحك صاخبا:
-وربما يكون عم محمود نفسه عميلا لهم.
فقال حكيم ضاحكا:
-لا نستبعد أي أحد حتى أم حنفي نفسها.
ثم هامسا:
-الله يخرب بيتهم.
-يخرب أو يعمر بيتهم، نحن لا يهمنا. ولكن علينا الحذر في كلامنا.
نظر حكيم إلى أعلى حيث غصون شجرة الصفصاف العتيقة ثم قال:
-أخشى أن يكون فوقنا جهاز تنصت!
تبسم أحمد ساخرا وقال:
-أكد. أليس المنتدى السياسي للمستشفى هنا تحت الشجرة العملاقة؟ وأظن أن أجهزة التصنت
موجودة كذلك في حجرة النميمة، أقصد حجرة الأطباء.
وبمرارة:
-على العموم، النظام الحاكم لا يهمه كلام المعارضين. وها هي صحف المعارضة تصرخ بلا
فائدة.
فتساءل حكيم:
-وماذا يهمهم إذن؟
-ألا تكون عضوا في أحد الأحزاب المعارضة إلا الأحزاب المستأنسة: كحزب قراءة الكف
والفنجان، وحزب الدعوة إلى عودة الطربوش، ولا تكون عضوا في تنظيم سري كالإخوان
المسلمين.
ضحك حكيم.
فقهقه أحمد:
-أقصد الإخوان المسيحيين!
ركن الدكتور سليم سيارته. ولم يذهب كعادته صباحا إلى مكتبه، ولكنه سلم على أحمد وحكيم ثم
سحب كرسيه وجلس قائلا:
-ألا تفضا اجتماع حزب الشجرة الصباحي بعد الأحداث الأخيرة؟

تبسم أحمد وحكيم. قال حكيم:
-تسمية خضراء جميلة لحزبنا. ولكن ما هي الأحداث الأخيرة؟
فأجاب الدكتور سليم:
-ألم تسمعا عن سبب اختفاء صلاح الشيمي وعماد الدسوقي منذ عدة أيام بدون تقديم أجازة؟
ثم أشار بيديه إلى أحمد قائلا:
-أكد الدكتور أحمد أخبرك.
فرد حكيم: "الخبر اليقين عندك يا سيادة المدير".
قال سليم: "الدكتور عماد محبوس في أمن الدولة على ذمة انضمامه لجماعة الإخوان المسلمين". أما الدكتور صلاح فقد هرب والأمن يبحث عنه. وربما تستدعي المباحث أطباء المستشفى الذين لهم علاقة بهما أو بأحدهما للتحقيق.
ثم أشار إليهما بيده: "وأخشى أن يُحقق معكما لأنهما يجلسان هنا في حزبكم الشجري".
تضايق أحمد:
-يحققوا أو لا يحققوا، لا يهمنا. فلا علاقة لنا بهما سوى الزمالة في المستشفى.
وتساءل حكيم مندهشا: "وما علاقتي بالإخوان؟"
تبسم سليم وأجاب:
-ربما يسألونك عن مكان اختفاء الدكتور صلاح.
ارتسمت علامات الدهشة على وجهي حكيم وأحمد ولم يعلقا. حلق الصمت العميق حولهما...
بعد قليل، بدد سليم الصمت:
-علينا أن ننتبه في هذه الأيام.
قال حكيم:
-أنا غير مقتنع بعلاقة الدكتورين بالإخوان، ولم يظهر عليهما أي سيماء لجماعة الإخوان.
والدكتور صلاح لا علاقة له بالسياسة أصلا.
هز أحمد رأسه موافقا:
-صلاح فعلا، لا علاقة له بالسياسة. فهو -أحيانا- يحدثنا عن الاقتصاد الإسلامي. أما عماد فمشغول في تجارة السيارات حتى يستطيع أن يتحمل مصاريف دراسة الماجستير.
فقال سليم:
-ربما يكون الأمن عنده معلومات أكيدة.
فسأله حكيم في مكر: -ومن الذي أخبرك بهذه الأخبار؟
أجابه سليم متبسما:
-ألم أقل لكما ولكل أطباء المستشفى حينما تغوصون في أحاديث السياسة: إن الحيطان لها آذان!
وهامسا:
-المستشفى الآن تحت المجهر...

-63-

في مساء اليوم الثالث، جلس صلاح الشيمي في حجرته يحمد الله أنه لم يقع في المحذور حتى الآن...

أحمدك يا رب... الشكر لك والفضل لك... خرجنا من مرحلة التنورة الخليعة على خير... انكمش حيوان الشهوات الثائر ولم يخرج من مكمنه... الحمد لله... ما أحلى طعم الانتصار على هذا الحيوان الغبي... الحمد لله... الحمد لله...

وبعد قليل، سمع صوت موسيقى راقصة صاخبة، ففتح باب حجرته فوجد ناني ترقص في الصالة الفسيحة وعلى رأسها شمعدان.

فقال في نفسه:

أعوذ بالله. أنا قلت في الصباح إن هذه الليلة لن تمر على خير! التباشير بدأت من الصباح. التباشير بدأت من خلاعة التنورة. وصلنا للمحطة الأخيرة. لا حول ولا قوة إلا بالله... تساءل مازحا:

-ما هذه العظمة؟ هل هذه الرقصة من أصول الضيافة؟

ثم صاخبا:

-ألم تتوقفي عن الرقص الشرقي؟

أجابته ناني وهي تتمايل وتنتنى وتضحك:

-هذه بروقة لرقصة "موج البحر" مع الشمعدان في الفيلم الأخير.

شعر صلاح بإثارة جنسية وهو يشاهد التمايل والعري والفتنة، فقال في نفسه:

أوجع المتقفون أدمغتنا بأرائهم في الرقص الشرقي الذي يعتبرونه فن ولغة الجسد العظيمة. فليأتوا الآن ليروا الفن على أصوله. هو فعلا فن، ولكنه فن موقظ لكل شيء هاجع!...

ألقت ناني عصاة العجوز إلى صلاح فتلقاها بيديه، وأشارت إليه أن يتبعها راقصا حولها. فشعر بشعور الفراشات التي تطير حول النار لتلقى حتفها بداخلها؛ فأسرع إلى المطبخ، وأشعل عود الثقاب، وغرس أصبعه في شعلة نار الموقد وسمع شقشقة إصبعه وهو يحترق، فقال في نفسه وهو يتألم ألما رهيبا:

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نار الدنيا أخف من نار الآخرة بسبعين مرة).

ثم عاد إلى حجرته وجمع أغراضه واندفع خارجا من القنيل بلا رجعة...

-64-

ترك صلاح الشيمي قلة ناني وذهب إلى أهله بالريف حتى استقرت الأوضاع وتوقف السؤال والبحث عنه وخرج إخوانه من المعتقل. وفي أول لقاء لأسرة الغرباوي الإخوانية بعد الخروج من المعتقل، رحب آل الغرباوي بصلاح بعد عودته من غيبته مجهولة المكان... أشع الغرباوي ابتسامته المشرقة في وجوه الأخوة:

-هذا أول اختبار لنا ليمحص الله إيماننا ويستخرج منا أعلى درجات الصبر. فرد عليه أكثر من أخ:

-نسأل الله الثبات دائما.

اتجه عماد الدسوقي برأسه يمينا ناحية صلاح الشيمي وقال:

-لقد كنا خائفين عليك يا دكتور صلاح، وخاصة أننا عدنا من المعتقل وأنت مازالت غائبا ولا أحد يعرف مكان اختفائك.

فرد صلاح:

-أنا أمري سهل. المشكلة في اعتقالكم أنتم.

فقال الغرباوي:

-لقد كان أهلك يأتون إلى أهلي دائما لمعرفة أي أخبار جديدة عنك، وكانوا خائفين عليك جدا. وتساءل سعيد:

-ولماذا لم تتصل بأهلك لتطمئنهم عليك؟

فرد صلاح:

-كنت أخشى أن يكون تليفون البيت مراقبا.

هز الغرباوي رأسه موافقا:

-عند حق يا أخ صلاح، فتليفوناتنا من المتوقع أنها كانت مراقبة وستظل مراقبة فترة. ومحذرا:

-وانتبهوا يا أخوة، فالتليفون يكون مراقبا حتى بدون اتصال!

فسأله سعيد:

-بماذا تعني يا شيخ أحمد؟

-أعني أن التليفون طالما به الحرارة، فإن الأمن يستطيع سماع الحديث الدائر بجواره والسماعة مغلقة.

فدعا علي:

-ربنا ينجينا منهم.

-آمين...

قال إسماعيل متهللا:

-حمد لله على سلامتنا جميعا يا أخوة.

أوما سعيد برأسه يمينا قليلا ناحية علي عبد المنعم قائلا:
 -لقد خشينا على الأخ علي حينما أصيب بتشنجات عدة مرات في الزنزانة.
 فقال عماد الدسوقي متحمسا:
 -لا بد وأن نعمل تخطيط مخ لك يا علي. لا بد.
 قال الغرباوي:
 -إن شاء الله.
 فقال علي عبد المنعم في نفسه:
 ماذا أقول لكم يا أخوة؟ الحقيقة التي لا تعرفونها أنني ليس عندي صرع.
 قال صلاح الشيمي:
 -السبت القادم إن شاء الله، نعرض الأخ علي على الدكتور كامل إسماعيل أستاذ الأعصاب بطب
 عين شمس.
 فصرخ علي في سره:
 صدقوني لست في حاجة إلى أي فحص...
 طال الوقت ولم يأت طارق عمر، فسأل الغرباوي وأكثر من فرد الأخ سعيد عوض عن سبب
 غياب طارق؟
 فأجابهم:
 -للأسف بعد خروجه من الحبس، أخبرني أنه قد قطع صلته بجماعة الإخوان بصفة نهائية.
 فصُدم الأخوة وبهتوا...
 قال إسماعيل عبد الفتاح حزينا:
 -نسأل الله الثبات. الفتنة تزلزل الإنسان زلزالا شديدا...
 وقال الغرباوي بقوة:
 -والفتنة تجعل الحليم حيرانا. ولكن لا بد من تقوية مناعة إيماننا بالطاعة والعمل الصالح والدعوة
 إلى الله -عز وجل- حتى نعبر المحن بسلام.
 وقال علي بيقين:
 -من سنة الله الابتلاء في الدعوات. وربما يكون طارق واقعا الآن تحت مطارق صدمة وفاة
 والدته.
 فدعوا جميعا:
 -الله يرحمها رحمة واسعة.
 قال إسماعيل:
 -الرسول عليه الصلاة والسلام قال: ((كان الرجل فيمن قبلكم كان يُؤتى فيُشَق بالمنشار نصفين
 فلا يتزعزع عن دينه)).
 ودعا عماد:

-نسأل الله الثبات.
فرددوا:
-أمين... أمين... أمين...
كان سعيد هو أكثرهم حزنا على ترك طارق عمر لجماعة الإخوان المسلمين، لذلك قال للغرباوي في حزن:
-ولكن لا بد، يا أستاذ أحمد، أن تزوره وتناقشه حتى يعود مرة أخرى إلى صفوف الجماعة.
فرد الغرباوي:
-إن شاء الله سأزوره غدا بعد صلاة العصر. وأرجو منكم، يا أخوتي، ألا تتركوه لشيطانه يفعل به الأفاعيل. فيجب أن تشدوا من أزره في محنته.
ثم نظر إليهم بابتسامة مضيئة وقال:
-والآن يخبرنا كل أخ ما لاقاه في جهاز أمن الدولة ولنبدأ بالأخ سعيد.
حكا سعيد ما حدث له وقال في آخر حديثه:
-لقد قال لي أحد الضباط المحققين بأن أجعل له منصبا مهما في وزارة الداخلية حينما يتولى الإخوان الحكم.
فتساءل الغرباوي:
-ربما يسخر منك ومن الإخوان؟
-لا أدري جيدا: هل قال ذلك سخرية أم جادا لأنني لم أرى وجهه.
بدأ علي يحكي، فقاطعه الغرباوي قائلا:
-يجب يا أخوة، أن يكتب كل واحد منا تجربته في هذه المحنة حتى أرفعها إلى مكتب الإرشاد.
حكا علي تجربته قائلا:
-أبدأ من النهاية، فقبل خروجي مباشرة، أعطاني أحد الضابط الذين حققوا معي جلبابا أبيض ومصحفا جديدا، وقبل رأسي، وقال لي بأن أدعو الله له دعوة صالحة وأن أسامحهم...
فتأثر الأخوة، وقال إسماعيل عبد الفتاح:
-الخير في هذه الأمة إلى يوم القيامة...
فتساءل سعيد عوض:
-وهل سامحتهم يا أخ علي؟
فأجاب بسرعة:
-طبعاً، سامحتهم. وكل الإخوان الكبار الذين خرجوا من المعتقلات سامحوا معذبهم وجلادهم.
وبمرارة:
-ولكني لن أسامحهم أبدا فيما فعلوه معي في الزنزانة الانفرادية... الله ينتقم منهم ومن كل ظالم.
فقال الغرباوي:

-يجب أن يكون من سمتنا الصفح والعفو بوجه عام.

فاحتد سعيد:

-أنا لا أسامحهم أبدا بعد التعذيب الرهيب الذي تعرضت له وتعرض له طارق وجميع الأخوة.
ثم أكمل علي يحكي تجربته. وأخيرا، سألوه عن تجربته في الزنزانة الانفرادية، فلم يجبههم وقال جعلتها بيني وبين الله...

ثم تحدث عماد الدسوقي عن تجربته:

-أنا -والحمد لله- لم أتعرض للتعذيب. هم حريصون كل الحرص على معرفة أسماء أكبر عدد ممكن من الإخوان. ولكنني والحمد لله، توهتهم ولم يأخذوا مني اسما واحدا. وسمعت أحد المحققين يقول لزميله وهو يتحدث عني بأنني (غلث) وكذاب.
تبسم الغرباوي:

-كذاب. كذاب... (غلث). (غلث)... المهم ألا يتجمع لديهم أسماء الإخوان. وأرجو يا أخوة، إذا اضطررنا تحت التعذيب أن نخبرهم عن بعض الأسماء، فلنخبرهم عن أسماء أخوة الشعبة القدامى جدا والمعروفين بأنهم إخوان مسلمون لدى الأمن وحتى لدى سكان الحي.
وضاحكا:

-ويا حبذا، لو أخبرناهم عن أسماء الإخوان الموتى.

لم يتحدث الغرباوي ما حدث له ولكنه حدث نفسه:

هم أرادوا شيئا وأراد الله شيئا آخر، والخير فيما أراده الله...
ثم قال:

-لقد تعرضت لتعذيب شديد، ولكنني جعلته بيني وبين الله كما قال الأخ علي.

أما إسماعيل فقال في آخر كلامه وهو يبتسم:

-والحمد لله، إن الصدمة النفسية العنيفة التي تعرضت لها زوجتي أثناء اعتقالي فكت العقد التي تحول بيننا وبين الإنجاب منذ سنوات بعيدة جدا...
فتهللت وجوه الأخوة وتساءلوا بصوت واحد:
-حامل؟!
فقال:

-نعم، والحمد لله.

وقال في سره:

حامل من أول لقاء بعد المحنة.

فقالوا في صوت واحد:

-الله أكبر والله الحمد... الله أكبر والله الحمد...

قال الغرباوي بيقين: "إن المحنة يتبعها منحة. وهذا من فضل الله وكرمه".
وصلاح متبسما: "إن الاضطراب النفسي يؤثر على المرأة أحيانا باضطراب الدورة الشهرية
وبالتالي انقطاع الإنجاب، وأحيانا أخرى يحدث العكس".

وأخيرا، عندما جاء الدور على صلاح الشيمي، تبسم الغرباوي قائلا:
-أخبرنا يا دكتور صلاح أين كنت مختبئا في فترة اعتقالنا؟
تورد وجه صلاح واضطرب داخلها...

قال في سره:
ماذا أقول لكم؟ لا حول ولا قوة إلا بالله...
ثم استجمع عزمه وقال ونفسه مكتوم:
-بصرache، كنت في مكان لا يعلم به الجن الأزرق نفسه.
فسأله إسماعيل متحمسا: "أين؟"
فرد صلاح مترددا:

-بصرache، أنا في حرج لأخبركم المكان.
فقال الغرباوي: "لا حرج بين الأخوة يا أخ صلاح".
تشجع صلاح وقال: "أنا خفت أن أفتن في ديني، فلم أجد مكانا آمنا إلا عند جارتنا القديمة
ابتهال، الفنانة الشهيرة الآن، والتي تركت الحي منذ أكثر من عشر سنوات".
دارت كلمة ابتهال من رأس إلى رأس حتى تعلقت عند رأسي إسماعيل والغرباوي اللذين صُدمتا
فقالا معا:

-خاني الراقصة!!...
فانفجر العرق من جبهة صلاح وهو يقول:
-لا تظنوا بي السوء. فأنا لم أفعل ما يغضب الله.
وردد هامسا:
-أنا لم أفعل ما يغضب الله. أنا لم أفعل ما يغضب الله...
أصاب الوجوم الأخوة، واستسلموا لصمت وضيق عميقين...
نظر صلاح إلى إصبعه المحروق وتهدج صوته وهو يقول:
-حينما كاد أن يغلبني الطبع البشري والنفس الأمارة بالسوء، وضعت أصبعي في نار البوتاجاز
حتى احترق. وقلت لنفسي: نار الدنيا أهون من نار الآخرة. وغادرت بيتها إلى أهلي بالصعيد...
نظر الأخوة إلى إصبع صلاح المحترق وهم معجبون...
قام علي عبد المنعم يقبل رأس صلاح وإصبعه المحترق ويقول بصوت باك:
-إن فتنتك أشد من فتنتنا. ولقد عصمك الله. فهنيئا لك...
فقام الإخوان يقبلون رأسه وإصبعه...

في المستشفى فقط، أعلن الدكتور صلاح الشيمي خطوبته للممرضة بهيجة فرحات. ركبا معا -بعد انتهاء الدوام- سيارة الشيمي البولونيز. قال الشيمي لنفسه:

لا يوجد محرم معنا. ولكني فعلت أخف الضررين كما تقول كتب الفقه! فقطع الألسنة الفاجرة في المستشفى أهم من وجود سعيد معنا الآن كمحرم. ثم أقنع نفسه أكثر:

ونحن في طريقنا للزواج ولو زواج عرفي...

تهادت السيارة في شارع قدري -حيث تقع مستشفى الحوض المرصود- وكأنها تزف عروسين، ثم انحرفت يسارا عند تقاطع شارع قدري مع شارع الخليج المصري. وعند ميدان السيدة زينب، قال الشيمي: "هيا بنا لتغذى سويا يا بهيجة".

فقال بهيجة لنفسها: أنا لا أصدق ما أنا فيه الآن. هل أنا في حلم؟ أم ماذا؟

ثم انسلت دموع شفافة رقراقة من عينيها. لمحها الشيمي فقال: "ما هذه الدموع يا حبيبتي؟" -أنا لا أصدق السعادة التي تحضني الآن. أخشى ألا تستمر. وأظن ذلك.

ولم هذا التشاؤم يا حبيبتي؟

أجابت بهيجة بمرارة: "أنا لم أذق طعم السعادة في حياتي كلها إلا في هذه اللحظات التي أنا معك فيها الآن. وحين كنت أظن أنني في سعادة أشعر أنها لن تستمر ولن تدوم أبدا...!"

وبأس: "وفعلا، لا تكتمل!"

-السعادة موجودة في الأصل داخل الإنسان، وعليه أن يبحث عنها في داخله...

-هذا كلام إنشائي أو كلام متأثر بعيد عن الحقيقة.

ولم يا حبيبتي؟

حبيبتي. الله على هذه الكلمة يا حبيبي...

تدفقت الدموع ساخنة وانهمرت على وجهها وانعكست عليها أشعة شمس الظهيرة؛ فزادتها لمعانا، وزادت وجه بهيجة الخمرى ضياء وبريقا...

قال الشيمي لنفسه: الله! الله! ما هذا البهاء على وجهك الخمرى الجميل؟ حتى خمارك الأبيض انعكس على صفحة وجهك ضياء وبهاء وجمالا...

ثم قال: "كأن وجهك الآن هو الشمس ذاتها"...

تبسمت بهيجة وجففت دموعها، وقالت: "يا صلاح يا حبيبي".

فقاطعها الشيمي: "جميلة من فمك العذب الشهد كلمة "يا صلاح يا حبيبي"، أعيدها مرة أخرى يا بهيجة.

-يا صلاح يا حبيبي...

فقاطعها: "الله الله الله..."

استطردت: "لا تكتمل السعادة لدي فهي دائما مذبوحة".
الحب يصنع العجائب... مَنْ يصدق يا بهيجة أنك تتكلمين بهذه البلاغة إلا إذا علم عجائب صنائع الحب؟
ولم يا حبيبتني؟
أخذت بهيجة نفسا عميقا ثم استأنفت:
-كان أبواي عقيمين. ولما أراد الله أن آتي إلى الدنيا بعد علاج دام خمسة عشر عاما، مات أبي يوم ولادتي من الفرحة أو ربما من الصدمة فقد كان يتوق إلى ولد بعد عمر طويل من علاج العقم.
-هذه أقدار الله يا بهيجة.
-ونعم بالله.
واصلت: "وفي بداية اختبار الإعدادية أصابتنني حمى التيفود؛ فنجحت بالكاد، والتحققت بمدرسة التمريض بالعافية. وبعد نجاحي في نهاية شهادة ثانوي التمريض، ماتت أمي...".
تأثر صلاح. قال: "كلها أقدار الله، وعلينا أن نؤمن بها بدون اعتراض منا على الله وأفعاله".
بعد ميدان التحرير بقليل، دارت السيارة يمينا إلى شارع رمسيس، فقال الشيمي:
-سنتغذى الآن في أعلى نقطة في وسط البلد.
-أين يا حبيبي؟
فرد الشيمي متبسما:
-فوق عمارة رمسيس مباشرة في مطعم إثيرست.
وبعد قليل، قال:
-أكملي يا حبيبتني.
-ولما سافرت إلى السعودية، كنت سعيدة بالعمل الجديد والراتب الكبير.
سكنت بهيجة. فقال صلاح:
-ستقولين لم تكتمل السعادة أيضا.
فردت:
-بعد شهر من العمل، صعد إلى سكني الكفيل في منتصف الليل!
فتورد وجه صلاح وضاق نفسه. صرخ:
-أوغاد!... كلاب!...
-أراد أن يراودني عن نفسي، فامتنعت. فقال: أنتِ هنا "ملك يمين" بدرجة ممرضة!! وغيرك من ممرضات المستوصف يتمنين ذلك!...
ثم قال ضاحكا:
-حتى الطبيبات لا يستطعن أن يتمنعن!
فقلت له في حدة وغضب:

-سأصرخ وأعمل لك فضيحة الآن.
تساءل صلاح:
-ألا توجد ممرضات أو طبيبات معك في السكن؟
-كنت بمفردي في الحجرة، وبقية الممرضات كن متزوجات ويسكن خارج المستوصف.
-والطبيبات؟
-كل طبيبة غير متزوجة كانت لها حجرة منفصلة.
فتبسم الشيمي ساخرا وقال بقرف:
-طبعاً، حجرة منفصلة حتى يستطيع أن يزورها ليلاً براحته...
وبمرارة:
-ولكنه تزوجك، وسعيد ثمرة هذا الزواج.
-بعدما هددته بالصراخ وفضحه في السكن وفي المستوصف أسفل السكن وعند زوجته؛ تركني.
وظل بعد ذلك يطلبني للزواج كثيراً. ولما رفضت؛ أوقفني عن العمل، ومنعني من العودة،
وطبعاً، منع عني الراتب!!!...
غضب الشيمي قائلاً:
-يعني لا عمل ولا راتب ولا عودة إلى بلدك، فلماذا لم تشتكى لمكتب العمل؟
ردت بهيجة بحزن:
-منعني من الخروج من سكن المستوصف، وهددني بأنه سيشتكيني إلى الشرطة وهيئة الأمر
بالمعروف بخروجي بدون إذن...
وبضيق:
-ونفس التهديد هو ما فعله أبنائه معي بعد موته حينما منعوني من الخروج لكي أشتكى للمحكمة
حتى آخذ نصيبي ونصيب سعيد من الميراث حيث كنت حاملاً به في ذلك الوقت. ولما استطعت
تقديم الشكوى للمحكمة عن طريق مكتب محاماة، هددوني بشكوى كيدية إلى البوليس بأنني قد
سرت أموال أبيهم من خزانة المستوصف بعد موته...
-الله يخرب بيتهم. ولكن من ° الذي يحتفظ بأموال مستوصفه في بيته؟ إنهم يرسلون أموالهم أولاً
بأول إلى البنوك.
استأنفت:
-أقنعني المصريون العاملون في المستوصف بالزواج منه حلاً لمشكلتي. وقال لي طبيب
الباطنية: إن بين الكفيل وبين القبر خطوة، وسترثين مال قارون. فتزوجته للأسف!...

كان المرور في شارع رمسيس يسير بطيئاً وثيلاً ويكاد أن يخنق الأنفاس. لم يستطع صلاح
الشيمي ولا بهيجة أن يكملوا الحديث من اكتئابهما من اجترار الذكريات الأليمة ومن اختناق
الشارع بالبحر المتلاطم من السيارات...

-66-

بعد خروج طارق عمر من الاعتقال، شعر بالانطلاق والحرية...
طلق نجوى، وطلق الإخوان المسلمين طليقة بائلة؛ فتقاعس عن حضور الجلسات، ولقاء الاثنين
في مسجد الهجين، ولقاء الثلاثاء في مسجد الكردي، وجميع لقاءات أسرته...
وبدأ يواظب على الصلاة في مسجد الشهداء، وهو مسجد يصلي فيه كثير من أعضاء الجماعات
المتطرفة بعدما ضيقوا فيه على الإخوان الذين اضطروا أن يتركوه لهم.
بعد صلاة العشاء في مسجد الشهداء، أتى عامر عزت الكردي ليسلم على طارق. وعامر
الكردي شاب ذو واحد وعشرين عاماً، أسمر، صاحب جسم رياضي كجسم طارق عمر،
وملامح بارزة قوية، ولحية كثة، ورأس أصلع...
قال عامر بابتسامة مصطنعة:
-مرحبا يا أخ طارق.
فقال طارق في حيرة:
-مرحبا بك يا أخي.
ثم تساءل مستغرباً:
-ولكن كيف عرفت اسمي؟
فرد عامر بابتسامة حقيقية:
-ألا تذكرني؟ لقد كنا معا في مدرسة رمسيس الإعدادية؟
نكش طارق ذاكرته فلم يتذكره. وإن كانت صورته بدأت تظهر في عقله من خلال شبورة
وضباب... قال:
-تذكرني باسمك.
-عامر الكردي.
فقال طارق بقوة:
-تذكرتك يا عامر. ولكن لحيتك الكثيفة غيرت شكلك كثيراً.
-ولكن لحيتك لم تغير من شكلك.
-أين تدرس الآن؟
-حصلت على دبلوم الثانوي الصنایع من مدرسة عبود منذ ثلاث سنوات.
-أين تعمل؟
-كنت أساعد والدي في بقالة يملكها بجوار سكننا في عزبة بلال.
فتسأل طارق:
-وأين تعمل الآن؟
-لا يوجد عمل لأن مصلحة الضرائب أغلقت البقالة بعدما عجز أبي عن دفع الضرائب الجرافية
الجائرة!!....

-وأين يعمل والدكم الآن بعد غلق البقالة؟
-كان عند والدي خياران؛ أحدهما أن يدفع رشوة وموكوسا لموظف الضرائب ويُحرق ملفه
الضريبي من المصلحة، والثاني أن يغلق البقالة، فأثر الثاني وأغلقها. وهو الآن يمارس البطالة
مثلي!...

وبامتعض شديد:

-حكومة كافرة وحاكم كافر!...

لم يعلق طارق على التكفير، ولكنه تساءل:

-ولماذا لم تتظلموا؟

فأجابه عامر منفعلًا:

-تظلمنا ولكن بلا فائدة.

وساخرا بمرارة:

-يا أخي، موظف الضرائب كان يأتي إلينا وهو راكبا سيارة مرسيدس بنز شبح لا يركبها إلا
بعض الوزراء وفيفي عبده!...

تساءل طارق:

-ومن أين تقتاتون؟

تبسم عامر:

-من تبرعات أهل الخير من أخوة الجماعة الإسلامية.

الجماعة الإسلامية! أكل الجماعات الإسلامية تتبرع لهذا الشعب المسكين؟! كنت أظن أن جماعة
الإخوان المسلمين هي فقط التي تتبرع للفقراء.

استأذن طارق لينصرف، فقال عامر:

-يا أخ طارق، لا تتركني إنني أريد أن أتعرف على أحوالك. فهيا بنا إلى منزلنا لتزورني في الله.
والمنزل ليس ببعيد.

عبرا شارع أحمد حلمي، ثم دخلا من فتحة في سور السكة الحديد تُسمى "شُرْم طيبة"، ونزلا
من السكة الحديد في شارع درب السكة الحديد بعزبة بلال. وهذه العزبة عبارة عن حي شعبي
يعج بالجماعات الإسلامية المتطرفة والمعتدلة...

بعد دقائق قليلة، وصلا إلى منزل عامر. والمنزل قديم من الثلاثينات، ويتكون من دورين؛ الأول
أو الأرضي يتكون من أربع حجرات فسيحة لأربعة سكان، وصالة فسيحة وحمام صغير للسكان
الأربعة، وسقف الحجرات من الخشب. والدور التالي مثل الأول، ولكن سكانه ثلاثة، حيث أن
أسرة عامر تملك حجرتين؛ إحداها لعامر وأخويه، والثانية لوالديه وأخواته البنات الثلاث!
وحجرة عامر بها ثلاث كنبات تُستعمل للضيوف والنوم، وطبليّة خشب لتناول الطعام، ومكتب
قديم من حديد الصاج عليه جهاز كاسيت صغير وبجواره أشرطة لخطب دينية لمشاهير الدعاة،
وثلاثة كراسي من الخشب، وحصيرة بلاستيك...

هش عامر وبش بطارق وقال:
-مرحبا بأخي طارق في بيتنا.
ثم خرج ليحضر الشاي. فلما عاد تساءل:
-أين تدرس يا طارق؟
-في السنة الثانية بكلية تربية عين شمس.
-طبعاً، الإخوان هم الذين يملكون اتحاد الطلاب.
-نعم، فمنذ السبعينات وهم يتوارثون الإتحاد.
-ألا توجد تيارات تنافسهم في الانتخابات؟
-الإخوان يكتسحون -بشعاراتهم ونشاطهم- من أمامهم مهما يكن.
فسأله عامر وهو يعلم الإجابة:
-ولكن ألا يوجد تيار الجماعة الإسلامية في كليتك؟
-موجودون، ولكن عددهم قليل، ولم يدخلوا أي انتخابات لاتحاد الطلاب.
-ولكن كيف عرفت أنهم من الجماعة الإسلامية؟
-هم معروفون بأنهم من الجماعة الإسلامية، وهم يعترضون على أي حفلة غنائية في الكلية تقوم بها إحدى الأسر.
-ولكن لماذا لم يعترض الإخوان وهم يمثلون اتحاد الطلاب الإسلامي؟
-هم يعترضون، ولكن اعتراض أخوة الجماعة الإسلامية أشد.
فقال عامر وقد انفرجت أساريره:
-طبعاً، اعتراضهم أشد لأنه اعتراض أصحاب الدعوة الحق، فهم أغير على الدين من الإخوان الذين لوثتهم السياسة، والظهور في الفضائيات، ودخول مجلس الشعب، وارتكانهم إلى الدنيا، وسعيهم الحسيس إلى الحكم بأي شكل...
-يا أخ يا عامر، أخبرني بصدق: ألا تسعى الجماعة الإسلامية إلى الحكم مثل الإخوان؟
-الجماعة الإسلامية انشقت من تنظيم الجهاد الذي يسعى إلى الانقلاب على الحكم، والاستيلاء على السلطة، وكانت أولى خطواته هو قتل السادات. والجماعة الإسلامية تسعى إلى إعادة الخلافة الإسلامية، ونشر القيم الإسلامية، والأمر بالمعروف، ومحاربة المنكر وتغييره ولو بالقوة، وتغيير حكم الطاغوت بالقوة، وننطلق من مرحلة الجهاد في المدينة المنورة...
عكس الإخوان وغيرهم من الجماعات التي تحجرت -أو بتعبيركم العلمي في الجامعة- تكلست- عند مرحلة الاستضعاف في مكة المكرمة.
-الإخوان قد تركوا الجهاد من زمان بعدما حلوا التنظيم الخاص.
قال عامر ساخراً وبقوة:
-هم قد تركوا تمسكهم بالدين نفسه للأسف...
وبنبرة حذرة:
-لقد سمعت أنك تمشي مع الغرباوي. فهل هذا صحيح؟

-أحياناً.
-لا تتخدع فيه فهو من الإخوان المسلمين.
فرد طارق وكأنه لا يعرف حقيقة الغرباوي:
-ولكن الإخوان يحلقون لحاهم، وهو كث اللحية؟
-هذا خداع منه لكي يجذب الشباب الملتحي.
مع أول رشفة رشفها عامر من الشاي، تساءل:
-ما هي الجماعة الإسلامية التي تنتمي إليها؟
هكذا يا عامر! وبدون أي مقدمات!
لم يجبه طارق إنما سأله:
-أخبرني أنت يا أخ عامر، ما هو التيار الإسلامي الذي تنتمي إليه؟
تبسم عامر ابتسامة عريضة وأجاب:
-طبعاً، الجماعة الإسلامية، فهي أفضل جماعة إسلامية على الساحة...
هكذا تخبرني بمنتهى البساطة! الإخوان أكثر حرصاً من هذه السذاجة، ولكنهم قد ابتعدوا عن
طريق الإسلام الحق.
-أنا لست منتمياً لأي جماعة إسلامية.
انفجرت أسارير عامر لأنه وكل الجماعات الإسلامية المعتدلة والمتطرفة يفضلون غير المنتمي
لأي تنظيم حتى يسهل تشكيله...

-67-

في فترة النشرة الأسبوعية، قرأ سعيد عوض هذا الخبر: "في يوم الأربعاء 19 أبريل وقع انفجار أمام مبنى المكاتب الفيدرالية في مدينة أوكلاهوما الأمريكية يدمر المبنى ويوقع 168 قتيلا وأكثر من 680 جريحا. ولقد تدمرت وتضررت أكثر المباني المجاورة وأحرقت 86 سيارة. وتشير التقديرات إلى أن ما لا يقل عن 652 مليون دولار قيمة الأضرار مبدئيا!"
علق الغرباوي:

-لقد سمعنا أن أصابع الاتهام تشير إلى بعض المسلمين المهاجرين هناك.

فاعترض سعيد:

-لقد أكتشف الجاني الحقيقي ويدعى "تيموثي مكفاي"، وهو مجند سابق، وعضو في جماعة يمينية متطرفة مناهضة للحكم الاتحادي، وجاري البحث عن بقية الجناة.

فتهلل علي عبد المنعم:

-الحمد لله أن المسلمين بريئون من هذا الحادث الإرهابي الرهيب.

فقال عماد الدسوقي:

-أمريكا نفسها تربة خصبة للجماعات المتطرفة!

وقال صلاح الشيمي:

-عندك حق يا دكتور عماد.

وبحماس:

-تصوروا يا أخوة، أن عدد الجماعات الدينية الأصولية المتطرفة الأمريكية يتراوح ما بين ألفين وخمسة آلاف جماعة، ويقدر العدد الإجمالي لأعضائها أنه يتراوح بين عشرة إلى عشرين مليون شخص!...

فغر أكثر من أخ فاه من الدهشة...

تساءل إسماعيل عبد الفتاح:

-أنتدهشون من هذا الرقم؟! فالجماعات الأمريكية الإرهابية لها أيديولوجيتها السياسة الخاصة بها، فهي تعتبر أن الحكومة الأمريكية فاسدة وتتكون من مجموعة لصوص فجرة باعت نفسها وبلدها للصهيونية العالمية. وكثير من هذه الجماعات تعتقد أن الحكومات الأمريكية المتعاقبة خانت أهداف الثورة الأمريكية والدستور الأمريكي ورهنت أمريكا ذاتها للبنوك العالمية. فلذلك لا نندش من هذا الحادث الفظيع في أوكلاهوما فهذه الجماعات تعتقد أنهم يدافعون عن اليد العاملة الوطنية ضد مجيء الأجانب للعمل عند أصحاب رؤوس الأموال اليهودية، وكثير منهم يعتقدون أنهم يدافعون عن العنصر الأبيض الأصيل صاحب البلد ضد السود والملونين والأجانب...

ابتسم سعيد. فقالوا له:

-أضحك الله سنك. ما سر الابتسامة؟

فرد:

- هذا الحادث في صالح النظام عندنا فمن الغد سنسمعهم يقولون إن الإرهاب ليس بضاعة إسلامية فقط.

وقال علي عبد المنعم:

-وسيقولون إن الإرهاب ليس له وطن.

"الإرهاب ليس له وطن، هذه حقيقة، وإرهابهم أشد خطرا من إرهابنا الذي يجري على يد الجهلة من المنتسبين للدين الإسلامي..." هذا ما فكر فيه الغرباوي، لذلك قال متحمسا:

-الإرهاب ليس له وطن فعلا يا أخ علي. ألا نذكر يا أخوة- جماعة "أوم شيركو" التي نشرت الرعب بين الجماهير عندما استخدمت غازات سامة في محطات مترو الإنفاق منذ أسابيع في اليابان نفسها أم الحضارة والتقدم!...

هز علي رأسه مؤكدا:

-عندك حق يا أستاذنا. فحتى في أوروبا -قارة الحضارة- ظهرت جماعات متطرفة مثل "النازيون الجدد" في ألمانيا التي تضطهد الأجانب وتقتلهم!

عصر إسماعيل ذاكرته ليستخرج منها أسماء بعض المنظمات الأمريكية المتطرفة فقال:

-ولكن في الولايات المتحدة الأمريكية الجماعات المتطرفة أشد خطرا وأكثر عددا من أي مكان آخر بالمعمورة ففي تقرير USA To Day⁵⁷ ادعى أن في العام الماضي 1994 ظهرت ميليشيات في أكثر من 24 ولاية اجتذبت حوالي خمسين ألف عضو. ويحذر التقرير من أن هذه الميليشيات مسلحة، بل هي ميليشيات عسكرية باحتراف، وتمارس الحق ضد الحكومة الفيدرالية وتحض عليه، وهي تعتبر نفسها في حالة حرب ضد الحكومة الفيدرالية.

ابتسم إسماعيل وهو يردف:

-وطبعا، لا يدفعون الضرائب.

واصل:

-أما المتطرفون منهم فيؤمنون بوجود مؤامرة تشارك فيها الحكومة الاتحادية والمصارف اليهودية العالمية والأمم المتحدة وغيرها من القوى المعادية للمسيحية، تهدف لإقامة حكومة عالمية أو ما يسمى بالنظام العالمي الجديد!... وأذكر بعض أسماء هذه المنظمات مثل: منظمة "بلووس"، و"كريبس"، و"الهوية المسيحية"، و"المدافعون عن تفوق العرق الأبيض"، ومنظمة "فروة الرأس"...

ضحك سعيد عوض وقال:

-منظمة "فروة الرأس" هذه، أكيد تتحر فروة رؤوس الأجانب في أمريكا.

فضجوا ضحكا...

استأنف إسماعيل ضاحكا:

⁵⁷ أمريكا اليوم

-ويوجد بين أعضاء هذه المليشيات مثقفون، وأطباء، ومحامون، وحتى بعض أساتذة الجامعات، بالإضافة إلى بعض الضباط المتقاعدين من ذوي الأوسمة الرفيعة في القوات المسلحة الأمريكية...
قال الشيمي:
-يا لطيف يا رب.
وبنبرة اندهاش:
-يقال إن مخازنهم تحتوي على أسلحة دمار شامل!
فقال إسماعيل:
-نعم، يا دكتور صلاح. بل يقال إن أسلحة الدمار الشامل التي لديهم أكثر تطورا وتدميرا من الأسلحة البيولوجية والكيميائية المعروفة...
فقال عماد الدسوقي بقوة:
-وتدمير أو كلاهما خير دليل.
تبسم علي قائلا:
-لا يقارن الإرهابيون عندنا بالفضاعة التي عندهم.
فضحك الغرباوي:
-كل إرهابي يعكس الجو العلمي الذي يعيش فيه: فالإرهابي الذي يعيش في الشراعية أو في إمبابة هل يقارن بالذي يعيش في أو كلاهما أو في لوس أنجلوس؟!
ثم أكمل ساخرا:
-وهل تُقارن (البومبة) بالقنبلة؟ أو النملة بالفيل؟
انتقل الضحك من فم لآخر حتى وصل إلى عماد فقال ضاحكا:
-حتى تلاميذ المدارس عندهم يمارسون الإرهاب. بل معهم مسدسات في المدارس، ويمارسون القتل العشوائي للأسف!
قال الغرباوي:
-أمريكا يُحسب لها أنها كانت الواحة التي يلجأ إليها المضطهدون سياسيا في الدول الديكتاتورية، وكان الإخوان يفرون من نير الناصرية في الخمسينات والستينات إلى أمريكا حيث الأمان والحرية التامين...
ولكن؟
ولكن المجتمع الذي تنتشر فيه ثقافة الجريمة وثقافة المخدرات وثقافة المتطرفين دينيا وثقافة الشواذ وحتى عبدة الشيطان؛ لا بد وأن ينهار يوما ما...

في موعد غداء آخر مع بهيجة فرحات، تساءل الشيمي:
ولكنك تزوجت من كفيلك في نهاية الأمر. فلماذا يا بهيجة؟
وبامتعاض:

-وخاصة أنك كنت تكرهينه وتبغضينه بعد النذالة التي تجرعتها منه.

أجابت بهيجة بحرقّة منقوعة في عصير المرارة:

-ليست نذالة فقط، بل خسة، وحقارة، وانعدام الرجولة والمروءة والنخوة والشهامة...!

ثم زفرت رفرة حارة، واستكملت:

-أو عز الكفيل الجبان للألسنة أن تنهش في عرضي لكي يضغط عليّ وأوافق على الزواج منه!
ولذلك أقنعني الأطباء المصريون العاملون في المستوصف بالزواج منه، وأحدهم أقنعني أكثر
وحثني على الزواج منه وقال بأن قدم الكفيل في الدنيا والثانية في القبر، وسترثين مال قارون...
أنت وراءك وراءك الألسن يا بهيجة! مسكينة...

-هل كان مسنا؟

-كان في الستينات. وكان مريضاً بالسكر وبفشل في الكبد.

تساءل صلاح في نفسه:

سكر وفشل كبدي؟! أي رغبة جنسية زائدة لدي هذا الوغد حتى يصعد لسكن الممرضات
والطبيبات؟!...

-لقد تزوجته طمعا في ميراثه؟!!

-حينما تزوجته شعرتُ بأن سعادة المال الكاذبة التي جريت ورائها لن تدوم أو لن أصل إليها.

-يا حبيبتي، لقد لهنت وراء السراب.

ثم وهو يهز رأسه أسفا:

-للأسف.

الله الله على "يا حبيبتي"... قلها دائما يا حبيبتي...

قالت بهيجة بأسى:

-مشكلتي أن مواعيدي مع السعادة لا يأتي أبدا. وحينما تتسرب السعادة إلى نفسي وأذوقها، أشعر
أنها ستجهض... ستبتر... ستموت!...

ثم لمعت عيناها بدموع حاولت أن تكبحها ولكنها تكورت وتدحرجت على وجهها وهي تقول
بصوت باك:

-حظي هكذا... حظي هكذا...

ثم وهي تجهض انفجار البكاء:

-الحمد لله... الحمد لله...

وانفجرت بكاء...

تأثر الشيمي. تساءل:
-لماذا هذا البكاء يا بهيجة؟ الناس ينظرون ناحيتنا...
لم ترد. أعطاهَا منديلا ورقيا لتجفف دموعها وقال:
-يا حبيبتي، ما تشعرينه من عدم اكتمال السعادة تشاؤم. والتشاؤم يضاد الإيمان بالله عز وجل.
ثم ردد:
-التشاؤم ضد الإيمان... التشاؤم ضد الإيمان...
قالت بهيجة بصوت متهدج من البكاء:
-نفس الإحساس أحسه الآن. عندي شعور داخلي أو يقين عميق بأن السعادة التي أحيها الآن لن
تكتمل...
اعترض صلاح بقوة:
-ستكتمل إن شاء الله وسنتزوج.
ردت بحزن عميق مترسب منذ أزمنة بعيدة في جنبات نفسها:
-لن توافق زوجتك يا حبيبي.
ثم غمغمت وكأنها تكلم نفسها:
-ومن تلك الزوجة التي توافق على ضرة لها؟
قال صلاح مبتسما وبنقة:
-أنا عندي أمل أنها ستوافق. وإذا لم توافق فسنتزوج بدون إرادتها، والشرع أباح ذلك.
فقالت بهيجة بقلق واضطراب:
-أنا لا أستطيع أن أبني سعادتي على شقاء غيري. لا. لا...
-دعها لله يا بهيجة. سأخبر زبيدة اليوم بموضوع زواجنا. سيدبرها سبحانه وتعالى بإرادته.
-نعم بالله يا حبيبي...

في مستشفى الحوض المرصود، انتظر علي عبد المنعم حتى تخلو عيادة رقم 2 - والخاصة بالأمراض التناسلية- من المرضى، ثم دخل -وهو محطم النفس- على الدكتورين أحمد إسماعيل وحكيم نخلة، وكانا يجلسان بجوار بعضهما وأمامهما ترابيزة صغيرة كأنها شبه مكتب! حاول أن يتكلم فلم يستطع وهتف لنفسه:

الحمد لله. الحمد لله. الدكتور صلاح غير موجود في هذه الحجرة حتى لا أخرج أكثر.

تساءل الدكتور حكيم: "ما بك يا بني؟ كأنك فقدت عزيزاً؟!"

قال علي في سره بمرارة ملئت جوفه: فعلا، لقد فقدت أعز ما لدي وهي نفسي التي بين جنبي...

كادت أن تنهمر الدموع فكبح جماحها. قال بتردد وتلعثم:

-لقد أعطوني حقنة مخدرة. حقنة. حقنة مخدرة. حقنة مخدرة فعلا. ولكنني لم أغب عن الوعي

تماما. أه. لم أدخل في غيبوبة. شبه غيبوبة. كنت في حالة ⁵⁸ subconscious!

تساءل الدكتور أحمد:

-ما لك تتحدث كأنك قد خرجت من القبر؟ ومن الذين أعطوك الحقنة؟

رد علي والأسى يلفه: "لقد كنت محبوسا في أمن الدولة. وهم الذين أعطوني هذه الحقنة.

نظر حكيم إلى أحمد ثم قال ساخرا: "ربنا يجعل كلامنا خفيفا عليهم".

تبسم أحمد قائلا: "ربما أعطوك حقنة لتخفف عنك آلام التعذيب".

لم يرد علي.

تساءل الدكتور حكيم: "هنا عيادة تناسلية، فما الشكوى التي تشتكي منها؟"

أجمع علي عزمه ثم أجاب:

-بعد قليل من سريان المادة المخدرة في دمي؛ شعرت بدوخة فأغلقت عيني، واستلقيت على

أرض الزنزانة. وكنث في زنزانة انفرادية. وبعد قليل من الدوخة، شعرت بجسد إنسان ملتصقا

بي، ففتحت عيني فوجدت امرأة ساقطة في حضني! حاولت أن أقاوم فلم أستطع لأنني كنت -

تقريبا - مسلوب الإرادة!

نكس علي رأسه، وغطى وجهه بيديه، ثم ذرفت عيناه دموعا حارة وهو يبكي بنحيب.

تأثر الدكتوران حكيم وأحمد وبقية أطباء العيادة لدموع وبكاء علي.

قال الدكتور أحمد بغیظ: "هذه طريقة جديدة لتعذيب المعتقلين! الله يخرب بيتهم".

ثم قال في سره: أكيد أنت من الجماعات الإسلامية. ولم يجدوا طريقة لإذلالك إلا هذه الطريقة

القدرة!

وقال حكيم لأحمد: "هذه ليست أول مرة، ألم تذكر ما قرأناه عن التعذيب في المعتقلات في حقبة

الستينات، فقد كانوا يعتدون جنسيا على المرأة أمام زوجها المعتقل، ويعتدون على الرجل جنسيا

أمام زوجته".

ربت الدكتور حكيم على كتف علي ليهدأ، ثم قال:
-يا بني، لا تحزن. فإن هؤلاء الظلمة أرادوا أن يمرغوا أنفك في التراب بهذه الحيلة الجبانة.
ولكن هيهات.
وقال الدكتور أحمد: "هم أرادوا أن يقولوا بأنك تغض بصرك طوال عمرك عن الحرام، ونحن
قد جعلناك تنام في حضن بغي".
وقال أحد الأطباء: "لم يجد هؤلاء الجبناء وسيلة لكسر نفسك إلا أن يوهموك بأنك قد زנית".
قال علي بحزن: "أخشى أن أكون قد زנית فعلا وخاصة أنني لم أكن في مرحلة وعي جيدة".
فسأله حكيم: "هل حدث لك قذف للسائل المنوي؟"
-لا أذكر جيدا بسبب الوعي غير التام.
ثم سأله عدة أسئلة خاصة بالأمراض التناسلية، وكانت الإجابة بالنفي. فقام الدكتور أحمد يفحصه
سريريا، فتبسم: "الحمد لله، ليست عندك أي علامات تدل على إصابتك بأمراض تناسلية.
وسنفحص عينه من دمك في المختبر".
كتب الدكتور حكيم قائمة بالتحاليل اللازمة.
تساءل علي: "متى سأعرف نتيجة التحاليل؟"
فأجابه الدكتور أحمد: "بعد أسبوع إن شاء الله".
ثم أردف: "إذا أردت أن توفر وقتا، فاعمل تحليل فيروس مرض الإيدز في معامل وزارة
الصحة المركزية".
تبسم الدكتور حكيم وقال:
-نحن نفحص الأمراض التناسلية لنستبعد أن تكون قد أصبت بها. وعلى العموم، كل ما حدث
ربما يكون هو احتكاك هذه المرأة بك خارجيا فقط بدون اتصال جنسي.
تبسم علي لأول مرة منذ دخوله العيادة وقال: "بعدما عاد وعيي كاملا، لم أجد هذه المرأة. وبعد
قليل، عصرت ذاكرتي لأتذكر ما حدث، فتذكرت ملامح تلك المرأة، وأظنها -والله أعلم- تشبه
الراقصة ناني!".
كانت العيادة خالية من المرضى، فاستمع باقي الأطباء الموجودين إلى شكوى علي وانتبهوا
لغرابتها. فلما قال علي: "أظنها الراقصة ناني"، ضحك كل أطباء الحجرة. قال أحدهم:
-يا بختك يا سيدي.
وقال الثاني: -يا حظك يا عم.
وقال الثالث:
-لو كنت مكانك لقلت لهم لا تعطوني الأمبول المخدر حتى أكون بوعيي كاملا!
فضجت الحجرة ضحكا ...

اشتعلت نيران الغيرة والحقد في قلب زبيدة زوجة صلاح الشيمي بعدما أخبرها صلاح بعزمه على الزواج من بهيجة...
الكلبة تأخذ زوجي على آخر الزمن؟! المجرمة تغزل مغزل الحب لتوقع صلاح في شراكها؟
السهيانة التي تدعي الطيبة والصلاح والتقوى... الخبيثة. الله ينتقم منها. بنت الكلب القذرة!...

بعدما جلست زبيدة مباشرة في حجرة الصالون بشقة بهيجة، قالت:
-وصلنا للفصل الأخير من قصة الحب المشتعلة بينك وبين الدكتور صلاح.

ثم وهي ساخرة وشبه ابتسامة رسمتها على جانب فمها:

-قصة حب رائعة بين كهلين في نهاية القرن العشرين.

توهج وجه بهيجة الخمرى...

قالت في نفسها:

عيناك كلها غدر... وكلامك كله سُم!...

ثم تساءلت:

-ماذا تقصدين يا أم خالد؟

فأجابتها زبيدة في حدة:

-أنا "أستاذة زبيدة" يا نقيبة الممرضات!

وبصياح:

-أم خالد تقولها لواحدة مثلك.

قالت بهيجة في نفسها:

ما هذه الوقاحة؟!...

زادت ضربات قلب بهيجة وهي ترى الحدة والغلظة في حديث زبيدة.

قالت متلعثمة:

-أنا لا أقصد يا مدام.

فصرخت فيها زبيدة:

-أنا وكيلة مدرسة التربة الإعدادية للبنات. تخاطبيني بالأستاذة زبيدة. أفهمين؟

ما هذا التغير الذي أصابك؟ طول عمري أخاطبك "يا مدام" و"يا أم خالد"، فماذا جرى؟ وما هذا

الشر الذي يتقاذف من عينيك؟ أين الأخوة في الله التي تجمع بيننا في جماعة الإخوان

المسلمين؟!...

قالت بهيجة في ضيق:

-أنا لا أقصد مضايقتك يا أستاذة زبيدة. ولكن أرجوكِ خاطبيني بهدوء، أنت في بيتي...

فاحتدت زبيدة غاضبة:

-أنتِ التي في بيتنا.
أومأت بهيجة رأسها موافقة:
-حاضر. أنا في بيتكم. ولكن أرجو أن تتكلمي بهدوء أكثر.
ثم ذهبت لتحضر الشاي وتركت زبيدة مستسلمة لنيران الغل والحقد والغيط والانتقام...
بعدها عادت بهيجة، قالت زبيدة والغيط يأكل في جنبات نفسها ويمور في قلبها وعينيها:
-لقد وصلنا للفصل الأخير من قصة الحب المشتعلة بينك وبين الدكتور صلاح.
ردت بهيجة:
-لقد قلت هذا الكلام الغريب منذ قليل، وتكررينه الآن. فماذا تقصدين؟
تبسمت زبيدة ابتسامة صفراء خبيثة ونظرت نظرة باردة في عيني بهيجة ثم تساءلت:
-كلام غريب؟ أتأخذين -يا نقيبة الممرضات- دكتورا من زوجته وأبنائه، وتبخين سُمك في
روحه، وتنشبين مخالبك حول قلبه، وتقولين كلام غريب؟
تساءلت بهيجة في غضب:
-ما هذا الكلام الفارغ الذي تقولينه؟
هزت زبيدة رأسها وتساءلت في فحيح بارد خبيث:
-كلام فارغ؟ كلام غريب؟
ثم صرخت قائلة والشرر يفور من عينيها ويتطاير:
-ألا يكفيك أنك تغذيت معه أمس؟
ردت بهيجة في هدوء:
-لا داعي لهذا الغضب. ولنتفاهم أفضل.
ثم وهي تشير إلى الخارج:
-الجيران سيصلهم صراخك.
لم تسمع زبيدة لنصيحة بهيجة، إنما صرخت:
-أي تفاهم معك يا مجرمة؟ اتركي بيتنا يا مجرمة. اتركي بيتنا يا مجر...
ردت بهيجة غاضبة:
-عيب يا مدام. عيب أنت في بيتي. أنا لست مجرمة. المجرمة هي التي تسب الناس في بيوتهم...
فصرخت زبيدة أكثر وهي تقول:
-قلت لك أنتِ التي في بيتنا. والمجرمة هي التي تأخذ الرجال من زوجاتهم وأبنائهم.
فصاحت بهيجة:
-أنا معي عقد إيجار قديم، يعني أنتِ وكل من ° معك على ظهر الأرض لا تستطيعون أن
ترحزحوني شبرا من شفتي. وعيب عليك يا مدام. احترمي نفسك شوية...
ضربت زبيدة صينية الشاي بقدميها وصرخت:

-الله ينتقم من الذي قنن قانون الإيجار هذا. ثم أنا محترمة نفسي طول عمري. وانظري إلى نفسك يا عديمة الاحترام. وأنا لن أترك بيتي يتهدم بسبب ممرضة حقيرة مثلك. يا كلبه يا ساقلة يا منحطة يا
ثم انقضت على شعر بهيجة تشده وتقطعه بيديها!...
هتفت بهيجة في نفسها:
هي السعادة المذبوحة...
ثم صرخت ودفعت زبيدة بيديها وهي تقول:
-أخرجي من هنا يا جبانة. أخرجي يا جبانة...
فلم تخرج. وحمي الوطيس بينهما، حتى قالت بهيجة بغيط:
-فعلا، أنا بحب صلاح. وهو يموت في. ولقد اتفقنا على الزواج...
من سوء حظهما، أن سعيد عوض وصلاح الشيمي كانا في لقاء الأسرة في بيت إسماعيل، فلم تتوقفا عن العراك إلا بعد وصول الجيران ليفصلوا بينهما...
للأسف، كانت أرض الغرفة مليئة بشعر متقطع ودماء متناثرة، وكانت ملابسهما ممزقة متهرئة، وأمست روحاهما يائستين محطمتين...

تعددت لقاءات عامر الكردي مع طارق عمر...
أخبر طارق في إحدى لقاءاتهما عن انضمامه السابق لجماعة الإخوان المسلمين. وأخبره في مرة أخرى عن القبض عليه أثناء السير إلى القناطر من مباحث أمن الدولة. وتحدث عن إفشاءه لتنظيم الإخوان تحت التعذيب المهول...
-وأثناء احتجازه فتشوا منزلنا. وماتت أمي بسبب صدمة اعتقالي. وظللتُ في الاعتقال أسبوعين. ولمّا خرجت، وجدت أخي حسن يحققون معه في المجموعة 75 مخابرات حربية، ثم أصدر الظالمون قراراً بفصله من الجيش!...
فتساءل عامر بحزن مصطنع: "وما أخبأه الآن؟ وهل وجد عملاً؟"
-نفسيته محطمة. ولا يطيق أي أخ ملتجئ إلينا. وليس عنده أي عزم للبحث عن عمل...
أخوك الآن أنسب فرد ينضم إلينا لكي ينتقم من الدولة ونظامها الظالم الفاسد الكافر...
-نرضى بقضاء الله يا أخ طارق، ونحتسب عنده ما يصيبنا. ولكن ما ذنب أخيك؟ وما ذنب إخوانك حتى ينقطع مصدر رزقهم؟ لابد من الانتقام من الطواغيت الذين عتوا في الأرض فساداً وطغياناً وكفراً!...
وأثناء احتساء الشاي، قال عامر: يا طارق...
ثم صمت برهة ليشد انتباه طارق ثم تساءل: -ألا تباع على الجهاد في سبيل الله؟
-أبيع الآن على بركة الله.
-سنذهب غداً إن شاء الله إلى أمير المنطقة للمبايعة. وأرجو السرية ولا تخبر عن التنظيم حتى لو حاول طواغيت الأرض قتلك لا قدر الله.
هتف طارق بحماس بالغ: "إن شاء الله يا أخي".

وفي الغد، بايع طارق أمير الجماعة الإسلامية في الشراعية...
وقبل المبايعة، تحدث أمير الجماعة لطارق عن سبب انضمامه للجماعة الإسلامية فقال:
-تصور يا أخ طارق، أن معاون قسم الشراعية هجم على بيتنا بقوة شرطة كبيرة وكاد أن يفتح باب الحمام على شقيقتي وهي تستحم لكي يفتش ويضبط والدي الذي جاء اسمه عابراً كشاهد على خناقة حدثت بين الجيران!
فقال طارق: "كان يكفي أن يخبره شيخ الحارة بحضوره لقسم الشرطة".
فقال الأمير منفعلًا: "هم يريدون أن يفردوا عضلاتهم على الشعب بأي شكل حتى يقهرونا ويحطمونا!"
-والشعب المحطم المقهور سهل وسلس القيادة...
-طواغيت كفر، فماذا نتوقع منهم؟
نقاطرت دموع حارة صادقة من عيني الأمير وهو يقول:

لم يكتف الضابط الطاغوت، الكافر ابن الكلب، بالهجوم على بيتنا، إنما صفح والدي على وجهه أمامنا وأمام الجيران وهو يصرخ فيه: "أنت فين يا ابن الكلب؟" وكان أبي وقت التفقيش يصلي العشاء في المسجد المجاور، ولم يصدقنا الضابط الكلب ظنا منه أننا نكذب عليه. ولما عاد والدي استقبله أمام بيتنا بالضرب والسب والإهانة!...

فقال طارق غاضبا: "حتى لو كان والدك متهما، ما كان ينبغي على الضابط أن يقبض عليه بهذا الشكل".

-على العموم، سنتنقم جماعتنا من هؤلاء الضباط الكفرة، وسنتنقم من ضباط أمن الدولة الذين يعذبون الموحدين...

حاول الأمير أن يبت الحماسة في نفس طارق وينشر البغضاء والكراهية في أرجاء نفسه- للنظام الحاكم حتى يتحمس أكثر لتغيير المنكر باليد ولأنشطة الجماعة الإسلامية ولجهادها ضد الطواغيت الطغاة الكفرة ...

وبعدما شحنت نفس طارق وامتألت بكل الحقد والكراهية والبغضاء للنظام الحاكم وعلى رأسه رئيس الجمهورية ذاته، قال رئيس التنظيم: "يا أخ طارق، ستكون بإذن الله في خلية الأخ عامر".

فهتف طارق بحماس:

-على بركة الله..

-أنت جسمك رياضي والحمد لله. ولكن ينقصك التدريب على ضرب النار.

فتساءل طارق: "وأين يمكن أن أتدرب على ضرب النار؟"

فأجابه أمير التنظيم بابتسامة عريضة:

-في مزارع كبيرة منعزلة في صحراء الخطاطبة بمحافظة البحيرة. وبلهجة مطمئنة:

-واطمئن، فالمكان آمن من الطواغيت وعملائهم.

فرد طارق وهو منشراح الصدر: "توكلنا على الله".

ربت أمير التنظيم على كتف طارق وهو يهتف:

-احتسب جهادك عند الله. ولا تنس أبدا جهاد خالد بن الوليد والقعقاع بن عمرو وشرابييل بن حسنة، والذي سنعينه في جماعتنا -جماعة المسلمين- إن شاء الله. وسيكون اسمك الحركي "القعقاع".

مد طارق يده اليمنى ليبايع أمير التنظيم، فمد الأمير يده اليمنى وسلم على يد طارق بقوة وهو يقول:

- {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} 59...

59 الآية 10 من سورة الفتح

لما عاد سعيد من لقاء الأسرة، صُدم بعدما عرف من الجيران ما حدث مع أمه. وأخبروه بنقلها إلى مستشفى شبرا العام...

فكر سعيد في اللغط الذي سمعه من الجيران وهو ذاهب إلى المستشفى...
زوجة الدكتور صلاح تقاثل أمي؟ زوجة الدكتور صلاح كادت أن تقتل أمي!... أعوذ بالله.
الجيران أنقذوا حياة أمي. أمي الحبيبة التي لم يسمع أحد من الجيران صوتها لمدة تزيد عن عشر سنوات، تصرخ بأعلى صوتها، وتتعارك كأنها تلميذة في الابتدائية؟!...
زوجة الدكتور صلاح التي لا يُسمع لها صوت أيضا، المحترمة، تصرخ وتضرب أمي!!...
لا حول ولا قوة إلا بالله. أمي تعرت في المعركة. أمي تعرت في المعركة! ليه يا رب؟ ليه؟ ليه؟
لا إله إلا الله. لا إله إلا الله محمد رسول الله... إنا لله وإنا إليه راجعون...
أمي تحب الدكتور صلاح؟! الدكتور صلاح يحب أمي؟ ما هذا غير المعقول بالمرّة؟ حب؟ حب؟
في عمرهما؟ حب؟ أمي استولت على قلب الدكتور صلاح؟ أخذته من بيته وزوجته وأولاده...
ما هذا الهراء؟!...

الرجل محترم. وأمي محترمة. وزوجة الدكتور صلاح محترمة... ولكن لماذا نزلت زوجة الدكتور صلاح إلى أمي وكادت أن تقتلها؟ أعوذ بالله. لا يمكن أن يكون ما حدث هو ما سمعت. ولكن لا يوجد دخان بدون نار. من المؤكد أن الجيران قد دهنوا الموقف بكلامهم السام عن أمي والدكتور صلاح وزوجته... الناس تحب المصائب والفضائح والبلاوي لتخوض فيها...
أعوذ بالله...

ولكن أين الأخوة في الله التي تجمع بين أمي وزوجة الدكتور صلاح؟ ألم يجمع بينهما لقاء الأسرة الإخوانية كل أسبوعين على الأقل؟ فأين تلك الأخوة؟ سبحان الله... القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء... لا حول ولا قوة إلا بالله... إنا لله وإنا إليه راجعون... ما حدث لا يأتي على بال أحد على الإطلاق.

حب؟ صراع؟ خناقة؟ جيران؟ فضيحة... غير المعقول على الإطلاق!... أعوذ بالله...

حب؟ صراع؟ خناقة؟ جيران؟

حب؟ صراع؟ خناقة؟

جيران؟

فضيحة بجلال!!...

دماغي سينفجر! الرحمة يا رب...

وفي المستشفى، أخبره طبيب الطوارئ بنقلها إلى قسم الأمراض العصبية والنفسية بمستشفى الساحل التعليمي بسبب إصابتها بانهايار عصبي حاد...

-73-

في مستشفى الحوض المرصود، كثر اللغط حول زيارة علي عبد المنعم للمستشفى وحديثه الغريب حول ناني الراقصة...
ففي حجرة الأطباء أو حجرة النميمة بتعبير الدكتور أحمد إسماعيل، طلب الدكتور عبد الوهاب محمود من الدكتور مجدي النحال أن يخبرهم عن آخر أخبار المستشفى ليحدثهم عن هذا الموضوع.

تبسم الدكتور مجدي النحال، ثم تساءل:
- ألم تسمعوا عن الراقصة ناني التي نامت في حضن أحد المعتقلين في أمن الدولة؟! فضحك بعض الأطباء، وقالوا: "نريد أن تحدثنا أنت لتأكد لنا".
فرد عليهم الدكتور أحمد إسماعيل: "خير بايت يا دكاترة. خبر بايت يا نحال".
فقال أكثر من طبيب: "ولكننا لم نسمع عنه".
فتحسب النحال وهو يقول: "لقد أتى مريض يوم السبت الماضي إلى عيادة التناسلية 2، وذكر أنه حين كان معتقلا في أمن الدولة، أعطي حقنة ربما تكون فالسيوم أو أي مادة منومة".
كتم النحال مشروع ضحكة في صدره وهو يكمل:
-وبعد قليل، فوجئ بامرأة تشبه الراقصة ناني في حضنه!
بمجرد أن سمع الدكتور صلاح الشيمي هذا الخبر، ازدرد ريقه الذي جف بسرعة... قال لنفسه: ما هذا؟!....

تساءل الدكتور حمدي علي: "أصحيح هذا الخبر أم إشاعة يا نحال؟"
وسأله طبيب آخر: "أصحيح أم كذبة إبريل؟"
تبسم النحال وهو يجيب: "صحيح. صحيح".
فقال الدكتور مؤمن: "من حسن حظك ألا تذهب اليوم يا حمدي إلى أعمالك الصباحية وتستمع لهذا الخبر الشيق من وكالة أنباء المستشفى".
فرد حمدي: "ربما يكون من سوء حظي".
فقال الدكتور فوزي نجيب ساخرا: "اطمئن. من حسن حظك. فالكلام عن ناني (وشخلعتها) ونومها في حضن أي واحد، أكيد من حسن الحظ".
وبجدية: "وكفى ادعاء الفضيلة الكاذب!"
فقال الدكتور عماد الدسوقي: "يا جماعة، راعوا وجود طبيبات معنا في الحجرة".
فقال فوزي في نفسه:

حتى أنت تدعي الفضيلة! وعامل فيها من الإخوان المسلمين. يا شيخ غور...
رد النحال مبتسما: "سنراعي يا عماد. سنراعي".
فسأله صلاح الشيمي: "وماذا كان التوجه السياسي لهذا المعتقل؟"
-لا أظن أنه من الجماعات الإسلامية. هو طالب جامعي في العشرين من عمره.

فاعترض أحمد إسماعيل: "أظن أنه من الجماعات الإسلامية".
فالت الدكتور سميرة سعيد محتدة: "جماعات أو غير جماعات، المصيبة في الحدث نفسه!"
وقالت الدكتورة عليّة غاضبة: "الحدث بشع ويدل على فساد النظام الحاكم".
فأشار لها أكثر من طبيب وطبيبة لتسكت وهمسوا: "الحيطان لها أذان".
فردت منفعة: "الله يطرشها ويطرشهم".
قال الدكتور حكيم نخلة:

-يا جماعة، أنا غير مقتنع بأنها كانت ناني الراقصة. فلو كنا في أيام الستينات، لقلت إن ناني ومن على شاكلتها من الراقصات الدرجة الأولى تعمل مع المخابرات وليس مع أمن الدولة.
قال الشيمي في سره:

أمعقول؟! ابتهاج تعمل prostitute⁶⁰ في أمن الدولة؟!... مهمة قومية؟! أعوذ بالله. أعوذ بالله. أمعقول يا ابتهاج؟ مهمة قومية؟ أي مهمة قومية؟ الرقص لوفد عربي أم أجنبي؟ أم النوم في أحضان المعتقلين السياسيين؟ ضريبة الشهرة؟ أعوذ بالله... أعوذ بالله... أعوذ بالله...

-عندي مهمة قومية اليوم! فسامحني يا دكتور صلاح لأنني سأتركك ساعات قليلة.
مع السلامة يا ابتهاج.

مهمة قومية؟! النوم في حضن معتقل! أمعقول؟ ولماذا لم يأتوا بأي عاهرة؟ معتقل مهم؟ شاب في العشرين من عمره...

قال أحمد إسماعيل:
-ربما توهم هذا المريض أنها ناني. وما هي إلا امرأة prostitute.
فقال الدكتور سامي حليم ضاحكا:
-يا ليتني كنت مكانه.
فانفعل حكيم:

-أعوذ بالله. لماذا تتمنى هذا؟

فرد عليه سامي متسائلا:

-هل يوجد أحد يصل بسهولة إلى حضن ناني؟

فأجابه أحمد إسماعيل:

-أذهب إلى أمن الدولة واجعلهم يعتقلونك وسوف يأتون بناني وأم ناني إليك... فضحكوا.

اشتعلت التعليقات الساخرة...

قال حمدي علي: "نا أشك أن تكون الفنانة ناني هي التي كانت في زنارته".

فاحتدت الدكتورة عليه بثورتها: "كفى سفسائية يا قوم".
ثم تساءلت بانفعال: "ألا تلاحظون أن المرأة تُستغل بأبشع صور منذ فجر التاريخ؟!"
تحمست الدكتورة ابتسام عوض الله وقالت:
-كان يجب على وزارة الداخلية أن تبحث عن فرصة عمل شريف لهذه prostitute، بدلا من
استخدامها بمنتهى الإهانة والحقارة والندالة في أعمال الرزيلة!!!...
فاعترضت الدكتورة عبد الوهاب محمود قائلا:
-المريض لم يفعل معها الرزيلة لأنه كان ⁶¹subconscious.
فسألته عليه بحدة: "وما الفرق بين أن تكون في حضن رجل تمارس الفاحشة أم لا تمارس؟ هل
نوم امرأة في حضن رجل غريب لا غبار عليه؟!"
فقال فوزي في نفسه:
حتى أنتِ تدعي الفضيلة، وفي داخل أعماقك تتمنين أن تنامي في حضن كل هؤلاء الأطباء -
وخاصة الفحول منهم- إن كان فيهم فحول- وربما كل رجال الدنيا وخاصة بعد موت زوجك منذ
فترة طويلة وعطشك الشديد الآن للجنس!...
وتساءلت ابتسام عوض الله بسخرية:
-وهل الرجل المحترم يتمنى أن يكون في الزنزانة في حضن هذه العاهرة؟!
فقال فوزي في نفسه:
حتى أنتِ يا ابتسام يا عوض الله يا محرومة من الزواج والجنس. أكيد (شرقانة) على الجنس!
ولكن أين هو؟!...
ثم أطلقت ابتسام نظرات نارية محاصرة في عيني سامي وقالت:
-عيب يا دكتور سامي التلطف بهذا الكلام!
احمر وجه سامي حلیم. قال في نفسه:
هو أنا فقط الذي أتمنى أن أكون في حضن ناني؟
ثم تجرأ:
-كل الأطباء الذين أمامك يا دكتورة ابتسام يتمنون ذلك!
ثم أشار بيديه:
-حتى الدكتوران حكيم نخلة وأحمد إسماعيل العجوزان يتمنيان ذلك...
فضجت الحجرة ضحكا ...

-74-

بعد أسبوعين من التدريب على ضرب النار، قال رئيس الخلية لطارق عمر بوجه صارم:
-بعد إتقانك لضرب النار، أنت مكلف الآن بأول عملية جهادية في سبيل الله...
فتساءل طارق وقد اشتدت ضربات قلبه دقا:
-ما هي هذه العملية؟

-أنت مكلف بحرق محل لبيع أفلام الفيديو الخليعة. ويجب أن تكتم فلا تحدث أحدا حتى أفراد
خليتك. وستبلغ بالموقع غدا بعد صلاة العشاء. والموقع عادة يكون في حي بعيد جدا عن حي
الأخ أو الأخوة الذين سينفذون العملية حتى يكونوا غير معروفين. فمثلا، نحن ننفذ عمليات في
الجيزة. وأخوة الجيزة ينفذون هنا في الشرايبة. وفي أحيان قليلة ينفذ أخوة الحي عمليات في
الحي نفسه...
قال طارق:

-ولكن لابد من دراسة الموقع جيدا ومداخله ومخارجه حتى يستطيع منفذ العملية الهرب بسرعة
وبأمان.
-طبعاً، يا أخ طارق. هذا شيء بديهي نقوم به قبل تنفيذ أي عملية.
-ولكن هذه العملية ليس فيها ضرب نار الذي تدربت عليه.
-ربما تحتاج إلى استخدام سلاح ناري في هذه العملية.

بعد صلاة العشاء في مسجد الهدى الإسلامي، خرج رئيس خلية طارق من المسجد، وسار
بجوار المسجد من ناحية سوق الخضار المظلم الموحش والمهجور ليلاً، وأعطى طارق خريطة
بالموقع، وزمن تنفيذ العملية، واسم الأخ الذي سينفذ معه العملية...

هربت بهيجة فرحات من مستشفى الساحل وعادت إلى بيتها. وصُدم سعيد بعدما وجدها قد أُصيب في عقلها...

اتصل بالدكتور عماد الدسوقي لكي يذهب بها إلى المستشفى. ولكنها رفضت العودة إلى المستشفى، وصرخت فيهما، وضربتهما بكل ما تجده أمامها، ولم تهدأ قليلاً إلا بعد أن فر الدكتور الدسوقي من الشقة لكي يتصل بمستشفى الأمراض العقلية... هتفت بهيجة بعد انصراف عماد:

-صلاح يا حبيبي... أنا بحبك يا بني. يا أحلى ابن في الدنيا. يا أحلى صلاح في الدنيا...

يا سعيد. اترك المخدة لصلاح. إياك أن تدوسه برجلك فصلاح ضعيف...

إياك أن تنسى أن تعطيه (الرضعة) وأنا في الشغل.

إياك يا سعيد أن يبكي. أو أن يتألم. أو أن يصيبه أي أذى.

إياك أن تطرف عينك عنه ثانية. فصلاح ضعيف يا سعيد.

انظر يا سعيد، إلى صلاح وبرأته وجماله... انظر. انظر. لقد برزت له ثلاثة أسنان جميلة بيضاء...

سيكبر صلاح، وسيدخل المدرسة، وسيكون أشطر تلميذ...

ضرب سعيد كفا بكف وقال:

-يا أمي، هذا ليس إلا لعبة من القماش!

-أنا أحسن أم في الدنيا. أنا ولدت صلاح حبيبي.

أخرجت بهيجة رأسها من الشباك وصرخت في الجيران:

-يا جيران... إياكم أن توقظوا صلاح من النوم...

إياكم أن تزعجوه يا كلاب.

يا جيران. حافظوا على صلاح وأنا في الشغل. صلاح ضعيف يا كلاب.

إياكم أن تزعجوه. إياكم يا جيران. صلاح يا جيران. صلاح يا جيران.

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

سأخرب بيتكم لو صلاح انزعج بسببكم.

سأقتلكم لو صلاح تضايق بسببكم.

ابني صلاح مثل نسمة الهواء. لا تجرحوه. لا تؤذوه. صلاح ضعيف يا مجرمون...

إنني أحب صلاح يا جيران. أحبوه. أحبوه. أحبوه يا أولاد الكلب.

صلاح يحبه كل شيء في هذه الدنيا... فطوب الأرض يحب صلاح. ونهر النيل يحب صلاح.

والأهرامات تحب صلاح. والسد العالي يحب صلاح. والتراب يحب صلاح. والمتحف

المصري يحب صلاح. والهواء يحب صلاح. والسماء تحب صلاح. والأرض تحب صلاح.

والنخل يحب صلاح. والأهرامات تحب صلاح. والسد العالي يحب صلاح. والماء يحب صلاح.

والمتحف المصري يحب صلاح. صلاح يحبه كل شيء في هذه الدنيا... فطوب الأرض يحب صلاح. ونهر النيل يحب صلاح. والأهرامات تحب صلاح. والسد العالي يحب صلاح. والتراب يحب صلاح...

أحبوا صلاح حبيبي يا جيران.

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

ثم صرخت:

-زبيدة المجرمة تريد قتل صلاح. زبيدة المجرمة...

ثم بصوت أهدأ:

-صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

أحبوا صلاح حبيبي يا جيران.

احمي صلاح من المجرمة زبيدة يا سعيد.

احمي صلاح من المجرمة زبيدة يا سعيد.

أحبوا صلاح حبيبي يا جيران. يا جيران يا كلاب.

وبصراخ:

-زبيدة المجرمة تريد قتل صلاح.

احمي صلاح يا سعيد.

احمي صلاح يا سعيد.

احمي صلاح يا سعيد.

احمي صلاح يا سعيد.

وبنغمة أهدأ:

-صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

وبهددة:

-صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

دخلت بهيجة إلى دَرَج البيت وظلت تصر أعلى صوتها وتقول:

-يا زبيدة. يا أم كوثر. يا أم ميكل. يا أم حلمي. سأخرب بيتكم لو انزعج صلاح.

يا كلاب... إياكم وأي أذى لصلاح.

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

يا مجرمة يا زبيدة... يا كلبة يا زبيدة... إياك أن تمسي صلاح بأذى.
إياك يا مجرمة. إياك يا كلبة. إياك يا مجرمة يا بنت الكلب... يا بنت الكلب يا وسخة...
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
أحبوا صلاح حبيبي يا جيران...
صلاح... صلاح... صلاح...
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

يسمع سعيد ضحكات واستهزاءات الجيران والأطفال فيجري مسرعا ليدخل أمه ويقول وهو
يبكي بمرارة:
-ألا تتعبين من كثرة الكلام يا أمي؟ الله يعوض لك عقلك يا أمي. لا حول ولا قوة إلا بالله. لا
حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...
فتصرخ فيه:

-أيقظت صلاح يا سعيد.
ما ذنب صلاح البريء؟
ما ذنب صلاح الجميل؟
ما ذنبك يا صلاح يا حبيبي؟
أحبوا صلاح حبيبي يا جيران.
ما ذنبك يا صلاح؟
أحبوا صلاح حبيبي يا جيران
ما ذنب صلاح؟
ما ذنب صلاح؟
ما ذنب صلاح؟
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
ثم تأخذ اللعبة في حجرها وتهدهدها وتقول:
-صلاح يحبه كل شيء في هذه الدنيا... فطوب الأرض يحب صلاح. ونهر النيل يحب صلاح.
والأهرامات تحب صلاح. والسد العالي يحب صلاح. والتراب يحب صلاح...
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
ثم تهز اللعبة أكثر وتقول في نغمة غناء تعديد:
-نم يا حبيبي نم.
أنت من عالم الأعلى.
تغرد في السماء العليا.
زبيدة تريدك من القتلى.
زبيدة مجنونة سافلة.
نم يا حبيبي نم.
أنت من عالم الأعلى...
تغرد في السماء العليا...
زبيدة تريدك من القتلى...
ثم تصرخ بأعلى صوتها وتنتحب قائلة:
-زبيدة مجنونة سافلة... زبيدة مجنونة سافلة... زبيدة مجنونة سافلة...
ثم تخفض من صوتها وتهدهد:
-صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
صلاح يحبه كل شيء في هذه الدنيا... فطوب الأرض يحب صلاح. ونهر النيل يحب صلاح.
والأهرامات تحب صلاح. والسد العالي يحب صلاح. والتراب يحب صلاح...

-76-

علم صلاح الشيمي بالحنافة التي دارت بين زبيدة وبهيجة، وما تلاها من انهيار بهيجة العصبي، وإيداعها بمستشفى العباسية للأمراض العقلية. قال لزوجته عاتبا ممتعضا متضايقا:
-أفضحينا بين الناس على آخر الزمن؟ أفضحينا يا زبيدة؟ هل الأمور تُسوى بهذا الشكل؟
بكت زبيدة وهي ترد:

-إنها مجرمة!

تذكر صلاح لقاء الشعبة الشهري والنقاش حول بناء تنظيم الأخوات المسلمات في الشعبة، وكانت زبيدة وبهيجة وزوجة الأستاذ الغرباوي وزوجة إسماعيل والحاجة أم علي عبد المنعم في أسرة واحدة.

قال في نفسه:

أكد أن هذه الأسرة (الأخواتية) سيطاردها الفشل طالما أن زبيدة وبهيجة عضواتان بها. أي أخوات في زماننا هذا؟! في الحقيقة، لا توجد أخت حقيقية في عصرنا إلا الحاجة أم علي.
-مجرمة! مجرمة. كيف تتلفظين بهذا اللفظ على إنسانة محترمة كأم سعيد؟ عيب يا زبيدة يا حبيبتني عيب...

-حبيبتني! أخيرا قلت لي هذه الكلمة التي غابت عن قاموس كلماتك في بيتنا، إنما أكد تقولها لحبيبة القلب الجديدة.

تبسم صلاح وربت على كتفها:

-طبعا، أنت حبيبتني. ولكن أرجوك يا زبيدة، لا تجعلني حمم الغضب تشط بك بعيدا عن الصواب. والمسكينة بهيجة تعاني بسببك من انهيار عصبي حاد وهي محجوزة الآن في مستشفى العباسية للأمراض العقلية بقسم الحالات الحرجة. دعينا يا حبيبتني، نعالج أمورنا بتعقل.

تساءلت زبيدة وهي تجهش بالبكاء:

-أي تعقل تتحدث عنه؟ هل من العقل أن أتركها تخرب بيتي؟

-هي لم تخرب بيتنا. ولن تخربه بإذن الله. الخراب يأتي من الفضيحة التي جعلتنا أضحوكة بين الجيران...

ردت زبيدة غاضبة:

-أنا لم أكن أتصور أن يهيج الموقف ويتطور معها بهذا الشكل.

ثم تساءلت:

-أخبرني يا صلاح، عن التعقل الذي تراه لعلاج هذا الموقف؟

-بالاتفاق يا زبيدة.

فصرخت:

-أي اتفاق تريده؟ هل تريد أن تكون أم سعيد ضرة لي؟ هذا لن يكون أبدا.

تساءل صلاح بهدوء:

-ألم يحل الشرع للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة؟
فأجابته زبيدة غاضبة:
-الشرع؟ الشرع؟ نحن نأخذ الشرع على هوانا. هل أحل الشرع النظر إلى المرأة الأجنبية ثم
النظر والنظر حتى الوصول إلى مرحلة توهم الحب والهيام...؟!
ثم تساءلت:
-ألم يقل الرسول عليه الصلاة والسلام: ((إن النظرة سهم مسموم من سهام إبليس))؟
تبسم صلاح:
-أم سعيد وأنا كبيران على هذه النظرات التي تفكرين فيها.
تبسمت زبيدة ساخرة:
-يا حبيبي... كل ما تشعر به تجاه هذه المرأة ما هو إلا أزمة منتصف العمر، وهي أزمة جلها
جنسية. ألم تقرأ عنها وأنت أخصائي تناسلية؟ ألم تقرأ أن الرجل بعد سن الأربعين يريد أن يثبت
لنفسه أنه مازال شابا قويا، ويستطيع أن يحب ويتزوج، في الوقت ذاته بدأ منحني هرمون
الذكورة لديه في الهبوط. صدقني يا صلاح، بعد أول لقاء جنسي معها ستنسى الحب وآهاته!
توهج وجه صلاح الأبيض احمرارا. اندهش من التفسير الغريب لأزمة منتصف العمر. وأطرق
ولم يعلق.
فاستطردت:
-أنا لن أحطم سعادتك. فالكرة -كما يقولون- في ملعبك. إما أنا أو بهيجة. والشرع الذي نتحدث
عنه قد أحل الطلاق. والحمد لله.
خرج صلاح من إطراقه وعبس قائلا:
-الكرة في ملعبك؟ في ملعبك؟ اسمعي يا زبيدة، يجب أن نترك هذا الحي لفترة حتى ينسى
الجيران الفضيحة التي نشرتها بتصرفاتك الحمقاء...

نفذ طارق عمر وبدري عمران عملية حرق محل الفيديو ببراعة، فهناك رئيسه:
-لقد ثبتت قدميك اليوم في طريق الجهاد فهنيئاً لك يا أخ طارق.
قال طارق: "الحمد لله على توفيقه".
-هل طبقت الخطة بحذافيرها؟
-نعم، والحمد لله.

فسأله رئيس الخلية منشراحا: "وما شعورك أثناء أداء المهمة؟"
فأجاب طارق بحماس: "لقد كنتُ كأني أطير في روضة من رياض الجنة!!"
فابتهج رئيس الخلية، وتساءل: "ألم تبرز لكما أي معوقات؟"
فتبسم طارق ورد: "أثناء سكبنا للبنزين على أشرطة الفيديو، جاء صاحب محل البقالة المجاور بسبب الرائحة فكاد أن يفسد علينا خطتنا".
فسأله رئيس الخلية بتلهف: "وماذا صنعتما معه؟"
فأجاب بدري:

-قبل سكبنا للبنزين هددنا صاحب المحل بالمسدسين، فأمرناه أن يقف ووجهه للحائط. فدخل صاحب البقالة بسبب الرائحة، فأمرته أن يرفع يديه فوراً، ويستقبل الحائط بوجهه بجوار صاحب المحل، ففعل. وفي الوقت نفسه، استمر طارق يسكب البنزين، ثم أشعلنا المحل، وانطلقنا فارين بالسيارة الفولكس.

انشرح صدر رئيس الخلية وابتهج وسألهما: "وهل السيارة كانت منزوعة (لوحة النمر) فعلاً؟"
فأجابه بدري: "تأكدنا من ذلك قبل استخدامها".
فتساءل طارق في براءة: "ولكن أليس سرقة هذه السيارة حرام؟!"
-إخوانك قد ركبوا لوحة النمر، وتركنا السيارة قريباً من المكان الذي سُرقت منه. وصاحبها قد أخذ الثواب بدون إرادته!...
فضحك بدري وقال: "صدق من قال: يُثاب المرء رغم أنفه!".

فسألهما رئيس الخلية:

-وهل نصحتما صاحب المحل أن يغيره إلى مكان نافع للمسلمين بدلاً من نشر المعاصي؟

فرد طارق: "أثناء وقوفه نصحه الأخ بدري".

-وهل أصيب صاحب المحل والبقال بحروق؟

فأجابه بدري: "أظن أنهما فرا مسرعين بعدما انطلقنا من المحل".

فتساءل طارق: "ولكن أليس من الأفضل أن تتم هذه العملية في جوف الليل بعيداً عن الأعين؟"

فأجابه رئيس الخلية:

-فتح المحل عنوة ليلاً؛ سيصدر أصواتاً، وسيستغرق وقتاً طويلاً، وربما نتعثر في فتحه، أو يظن بنا الظنون. ولكن أداء العملية نهاراً لم يكلفنا إلا ثلاث دقائق.

وأضاف بدري:
-بالإضافة إلى أن غرض العملية قد وصل إلى صاحب المحل، وأظن أنه قد فهم الرسالة جيدا!
فتساءل رئيس الخلية:
-تصوروا لو الإخوان المسلمون أو غيرهم من الجماعات المتخاذلة نصحوا هذا الرجل ليغير من
طبيعة عمل المحل إلى ما هو شرعي فكم من السنين سيستغرقونه لكي يتعظ بنصيحتهم؟
فأجاب بدري ضاحكا:
-ربما أحقابا...
فضحك طارق قائلا:
-وربما لا يتعظ أبدا حتى لو ظلوا معه أحقابا.
مرت ثوان من الصمت المتبادل، ثم سأل طارق رئيس الخلية:
-يا أخانا، أليس من الأفضل أن من يقوم بمثل هذه العمليات أن يكون حليق اللحية حتى لا يلفت
الأنظار إليه؟
فعبس رئيس الخلية:
-أول طريق الفشل أن نخالف ولو سنة واحدة من سنن المصطفى -صلى الله عليه وسلم- والعياذ
بالله.
وهتف بدري عمران بقوة:
-فعلا، من هنا نفشل...
قال طارق:
-أنا أقصد حلق اللحية بيسر ويسهل الحركة والاختفاء بسرعة بين الناس بعد العملية.
فرد رئيس الخلية:
-يا أخ طارق، إن تنصروا الله ينصركم. ألم تذكر أن الصحابة حينما فتحوا مصر ظلوا
محاصرين الرومان فترة طويلة فاستبطنوا النصر. فقال أحدهم: لا بد أننا قد قصرنا في سنة من
سنن النبي عليه الصلاة والسلام، فبحثوا في الأمر فاتضح أنهم قد نسوا سنة السواك، فلما
استاكوا؛ فتحت حصون الرومان، ونصرهم الله على عدوهم...
وقبل أن ينتهي اللقاء هتف رئيس الخلية بطارق:
-يا بطل... أمامك مهمة أثقل بكثير من حرق الفيديو فاستعد لها...

علم الأستاذ أحمد الغرباوي وبقية أفراد أسرته الإخوانية ما حدث بين زوجة الدكتور صلاح الشيمي وأم سعيد فحزنوا حزنا شديدا...
تساءل الغرباوي: "ما أخبار أم سعيد يا دكتور عماد؟"
فأجابه عماد بأسى: "إنها لازالت تحت العلاج في مستشفى الأمراض العقلية".
فسأله الغرباوي: "ألم تتحسن حالتها نسبيا؟"
-للأسف، إنها تعاني من مرض عقلي عنيف.
فتساءل إسماعيل عبد الفتاح: "مرض عقلي؟ أم انهيار عصبي كما سمعنا؟"
-الانهيار العصبي أدى إلى مرض عقلي احتار الأطباء فيه.
-عصبي؟ عقلي؟ مصيبة قد حدثت. الحمد لله على كل حال. إنا لله وإنا إليه راجعون...
فتساءل الغرباوي عن سعيد وما أخباره؟ ولماذا لم يأت اللقاء؟
فرد عليه عماد حزينا: "سعيد مصدوم بما حدث. وهو لن يستطيع حضور أي لقاء حتى تمر هذه الأزمة".
فأوما الغرباوي رأسه يمينا ناحية إسماعيل وسأله: "وما أخبار الدكتور صلاح يا أستاذ إسماعيل؟ وهل هذه الأزمة هي السبب أيضا في غيابه عن اللقاء؟"
فرد إسماعيل في رثاء بأن زوجته تركت البيت. وهو في بيته حالة يرثى لها...
ووضح عماد الدسوقي أكثر: "حتى المستشفى تغيب عنها منذ الأزمة. وعيادته الخاصة تركها لي لأحضر بدلا منه".
فقال الغرباوي بضيق:
-لا حول ولا قوة إلا بالله. فتن كقطع الليل المظلم. نعوذ بالله منها. يا أخوة، لو كان إيماننا قويا لتغلينا على كل مشاكلنا. وحضور لقاء الأسرة فرض عين بالنسبة لأفراد الدعوة، فلا ينبغي أن نتخلف عنه مهما حدث من معوقات.
سكت هنيهة ثم قال: "إلا المعوقات الصحية".
ظل علي عبد المنعم صامتا متألما مما حدث... وظل يردد بينه وبينه نفسه بعضا من تعاليم العواصف في الكوكب الثالث في الأخذ بيد الأمة إلى بر النجاة والأمان...
وأخيرا قال:
-لا ينبغي لنا أن نقف متفرجين ولكن...
ولم يكمل الجملة لأن جسمه بدأ ينتفض وينتفض، وبدأ يغيب عن وعيه حينما بدأت روحه تصعد إلى الكوكب الخامس...

-79-

لم يجد صلاح الشيمي مكانا يذهب إليه لكي يفرج عن معاناته ويبعد عن الحي فترة إلا بيت الراقصة ناني...
جلس صلاح على الكرسي الفوتيل الأنيق في قاعة الاستقبال الفسيحة غارقا في أفكاره، وكان رأسه حاضنا ليديه... أتت ناني من حجرتها بدون أي زينة وترتدي فستانا أسود طويلا يغطي جسدها تماما.
تساءلت في نفسها: ما بك يا صلاح؟ أكيد الحبيبة الجديدة هي السبب. أسألني أنا عن كيد النساء. ولكن كيدي لا ينفع معك أبدا. الممرضة الملعونة هي السبب، أكيد سحرتك لتحبها كل هذا الحب. الملعونة الجبانة...
-مرحبا بك يا صلاح.
لم يشعر صلاح بمجيء ناني ولا بترحابها. لمحت ناني الحقيبة الكبيرة بجوار صلاح؛ فتبسمت...
الزيارة ستطول هذه المرة يا صلاح... ولكن ما فائدة طول أو قصر الزيارة ولم أصرف الخادمة؟ ولم أصرفها؟ ليخلو لنا الجو! يكفي الصدمة في المرة السابقة... كفى صدمات... والحلال أحسن وأطهر... خلاص، زهقنا من الحرام وأحواله... وكيف يأتي على بال الحبيب أو على قلبه الحلال وقد تعلقت روحه بل وكيانه كله عند الحاجة أم سعيد؟ خلاص، راحت عليك يا ابتهال... قلب الحبيب هناك داخل قلب اللعينة... ممرضة تأخذ دكتورا من زوجته وأبنائه؟ أكيد سحرتك يا حبيبي. ومحجبة؟ أي حجاب هذا الذي يجعل صاحبه تلعب على قلب رجل متزوج؟ أي حجاب يا بهيجة؟ أي حجاب يا بهيجة يا عديمة الدين والأخلاق؟!
ربت ناني على كتف صلاح وهي تتساءل: "ما بك يا صلاح؟ خير يا حبيبي؟"
ولكن صلاح ظل مطرقا غارقا في أفكاره ووضع...
همت ناني أن تحضنه ولكنها خشيت من صده ومن ضميرها المتيقظ...
استرسلت مع نفسها: أكيد الممرضة الحقيرة هي السبب. خطفت قلبك يا حبيبي. خطفته المجرمة. والعجيب، يا صلاح، أنك لم تلتفت إليها وهي صغيرة، ولما قرب عمرها إلى الخمسين تسقط في وحل الهيام بها!... شيء عجيب...! الدنيا كلها عجائب... ولكنك يا حبيبي، كيف كنت ستلتفت إليها في ذلك الوقت وقلبك كان هائما في حب ابتهال؟ أين حب زمان؟ وأين أيام زمان؟ يا حب...

-أنا بحبك قوي قوي يا ابتهال...
-أنا أكثر يا حبيبي يا صلاح، أنا بحبك قوي قوي قوي...
-المرأة أقل إخلاصا من الرجل في الحب.

-كيف ذلك يا حبيبي؟ المرأة هي الأكثر إخلاصا وأكثر حبا وأصدق عاطفة و...
-لا يا حبيبي. فليلى العامرية لم تصمد أمام أول خاطب، أما قيس فُجن!
-ربما تعرضت للضغط من أهلها وقبيلتها.
-لا يا ابتهاج. لا يا حبيبي. لا... لا...
-خلاص يا حبيبي، الرجل أكثر إخلاصا في مشاعر. فمتى سننزوج يا قيسي؟
-بمجرد سفري للعمل في دولة خليجية، سأرسل توكيلا لأبي ليزوجك لي يا نور عيني.
-ولماذا لا ننزوج الآن بدون تكاليف زائدة؟
-أنت أعلم بظروفي المادية يا ابتهاج. لا يمكن الآن. لا يمكن... واطمئني أنا ألمي في هذه الحياة
أن أتزوج من مهجة روعي ابتهاج...

مهجة روعي؟!... مهجة روعي؟!... لقد تزوجت من صديقة مهجة روعي يا صلاح! وبهيجة
الآن هي التي مهجة روعي يا حبيبي...
صاحت ناني بصوت مرتفع: "أفق يا صلاح. أفق يا حبيبي".
رفع صلاح رأسه. فوجئت ناني بالدموع تسح من عينيها، فتساءلت باستغراب:
-أتبكي يا حبيبي؟ من تلك التي تستحق دمة تذرف من عينك يا صلاح؟
رد صلاح بصوت مقبور: "زبيدة سببت لنا فضيحة في الشارع إن لم يكن الحي كله...!"
اتسعت عينا ناني وتساءلت: "خير يا صلاح؟!"
-نزلت لبهيجة وضربتني في شفتيها، وفصل الجيران بينهما. والكل قد علم ما بيني وبين بهيجة...
تستحق هذه الملعونة هذا الضرب وأكثر... الله يخرب بيتها...
-غضب عنها يا صلاح. أي زوجة مكانها تفعل ما فعلته.
-لا يا ناني. لا. لا يمكن أن يكون تصرفها تصرف عقلاء.
ضحكت ناني ضحكة واسعة. قالت: "زبيدة مجنونة بحبك. وخائفة عليك وعلى بيتها وولديها".
وبتدل:
-هاتان العينا الخضراوان يخطفان قلب أي امرأة، بل ويجننان أي امرأة بحبك...
لم يهتم صلاح بغزل ناني. قال: "كان ينبغي أن نتفاهم بدلا من هذه الفضيحة".
-الملعونة بهيجة ستخطفك من بيتك. فكيف ستفاهم زبيدة أو حتى تتعقل وهي ترى بيتها سيتهدم؟
غضب صلاح:
-لا تقولي عليها ملعونة. ونحن قد اتفقنا على الزواج والشرع أحل للرجل الزواج من أربعة.
الشرع؟! ولماذا لم تتزوجني على زوجتك يا حبيبي طبقا للشرع؟ أو ليس لناني مكان في قلبك
أبدا؟!...
-الضرة لا تُطاق يا صلاح.
-تُطاق أو لا تُطاق. علينا أن نلتزم بالشرع.
-يا حبيبي، نحن نأخذ الشرع على هوانا!

قال صلاح مندهشا: "لقد قالت زبيدة كلامك هذا!"
ثم أكمل: "لا يا حبيبتي. علينا أن نلتزم بالشرع مهما كان ثقيلا على نفوسنا".
أخيرا قلتها: "حبيبتي"! تذكرت حبيبتك ابتهاج أخيرا يا صلاح...
-يعني الشرع له وجود فقط في الزواج من الملعونة بهيج...
لم يفهم صلاح ما تقصده ناني بقولها ولكنه قاطعها غاضبا وهو يقول:
-قلت لك لا تقولي عليها ملعونة.
وحزينا:
-المسكينة تعاني من انهيار عصبي بعد خناقة زبيدة. وهي محجوزة الآن في مستشفى العباسية
للأمراض النفسية. وحتى الأطباء محتارون في تشخيص حالتها.
أتت الخادمة بالشاي. فتساءل صلاح وقد رفع صوته ومعنوياته افتعالا:
-ما هذا؟ شاي في بيت أكبر راقصة وفنانة في المحروسة؟ أين الخمر؟ أين الكونياك؟!...
فضحكت ناني، وتساءلت:
-ألم تقل لي من قبل إنني الراقصة الوحيدة الجامعية والوحيدة التي لا تشرب الخمر؟
فرد متسائلا صاخبا: "ألا يوجد نبيذ؟ النبيذ حلال عند أبي حنيفة؟!"
فردت عليه متحيرة: "ولكنك يا صلاح لا تشرب الخمر!"
ثم تساءلت: "أتريد أن تنسى؟"
-أريد فعلا أن أنسى. لو واحد غيري لجن. لجن. لجن...
ثم تأمل ملابسها فتساءل:
-ما هذا الذي ترتدينه؟ ولماذا هذه الكآبة التي بك؟ أين (شخلتك) يا ناني؟!
مسكين صلاح. الصدمة شديدة عليه!
-لماذا تصمتين؟ أين شخلتك يا ناني؟ ألا توجد بروقة للرقص؟!
كادت ناني أن تضرب كفا بكف، ولكنها لم تستطع لأن صلاح سحبها من يدها وذهب بها إلى
حجرتها؛ فصاحت:
-ماذا ستصنع يا مجنون؟!
ثم صرخت: "-نا توقفت عن هذه الأمور. الحلال أحسن. والضررة ليست دائما شر".
فلم يفهم ما تقصده، فصرخت أكثر: "أنا عندي الدورة الشهرية يا مجنون. عندي الدورة يا
مجنون!"
فلم يجيبها ولكنه رفس الباب بقدمه ليغلقه، وقال صاخبا: "حتى لو عندك⁶²abortion...!"
فصرخت في سرها: ومن الإخوان المسلمين؟! كيف هذا؟!...!

امتعض طارق عمر وتضايق بزيارة الأستاذ أحمد الغرباوي...

تساءل الغرباوي في نفسه:

ما هذه المقابلة البعيدة عن اللياقة والأدب؟! لماذا هذا التجهم؟ الجماعة الإسلامية علمتك قلة الذوق والأدب؟ أعوذ بالله... أمتضايق بسبب زيارتي؟ أين الأخوة التي كانت بيننا يوما ما؟!... وأين أخوة الإسلام؟ وأين أدب الإسلام؟ أعوذ بالله...

حاول طارق أن يبعد التجهم عن وجهه فلم يستطع، فطبعه أصلا التجهم وضيق الأفق... حاول أن يرحب بالغرباوي أو أن يتكلم فلم يستطع واستسلم للصمت البارد... قطع الغرباوي الصمت متسائلا:

-كيف حالك يا أخ طارق بعد وفاة والدتك الله يرحمها؟ ولماذا لا تحضر لقاءات الأسرة؟ فقال طارق في نفسه:

ما الذي أتى بك إلى بيتنا؟ الله يخرب بيتك وبيت الإخوان المسلمين في يوم واحد!... رد باقتضاب وبتجهم: "لأنني مشغول بالبحث عن عمل في الأجازة الصيفية لأساعد أخي حسن".

-ولكن الدعوة لا تعطّل عن أي عمل في الأجازة أو في الدراسة.

-للأسف، لا أستطيع أن أوفق بين العمل الدعوي والبحث عن عمل يناسبني.

صرخ طارق في سره: يا أخي، اتركوني في حالي...

-يا أخ طارق، الدعوة لا تعطّل ولا تعرقل أي عمل شريف.

ماذا تقصد يا غرباوي بالعمل الشريف؟ هل أنا أبحث عن عمل غير شريف. الله أعلم ببيتك في هذا الكلام الخبيث!...

-يا شيخنا، حاولت أن أوفق بين عمل الجماعة والبحث عن عمل فلم أفلح.

قال الغرباوي في نفسه: أنت تكذب! تكلم الحقيقة يا طارق. قل: إنك تعمل تحت راية الجماعة الإسلامية ولا داعي لهذا (اللف والدوران)!...

وبنقّة: "ولكنني أعرف أن أعضاء من الجماعة الإسلامية يبذلون كل جهد لكي تنضم إلى تنظيمهم".

توهج وجه طارق. تلثم. تساءل: "من قال هذا الكلام الفارغ؟"

قل الحقيقة بحرية يا طارق...

-أنا متأكد من مصادري أنك فعلا تعمل مع الجماعة الإسلامية.

أتعمل أنت مع أمن الدولة أو المخابرات العامة يا غرباوي حتى تكون متأكدا! ولكن من أين علمت؟

-أي مصادر تلك التي أخبرتك بما تقول؟

تبسم الغرباوي مجيبا:

-جماعة الإخوان عندها مصادرها الخاصة، وكذلك عندي مصادري الخاصة التي أخبرتني منذ بدأت تصلي الصلوات وخاصة صلاة العشاء في مسجد الشهداء...

أسقط في يدي طارق!

الرجل فعلا عنده مصادر خاصة. ولكن لم الجبن؟! أخبره بموقفك بصراحة وتوكل على الله. ولكن لو أخبرته فسيعلم أنني كذبتُ عليه. إني في حيرة...
يا أستاذ أحمد...

سكت طارق هنيهة ثم قال بتردد: "أنا فعلا- قد انضمتُ إلى تنظيم الجماعة الإسلامية. وهم أمروني ألا أخبر عن ذلك حتى لو أُعتقلتُ".

قال الغرباوي في سره ساخرا: يا رجل، أنت أخبرتني بمنتهى السهولة وبدون اعتقال!

يا طارق، لماذا لم تناقشنا وأنت في جماعتنا في ذلك الأمر؟

كيف أناقشك يا رجل؟ وهل يوجد في جماعتكم من يُناقش أو يُناقش؟!

-أنا من زمان أميل إلى الجماعة الإسلامية. وكنتُ أظنك يا شيخنا منهم.

اظهر على حقيقتك يا أبا الطوارق. لا يوجد أحسن من الصراحة.

-ولكنك قد بايعت في الكتيبة، فكيف تنكص في بيعتك؟!

-أنا لم أنكص في البيعة لأنني قد بايعت في الجماعة الإسلامية. وبصراحة، الجماعة الإسلامية هي التي على الصواب، وهي التي تعمل في سبيل الله حقا وصدقا. وأي جماعة أخرى غيرها على ضلال...

تساءل الغرباوي محتدا: "الجماعة الإسلامية تعمل في سبيل الله؟ هل الجماعة التي تقتل الأبرياء تقتلهم في سبيل الله؟!"

-الجماعة الإسلامية لا تقتل إلا من يستحق القتل: مثل ضباط أمن الدولة الذين يُعذبون ويُقتلون عباد الله، وكذلك الكتاب العلمانيون الذين يسخرون من الإسلام وأهله، بل يحاربون بأقلامهم المسمومة الإسلام وأهله...

-ألم نتحدث مرارا في هذه القضايا؟ كيف تجعل من نفسك قاضيا وجلادا على خلق الله حتى لو كانوا ظالمين؟!...

فرد طارق بقوة: "نحن لا نؤذي إلا الظالمين حتى يرتدع الباقون أو يعودوا عن غيهم وظلمهم". فقال الغرباوي في عنف: "ليس من حَقك ذلك".

يا أخي، نحن أحرار في آرائنا. وهل الاستمرار في الإخوان فرض عين؟!

-هذا حقنا طالما لم نعتد على المسالمين!

تضايق الغرباوي: "يا أخ طارق، لو تُرك الناس تقتل بعضها بعضا لتحول المجتمع إلى غابة!" ومتسائلا: "وما هو تأويلكم في الاعتداء على النصارى وسرقة محلات الذهب؟"

-هؤلاء كفار أعداء الله، ونحن نستفيد من أموالهم في أعمال الجماعة!...

-وما رأيك في قوله تعالى في سورة الممتحنة: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ

الَّذِينَ قَاتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} 63؟

-مشايخ الجماعة هم الذين أفتونا في ذلك، وفي الوقت نفسه يعلمون تأويل هذه الآيات.
فسأله الغرباوي في مرارة:

-وما رأي مشايخ جماعتك في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: ((إن الله سيفتح عليكم مصر
فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لكم منهم صبها وذمة))؟

-أكيد هم يعرفون تأويل هذا الحديث. والفتوى لا يقرؤها إلا بعد تمحيص...
فتساءل الغرباوي في غيظ:

-وأنت أليس لك عقل؟!

-أنا لست فقيها.

-كان يجب عليك أن تعرف تأويل هؤلاء المشايخ إن كان فيه مشايخ.

-نحن عندنا الطاعة عمياء، فلا نقاش!

وساخرا:

-ومثلكم تماما!...

ضرب الغرباوي كفا بكف وقال: "الحمد لله. الطاعة في الإخوان ليست عمياء".

يا رجل، هل يوجد عندكم أي نقاش في أي أمر؟! الحمد لله الذي خلصنا منكم.

-الطاعة في أي جماعة لا بد أن تكون عمياء، وإلا لن تقم لها قائمة.

-حتى لو كانت الطاعة في الإخوان فرض، إلا إننا لا نسرق أحدا بتأويل باطل. ولا نكفر. ولا
نقتل أحدا أبدا

تساءل طارق بسخرية: "وماذا تقول في الدماء التي خضبت أيديكم بها في الأربعينات؟"

-يا طارق، هذا زمان قد ولى ولن يعود. وقلت لك من قبل إن الإخوان قد تعلموا من أخطاء
التنظيم الخاص، ولن يعود هذا التنظيم أبدا إن شاء الله. مع العلم أن التنظيم الخاص كان يحارب
الإنجليز في معسكرات القنال، وكان تنظيما شريفا؛ لم يسرق محلات الذهب من الأقباط أو من
غيرهم، ولم يقتل سائحا، ولم يعتد على محلات فيديو. وما تفعلوه مع المسلمين أو غيرهم من
سرقة واعتداء وقتل لهو إساءة كبرى للإسلام...

ضحك طارق:

-ولكن لم يكن في ذلك التوقيت محلات فيديو.

-يا أخي، افهم المضمون. يعني لم يعتد على ما شابه ذلك مثل الخمارات مثلا. ثم يا أخ طارق،
الرسول -صلى الله عليه وسلم- مات ودرعه مرهون عند يهودي... ولم نسمع أو نقرأ في السيرة
أن الرسول اعتدى على النصراني أو اليهود أو حتى المجوس ويسرقهم -والعياذ بالله- لكي
يستغل هذه الأموال في الجهاد في سبيل الله. والنصارى يا أخي، أقرب الناس للمسلمين، اسمع

إلى قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ
لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾⁶⁴...
- هذا الخطاب موجهاً إلى النصارى أيام النبي صلى الله عليه وسلم.
- من ° قال لك ذلك؟
- هذا ما أفهمه!

ثم متحمساً: "الم ينفخ بابا روما من روحه الخبيثة في نار الحروب الصليبية وكانت دماء
المسلمين أنهاراً في القدس والشام؟!"
- هنا ترد عليك الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ
وظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾*⁶⁵... وهذه الآية فيها
إعجاز! فقد علم الله - سبحانه وتعالى - أنه سيأتي نصارى يقاتلوننا في الدين ويخرجوننا من
ديارنا كما فعل الصليبيون الحاقدون...
وبنبرة إشفاق:

- ولكن أخبرني يا طارق، هل توجد آية في القرآن الكريم تدعوا إلى سرقتهم أو الاعتداء عليهم
بنيّة الجهاد في سبيل الله؟ وهل يوجد حديث شريف يدعو إلى ذلك والعياذ بالله؟
أجاب طارق بمنتهى البساطة:
- أنا قلت لك بأنني لست فقيهاً حتى أخبرك.
- إن أسألتي بديهة لا تحتاج إلى فقيه. فأين عقلك وأنت طالب جامعي وعما قريب ستصبح معلماً
للطلاب؟!

تساءل طارق في سره ساخراً: وأي عقل يُستعمل عندكم في الإخوان أو في الجماعة الإسلامية
أو أي جماعة طالما أن الطاعة عمياء؟!
- يا شيخ أحمد، حتى لو حدثت أخطاء - مع العلم هي ليست بأخطاء إنما يوجد تأويل من مشايخنا
الفقهاء - فنحن نجاهد في سبيل الله. وأنتم قد تقاعستم عن الجهاد وارتكنتم إلى الدنيا ومجلس
الشعب وأبهة المظاهر الكاذبة...
فتساءل الغرباوي بحدة: "من قال لك ذلك؟ والجهاد ألا يحتاج إلى عقل؟ ألا يحتاج إلى أن يكون
على بصيرة؟ ألا يحتاج إلى ما يُسمى بفقه الجهاد؟"
تبرم طارق وتميز غيظاً وقال غاضباً:
- أرجو أن تخفض من صوتك لأن أخي حسن بالداخل. وأرجو ألا تزورني مرة أخرى لأن أخي
حسن لا يحب أن يزورني الملتحون...

⁶⁴ الآية 82 من سورة المائدة

⁶⁵ الآية 9 من سورة الممتحنة

جلست ناني في قاعة الاستقبال الفسيحة وهي لا تصدق ما حدث بالأمس... ما هذا الذي صنعه بالأمس يا صلاح؟! أنا كنتُ منتظرة هذا اللقاء من زمان لنجدد حبنا الموءود... ويوم أن يحدث، يحدث في يوم غير مناسب على الإطلاق، ويحدث بالحرام!... سبحان الله... كنتُ زاهداً فيّ وأنا أريد الغواية والحرام، ولما أردتُ الطهر والحلال أجدك تريد الحرام... ما هذا؟! ما هذا الذي فعلته يا صلاح؟ العيب؟ ألامعقول؟ أم الجنون ذاته؟ حتى لو كنا متزوجين لكان اللقاء حراماً...

أتى صلاح من الحمام، فقالت ناني بسخرية:

-صباحية مباركة يا عريس!

فتر ثغره عن ابتسامة باهتة ثم قال: "كانت ليلة حمراء بلون الدم!"

فردت ناني بضيق: "كانت ليلة دموية فعلاً".

ثم لعنت بهيجة في سرها: الله يلعنك ألف لعنة يا بهيجة. الرجل ينام معي في الحرام لينساك... ما هذا؟ الله يخرب بينك يا بهيجة يا جبانة!

وبقرف:

-لقد اخترت توقيتاً غير مناسب على الإطلاق!

-أنا آسف يا حبيبتي...

-لا تتأسف.

أنا واثقة أن الوقت حين يصبح مناسباً ستغادر! حتى لو لم تغادر، فأنا لن ألتقي معك في الحرام مرة أخرى. كفاية حرام. كفاية.

ضحكت ناني فجأة، فسألها صلاح: "ما يضحكك يا حبيبتي؟"

فردت ناني وقد اتسعت ضحكتها حتى ملئت فمها: "تذكرت خروجك المفاجئ في الزيارة السابقة بلا أي مقدمات!"

فنظر صلاح إلى آثار إصبعه المحترق فضحك وقال: "كنت غشيماً".

ومغازلاً:

-هل يوجد من يترك هذا الجمال الفاتن الساحر؟ لقد كنت مغفلاً يا ناني. فسامحيني...

ازداد ضحك ناني وقالت: "أنا واثقة أنك ستتركني حين يكون الوقت مناسباً!"

فضحك صلاح وهز كتفيه ورد: "الواحد يكون مغفلاً مرة واحدة".

فاحتدت: "ولن نلتقي مرة أخرى في الحرام يا صلاح".

بُهِت صلاح...

أشارت الخادمة بإشارة معينة، فقالت ناني: "طعام الإفطار جاهز يا حبيبتي".

أثناء الإفطار فكر صلاح في كلام ناني في الليلة السابقة... "أنا توقفت عن هذه الأمور..." "الحلال أحسن..." "والضرة ليست دائماً شر..." هذه إشارة من ناني لنتزوج... إنها مازالت

على حبها لي... وهي تريد طهر الزواج وتأنف من وحل الحرام... أنا وغد... أنا وغد فعلا...
لقد أجبرتها على شيء فظيع! أعوذ بالله مما اقترفت. أعوذ بالله. أعوذ بالله...
قالت ناني: "ليس عهدي بك الصمت على الطعام".
فرد صلاح: "كنت أفكر في العمل المتخلف الذي أجبرتك عليه بالأمس".
-ألم تسمع عن توبتي الآن من العري والرقص...؟
-لقد سمعنا فعلا، أنك تنوين أن تتوبي من التمثيل والرقص وتلحقين بقطار الفنانات التائبات
والمعتزلات للفن. ولكن الشائع بين الناس أن هذه كذبة إبريل هذا العام.
تبسمت ناني وأجابت:
-ليست كذبة.
-ولم؟
شيء عجيب! كيف تسأل هذا السؤال يا صلاح؟ ومن الإخوان؟!...
-ألا تحب لي التوبة؟
-لقد كانت آرائك في الفنانات التائبات أنهن تبين من ذنوب، والفن لا يحتاج إلى توبة منه.
ضحكت ناني:
-هذا رأي الفنانة القديرة أمينة رزق.
فسألها متعجبا:
-وما الذي دعاك إلى التفكير في اعتزال الفن؟
فأجابته بروحانية:
-رؤيا رأيته.
-أخبريني.
-ولكنها لا تناسب وقت الطعام.
فقال صلاح ضاحكا:
-حتى لو حكيت عن النار سأكمل الطعام.
-لن تناسب مع الطعام.
فألح صلاح أن تحكي.
قالت ناني وقد توقفت عن الطعام:
-رأيت نفسي واقفة بمفردي يوم القيامة...
فتساءل صلاح مشدودا:
-يعني القيامة قامت عليك بمفردك؟!
-نعم، يا صلاح.
سكت صلاح يفكر فيما سمعه، ثم قال:
-رؤيا عظيمة تدعو فعلا إلى التوبة.

سبحان الله في الوقت الذي أسقط في وحل الذنوب تتوب ناني وتعود إلى الله... ما هذا؟! فتن
كقطع الليل المظلم. أعوذ بالله. صدقت يا رسول الله. ((يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا،
ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا يبيع دينه بعرض من الدنيا...)) وأنا بعت ديني
بintercourse⁶⁶ لا طعم له ولا لون ولا رائحة...

قالت ناني:

-عدت إلى الصمت.

-أفكر في رؤياك.

قالت بحزن:

-لقد سألت الشيخ محمد الصوفي في هذه الرؤيا...

سكتت ناني فجأة لأنها كانت على وشك النشيج. فقال صلاح:

-خير يا حبيبتي؟! ماذا قال لك الشيخ؟

تماسكت ناني وقالت:

-لما سألته انقبض وتصبغ وجهه ألوانا... فقلت له: خير يا شيخ؟ فقال بعد تردد: يا ابنتي، إن من
يرى أن القيامة قامت عليه وحده، فقد اقترب أجله. وهذه إشارة كريمة من الله لكي تتوبي إليه...
ولم تتحمل ناني أكثر، فارتفع صدرها وانخفض ومار وفار ثم انفجر وانفجرت معه بكاء
رهيبا...

قام صلاح يربت على كتفها ويخفف من روعها فلم يتحمل هو الآخر؛ فانفجر نحيبا، وظل يلطم
وجهه بعنف ويقول:

-يا ليتني لم أجبرك على الفعلة الشنعاء... يا ليتني لم آت... يا ليتني لم آت... يا ليتني...
قالت ناني وسط بكائها:

-كفى يا صلاح يا حبيبي. كفى كفى يا حبيبي. لا تضرب وجهك هكذا.

بعد مضي وقت طويل، هدأ صلاح وقال:

-ربنا يمد ويبارك في حياتك يا ابتهال.

تركا المائدة ولم يكملا الطعام وذهبا إلى الصالون وناني تقول:

-ألم أقل لك إن الرؤيا لا تتناسب مع الطعام.

ثم دخلا في صمت وحزن رهيبين... حاولا كل منهما أن يقطعه فلم يفلح. أتت الخادمة بالشاي.

أراد صلاح أن يقطع الصمت فتساءل بحماس مصطنع ليخرجا من الصمت الحزين:

-ما هذا الحزن يا ناني؟ فيلم هندي حزين؟

ثم تساءل ليبعدها عن جو الرؤيا الحزين:

-أين وعدك لي بهدية تخص عملي في المستشفى؟

أجابته ابتهال وهي تجفف دموعها:

-هل مازلت تُنتدب؟
-أنا عدتُ من الانتداب منذ فترة بسيطة.
وبسخرية مُرة:
-وقد رشحتني للانتداب المقبل.
ففغرت فاما ثم قالت:
-لقد وعدوني بالآ تُنتدب أبدا.
ثم بعنف وضيق:
-كاذبون!
فسألها:
-وهذه هي الهدية؟
هزت ابتهاج رأسها نفيا وهي تقول:
-لا يا حبيبي. الهدية هي منصب مدير المستشفى...
فغر صلاح فاه مندهشا. هتف:
-مدير المستشفى. مدير المستشفى!...
وصاخبا:
-لو عُينت مديرا للمستشفى لكان أول عمل لي هو انتداب الدكتور سليم مدير المستشفى لوحدة الإسعاف.
ثم تساءل:
-وما العائق يا حبيبتي لهذه الهدية؟
أطلقت ناني نظرات نارية في وجه صلاح:
-أخبروني بأنك من الإخوان المسلمين!...

رُزِلَت الأرض تحت قدمي صلاح... وجثم سقف الحجرة على صدره... وعصرت جدران الحجرة قلبه... ونهش ضميره في أحشائه... وكوته نار الحقيقة في أضلاعه... وأحرقه لظى الذنب في كيانه كله... فلم يستطع أن يجلس، فقام وهو ينزف عرقا وحسرة وندامة وذهب إلى حقييته ليجمع أغراضه فيها، ثم خرج بلا استئذان وابتهاج تصرخ فيه وتمسك بتلابيبه لكي لا يخرج، ولكنه خرج شاردا لا يألو على شيء...

في الكوكب الخامس الفسيح الممتد مد البصر، وجد المعلم وروح علي عبد المنعم معركة بين جيش المؤمنين وأعدائهم. فجيش المؤمنين يحاول أن يصعد سور الأعداء ولا يفلح. وكلما صعد جزءا من السور، أمطره جيش الأعداء بوابل من قذائف المنجنيق الحارقة...
تساءلت روح علي بضيق: "متى سيحاول جيش المؤمنين صعود سور الأعداء؟ إن جنودنا استشهد منها الكثير والكثير. ألا توجد خطة محكمة لصعود هذا السور؟ لا حول ولا قوة إلا بالله. إن ضربات المنجنيق تحصد جنودنا حصدا!"
فرد المعلم متسائلا بحزن: "كيف ينتصر أي جيش بدون إعداد خطة جيدة للمعركة؟! أين أسباب النصر؟ قبل هذه المعركة كان يجب أن تُعد خطة لعمل ثغرة في هذا السور الضعيف، ومن خلالها ينفذ جنودنا إلى قلب جيش الأعداء."
بكت ملايين الأرواح الحاضرة وهي ترى آلاف الجنود المؤمنة وهي تسقط إثر كل محاولة لصعود السور، وقالت بهدير رهيب:
-لا حول ولا قوة إلا بالله... لا حول ولا قوة إلا بالله...
تساءل المعلم: "كيف ينتصر جيش قائده لم يتعد إلا أن يكون ظاهرة صوتية؟! إن هذا القائد - للأسف- حريص على مجده الشخصي ولو على حساب أمته!"
فسألته الروح: "يا معلم، ما معنى أن هذا القائد ظاهرة صوتية؟"
تبسم المعلم بمرارة: "شر البرية ما يضحك!"
ثم بمرارة سوداء: "إن هذا القائد لم يحارب عدوه ولم يعد للمعركة أي شيء سوى الخطب النارية والتي يقول فيها بأنه سيف العدو رمال الكوكب، وسيسحقه سحقا، وسيمرغ أنفه في التراب، وسيهرسه تحت أرجله!"
فالت الروح بمرارة: "إن العدو هو الذي يفعل ذلك بجيش هذا القائد للأسف!"
-لقد أهلك هذا القائد جيشه قبل أن يهلكه العدو!
هتفت الروح والأسى يلفها بردائه:
-لقد انهزم جيش المؤمنين هزيمة ساحقة!...
بكى المعلم وروح علي والأرواح وهم يشاهدون الآلاف من خيرة جيش المؤمنين والعدو يحصدهم حصدا...
هتفوا: "وأسفاه. وكرباه. وحزنه على جيش المؤمنين...!"
تساءلت روح علي: "يا معلم، ألا نتدخل لنساند المؤمنين في محنتهم الأليمة؟"
يا علي، إنك لم تولد حين حدثت هذه المعركة. ودورنا هو العظة مم يحدث أمامنا...
-ألا نخفف من آلام وجراح المؤمنين؟
-ليس لنا ذلك يا علي.
قالت الروح بفزع:

-انظر يا معلم، إن جنود المؤمنين تنسحب بظهرها وضربات المنجنيق تسحقهم أكثر مما سُحقوا...

قالت الأرواح بصوت هادر: "لا حول ولا قوة إلا بالله".

ثم تساءلت صارخة: "كيف يتراجع الجيش بظهره؟!"

قال المعلم: "هذه أول مرة في التاريخ يحدث هذا التراجع المهين!"

تساءلت الروح بمرارة: "أي عسكرية يحملها هذا القائد في عقله؟!"

فأجابه المعلم وهو حزين: "ألم أقل لك إن هذا القائد لا يهتم إلا مجده الشخصي ولو على حساب أمة..."

قالت الروح بفزع:

-انظر يا معلم. انظر. إن القائد يخدش الآن أطافر العدو في الوقت الذي يمزق ذلك العدو الجبان أحشاء الأمة كلها...

فقال المعلم:

-إنها محاولة هزيلة منه ليداري سوءته وفضيخته في الهزيمة النكراء...

هتفت الأرواح: "لقد مات القائد... إنا لله وإنا إليه راجعون..."

فقال المعلم: "لقد انتزع ذلك القائد السلطة".

سكت برهة ليجتر الأحران ثم أردف:

-وقد فعل ذلك الكثير على مدار التاريخ...

واسترسل:

-وشهوة الحكم طاغية يا علي... وشهوة الحكم المستبد أشد طغيانا...

وواصل:

-لقد طغت شهوة السلطة المستبدة على نفس هذا القائد؛ ففرخت ظلم واستعباد العباد، والفشل

والهزيمة النكراء... وبصراحة، هو لم يكن مؤهلا لتحمل المسؤولية...

تساءلت الروح:

-ولم يا معلم؟

فأجابه المعلم وثوب الأسى يذثره:

-لقد انتزع السلطة وكانت أرض الكوكب الخامس حرة، ثم مات وقد ترك أرض الكوكب تئن

تحت أرجل المحتلين الجبناء!...

-83-

بعد المرور على القسم الداخلي، ذهب الدكتور أحمد إسماعيل وصديقه الأثير الدكتور حكيم نخلة إلى حجرة الأطباء قبل بدء العيادات بعدما سمعا ضجيجا وعجيجا وضحكا ...
تساءل أحمد إسماعيل منزعا:
- ما هذه الضجة؟ أنسيتم أنكم في مستشفى؟!
وتساءل حكيم:

- أم تظنون أنكم داخل مقهى؟!
رد الدكتور عبد الوهاب وهو يحاول أن يكتم ضحكته:
- لم نستطع أن نكتم ضحكنا بعدما سمعنا آخر أخبار المستشفى من الدكتور مجدي النحال.
فقال أحمد:

- أخبرنا آخر الأخبار يا مجدي يا نحال يا وكالة أنباء النميمة في المستشفى؟
فضحك النحال من اللقب المميز الذي لا يناديه الدكتور أحمد إسماعيل إلا به.
قال النحال وقد بدأ مشروع ابتسامة ينتقل من فم إلى آخر:
- طلبت الدكتورة نجية عبد الستار...

فقاطعه أحمد إسماعيل:
- أليست هي الدكتورة الجديدة التي تعمل منذ أسبوعين؟
أجاب النحال:

- نعم.
ثم أكمل ضاحكا:
- طلبت نجية قائمة من التحاليل...

فقاطعه حكيم ساخرا:
- علمتموها بسرعة أصول حلب المريض في العيادات الاقتصادية! ...
وأردف:

- أكمل يا نحال.
- كانت القائمة من التحاليل لأحدى المريضات في عيادة الاقتصادي المسائية. فكتبت كل التحاليل التي توصلت إليها البشرية. ثم عصرت دماغها، فلم تجد فيها أي تحاليل يمكن إضافتها. ثم عصرت ما تبقى من ذاكرتها؛ فابتهجت، وتهلل وجهها بشرا، وأضافت تحليل بول ومزرعة قبل وبعد تدليك البروستاتا!!! ...

فانفجرت الحجرة ضحكا ...

خرج صلاح الشيمي من عند الراقصة ناني وهو فاقد لاتزانه النفسي والجسدي وخاصة بعدما صُدم بمعرفة ناني لانتمائه لجماعة الإخوان المسلمين... لقد ظلمت نفسي وظلمتُ ابتهال معي. ما هذا الوحل الذي سقطتُ فيه؟ وحل. وحل في وحل. وحل دنس روحي وجسدي... أنا الذي أسقطت نفسي بنفسي. وأين نفسي الآن؟ لقد فقدتها فقدنا رهيبا... أسوء شيء أن يفقد المرء نفسه التي بين جنبيه؟ أسوء شيء أن يعيش المرء بلا نفس... بلا قلب... بلا روح... أن يعيش كالميت!...

وترنم بهذا البيت:

وليس من مات فاستراح بميت
وإنما الميت ميت الأحياء
وظل يردده حتى بكى...

على سرير الخطيئة أسقطت نفسي... على سرير الخطيئة فقدت نفسي بنفسي... على سرير الخطيئة صليت صلاة الجنازة على نفسي بنفسي... أين أنت يا نفسي الآن؟!... إنا لله وإنا إليه راجعون... أستغفر الله... أستغفر الله... أستغفر الله... شتان وهيهات بين المرة السابقة حينما كانت شعلة الإيمان منيرة، وبين هذه المرة التي لم خبت فيها تلك الشعلة التي غرسها الله -عز وجل- في قلوبنا وهي متوهجة، ولكننا نطفئها بشهواتنا وأهوائنا ونزواتنا...
أستغفر الله... أستغفر الله... أستغفر الله...

يا ليتك يا ابتهال، لم تعلمي انتسابي للإخوان المسلمين. أنا عار على الإخوان! فهم قوم أطهار لا يعرفون الدنس الذي تلوثت به. أعوذ بالله مما اقترفت يداي. أعوذ بالله. أستغفر الله... أستغفر الله...

ظلت قدمي صلاح تقودانه من فيلا ناني بشارع مظهر بالزمالك حتى شارع 26 يوليو إلى كوبري أبو العلا الحديدي إلى الإسعاف وشوارع نصف البلد حيث ظلت قدماه تسيران سيرا عشوائيا، وظل يتخبط بلا هدف حتى قاده قدماه إلى بيت الشيخ عبد الحميد كامل الذي رحب به وسأله بانزعاج:

-ما لك يا دكتور صلاح؟! ما الذي حطم نفسك بهذا الشكل؟! هل فقدت عزيزا لك؟!
فبكى صلاح وأجاب:

- فعلا، لقد فقدت عزيزا يا سيدنا الشيخ. لقد فقد نفسي التي بين جنبي...
ثم حضن الشيخ وصدره يهتز وقلبه يغلي كالمرجل وقال:
-ذنوب يا مولانا. ذنوب أفقدتني نفسي...

بكى الشيخ عبد الحميد لبكاء صلاح المر، ووضع يده اليمنى على قلب صلاح، وربت بيده الأخرى على كتفه وقال:

-يا بني... إن النفوس والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء.

ثم رتل بصوت مؤثر:

-{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}{67} ... {قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا}{68}...{وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}{69}...

سكت الشيخ قليلا ليتترك القرآن الكريم يتخلل في قلب صلاح، ثم استأنف:

-والإيمان يزيد وينقص كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام. والله فتح لنا باب التوبة حتى لا يتسرب اليأس إلى نفوسنا حينما نحيد عن طريق الثواب ونقترب الذنوب. ألم يقل الرسول عليه الصلاة والسلام: ((إن الله -عز وجل- يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل))؟ والله قد كتب على آدم وذريته الذنوب حتى يتحقق اسمه تعالى "الغفور"...

-إني أستغفر الله يا سيدنا الشيخ. ولكنني أشعر بعدم اتزان، كالذي هبط من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في واد سحيق كما تعبر آية في سورة الحج عن هذا المعنى...

-الإيمان يا بني، هو أنفس شيء في قلوبنا. فإذا فقدناه فقدنا كل شيء... وكيف يعود كما كان يا مولانا؟

-يعود بالتوبة إلى الله والعمل الصالح. ألم تسمع إلى قوله تعالى في سورة مريم: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا}{70}... قال صلاح واليأس يتملكه:

-أشعر أن إيماني لن أشعر به كما كان من قبل. يا سيدنا، الثوب الأبيض الذي تدنس لا يعود كما كان مهما غسلناه!...

تبسم الشيخ عبد الحميد كامل:

-هذا مدخل من مداخل الشيطان للمؤمن حتى يستولي عليه اليأس من رحمة الله...

صمت الشيخ قليلا ثم واصل:

-ومن يدري يا دكتور صلاح. فربما يبلغ العبد منزلة كبيرة عند الله بالمعصية، لأنها تجعله ينكسر أمام الله -عز وجل- يل ينذل أمامه سبحانه وتعالى... وربما الطاعة تجعل العبد قليل الانكسار أمامه سبحانه وتعالى. والله يحب أن ننكسر أمامه وننذل بين يديه... فإبليس لم يترك بقعة من الأرض إلا سجد فيها لله عز وجل، وهذه العبادة العظيمة جعلت إبليس يتكبر ولا ياتمر بأمر الله؛ فطرده الله من رحمته ولعنه وغضب عليه. أما معصية آدم جعلته ينكسر أمام الله؛ فتأب الله عليه وغفر له.

67 الآية 53 من سورة الزمر

68 الآية 10 من سورة نوح

69 الآية 133 من سورة آل عمران

70 الآية 60 من سورة مريم

ثم هتف بيقين:
-يا دكتور صلاح، رب طاعة أورثت كبرا وطغيانا... ورب معصية أورثت ذلا وانكسارا لله...
-لو كان ذلك كذلك يا مولانا، فلماذا عصم الله أنبيائه -عليهم السلام- وأوليائه من الذنوب؟
وبحزن كبير:
-لو كنتُ من أولياء الله لعصمني الله من الزلل.
ربت الشيخ على صدر صلاح:
-الشاي سيبرد يا دكتور صلاح.
وببشر:
-ما علمت عنك إلا كل خير منذ كنت تحضر معنا صلاة الجمعة قبل أن أعتقل ويوقفوني عن
الخطابة. وأولياء الله درجات. ومن الممكن أن يقترب ولي الله الذنوب. وحتى آدم -عليه السلام-
وهو أول الأنبياء عصى الله وأكل من الشجرة المحرمة.
قال صلاح في سره:
بعدها اعتقلك الظالمون؛ انطفأ المصباح الذي كان ينير لي قلوبنا، وسقطتُ في حمأ الذنوب. ويلا
العجب، لقد كنت أمارس الزنا وكل الحماقات مع ناني بلا أي شعور بأي جريرة كما أشعر
الآن!!...
قال الشيخ وكأنه قرأ ما بسريرة صلاح:
-من علامة صحة القلب أن يشعر المؤمن بعظم الذنب، أما الذين ران على قلوبهم فلا يحسون
بعظم وجريرة وبشاعة المعصية في حق الله...
وقبل أن ينصرف صلاح، قال الشيخ:
-قل ورائي يا دكتور صلاح:
"اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت. خلقتني وأنا عبدك. وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ
بالله من شر ما صنعت. أبوء لك بنعمتك علي. وأبوء بذنبي. فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا
أنت"... بتتوره
واسترسل:
-ولابد أن تكون موقن بمغفرة الله عز وجل، ولا تتسرب أي ذرة شك إلى قلبك لأن الرسول -
عليه الصلاة والسلام- عقب على هذا الدعاء قائلا: ((مَنْ قالها من النهار موقنا بها فمات من
يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح،
فهو من أهل الجنة)).

بعد تناول العشاء في بيت رئيس الخلية، سأله طارق بحماس:
-ما هي المهمة التالية الثقيلة التي ستكلفني بها؟
فرد رئيس الخلية ممتعضا:

-لقد ابْتَلينا في مصر بكتاب علمانيين يحادون الله ورسوله، ومنهم الكاتب فهمي عودة الذي يقول: إن الإسلام قد فشل طوال تاريخه حتى في مرحلة الخلافة الراشدة، ويضرب أمثلة على ذلك ويقول: لقد قُتل الخليفة الراشد الثاني، وقتل الخليفة الراشد الثالث، وقتل الخليفة الراشد الرابع... فأَي شريعة تلك التي تبدأ في طفولتها المبكرة بمقتل خلفائها الراشدين؟! وفي الطفولة أيضا، قامت حروب طاحنة داخلية بين الصحابة الذين هم خير القرون، وكانت الدماء للركب!... أما في الصبا والشباب والكهولة والشيخوخة، فأَلّة القتل كانت تحصد أرواح الخلفاء حصدا، فضلا عن حصد الخلفاء الرهيب لأرواح المناوئين للحكم!...

قال طارق بضيق:

-لقد حقد الفرس على هزيمتهم من عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فسلطوا عليه أبا لؤلؤة المجوسي فقتله غدرا أثناء صلاة الفجر. أما عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- فقتلتهم الفتنة التي زرعها الجماعة السبئية.

فقال رئيس التنظيم حزينا:

-لقد شيد الإيرانيون ضريحا للكلب المجوسي قاتل سيدنا عمر ابن الخطاب، ولا يزالون يحتفلون بمولد ذلك الكلب كل عام! بل كَفَرُوا سيدنا عمر بن الخطاب وادعوا إيمان أبي لؤلؤة المجوسي!... وعلى المنابر، يسبون السيدة عائشة زوج النبي عليه الصلاة والسلام!... ثم أضاف:

-تصوروا يا أخوة، أن الإيرانيين يصفون الشيخين الجليلين أبي بكر الصديق والفروق عمر ابن الخطاب بصنمي قريش!...

عبس طارق: "ويدعون أنهم مسلمون!"

تساءل عامر: "نعود إلى الكافر فهمي عودة، فما العلاقة بين قتل الخلفاء الراشدين الثلاثة وفشل دين الإسلام ذاته؟"

فأجابه رئيس الخلية: "العبرة بأعمالهم وليس بقتلهم. ولقد أسس الخلفاء الراشدين دولة مدنية توحيدية كبيرة قوية مُهابة في وقت قصير جدا لا يتعدّ ثلاثين سنة"...

وقال طارق متحمسا: "وهذا لم يتكرر في التاريخ البشري بهذه السرعة".

وقال أخ 1: "لقد أنهى الخلفاء الراشدون إمبراطوريتين قويتين عالميتين في ذلك الوقت السريع". فقال رئيس الخلية: "بالنسبة للإمبراطورية الرومانية فقد سقطت نهائيا ولم تقم لها قائمة بعد ذلك في عصر الدولة الأموية".

تساءل طارق: "ألم يُقتل بعض الأنبياء مثل زكريا وابنه يحيى عليهما السلام؟"

وتساءل أخ 2 باستغراب: "فهل قتلهما يعني فشلهما في دعوتهما إلى الله؟"
هز أخ 3 رأسه غاضبا: "هؤلاء الكتاب العلمانيون حاقدون على الإسلام وأهله".

عبس رئيس الخلية:

-إن أقلامهم لا تكتب إلا السم الناقع ضد دين الله؛ ففهمي عودة قال: إن الإسلام قد فشل في زرع الإيمان في قلوب أهل الجزيرة العربية، والدليل على ذلك هو ارتدادهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وامتناعهم عن أداء الزكاة.

فقال أكثر من واحد من الحاضرين في حماس شديد:

-قاتل الله فهمي عودة وأمثاله. قاتله الله. قاتلهم الله جميعا وأدخلهم أشد عذاب السعير...

تساءل أخ 1: "ألم تسمعوا عن الكاتب الفاجر الذي كتب في قصصه الفاجرة أن الأنبياء يشربون النارجيلة بالحشيش؟!"

وقال عامر: "بل سمعت أنه كتب أنهم يسكرون والعياذ بالله!"

وقال أخ 3: "بل كتب أنهم يعربدون! أنا متأكد!"

وقال أخ 1: "قاتله الله ولعنه!"

فقال طارق غاضبا: "هؤلاء الكتاب هم المنافقون في عصرنا!"

فهتف رئيس الخلية بيقين: "بل إن كفرهم هو كفر صريح بواح وليس كفر نفاق!"

فقال أخ 1: "إن من سب الأنبياء وسب دين الله وشريعته لهو من الكفار، وليس من المنافقين. وإن كان كفر النفاق أشد جرما من الكفر العادي".

مرت فترة من الصمت تأمل خلالها رئيس الخلية في أوراق أمامه ثم قال:

-يا إخواني، لا يوجد أي تعامل مع هؤلاء الكتاب الكافرين إلا قتلهم. وعندنا قائمة بأسمائهم وسنطهر الأرض منهم والبداية ستكون بفهمي عودة.

فقال الحاضرون في صوت واحد غاضب: "لعنة الله عليه وعلى أمثاله".

وقال الذي وقع عليه الاختيار مع طارق للقتل بحماس شديد: "الكافر ابن الكافر!"

وفي اليوم الموعد ركب طارق وعمار دراجة بخارية، وانتظرا خروج فهمي عودة من منزله صباحا ليذهب إلى الجامعة، ولما هم بفتح باب سيارته انقض طارق عليه بتفريغ رصاصات مسدسه في رأسه المسكين من الخلف، وفر هاربا مع زميله المجاهد!!!...

في المساء شاهد طارق نشرة الأخبار بتلief وفرح شديدين. ولما أذيع الخبر المشئوم؛ بُهت، وصُدم، واكتسى وجهه بلفافة من الحزن الشديد...

فسأله رئيس خليته مندهشا:

-أتكتب يوم النصر؟!

فرد عليه طارق بتعاسة شديدة:

-للأسف الشديد، إن فهمي عودة كان والد زوجتي السابقة!

ثم تساءل بتعاسة أكثر:
 -كيف لم أنتبه إلى اسم والد نجوى وهو موجود في ورقة العقد العرفي؟
 تساءل أخ 1 مندهشا:
 -وكيف كنت ستربط بين اسمه وبين الكاتب فهمي عودة؟
 وتساءل أخ 2 غاضبا:
 -وحتى لو تأكدت أن والد زوجتك هو فهمي عودة نفسه، فهل هذا يمنع قتل ذلك الكافر؟
 وتساءل أخ 3 بحماس وغضب شديدين:
 -يا بطل، أين الولاء والبراء؟
 ظل طارق يعض على يديه ندما ويقول:
 -لقد فجعت نجوى في والدها. يا ليت لم يُقتل بيدي. يا ليتني لم أقتله. يا ليتني لم أقتله...
 قال رئيس الخلية بامتعاض:
 -لقد كان الصحابة في غزوة بدر يقتلون ذويهم الكفار؛ فقد قتل عبيدة بن الجراح -رضي الله عنه- والده في هذه الغزوة، وكثير من الصحابة قد فعلوا ذلك...
 ونفّس في وجه طارق قائلا:
 -وهذان هما الولاء والبراء الحقيقيان.
 تأثر طارق بصرخات ودموع نجوى ونحيبها فقال:
 -أضاعت الدنيا يا ربي حتى يكون مقتل والدها بيدي الأثمة... آه... آه...
 -يا أخ طارق، يكفي أنك خلصتنا من بوق شرير معاد لله ورسوله...
 هتف عمار متحمسا: "لم يكن ينفع مع القتل إلا القتل".
 ثم متسائلا: "ألم يحاوره الشيخ حامد غزال والشيخ محمد الصوفي وغيرهما؟ فهل رجع عن آرائه الهدامة الكافرة؟"
 هز رئيس الخلية رأسه: "لو ظل الملعون فترة طويلة في الحياة؛ لامتألت صحيفة سيئاته بكثير من الآراء والأفكار الكافرة الهدامة... فهذا القتل في صالحه هو!"
 رنت في أذن طارق صرخات نجوى في نشرة الأخبار وهي تطالب بالقصاص من القتلة المجرمين، فبكى بمرارة...
 قال عمار: "لا تحزن".
 هتف رئيسهما مبتسما:
 -لقد سطرتما صفحة خالدة في تاريخ الإسلام. وسوف تُكلفا بمهمة أثقل وأخطر خارج البلاد فاستعدا لها وجددا النية والعزم للشهادة في سبيل الله!!!...

بعد مقتل الكاتب فهمي عودة، قُبض على كثير من أعضاء الجماعات الإسلامية والأخوة الملتحين بطريقة عشوائية، وكان من بينهم عامر عزت الكردي عضو الجماعة الإسلامية والذي دفعه أحد الجنود فوق أرض الردهة المعتمدة انتظاراً للتحقيق في مبنى مباحث أمن الدولة بالساحل.. تكوم عامر على نفسه من شدة الدفع وكأنه قطع من اللحم والعظام!... وانتظر ساعات طوال حتى يأتي دوره. عقد العزم على ألا يخبر عن زميليه القاتلين مهما حدث له من تعذيب...

لن أخبر عن الأخ طارق والأخ عمار مهما عذبتوني أيها الطواغيت الكفرة... الحمد لله أننا قد تخلصنا من طاغوت عنيد ملحد يدعي الثقافة والتنوير... بماذا نفعلك التنوير يا أبا التنوير؟!... الآن أنت محبوس عند الله ليعذبك على ما كتبت بيديك الآثمتين. القتل أحسن رسالة موجهة لكل الكتاب العلمانيين الملحدون. الكل الآن يخاف على حياته... الروح غالية يا كفرة يا كلاب! الروح غالية يا كفرة يا أولاد الكلاب! ألم تستغلوا ثقافتكم المزعومة إلا في سب الإسلام؟! أظننتم أن الإسلام دروشة؟ لا. لا، يا كفرة!... الإسلام الآن له ذراع قوية يضرب به في كل مكان؛ في أفغانستان، في باكستان، في كشمير، في فلسطين، في مصر، في الجزائر، في ليبيا، في السودان، وفي المغرب... الحمد لله، الجماعة الإسلامية أوجدها الله في كل مكان لتضرب بذراعها القوية أعداء الله وأعداء الإسلام. إنها سنة الله في الكون... الجماعة الإسلامية إرادة الله لتعز الإسلام والمسلمين. حتى في البوسنة، للإسلام قوة أمام الصليبيين الكفرة المجرمين... الحمد لله...

لقد أصابهم الذعر والهلع بعد قتل فهمي عودة، فقبضوا على أكبر عدد من الأخوة. لن تصلوا إلى القاتل أبداً أيها الطواغيت الكفرة. لن تصلوا أبداً إليهما لأنهما الآن خارج البلد. ها. ها. ها... الدور على الرأس الكبير!... ها. ها. ها... لا بد من إزاحة أعداء الله عن طريق الإسلام. وسينزاحون إن شاء الله بأيدينا، بأيدي الجماعة الإسلامية المجاهدة في سبيل الله... الجماعة الإسلامية الحقّة...

سنظهر البلد منهم... سنحكم شرع الله... سنعيد وجه الإسلام النقي مرة ثانية... سنعيد الخلافة الإسلامية مرة أخرى... سيعلو صوت الله وصوت رسوله عليه الصلاة والسلام... سيخمد صوت أعداء الله الكافرين والملحدون إلى ابد الدهر... سيخمد صوت الطواغيت إلى الأبد... ستعود يا إسلام ثانية... ستعود إن شاء الله... سنضحي في سبيلك... سنبدل كل جهنم لتعود رابتك ترفرف عالية... سنبدل الأرواح رخيصة في سبيلك... سيعود مجدك مرة أخرى... فليقبض علينا الطواغيت، فلن نتزحزح عن طريق الجماعة الإسلامية شبراً واحداً... لن نترك دعوتنا وجهادنا أبداً مهما فعلوا بنا... لن ننزل راية الإسلام أبداً...

توقف عامر عن خواطره حينما بدأ اللغظ الذي ينبعث من الحجرة التي أمامه -والتي كان بابها مواربا - يتشابك رويدا رويدا ليكُون حديثا مفهوما؛ فأصاخ السمع...
-يا فندم، لا يوجد تنظيم للجماعة الإسلامية في شبرا ولكن في الشرايبة.
-أنت نائم. صح الجماعة الإسلامية موجودة شبرا وهي التي قامت بالمظاهرة في الأسبوع..... في..... شارع شبرا.
-..... المظاهرة.. سمعت...
-قلت لك إنك نائم..... نائم...
-المظاهرة كان فيها عدد كبير..... أنحاء القاهرة...
-يا فندم، الجماعة الإسلامية بشبرا هي التي نظمت هذه المظاهرة...
-.....
-.....مسئول.....
-على العموم أنا مسئول عن ملف الإخوان المسلمين..
-فعلا، أنت مسئول عن ملف الإخوان، ولكن أين لحيتك التي تستطيع أن تدخل بها المساجد التي يتواجد بها الجماعات الإسلامية. لقد كنا نعتقد أن الجماعة الإسلامية ليست موجودة..... شبرا والساحل، ولكن المظاهرة الأخيرة كشفت لنا عن وجود تنظيم كبير والعجيب..... الجماعة الإسلامية خرجت للمطالبة بتخفيض أسعار السلع، وهذه أول مرة يخرجون في سبيل!
-ليتعاطف معهم الشعب...
-.....
-أرجو يا فندم، ألا تكون المقابلة... كما ... مسجد نصر الإسلام... لا تسبوا ... حرجا...
تعجب عامر من قول الضابط لزميله: "ولكن أين لحيتك التي تستطيع أن تدخل بها المساجد"!!!... ومن قوله: " أنت مسئول عن ملف الإخوان"! ضابط ملتحي ومسئول عن ملف الإخوان؟!... رفع عامر جزءا بسيطا من العصاينة المحكمة الربط من على إحدى عينيه بحجة حكها ثم أغلقها بسرعة، وما بين فتح عينه وغلقها انداحت به الدهشة في الطرقة!!!... ما هذا الذي رأيته عيني؟!
الغرباوي؟! الغرباوي؟! الغرباوي؟!
الإخوان!... الغرباوي ضابط أمن دولة!!!...
الإخوان المسلمون المنظمون! المخترقون! ها ها... مضحك عليهم من أمن الدولة!... الغرباوي؟! يا خيبة الإخوان! ما أخيبهم وأعبطهم!... آه لو أخبرت الشيخ سراج الدين أميري. آه يا شيخ سراج لو رأيت ما رأيته الآن. آه لو سمعت ما سمعته الآن. آه يا شيخ سراج. هيبقى خبر الموسم...
أصاخ السمع مرة ثانية ليتسمع ما يدور، ولكن الصوت اختفى تماما بسبب غلق الباب.

-87-

تساءل الدكتور مجدي النحال، وكالة أنباء المستشفى:
-أرأيتم ما حدث للممرضة بهيجة فرحات؟

وبسخرية وحماس:

-شهيدة الحب والغرام!

ضحك الدكتور فوزي نجيب قائلاً:

-الست الممرضة لم يستطع عقلها أن يتحمل جرعة الحب من طبيب؛ فضربت (فيوزه)،
وجئت...

وقالت الدكتورة سمير سعيد ساخرة:

-بهيجة لم تصدق ما حدث، فهي قد تتوقع أن يحبها ممرض أو عامل أو حتى عم محمود عامل
الكتنتين، أما أن يحبها طبيب.

وقال الدكتور عبد الوهاب محمود:

-مسكينة.

قال مجدي النحال:

-الدكتور صلاح ضحك عليها بكلمتين حب ووعدا بالزواج؛ فعاشت تحلق في السماء... فلما
أخلف وعده ربما بسبب رفض زوجته أن تكون لها ضرة، هوت إلى الأرض مجنونة...

وقال الدكتور سامي حليم ضاحكاً:

-وال ⁷¹schizophrenia⁷¹ عندها جعلتها تعتقد أنها أم الحبيب.

وقال طبيب 1 ساخراً:

-يا عيني!

وقال طبيب 2 ضاحكاً ساخراً:

-يا عيني على الحب!

فضحك بعض الأطباء...

قال فوزي ساخراً بصوته الخشن:

-والحبيب (الدنچوان) عامل فيها من الإخوان المسلمين.

وبسخرية أكثر:

-والعجيب أنه يقرأ علينا شعراً أجنبياً.

ثم وهو يكتم ضحكه:

-المفروض أن الإخوانجي يتلو شعراً للمتنبى أو لزهير ابن أبي سلمى...

فانفجروا ضاحكين...

فخرج الدكتور عماد الدسوقي متضايقاً غاضباً وهو يقول:

⁷¹ مرض الفصام (انقسام الشخصية)

-ما أكثر السخافات في هذه المستشفى...
فعلق فوزي وهو يضحك ساخرا:
-خرج تاجر السيارات.
ثم وزع نظراته على أطباء الحجرة وهو يقول:
-عامل فيها هو الآخر من الإخوان. هل هذا شكل إخوان؟ بصراحة لا يمكن أن يكون إخوان ولا حتى طبيب...
فخرج الدكتور أحمد إسماعيل غاضبا وهو يقول:
-الدكتور عماد ترك تجارة السيارات.
ثم نظر إلى فوزي بنظرات حادة ثاقبة وصاح وهو يشير بيديه إليه:
-لا يمكن أن يكون هذا مستوى أطباء أبدا! ما هذا الانحطاط الخلقي؟! ليأتِ نقيب الأطباء ليرى مستوى الأطباء الذين يمثلهم في النقابة...
قال عبد الوهاب بصوت منخفض:
-لا تنسوا أن الدكتور أحمد صاحب الشيمي والدسوقي، ويجلسان معه في حزب الشجرة صباحا.
فقال فوزي:
-وأنت يا عبد الوهاب تجلس معهم في الحزب الشجري.
ثم نظر ناحية مجدي النحال:
-والدكتور وكالة أنباء المستشفى كذلك.
ثم نظر ناحية الدكتور حكيم وصمت.
قال حكيم لفوزي:
-عقبى لك.
قال طبيب3:
-الدكتور أحمد متضايق من الحديث عن صاحبه وحبييته مجنونة الحب والغرام. مسكين هو الآخر فهو قد فشل في كل زيجاته، ولم يعمر مع أي زوجة...
فقالت الدكتورة ابتسام عوض الله في ضيق:
-عيب عليكم أن تتحدثوا عن زميل وزميلة بهذا الشكل. وبهيجة إنسانة محترمة ابنتيت بمرض عنيف يمكن أن يُصاب به أي أحد منا في أي وقت ولا توجد مناعة ضده.
وقال الدكتور حكيم نخلة:
-صدق الدكتور أحمد إسماعيل حينما سمى هذه الحجرة بحجرة النميمة!
امتعض الدكتور مؤمن:
-هي بصراحة حجرة نميمة.
فقال فوزي زاعقا وهو يوزع نظراته ناحية حكيم وابتسام ومؤمن:
-الذي لا يعجبه الحديث لا يجلس هنا. أتفهمون؟
فردت ابتسام غاضبة:

-هذه حجرة الأطباء يا دكتور فوزي، وليست حجرة شلة معينة. والشللية هي أقذر فساد في هذه المستشفى! ويجب أن يكون الطبيب على مستوى راق من الأخلاق...
فتساءل الدكتور سامي حليم ساخرًا:
-أتؤدين دور الواعظة لنا؟!
ضاق نفس الدكتورة ابتسام، وزفرت زفرة حارة وهي ترد على سامي:
-ألا توجد نقطة دم في وجهك؟! أليست بهيجة جارة لك في شبرا؟ جارة وزميلة. سبحان الله...
قال فوزي لسامي:
-ابعد عن الدكتورة ابتسام فهي يسارية وثورية...
فقال حكيم بهدوءه المعهود:
-الدكتورة تتصحك ويجب أن تأخذوا بنصيحتها. وهي معها الحق. فكثير منا قد فقد صفات الطبيب المحترم...
فاحتدت الدكتورة عليّة:
-المفروض أيها الزملاء، أن نزور بهيجة في المستشفى، ونقدم لها العون بدلا من أن نسخر منها ومن مرضها. وما أقبح أن يسخر الطبيب من مرض أي إنسان! وما أكثر قبحه لو سخر من مرض زميله أو زميلته في العمل! ما أقبحه وأحقره!!...
شعر كثير من الساعرين بالحرج، فتركوا الحجرة وخرجوا.
فقال حكيم بانسراح:
-أخرجتهم وأخرجتهم يا دكتورة عليّة. الله ينور عليك.
ثم خرج ليستدعي أحمد إسماعيل و عماد الدسوقي.
قالت ابتسام بهدوء:
-يجب أن نعمل بنصيحة الدكتورة عليّة ونزورها في المستشفى في أسرع وقت إن شاء الله...

الأستاذ أحمد الغرباوي ممتعض ومتضايق من وجود سعيد عوض وصلاح الشيمي في أسرة واحدة بعد الخناقة التي حدثت بين زوجة صلاح وأم سعيد، وإبداع أم سعيد في مستشفى الأمراض العقلية، ولغط الناس والجيران وخوضهم وغمزهم ولمزهم في هذا الموضوع... وفي أول لقاء لأسرة الإخوان العاملين بعد هذه الأحداث، قال الغرباوي لنقيبه محمد الوكيل: -يا أستاذ محمد، الجمع بين الأخ سعيد عوض والدكتور صلاح الشيمي في أسرة واحدة بعد الأحداث الأخيرة فيه حرج شديد لكل منهما.

ثم تساءل:

-فهل من الأفضل أن نفصل بينهما؟

فأجابه:

-بالرغم من أبجديات الأسرة في دعوة الإخوان أن يكون أفرادها متقاربين في العمر، إلا أن أسرتك أثبتت عكس هذا الكلام... فأعمار أفراد أسرتك متباينة، ولكنها من الأسر الناجحة. أما بالنسبة لموضوع الحرج بين الدكتور صلاح والأخ سعيد، فأظن أن الحرج ليس فقط في لقاء الأسرة ولكن في السكن. وأظن أن الحرج في السكن أشد من حرج لقاء الأسرة. فسعيد ووالدته يسكنان في منزل الدكتور صلاح. والخوف حين تستعيد أم سعيد حالتها الصحية وتعود إلى شقتها أن ينشب القتال مرة أخرى بينها وبين زوجة الدكتور صلاح...

هز الغرباوي رأسه موافقا:

-أوافقك يا أستاذنا. ولكن الحرج بينهما في لقاء الأسرة يعرقل تقدمها، ويصيب الأخوة بينهما بخدوش...

قال أخ 1:

-المفروض أن الحب في الله يذيب أي شوائب تتعلق بالأخوة.

وقال أخ 2:

-عسى أن يتعمق الحب في الله بينهما.

وقال أخ 3:

-الزمن خير علاج.

تساءل الوكيل:

-يا أخ أحمد، حدثنا عن الموقف الأخير لكل فرد في مشكلة الدكتور صلاح وأم سعيد؟ -أم سعيد، مازالت في مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية ويبدو أن إقامتها في المستشفى ستطول. أما الدكتور صلاح، فيبدو عليه أنه أفاق من المشاعر الكاذبة تجاه أم أسعيد والله أعلم. وهو الآن مقبل على زوجته وأبنائه وعمله. وحالته النفسية أفضل من الأول بكثير والحمد لله. وبخصوص الأخ سعيد، فهو مازال قلقا على والدته إلى حد ما. ولكنه لن ينسى بسهولة ما سببته زوجة الدكتور صلاح لأمه، ويحتاج لوقت طويل لينسى المشاعر الغريبة العدائية تجاه الدكتور

صلاح الذي أحب والدته. وتتبقى زوجة الدكتور صلاح، فهي عادت إلى بيتها وزوجها، وأكد تشعر بالذنب لما سببته لأم سعيد.

قال أخ 2 مندهشا:

- لا أظن أن توجد مشاعر عدائية بين أخوين في الإخوان مهما حدث.

وقال أخ 1

- هذا تصور الأخ أحمد. وربما لا يحمل سعيد أي عدا للكتور صلاح.

وقال أخ 3:

- الأخ صلاح الشيمي قد أحب والدته الأخ سعيد، وفي الوقت نفسه، كان عازما على الزواج منها. فالرجل غرضه شريف نبيل لأرملة ظروفها الاجتماعية سيئة. والشرع قد أباح له ذلك. فهل في هذا ما يؤدي إلى أي عدا تجاهه؟

فقال الوكيل:

- ربما تكون المشاعر العدائية لزوجته الدكتور صلاح فقط لأنها السبب فيما حدث لأمه.

فقال الغرباوي وهو يشير بيديه:

- لا تنسوا يا إخوة، أن سعيدا شاب، ويتعامل من حلال رعونة وردود أفعال الشباب.

- وربما تكون هذه المشاعر العدائية أوهاام في أذهاننا فقط.

- الزمن خير علاج كما قلت.

- الأخوة في الله تمحو أي عدا...

- الأخوة في الله قادرة على إطفاء شرر الاحتكاك في المواقف المختلفة.

- الأخوة في الله هي الزيت الذي يلين تروس الاحتكاكات... وعلى العموم، سعيد لم يُصدر منه

أي شيء يشوب أخوته للدكتور صلاح. أليس كذلك يا أخ أحمد؟

- بلى يا أستاذنا. ولكني أتحدث عما أراه في دخيلة نفس سعيد. والعلم عند الله.

قال الوكيل:

- خير كل أخ منهما على انفراد في الاستمرار في الأسرة أو بالانضمام إلى أسرة أخرى حتى

يبتعدا عن بعضهما فترة طويلة لحين عودة المياه إلى مجاريها.

ثم أكمل:

- في الكتيبة القادمة - إن شاء الله - سيكون التركيز على الأخوة في الله...

وقبل إنهاء اللقاء، قال:

- حين تستعيد أم سعيد حالتها الصحية، يجب الفصل بينها وبين زوجة الدكتور صلاح في لقاء

أسرة الأخوات.

ومط شفتيه أسفا ويأسا:

- للأسف بدأت أسرة الأخوات الوحيدة في شعبتنا بالفشل!...

ذهب الدكتور أحمد إسماعيل وصديقه الأثير الدكتور حكيم نخلة إلى حجرة الأطباء
لاحتساء قهوة الصباح قبل بدء العيادات...
علق الدكتور فوزي بمجرد دخولهما الحجرة:
-أنتما لا تفترقان أبدا!
فضحك أحمد إسماعيل، وقال:
-نحن رمز ثورة 1919...
وضحك حكيم قائلا:
-يعني اتحاد الهلال والصليب...
وقال أحمد إسماعيل:
-أحسن من الشللية البغيضة التي تجوس خلال النفوس المريضة في مستشفانا البئيس.
فتساءل الدكتور سامي حليم ساخرا:
-وأنتما ألستما تمثلان شلة؟
فرد أحمد إسماعيل محتدا:
-لسنا شلة يا سامي يا حليم. ولكن الشلة أسلوب رديء متعصب حقير لا ينتمي إليها إلا كل
شخصية مريضة بعيدة عن المروءة!...
وبامتعض وقرف: "وأسوء شلة وأحقرها هي التي ترتبط بإدارة المستشفى وتكيد للزملاء!"
فهم سامي حليم ما يقصده أحمد إسماعيل فسكت ولم يرد...
قال الدكتور عماد الدسوقي: "وطبعا، المسكين مثلي الذي لا ينتمي لأي شلة، يُشطب أمام اسمه
بالأحمر في خانة الانصراف في دفتر التوقيع في أي مؤتمر، وآخرها في مؤتمر الجمعية
المصرية للأمراض الجلدية في الأسبوع الماضي!"
فقالت الدكتورة سميرة سعيد غاضبة: "يا دكتور عماد، كل الأطباء الذين لم يوقعوا بالانصراف
في أيام المؤتمر شُطب أما أسمائهم بالأحمر".
فرد عماد: "لا، يا دكتورة سميرة. فالدكتور فوزي نجيب وغيره كثير، كانوا معنا في المؤتمر
طوال اليوم حتى الساعة الرابعة بعد الظهر، ولم يأتوا للمستشفى للتوقيع، ومع ذلك لم يقترب القلم
الأحمر أمام أسمائهم".
نظر عماد الدسوقي في عيني الدكتور عبد الوهاب محمود وتساءل:
-بماذا نسمة هذا يا دكتور عبد الوهاب؟ خيار وفاقوس؟!...
شاطت سميرة غضبا بسبب توجه عماد لزوجها بالحديث وتركها هي والحوار معها أصلا،
فتركت الحجرة وهي تقول: "أطباء آخر زمن".
قال الدكتور عبد الوهاب في نفسه: عند حق يا عماد. فسميرة هي السبب في كل هذه المساخر...
ثم قال بتلعثم: "ربما يكون هؤلاء الأطباء قد حضروا بين جلسات المؤتمر للتوقيع".

ضرب عماد كفا بكف وقال:
-لم يبرح أحد منهم المؤتمر. أنا متأكد. وفوزي والنحال ونجية وسامي ها هم أمامنا فلتسألهم وأظن أنهم لن يكذبوا.
فتساءل فوزي ساخرا:
-أأنت عندك وقت يا تاجر السيارات للمؤتمرات؟
فاحتد الدكتور صلاح الشيمي: "عيب يا دكتور فوزي أن تخاطب زميل بهذا الأسلوب. تاجر سيارات! عيب! عيب قوي!"
وبامتعاض وهو يرشق فوزي بنظرة غيظ: "وعماد قد ترك تجارة السيارات. أتفهم؟"
قال فوزي: "طبعا، الإخوان المسلمون يدافع بعضهم عن بعض".
-أنا أدافع عن العدل. مع العلم، أنا لم يُشطب أمام اسمي.
أوماً أحمد إسماعيل برأسه تجاه فوزي: "يا فوزي، ما علاقة الإخوان المسلمين بالخيار والفاقوس هنا؟! الرجل كان حاضرا المؤتمر مثلكم وقد شُطب أمام اسمه. وأنتم وقعتم الانصراف في اليوم التالي صباحا. أليس هذا هو الخيار والفاقوس أم ماذا؟!"
لم يرد فوزي، ولكن أجابت الدكتورة نجية عبد الستار:
-أنا أسمىه معك الخيار والفاقوس.
ثم تساءلت: "ولكن أأنت أنت يا دكتور أحمد، قد حضرت المؤتمر معنا ولم يقترب القلم الأحمر أمام اسمك أيضا؟"
-صحيح، وكذلك الدكتور حكيم وكل الأطباء القدامى. ولكن يجب أن تكون العدالة مع كل الأطباء الحاضرين في المؤتمر سواء كانوا قدامى أم جدد، وأيضا سواء كان دمهم خفيف على قلب سميرة سعيد وزوجها هذا -وأشار بيده ناحية الدكتور عبد الوهاب محمود- أم دمهم ثقيل...
قال عبد الوهاب بهدوء: "أيها الزملاء، أنتم لا توقعون الانصراف إلا في اليوم التالي بوجه عام. ولكن أحيانا يأتي تفتيش على الدفتر الساعة 2 ظهرا، فنضطر أن نشطب على البعض".
فهتف حكيم ساخرا: "وهذا البعض كبش فداء للباقي!"
ضحك عبد الوهاب قائلا: "هم فعلا كبش فداء".
فقال عماد ساخرا: "من العدالة أن يكون توزيع هذه الأضحية على الكل بالتساوي وبالتناوب".
فرد عبد الوهاب مبتسما: "عندك حق يا عماد".
ثم أشار بيده إلى زوجته في حجرة التوقيع والملاصقة لحجرة الأطباء وقال:
-دعوني أغتابها فهي السبب. هي السبب...
فضحك الأطباء...

-90-

تناقلت الأخبار المحلية والعالمية خبر محاولة الإرهابيين الفاشلة لاغتيال الرئيس محمد حسني مبارك في زيارته لأثيوبيا...
وبعدما قرأ سعيد عوض النشرة الأسبوعية، تساءل أحمد الغرباوي:
-ما رأيكم بما حدث للأخ طارق؟
فرد إسماعيل عبد الفتاح بحزن:
-خبر مؤسف للأسف. وطارق هو الذي ضيع نفسه بنفسه!
قال علي عبد المنعم:
-جريدة الأهرام هي التي أعلنت أمس اسمه وصورته ضمن الذين أعلنت السلطات الأثيوبية عنهم بعد التحقيق معهم في محاولة اغتيال الرئيس الفاشلة
فقال سعيد عوض:
-ليس في جريدة الأهرام فقط، بل لقد ظهرت صورته في أغلب الجرائد أمس.
فقال إسماعيل:
-لقد قرأت اسمه، وشاهدت صورته، ولم أتوقع أن يكون هو هو.
مط الغرباوي شفتيه أسفا:
-للأسف هو هو.
قال سعيد بضيق:
-للأسف، لقد انضم طارق لتنظيم الجماعة الإسلامية. ونحن المسؤولين عن ذلك لأننا أهملنا موقفه، ولم نتابعه جيدا.
قال الغرباوي وقد أحس أن سعيد يقصده:
-طارق من أول احتكاكي به وهو يميل إلى التنظيمات المتطرفة. ولقد زرته وحاولت إقناعه، ولكنه غلق عقله! وفي نهاية الحوار قال لي بالأزور مرة أخرى لأن أخاه حسن لا يحب أن يزور بيتهم الملتحون.
ثم نظر إليهم جميعا قائلا:
-وأنتم قد زرتموه بعدي، فهل تغير منه شيئا؟
قال سعيد بحزن شديد:
-أنا نفسي كنت أميل إلى هذه الجماعة الإسلامية. وهداني الله إلى طريق الإخوان الصحيح.
وأسأل الله أن يثبتني ويثبتنا جميعا.
فقال عماد الدسوقي:
-لا تحزن يا أخ سعيد. فالهداية من الله أولا وأخيرا.
-كيف لا أحزن يا دكتور عماد. وطارق كان منا، ولا يُعرف مصيره الآن!
فهز إسماعيل رأسه بأسف، وقال:

-هو الذي اختار هذا الطريق لنفسه.
-ولكن كان يجب أن نقف معه ولا نتركه يضيع...
قال صلاح الشيمي:
-ومن قال لك هو قد ضاع، فإن أعدموه -لا قدر الله- فهو يعتبر هذا الإعدام شهادة في سبيل الله.
فتساءل الدسوقي مندهشا:
-أي شهادة تلك التي في سبيل الله؟!
فرد عليه الغرباوي:
-تنظيمه يعتبر أن من لا يحكم بشرع الله طاغوت كافر مستحل دمه. ومن مات في سبيل
التخلص من الطاغوت فهو شهيد في سبيل الله!...
فتساءل الدسوقي مرة ثانية باندھاش:
-التنظيم قاض وجلاد في الوقت نفسه؟!
-للأسف نعم، يا أخ عماد.
هز الشيمي رأسه أسفا وهو يقول:
-هذا باب خطير جدا، ومن يلج فيه لا يخرج إلا إلى التهلكة...
امتعض الغرباوي:
-ولنا في الخوارج قديما الأسوة في عدم فتح هذا الباب مرة أخرى.
فقال أكثر من أخ:
-ربنا ينجينا منه...
قال إسماعيل بعد فترة صمت:
-التاريخ يعيد نفسه.
فسأله الغرباوي:
-ماذا تعني؟
-ما حدث قريب من حادثة المنشية.
-وضح أكثر.
-لقد قرأت في إحدى جرائد المعارضة أن محاولة قتل الرئيس عبارة عن تمثيلية قام بها النظام
ليزيد من شعبية الرئيس!
فتساءل علي عبد المنعم مندهشا:
-ولكن ما موقع الذين أعلنت السلطات الأثيوبية أسمائهم من الإعراب؟
فرد عليه إسماعيل:
-طبقا لكلام المعارضة، الموضوع كله ملفق!
فقال الغرباوي بثقة:
-محاولة اغتيال الرئيس في أثيوبيا حقيقة وليست تمثيلية من النظام. وعلى العموم، دعونا من
هذا الموضوع الشائك.

ثم سكت برهة، وبعدها قال بجدية وهمة:

-يا إخوة... الفترة القادمة فيها شغل شديد وعمل دعوب بسبب الاستعداد لانتخابات مجلس الشعب في نوفمبر المقبل إن شاء الله، وستوزع عليكم ملصقات ولافتات ومنشورات لتغطية شبرا كلها من الساحل غربا إلى شارع أحمد حلمي شرقا، ومن ترعة الإسماعيلية والمظلات شمالا إلى نفق القللي جنوبا، بالإضافة إلى الشوارع الطولية والعرضية... فتسأل الشيمي باستغراب:

-ولكن هذه مساحة كبيرة جدا. فأين إخوان الساحل وإخوان روض الفرج وإخوان الخازندارة؟ فتبسم الغرباوي ضاحكا:

-أولا: لستم وحدكم في هذا العمل. ثانيا: نحن مسئولون عن منطقة شعبة شبرا وهي تمتد من شارع شيبان إلى أول شبرا عند نفق القللي، ومن شارع شبرا إلى شارع أحمد حلمي. ثالثا: لستم وحدكم المسئولين عن شعبة شبرا، ولكننا -بوجه عام- مسئولون عن قطاع شمال القاهرة كله بمعنى أن أخوة الساحل ربما يحتاجون إلى جهدنا في المسيرات أو أي عمل آخر، وكذلك قد نحتاج نحن في شعبة شبرا إلى جهد الأخوة في الساحل أو في روض الفرج أو في الخازندارة. رابعا: حينما نعلق لافتة كبيرة من القماش فإننا سنضطر إلى دخول شرفات بعض المنازل، فلا بد من الاستئذان بأدب جم، وأن ندخل في وجود رجل البيت، وأن نتعامل برفق وبأدب وأخلاق الإسلام ونعتذر عن الإزعاج الذي سنسببه لهم. خامسا: ربما تأتي الشرطة أو مباحث أمن الدولة للقبض علينا أثناء المسيرة، فلا بد أن نخبرهم أننا خرجنا بعد إذن قسم الشرطة، وأن نصمد، ونحتسب عند الله ما سيصيننا، ولا نخبر عن أي شيء عن الشعبة أو إخوانها، بل نخبرهم في التحقيق أننا خرجنا بعد أخذ مال من المرشح نظير المسيرة، ولا علاقة لنا بالإخوان.

فتسأل إسماعيل مندهشا:

-ولكن أليس هذا كذبا يا أستاذنا؟!

-الحرب خدعة يا أستاذ إسماعيل.

تسأل علي:

-ولكن ألا توجد تورية لتخلص من الموقف؟ والتورية أحسن وأفضل وأشرف من الكذب...

-أخبرنا يا أخ علي، ما هي التورية في هذا الموقف؟

-نبحث عنها يا شيخنا.

-أبحث عنها أنت وأخبرنا بها. وهذا تكليف لك.

فتسأل سعيد:

-يا أستاذنا، ما الداعي إلى دخول مجلس الشعب طالما يصاحبها اعتقالات وفتن، وفي الوقت نفسه، لن يُسمح للإخوان بتحقيق أغلبية أو تكوين حكومة؟

تبسم الغرباوي وأجاب:

-أولا: لقد بايعنا على السمع والطاعة، فلا مجال للنقاش طالما أن قادة الإخوان قد اتخذوا قرارا في ذلك. ثانيا: إن إظهار شعار "الإسلام هو الحل" في الانتخابات لهو دعوة لتطبيق الشريعة

الإسلامية التي ستحل كل مشاكلنا، وخاصة بعدما طبقنا كل الأنظمة الوضعية التي لم تصل بنا إلا إلى الفشل في كل المجالات...

قال إسماعيل:

-لقد رُفِعَ هذا الشعار في عدة انتخابات من قبل، والناس قد حفظته، والبعض قد سخر منه بزعمهم أنه شعار بلا مضمون، أو بلا برنامج!... ونتيجة الانتخابات معروفة مسبقاً ألا وهي للحزب الوطني الحاكم، فلمَ الجهد والتعب فيما لا عائد منه؟

-لقد رفعنا شعار "الإسلام هو الحل" في انتخابات متنوعة مثل انتخابات مجلس الشعب، والنفابات، واتحاد الطلاب، منذ منتصف الثمانينات حتى نكون رأي عام للشعب بكل فئاته وأطيافه، لكي يفرض هذا الشعب إرادته، حتى نغير من واقعنا المرير... ولنفترض أن الحزب الحاكم طبق مضمون هذا الشعار، وطبق الشريعة الإسلامية، فهو انتصار للإسلام ولجماعتنا ولدعوتنا المعتدلة. ولنا في تركيا أسوة حسنة، فالتيار الإسلامي هناك وجد استحساناً من الشعب بعدما أضرعوه العلمانية منذ سبعين عاماً! ولقد اختار الأتراك التيار الإسلامي في انتخابات المحليات وغيرها، ولقد نجح هذا التيار وأثبت فعلاً أن الإسلام هو الحل...

سخر إسماعيل:

-أنا أرى أن النظام عندنا لن يترك الحكم إلا على جثته!

ثم فسر:

-لأن أي نظام جديد تأتي به الانتخابات، سيحاسب وسيحاكم الحزب الوطني الحاكم على فساد مستشري منذ أكثر من أربعة عقود.

-ما علينا إلا إتباع أوامر الجماعة حتى ولو جاءت على عكس ما نرغب. فتحمس علي:

-لقد بايعينا على الجهاد والموت في سبيل الله...

وقال الشيمي:

-سمعا وطاعة لأوامر الجماعة. ولكن أخبركم بما حدث لي في انتخابات مجلس الشورى في عام 1990، وأرجو أن يصل ما أقوله لقيادات الجماعة حتى يزداد رصيد معلوماتهم في الانتخابات.

قال الغرباوي:

-تفضل يا أخ صلاح.

-لقد كنتُ موكلًا عن مرشح في اللجنة رقم 34 في مدرسة محمد فريد الثانوية، ومعني توكيل من المرشح موثق في الشهر العقاري، وقبل بدء الانتخابات دخلت اللجنة لأتأكد من خلو الصندوق من أي شيء، ولكن عيني لم تصدق ما رأيت، فقد رأيت الموظف رئيس اللجنة يُعلم بقلمه المسموم أمام اسم مرشح الحزب الحاكم ويرمي الورقة في الصندوق باستمرار، فلمَّا انتبه إليَّ لم يتوقف!...

فقال الغرباوي وهو يضحك:

-هذا الموظف ينتخب بدلاً من الموتى الذين ينتخبون بإخلاص في موتهم!

فتساءل عماد:

-وماذا حدث بعد ذلك؟

-لم أجد وقتاً لأعترض، فقد جاء ضابط الشرطة المسئول عن المدرسة ليأمرني أن أذهب بالتوكيل لكي يوقع مأمور قسم شيرا على التوكيل. فقلت له: إن التوكيل موثق في الشهر العقاري، فقال: إذا لم توقع من الباشا المأمور، فلن تدخل اللجنة وتباشر التوكيل عن مرشحك...

فتساءل علي ساخراً:

-وماذا يفيد دخول اللجنة بعد ذلك والموظف قد ملأ الصندوق بالانتخابات الوهمية؟!

واصل الشيمي:

-ومع ذلك ذهبت إلى قسم شرطة شيرا، فوجدت كل الوكلاء موجودين في قسم الشرطة للغرض نفسه الذي أتيت من أجله! ولكن الباشا المأمور ترك قسم الشرطة في الوقت الذي تحركنا فيه لنأخذ توقيعهم، ولم يعد إلا في آذان الظهر! فلماً وقع، أخبرته بما حدث في اللجنة، فقال: يا أخي، لقد انتهى كل شيء فلا داعي لتتعب نفسك في اللجنة!...

فقال الغرباوي:

-في انتخابات الشورى يكون النظام شرساً جداً مع أي مرشح آخر غير مرشح الحزب الحاكم، فهم لا يقبلون أي معارض في مجلس الشورى.

قال علي في ضيق شديد:

-لقد صدق المأمور فيما قال. وفعلاً، انتهى كل شيء؛ فمن الساعة السابعة والنصف إلى الثانية عشرة ظهراً، لا يوجد أي فرد موكل عن أي مرشح. وموظف اللجنة، في الوقت نفسه، يوقع لصالح الحزب الحاكم بدلاً من الموتى والأحياء الذين لا يأتون عادة للانتخاب بسبب اليأس من تحقيق انتخابات نزيهة! الله ينتقم منهم. الله ينتقم منهم. إنهم يزورون إرادة الأمم..... لم يستطع أن يكمل الكلمة لأن جسده انتفض، وغاب عن الوعي، وروحه الآن قد صعدت إلى الكوكب السابع...

قام الدكتوران الشيمي والدسوقي لإسعافه...

قال الشيمي: "إن تخطيط المخ لم يثبت أي تغيرات ذات قيمة في موجات المخ".

وقال الدسوقي: "يعني ليست حالته صرع كما شخص من قبل".

فتساءل الغرباوي: "طالما أنه لا يعاني من الصرع، فما تفسير انتفاض جسمه وغيابه عن الوعي؟!"

فأجابه الشيمي: "الدكتور كامل إسماعيل قال بأن موجات مخه بها تغيرات طفيفة ويمكن أن تحدث لأي شخص طبيعي".

قال الدسوقي باندعاش:

-العجيب أن مريض الصرع أثناء النوبة الكبرى يمكن أن يعرض لسانه، أو يفقد التحكم في التبول أو التبرز، ولكن في حالة علي لم يحدث ذلك ولا مرة وهذا أمر غريب جداً!...

وقال الغرباوي:
-أنا أرى -والعلم عند الله- وأنا لست بطبيب- أن يتم عمل تخطيط للمخ أثناء دخوله في حالة
التشنج وغياب وعيه.
فسأله الشيمي: "والله عند حق يا أستاذ أحمد، ولكن أنى لنا ذلك؟"
-نتفق مع دكتور أعصاب من الإخوان لكي يأتي إلينا ومعه جهاز تخطيط المخ بمجرد حدوث
النوبة.
-ولكن النوبة لا تستمر إلا دقائق معدودة.
-والنوبة غير متوقع توقيت حدوثها.
قال الغرباوي:
-أنسيت يا دكتور صلاح أننا سألنا الحاجة أم علي عن حدوث النوبة في المنزل فأجابتنا بالنفي،
يعني أن النوبة لم تحدث إلا والأخ علي معنا في الجلسة.
عصر عماد الدسوقي ذاكرته، فقال:
-ولكنها حدثت أثناء اعتقالنا في أمن الدولة.
فهز الشيمي رأسه موافقا:
-يبدو أنها تحدث له كلما تعرض لضغوط نفسية.
أشع وجه علي عبد المنعم بأضواء غريبة مبهرة!...
فقال أكثر من أخ: "سبحان الله. سبحان الله. ما هذا؟!"
وقال سعيد بحماس: "سبحان الله. لقد حدثت هذه الأضواء في نوبة منذ فترة طويلة".
قام الغرباوي وأكثر من أخ يقبلون جبين علي وهو مستلقٍ على الأرض. وبعد دقائق معدودة،
عادت روحه، وعاد إليه وعيه...
قال الغرباوي: "الحمد لله على كل حال. حمد لله على سلامتك يا أخ علي"...
لم يرد علي لأنه كان يشعر بدوخة، ولم يستطع الكلام كعادته كلما عاد من زيارته لأحد الكواكب
السبعة...
فقال الغرباوي للدكتور صلاح:
-يجب أن نعيد فحص الأخ علي مرة أخرى.
قرأ الغرباوي من قصاصة صغيرة أمامه واجبات الأسبوع المقبل، وكان من بينها التنبيه على
كتيبة الشهر...

أنوار بديعة: لا هي ضوء الشمس، ولا ضوء القمر...
أنهار من لبن، وأنهار من خمر، وأنهار من عسل مصفى... خضرة كثيفة تكسو أرضية الكوكب
وتكسو القصور البديعة التي ليس لها مثيل في الدنيا... أشجار باسقة كثيفة الخضرة وزاهية
الألوان والأفنان... أزهار متنوعة بديعة الألوان شذية الرائحة... مناظر خلابة... أنوار سماوية
لا مثيل لها في الأرض...

هتفت روح علي في حماس: "الله الله يا أستاذي! هل نحن في الجنة؟"
أجابه المعلم وهو يبتسم ابتسامته المضيئة:

-يا علي، نحن في الكوكب السابع وهو يمثل مرحلة البرزخ.
وبلهجة إعجاب: "أما الجنة ففيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"...
-لقد ظننت أننا في الجنة من روعة وعظمة ما أرى...

تأمل المعلم ما حوله من صور النعيم ثم قال:
-كل النعيم هنا لا يوجد مثيله في الدنيا، ولكن هذا البرزخ ما هو إلا بروفة لأرواح الذين سعدوا
قبل أن تقوم القيامة ويدخلون الجنة...

هتفت روح علي في حبور: "الله... الله... الله...".
-كل ما تراه في هذا الكوكب يشترك مع ما في الدنيا في الاسم فقط، أما الحقيقة فمختلفة تماما...
-فسر لي يا أستاذي ما تقول.

ابتسم المعلم وهو يفسر: "أول ما تراه العين هو الضوء، وتحليل الضوء في الدنيا يظهر لنا
ألوان الطيف السبعة، أما هنا فالألوان الطيف لا نهاية لعددها وأنواعها وتراكيبها وجمالها
اللانهاية!"

-العجيب أن هذه الألوان البديعة تتلأأ بدون تحليل للضوء!
فقال المعلم: "حتى الطعام يشترك مع طعام الدنيا في الاسم، أما الطعم والنكهة واللذة فلا مثيل
لهم في الدنيا".

-أفلا نأكل من الطلح⁷² الكبير المتدلي أمامنا؟
-كيف نأكل ونحن أرواح؟!

-يا معلم، ألم تقل لي بأن لك جزءا أرضيا؟
تبسم المعلم وأجاب وهو يشير أمامه إلى آفاق الكوكب: "في هذا الكوكب اللامتناهي الآفاق
والبديع الأنوار، لا يستطيع نصفي الأرضي أن يتحمل هذه الأنوار، ولكن روعي تتحمل".

زقزقت طيور في سماء الكوكب؛ فانفجرت روائح شذية طيبة ملئت أركان الكوكب...
قالت روح علي: "ما أبدع وأروع ألوان ريش هذه الطيور! إنها طيور غريبة عجيبة. أنا لا
أستطيع أن أسميها".

تأملت روح علي أكثر في أشكال الطيور ثم هتفت:
-سبحان الله. انظر يا معلم، إن أشكال هذه الطيور تشبه الأدميين! وضح لي يا معلم ما هذا؟
تبسم المعلم ابتسامته المضيئة وهو يوضح:
-إن هذه الطيور بها أرواح الشهداء، وهي تتشكل بوجه الشهيد الذي تسكن روحه داخلها.
هتفت روح علي في حماس: "يا سبحان الله...".
اقترب طائر من روح علي، وحام حوله...
قالت الروح بفرح: "يا معلم يا معلم...".
ثم بلهفة شديدة: "إن هذا الطائر يشبه أبي، أكيد أن روح أبي داخل هذا الطائر! يا سبحان الله يا سبحان الله... إن أبي لم أره في المنام منذ استشهد في المعتقل عام 1981".
رد المعلم بيقين: "لو كانت روح أبيك داخل هذا الطائر، فسيعود إلينا وذلك لأن روح الشهيد داخل الطائر هي التي تتحكم في حركة الطائر".
ثم بيقين أشد: "لو كانت روح أبيك داخل هذا الطائر، فسترى العجب العجيب...".
خلق الطائر فوق روح علي والمعلم، وحام حولهما عدة مرات في سرعة رهيبية، ثم توقف فجأة أمام روح علي وهو يرفرف بجناحيه دون أن يتحرك.
قال المعلم بفرح: "ها هو الطائر الذي به روح أبيك، لقد عاد وعادت معه الأشواق ترفرف"...
سأل الطائر روح علي: "كيف وصلت إلى هنا يا بني؟"
انتفضت روح علي باكياً وهتفت:
-سبحان الله! سبحان الله! إن الطائر يتكلم بصوت أبي! يا الله... يا الله... يا الله...
فقال المعلم بحماس:
-هذا هو العجب العجيب!...
تعانق الطائر وروح علي... وتعانقت الأشواق... وتعانق الحب واللهفة...
قال الطائر:
-أنا أعلم أنك حي. فكيف وصلت إلى هنا؟
-سبحان الذي جاء بي إلى هنا. سبحان الله وبحمده... سبحان الله العظيم...
-سبحان من ألهمك التسييح يا بني.
ثم زقزق وزقزق وزقزق وانداحت الروائح الطيبة...
قال المعلم:
-إن هذه الزقزقة هي تسييح هذا الطائر.
قال الطائر:
-نحن هنا نغبطكم على التسييح في الدنيا يا بني. يا ليتنا نسبح مثلكم.
تساءلت روح علي:
-ولماذا لا تسبحون يا أبي؟
فأجابه الطائر وهو يبتسم:

-لأننا هنا غير مكلفين يا علي.
وبابتسامة:
-ولكن الله -عز وجل- يمن على من ° يشاء من عباده هنا بالكوكب السابع بالتسبيح والتحميد
والتهليل والتكبير...
وواصل:
-وهذه المنة أعظم من النعيم الذي تراه أمامك وحولك يا بني... وأعظم منة هي لنبي الله موسى
-عليه السلام- الذي يصلي في قبره وبالتالي يصلي هنا في الكوكب السابع في الوقت نفسه
لأنفتاح قبره على كوكبنا هذا...
سبح المعلم... وسبحت الروح... وزقزق الطير... وانفجرت الروائح الطيبة المرتبطة بالزقزقة
والتسبيح...
قال المعلم:
-سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر... هن الباقيات الصالحات...
وقالت الروح:
-سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر...
وقال الطائر:
-لو عرفت فضلها ما غفلت عنها يا بني...
تساءلت الروح:
-ماذا فعل بك الطغاة قبل استشهاده؟
-لا تفهم بالطغاة يا بني.
فردت الروح بقوة:
-هم طغاة فعلا يا أبي. هم طغاة فعلا...
يا بني، لقد محا الله -عز وجل- الصفات الرديئة عنا بمجرد خروج أرواحنا من الدنيا...
-أخبرني يا أبي، ماذا فعلوا بك؟
-بعدما وضعوا أسلاكاً كهربية كثيرة في مواطن كثيرة من بدني؛ علا صوت أزيز رهيب،
فارتجف جسدي رجفا عنيفا... وفي بداية إحساسي بالأم الرجفة، جاءني ملك الموت في صورة
طيبة يهنئني بالشهادة...
ولكني لم أمت. فارتدوا أقفازا في أيديهم وعصروا موضع العفة مني؛ فجاءتني ألما مبرحة
رهيبة صعدت روحي أثنائها إلى بارئها ونلت الشهادة والحمد لله على منه وفضله...
صرخت روح علي:
-الله ينتقم منهم. الله ينتقم منهم. الله ينتقم منهم...
-لا تدع عليهم يا بني. فرما كانوا مجتهدين لمصلحة البلد.
-لا زال ديدنهم تعذيب خلق الله.
يا بني، من ° اجتهد وأخطأ فله أجر.

ثم زقزق، وقال:
 -لقد جاهدتُ في جماعة الإخوان كثيرا، والحمد على نيل الشهادة. ولكن اعلم يا علي، إن أي عمل دعوي في الإسلام لابد أن يكون في النور.
 فردت روح علي:
 -اختيار العمل في الظلام بسبب الظلم الذي تطفح به الأرض والبغي والعدوان...
 زقزق الطائر وزقزق ثم هتف بيقين أهل الجنة:
 -العمل في الظلام يربك الأفكار والتصورات والنظرات!...
 ثم رتل:
 -{مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}*⁷³...
 فقال علي:
 -الكلام نفسه قالتَه العواصف.
 تساءل المعلم:
 -يا عبد المنعم، أين الجنة؟
 زقزق الطائر، ونظر إلى سماء الكوكب وهو يقول:
 -إن الجنة فوق الكوكب السابع، والعلاقة بين الجنة وبين الكوكب السابع، كالعلاقة بين حياة الجنين في ضيق الرحم والحياة في كوكبكم الأرضي...
 هتف المعلم وروح علي في صوت واحد:
 -سبحان الله...
 سأل الطائر روح علي:
 -لماذا أتيت إلى هنا يا بني؟
 -لقد أتيتُ مع المعلم لكي نقابل الغلام الشهيد.
 فهتف الطائر مندهشا:
 -غلام أصحاب الأخدود.
 زقزق. قال:
 -هنيئًا لك هذه المقابلة يا علي.
 ثم بإعجاب:
 -إنه أحد الملوك السبعة هنا.
 ثم زقزق؛ فانفجرت منه رائحة عطرة زكية... غرد وقال:
 -لقد حان وقت مقابلة ملك الملوك السبعة، فأودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.
 وفي لمح البصر اختفى الطائر...

⁷³ الآية 46 من سورة فصلت

في لقاء الكتيبة الشهري، كان الأستاذ محمد الوكيل نقيب الغرباوي هو المحاضر.. وكان مما قاله:

يا أخوة.. يا أخوة... جيلنا كان يقرأ كثيرا من جيلكم... حتى العمال والفلاحون كانوا يقرءون كثيرا... وقد كان الإمام حسن البنا يرشدنا إلى الاطلاع الكثير، وأن نكون عالمين بعصرنا تطبيقا لحديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- حينما سأله الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري وقال: أخبرنا يا رسول الله عن صحف إبراهيم وموسى، فأخبره الرسول -عليه الصلاة والسلام- كثيرا مما في صحف إبراهيم وموسى، وكان مما قاله الرسول: وأن تكون عالما بعصرك... فالاطلاع على الثقافة العامة -يا أخوة- هو الذي يجعلنا عالمين بعصرنا لا مغيبين. وإن كان جيلكم أكثر منا معرفة بالكمبيوتر واستخداماته، إلا أنه لا بد من الاطلاع والقراءة والتثقف... والأخ في الإخوان المسلمين لا بد أن يكون لديه مكتبة في بيته. ضحك الوكيل قائلا:

-طبعاً، الأبعدون حينما يقبضون علينا ينقضون انقضاضاً على مكتبتنا ولا يبقون منها شيئاً! لكن نحن نسدي إليهم معروفاً لأنهم -على الأقل- يقرءون هذه الكتب لفهم دعوتنا والثقافة الإسلامية والعامة...-

أيها الإخوان، لقد قرأت حكاية هندية، ووجدتها تنطبق كثيراً على العلاقة بين جماعتنا ونظام 23 يوليو العسكري الغاشم...

يُحكى أن أحد البراهمة الفقراء تزوج وأنجب ولداً اعتبره البرهمي كنزاً عظيماً... وبعد أن وضعت زوجته الطفل، ذهبت إلى النهر المقدس لتستحم. وظل الطفل في رعاية والده. وأثناء غياب أم الطفل، جاءت امرأة من ساكنات القصر لتستدعي البرهمي لأداء خدمة دينية. وكان هذا البرهمي يعيش على الهبات التي تُقدم له نظير خدماته الدينية. ولما لم تأت زوجته، ترك ابنه في رعاية نمس، وكان هذا النمس قد رباه البرهمي منذ ولادته. والنمس رمز ديني عند البراهمة. وأثناء غياب البرهمي، زحف ثعبان عملاق نحو الطفل، فرأه النمس فقتله في الحال. ولما عاد البرهمي، وعلى مسافة بعيدة، جرى النمس نحوه متلهفاً سعيداً بعودته. فلما رأى البرهمي يد النمس ملطخة بالدم، ظن أن قد قتل طفله؛ فثار غاضباً، وقتل النمس بصخرة في الحال!... ولما وصل البرهمي إلى بيته، وجد طفله حياً يُرزق، ووجد بجوار الطفل ثعباناً كبيراً مقتولاً، فعلم أن النمس قد قتل الثعبان، فغشاه حزن عميق... وحين عادت زوجته وعلمت بما حدث، وبخته وهي تقول: لم لم تفكر قبل قتل ذلك النمس الذي كان يوماً ما صديقاً لك؟!...

فهذه الحكاية تبين الرعونة والتسرع وعدم الروية التي كان عليها البرهمي، وينطبق ذلك تماماً على العسكر الذين حكموا مصر بعد انقلاب يوليو 1952!...

فحينما قامت الثورة، كان دور الإخوان المسلمين فيها عظيماً وهاماً. فالإخوان هم الذين أحكموا قبضتهم الحديدية على طريق مصر السويس ومصر الإسماعيلية الصحراويين حماية للقاهرة

من غزو الجيش الانجليزي المرازض على ضفاف القتال. وفي الوقت نفسه، لم يكن الجيش المصري كله من الضباط الأحرار، فعدد أفراد تنظيم الضباط الأحرار لم يتعدّ الألف. فلم يدافع عن القاهرة إلا الإخوان المسلمون وخاصة التنظيم الخاص. والإخوان كانوا هم أيضا المسؤولين عن حماية المنشآت الهامة داخل القاهرة وكذلك البنوك...

فماذا كان رد الجميل من العسكر؟ انقض جمال عبد الناصر على زملائه أعضاء مكتب الثورة يفترسهم، فلم يبق منهم إلا الذين كانوا في الظل. حتى اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية اعتقله، بل ألغى تاريخه من كتب التاريخ!... وبعدها قام ناصر بذبح الأحزاب، وفصل العشرات من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات والمطالبين بالديمقراطية، وضرب رئيس هيئة الدولة السنهوري باشا بالأحذية في مكتبه لأنه أيضا كان يطالب بالديمقراطية وعودة الجيش إلى التكنات العسكرية، انقض على الإخوان الذين كان لهم دور كبير في نجاح الانقلاب فاعتقلهم وأعدم الكثير منهم واعتبرهم أعداء الثورة وفصلهم من وظائفهم الحكومية واعتقل من يساعد أهلهم بأي صورة من العون وأذاقهم أشد العذاب في السجن الحربي!!... حتى الشيوعيون الذين أيدوا الثورة وقوانين الإصلاح الزراعي، اعتقلهم... لماذا؟ لأنه يريد لهم تحت لوائه في هيئة التحرير، فلما رفضوا اعتقالهم، وعذبهم في سجنه الحربي، واستشهد بعضهم تحت وابل التعذيب! ولكنه أخرجهم في عام 1964، ومكن لهم وزارة الثقافة بمؤسساتها المختلفة منذ خروجهم من المعتقل وحتى الآن!

أما الإخوان فقد ظل بعضهم منذ عام 1954 في المعتقل حتى خرجوا أيام السادات في سنة 1974!... ولكن الكثير أو الأغلبية قد خرجوا من المعتقل في سنة 1971. وكان الأخ عبد المنعم السيد -عليه رحمة الله- والد الأخ علي من الذين ظلوا في المعتقل منذ 54 حتى 1974. والعجيب أن الأخ عبد المنعم قد عقد الزواج على الحاجة أم علي قبيل اعتقاله مباشرة في عام 54، ولم يدخل بها إلا في سنة 74 بعد خروجه من المعتقل...

هل -يا أخوة- جزاء إحسان جماعة الإخوان المسلمين في وقوفها الوطني المشرف مع حركة يوليو 1952، الاعتقال والإعدام والسحل والتعذيب وإزهاق الأرواح؟!... لقد كانوا يضربون كثيرا من الإخوان على رؤوسهم حتى يتفتت الرأس الأبى الذي لم يخضع إلا لله وحده، وتصعد الروح الطاهرة إلى ربها تشكو ظلم وإجرام عسكر يوليو 52... إن صحراء مدينة نصر ستشهد يوم القيامة للأجساد الطاهرة التي دُفنت فيها بعد استشهادها على يد زبانية السجن الحربي...

يا أخوة... إن البرهمي الذي قتل النمى، هو هو الزعيم الذي اعتقل وعذب وسحل كل الشرفاء والمخلصين والوطنيين الحريصين على تقدم هذا الوطن العظيم. ولكن البرهمي قتل النمى برعونة وغباء، أما الزعيم فقد قتل عامدا متعمدا حتى لا يبق أمامه أحد يعارض أو يقول قولا مخالفا له.

لقد خطب الزعيم في الشعب المصري وقال: "لقد علمتكم الكرامة". هل كان الشعب بدون كرامة حتى أتى الزعيم فعلمه الكرامة؟!... هل كان شعبنا ضعيفا ذليلا حتى جاء الزعيم فعلمه

الكرامة؟! فأى كرامة علمها الزعيم للشعب؟ الحقيقة أن الزعيم قد أهدر كرامة شعبنا في سجونته ومعتقلاته، وعلمه الخوف والجبن والنفاق!...

ومن العجب أن الزعيم كان يمدح شعبنا في خطاب المنشية ويقول "كلكم جمال عبد الناصر"! بالله عليكم، هل قال زعيم حقيقي مثل الزعيم مصطفى كامل أو الزعيم سعد زغلول أو الزعيم مصطفى النحاس مثل هذا الكلام الفارغ؟! هل قال أحدهم: كلكم مصطفى كامل أو كلكم سعد زغلول؟! أو قال: لقد علمتكم الكرامة! إن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لم يقولوا مثل هذا الكلام الفارغ. وإذا كان عبد الناصر واحدا فقط وأتى بهزائم لا حصر لها، فكيف يكون الحال لو كنا كلنا عبد الناصر؟!...

أيها الإخوان، لقد لغى ناصر تاريخ مصر كله، واعتبر تاريخ بلدنا يبدأ من 23 يوليو 1952! ما هذه السخافة والتفاهة والحقارة؟ فعلا، قد بدأ تاريخ المهانة والذل والعار والهزيمة من 23 يوليو 1952... لقد فقدنا في حرب اليمن خيرة شبابنا في حرب لا داعي لها أبداً، وفقدنا الغطاء الذهبي للجنيه المصري، وخيرة أسلحة الجيش في هذه الحرب التي لا ناقة فيها ولا جمل... إن مصر لم تهزم في تاريخها كله مثلما هزمت في 5 يونيو 1967!!... إن جيش مصر الذي أعاد لنا الكرامة في أكتوبر 1973، لم ينسحب بظهره في تاريخه كله كما انسحب في يونيو 67!... بل لم ينسحب جيش في تاريخ الأمم كلها مثلما انسحب جيشنا في 67! لقد فقدنا أكثر من مائة ألف شهيد من خيرة شبابنا في يونيو 67 بسبب القيادة غير المسؤولة وغير المؤهلة لقيادة كتيبة فضلا عن أن تقود جيشاً عظيماً كجيش مصر وبلداً عظيماً كالمحروسة أم الدنيا... بصراحة، لقد قاد جيشنا وبلدنا شوية عيال!!...

وكان عبد الناصر حريصاً كل الحرص على ضرب الإسلام والقضاء عليه بكل صورة: فألغى المحاكم الشرعية، وألغى هيئة كبار العلماء، ودمر الأزهر الشريف بحجة تطويره، وطبعاً أذاق -أكبر جماعة تمثل الإسلام في القرن العشرين وهي جماعة الرشيدة- صنوف العذاب في المعتقلات والسجن الحربي...

أيها الأخوة... إننا في الكتيبة اليوم سنركز على الأخوة في الله، سواء في المحاضرة أو في الخاطرة أو في لقاء الأسر بعد المحاضرة. وقد كانت المعتقلات هي الفرن الذي تنصهر فيه أي شحنة بين الإخوان، وهي الفرن الذي تصقل فيها معادن الإخوان وخاصة الحب في الله، وهي الفرن التي تصقل فيها معاني الأخوة في الله بين الإخوان...

لقد كانت صفة الإيثار في أعلى صورها في المعتقلات. تصوروا يا أخوة، أن الإيثار وصل إلى درجة أن يؤثر الأخ أخاه على حياته نفسها!!... ربما تندهبون مما أقول، ولكني أقول حقائق. ففي عام 1957، كان الإخوان المعتقلون في ليمان طرة يجلسون في الطرقة أمام الزنازين بعد صلاة العصر ليتلقوا درس العصر من الشيخ حسن صابر. وبينما هم في خشوع أثناء إلقاء الدرس، إذا بعساكر السجن تضرب عليهم النار من الأدوار السفلية! فماذا يصنع الإخوان الذين رُبوا على التأخي في الله وعلى الإيثار؟ قام إخوان من إخوانكم، فألقوا أنفسهم أمام الشيخ حسن

حتى لا يُصاب بأي أذى، وتلقوا الرصاصات الغادرة في صدورهم بنفس راضية، ونجا الشيخ حسن، واستشهد كثيرا من إخوانكم في هذه المذبحة...

يا أخوة، إن الإمام الشهيد حينما أسس دعوتكم، ربي الإخوان على الإيثار، وقال: إن أقل درجات الإخوة هي سلامة الصدر، وأعلاها الإيثار {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} 74... فأى إيثار هذا الذي يدفع صاحبه إلى أن يفدي أخاه في الله بروحه؟

هذه هي حقيقة الإخوان المسلمين... بل هي كانت حقيقة المجتمع المسلم الأول الذي ربي أفرادَه الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- على الأخوة في الله، والحب في الله، والبغض في الله... ألم يكن الأنصاري يشطر نصف ماله وسكنه وطعامه وشرابه لأخيه المهاجر؟ بل ألم يكن الأنصاري يطلق زوجة من زوجاته لكي يتزوجها أخوه المهاجر؟ هل رأيت في التاريخ البشري كله من طلق زوجته لأخيه في الله لكي يتزوجها؟ لقد أثنى الله -عز وجل- على المهاجرين والأنصار ومن أتى بعدهم من المسلمين فقال تعالى: {الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} 75...

لقد جاء رجل جانع إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو في المسجد، وطلب منه طعاما، فأرسل الرسول ليبحث عن طعام في بيته، فلم يجد إلا الماء، فقال: ((من يُضَيِّفُ هذا الليلةَ رحمه الله))، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله. وأخذ الضيف إلى بيته، ثم قال لامرأته: هل عندك شيء؟ فقالت: لا، إلا قوت صبياني. فلم يكن عندها إلا طعام قليل يكفي أولادها الصغار. فأمرها أن تشغل أولادها عن الطعام وتتوهمهم، وعندما يدخل الضيف تطفئ السراج، وتقدم كل ما عندها من طعام للضيف. ووضع الأنصاري الطعام للضيف، وجلس معه في الظلام حتى يشعر أنه يأكل معه. وأكل الضيف حتى شبع. وبات الرجل وزوجته وأولادهما جائعين! وفي الصباح، ذهب الرجل وضيئه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال للرجل: ((قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة)). ونزل فيه قول الله -تعالى-: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}.

أيها الإخوان، إننا نجد صورة أخرى عظيمة من صور الإيثار والأخوة في الله في غزوة اليرموك، حينما جرح عكرمة بن أبي جهل مع بعض رفاقه -رضي الله عنهم- وهو يفتح ثغرة في صفوف الروم، فعرضوا عليه الماء وهو في حالة شديدة من الإعياء، فلم يشرب، وأثر أخاه

74 جزء من الآية 9 من سورة الحشر
75 الآيات 8 - 10 من سورة الحشر

على نفسه، وقال اذهبوا إلى فلان. فذهبوا إلى فلان، فلم يشرب، وقال اذهبوا إلى فلان. فذهبوا، ففعل ما فعل أخواه. وذهبوا إلى المجاهد الثالث، فقال اذهبوا إلى فلان الذي قال اذهبوا إلى عكرمة فهو أولى مني. فذهبوا إلى عكرمة فوجدوه قد مات. وذهبوا إلى الثاني فوجدوه قد مات أيضا. فذهبوا إلى الثالث فوجدوه قد مات. والرابع أيضا قد مات. وأثر كل واحد منهم آخاه في الله، ولم يشربوا جرعة الماء بالرغم من حاجتهم كلهم إلى الماء!!!...

أيها الإخوان، إن الإمام زين العابدين بن الحسين -عليهما السلام- كان يقول: إذا استحييت أن تضع يدك في جيب أخيك في الله وتأخذ حاجتك فاعلم أنه لا أخوة بينكما في الله... ولقد كان الإخوان المسلمون يضربون أروع الأمثلة في الإيثار والأخوة في الله. لقد أتى أحد الإخوان إلى أخيه في الله وفي دعوة الإخوان ليطلب حاجة له لضيق ذات يده، فلما قضاها الأخ له بكى بعدما غادر بيته. فقالت زوجته: لماذا تبكي؟ أتبكي لأنك قد قضيتك حاجته؟ فقال الأخ: لا، ولكنني أبكي لأنني لو سألت عليه أولا بأول بصدق، لما أخرج نفسه، وأتى إلي ليطلب حاجته...

هذا هو الإيثار. وهذه هي الأخوة في الله الحقيقية. وهذه هي التربية الإسلامية التي زرعها الرسول -عليه الصلاة والسلام- في نفوس أصحابه، وهي التي نريدها أن تكون في نفوس الإخوان دائما وأبدا إن شاء الله، وهي سر تماسك جماعة الإخوان المسلمين... بعدما أنهى الوكيل محاضرتة، شكره الأخ الذي قدمه في بداية المحاضرة، وقال: نبدا بتلقي الأسئلة الآن.

سأل أخ 1:

-هذه الصور من الأخوة والإيثار صور مثالية سواء عند الصحابة أو عند الإخوان، ولكن واقع الإخوان الآن يختلف عن تلك الصور المثالية التي ذكرتها يا أستاذنا؟ تبسم الأستاذ الوكيل. قال:

-أليست أخوة الصحابة والتابعين وتابعي التابعين هي نتيجة لتربية القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم؟ إذن لن ينصلح حال الأمة إلا على ما صلح عليه أولها... ثم استطرد:

-ولكن السعي على لقمة العيش الآن في الصباح وبعد الظهر وحتى منتصف الليل هو من العوائق في طريق التفرغ للدعوة والتربية الإسلامية الصحيحة... ولقد كنا في شبابنا نعمل عملا واحدا، وباقي اليوم يكون في الشعبة والدعوة إلى الله... أما الآن فالأخ يشتغل في مكانين وثلاثة أحيانا. فمتى يتفرغ للدعوة حتى يمنحه الله ثمارها وثمار التربية الإسلامية؟ كان الله في العون... سأل أخ 2:

-تصور يا أستاذنا الفاضل، أن بعض الأخوة في لقاء مكتب الشعبة الشهري يُبيتون بليل رأيا معينا حتى يأتي النقاش في لقاء المكتب فنجدهم يقولون رأيا موحدا ضد رأي باقي أعضاء المكتب، ويكون دائما بعيدا عن الصواب ويتخلله الهوى. أليس موقف هؤلاء الأخوة يعبر عن الشللية؟! الشللية؟! الشللية؟! الشللية!...

أجاب الوكيل غاضبا:
-يا أخ حامد، لقد وجدت -للأسف- في الآونة الأخيرة مثل هذه الشللية. وإنني أقول لهؤلاء
الأخوة: من هنا نُهزم!!...
وبمرارة:

-وهذا هو الذي يؤخر مرحلة التمكين والنصر...
سأل علي عبد المنعم:

-كيف نزرع في نفوسنا معاني الأخوة في الله الحقيقية من الحب والإخلاص والإيثار؟
-بزيادة الإيمان يا أخ علي، فمن ثمار الإيمان بالله -عز وجل- الأخوة في الله على أعلى
صورها...

سأل أخ3:

-من° الذي يضمن أنكم من الإخوان ولستم من الأمن؟
رد الوكيل متبسما:

-إذا جاز أن تسأل عني شخصا الأمن والمباحث العامة والمحلية في قسم شبرا فسيخبرونك
بأنني من الإخوان المسلمين.

وهتف:

-الحمد لله.

واستطرد:

-وأنا أنصح الأخ الذي يُقبض عليه ويتعرض للتعذيب لكي يخبر بأسماء أخوة الشعبة، فلا يخبر
إلا باسمي وأسماء الأخوة القدامى والمسنين والمعروفين جيدا لدى الأمن بأنهم من الإخوان
المسلمين.

سأل إسماعيل عبد الفتاح:

-عبد الناصر له إجابيات يا أستاذنا، فلماذا تركز على السلبيات؟ ألم يوزع الأرض الزراعية
على صغار الفلاحين؟ ألم يعقد معاهدة الجلاء مع الانجليز؟ ألم يؤمم القناة؟ ألم ينتصر في حرب
1956؟ ألم يمصر الاقتصاد المصري؟ ألم يبين السد العالي...؟

تبسم الوكيل، وأجاب:

-لو قسنا أي إجابيات -إن اعتبرناها إجابيات- على السلبيات الرهيبة لكانت المحصلة في صالح
السلبيات، ومروعة للأسف!... فأأي إجابيات وأي بناء للسد العالي أمام هدم الشخصية المصرية
وزرع الخوف في نواحيها وأعماقها...؟! وأي قيمة لتأميم القناة أمام هدر كرامة الإنسان
المصري؟! وأي قيمة لقول "ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعباد" أمام بتر هذه الرأس
التي لا تسير في ركاب الزعيم؟!...

في منتصف الستينات، زار الزعيم كلية طب القصر العيني، وأثناء الزيارة، قال عميد الكلية
للزعيم -خالد الذكر- لو زيدت ميزانية القصر العيني عشر ما يُنفق على بناء السد العالي لجعلنا
القصر العيني أعظم مدرسة طبية في العالم؛ فما كان من الزعيم إلا أن اعتقل هذا الأستاذ،

وأذاقه صنوف العذاب في السجن الحربي، ومنع عن أهله مرتبه حتى يموتوا من الجوع، بل كان يعتقل زملائه والطلاب وكل من يعين أهله بأي شكل!...

أما صور التعذيب في السجن الحربي فهي ضرب بالشوم وجريد النخل وسيور السيارات والسيات الجلدية المبيتة في الزيت على الرأس وأي جزء من الجسد، والضرب بالفلكة على الأرجل، والصلب والجلد على "العروسة"، ونزع الأظافر، وإطفاء أعقاب السجائر على المناطق الحساسة، وارتداء أسبال بالية في زمهرير الشتاء، وتشريفة الصباح للاستيقاظ، وكلها ضرب وزعيق وسب وتعرية العورات بل ووضع عصا غليظة في الدبر أمام الضحكات الماحنة الساخرة من الجلادين، والتمرينات الرياضية الصباحية التعذيبية وخاصة تمرين "شادية" وتمرين "مشية الإوزة" وتمرين "الحجل"، وكلها تمارين شاقة عنيفة لشبه آدميين لا يأكلون إلا شيه وجبة واحدة تافهة في اليوم، وويل لمن يقع من الإعياء وما أكثرهم، فالعصا والشوم والسيات في انتظاره!...

والتعذيب الشاق في تكسير الحجارة في الجبل تحت حر الشمس وزمهرير الشتاء، والضرب والسحل بل والموت لمن يتكاسل عن هذا العمل الشاق، والتعذيب برش الماء في أرض الزنزانة شتاء، وبنهش الكلاب، وبالصق الكهربائي، والتعذيب الجنسي الرهيب لإهدار كرامة الإنسان المصري الذي قال رأيا لم يعجب الزعيم أو رفض أن ينضم في هيئة التحرير أو الإتحاد الاشتراكي أو طالب بالديمقراطية أو حتى نقد تسريحة مديعة مقربة من أهل السلطة!... فما الذنب الذي اقترفه هذا العميد حتى يصل هو والكثير جدا من المصريين إلى كره عميق للبلد!... بل لقد فر منهم الكثيرون إلى خارج البلاد بلا بارقة أمل في العودة مرة أخرى! لقد كفر الزعيم وزبانيته الشعب بالوطن!...

والآن، وبعد أكثر من أربعين عام بعد انقلاب يوليو 52، يوجد في إسرائيل كثيرا من الشباب المصري الذي يعمل في إسرائيل، وتزوج من إسرائيليات، وأخذ الجنسية الإسرائيلية!... هذه بعض ثمار الانقلاب العسكري!... ولا ندري ما خبأه لنا المستقبل من آثار هذا الانقلاب المشؤم!

وإذا ناقشنا الإيجابيات يا أستاذ إسماعيل، فسند أنهما ليست إيجابيات على الإطلاق. فالتعليم المجاني بدون دراسة واعية بجذواه أدى إلى تخريج جامعي ضعيف المستوى ولا يُعترف عالميا بشهادته الجامعية. لقد كانت الجامعات الأربعة في بلدنا قبل انقلاب يولييه 52 معترفا بشهادتها عالميا لأنها كانت شهادات على مستوى علمي عالمي، ولكن بعد الثورة فقدنا كل ذلك!...

أما تحديد ملكية الأرض الزراعية بمائة فدان وتوزيعها على الفلاحين؛ أدى إلى تفتيت الرقعة الزراعية، وأدى أيضا إلى أن يزرع كل فلاح يملك خمسة أفدنة من توزيع الإصلاح الزراعي على مزاجه! فانعدم التكثيف الزراعي لسلعة زراعية معينة، وأدى هذا إلى أن أمسينا نستورد القمح من الإتحاد السوفيتي في الستينات بعدما كنا نكتفي منه بل ونصدره أحيانا أيام الإقطاع الزراعي في عصر الملكية. وحتى الآن مازلنا نستورد القمح. وانزوى القطن المصري في السوق العالمي!...

وإذا تحدثنا على معاهدة الجلاء فأقول إن هذه المعاهدة قد عُرضت على الحكومات المختلفة - الضعيفة بين قوسين- قبل الثورة فرفضوها، لماذا؟ لأنها تنص على إعادة احتلال إنجلترا لمعسكرات القناة مرة أخرى إذا ما حاربت إنجلترا أي عدو ورأت في ذلك مصلحتها، فهي ليست بمعاهدة جلاء حقيقية!

وقناة السويس كانت ستؤول ملكيتها لبلدنا في سنة 1969، فما الداعي لتأميمها الذي جلب علينا العدوان الثلاثي وآثاره؟ ولقد سُحب جيشنا في حرب 1956 إلى الضفة الغربية من قناة السويس، ولم يحارب إسرائيل التي احتلت سيناء كاملة، وتعرض أسرانا أثناء الانسحاب إلى التعذيب المهين والقتل الجماعي الذي أعلنت عنه إسرائيل منذ فترة قريبة... وربما لا ينتبه البعض لآثار هذه الحرب، فقد كانت الحكومات المصرية في العهد الملكي متفقة مع المملكة العربية السعودية على منع أي سفن إسرائيلية من العبور في خليج العقبة. وقبل خروج الدول المعتدية من بلدنا في حرب 56، اشترط أيزنهاور على ناصر أن تمر السفن الإسرائيلية من خليج العقبة، ولم نعلم بهذا الشرط إلا قبيل حرب 67 حينما أغلق عبد الناصر خليج العقبة أمام السفن الإسرائيلية، وكان معنى ذلك بالنسبة لإسرائيل الحرب التي استُدرك عبد الناصر لها، ولم يكن مستعدا لها، وحدث الهزيمة المروعة التي لم نتعرض لها في تاريخ مصر كله!...

ولقد مصّر ناصر الاقتصاد، ولكن قبل أن تنتهي حقبة الستينات، كان الانهيار هو السمة الأساسية للاقتصاد المصري وللشركات القطاع العام ولكل ما أممه ناصر حتى وصلنا إلى خصخصة القطاع العام الآن وما يصاحبه من عدم شفافية وفساد كبير!...

وبالنسبة للسد العالي، توجد آراء متضاربة حوله، حيث أن السد منع الطمي الذي يغذي الأراضي الزراعية منذ فجر التاريخ، ويمكن أن تضربه إسرائيل فتغرقنا في أي وقت لا قدر الله. وليس عندنا رادع نووي لكي تفكر جيدا قبل القدوم على هذه الخطوة... ولكني أعتبر بناء هذا الصرح عملا عظيما في سجل الرئيس عبد الناصر. ولكن يا أخوة، هذا البناء العظيم لا قيمة له بجوار إهدار كرامة المصري في عهد ديكتاتورية ناصر العسكرية الغاشمة. هل يوجد عند المسلم أعظم من بناء الكعبة المشرفة؟ إن الرسول -عليه الصلاة والسلام- كان يطوف بالكعبة ويقول: ((ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وإن نظن به إلا خيرا))... أما عند من بنى السد العالي، فلا حرمة لكرامة وحياة الإنسان المصري!...

سأل أخ4:

-التعذيب على العروسة قد قرأنا عنه، ولكن ما هو تمرين رقصة الإوزة وتمرين شادية وتمرين ال.....؟

-هذه التمارين هي تعذيب باسم تمارين الصباح. فتمرين الحجل هو الحجل على رجل واحدة مع وضع اليدين في الوسط والجري ويصاحبه الدوران في دائرة ضيقة حتى الوصول إلى مرحلة انعدام التنفس!... وتمرين شادية هو النوم على الظهر مع رفع الساقين فتحا وغلقا!... أما تمرين رقصة الإوزة فهو يُسمى بـمشية الإوزة وأيضاً يُسمى بـتمرين "الزحف المقدس"، وهو عبارة عن

جلوس المعتقلين القرفصاء فوق أمشاط الأقدام وفي الوقت نفسه تكون الذراعان إلى أعلى، مع المشي بهذا الوضع المهلك للمفاصل والعضلات الممزقة أصلاً! وويل لمن يلمس كعبيه، فالضرب من كل الجهات في انتظاره! ويستمر هذا الزحف المقدس حتى دخول العنابر الذي يسبقه مباشرة الضرب والركل والسب من العساكر المنزوعة الأدمية!...

سأل علي عبد المنعم:

س: ما قصة بصقك على تمثال الزعيم المشهورة عنك؟

تبسم الوكيل. أجاب:

-كانوا يعذبون المعتقلين نفسياً بأن يجعلوا أفراد كل عنبر يسرون في صف كبير في فناء السجن الحربي حتى يصلوا إلى تمثالا كبيرا للزعيم فيقوم كل معتقل بتحية التمثال تحية عسكرية ثم يعودون إلى أول الفناء ليعيدوا الكرة لمدة ساعة كاملة، فكنت كلما وصل دوري للتحية أبصق على التمثال بدلا من تحيته... فكان الضابط والعساكر المسئولون عن هذا التعذيب النفسي والبدني أيضا يسبونني ويضربونني بالسياط التي في أيديهم على أمل أن أحيي التمثال في اللفة القادمة، ولكنني كنت أبصق في كل مرة حتى جُن جنون الضابط وتوعدني بأشد العذاب. وبعد فترة أوقفوا هذه المهزلة!

ثم استطرد:

-يا أخوة، لقد كانوا يجعلون بعضنا يقول (أنا امرأة) عدة ساعات حتى يصل إلى رقم مليون!... لقد أهدروا كرامة الإنسان إلى دركة سحيقة!... واحد يعد إلى مليون وهو يقول أنا امرأة. ما هذا؟ ويُضرب إن وقف من التعب! إن بعض المعتقلين وصلوا إلى مرحلة انعدام إحساسهم بأدميتهم!... والبعض وصل إلى مرحلة تكفير هؤلاء الجالدين!... بل وصل المكفرون الجدد إلى تكفير كل الذين ليسوا معهم في جماعتهم!... وهذا أيضا من ثمار وصول العسكر إلى الحكم وتعذيبهم لخلق الله بدون وجه حق... وحسبنا الله ونعم الوكيل في الظالمين...

-هيا بنا يا حكيم إلى مكتب المدير لأمر هام جدا ...
وفي مكتب المدير، كان رجل خليجي في الخمسين من عمره، يرتدي ثوبا أبيض وغترة حمراء وعقالا أسود، في انتظار عدة أطباء من المستشفى ليتعاقد مع بعضهم.
قال المدير:

-نرحب بالشيخ نايف الحارثي في مستشفى الحوض المرصود. والشيخ نايف صاحب عدة مستشفيات ومستوصفات في جدة والطائف ومكة، ويريد أن يتعاقد مع أخصائيين واستشاريين جلدية وتناسلية. وهو يريد أن يحدثنا عن مستشفياته ثم يتعرف عليكم ليختار الأطباء سعداء الحظ.

تساءل الدكتور حكيم في سره:
لماذا لم يخبرني أحد بهذا الزائر؟ أليس الكل يعلم أنني أبحث عن فرصة عمل بالخارج؟!
نظر حكيم إلى الأطباء المجتمعين ثم إلى صديق عمره أحمد إسماعيل. فهم الدكتور أحمد ما يجوس في نفس صاحبه فقال:
-أخبرت الزملاء بالأمر يحدثوك عن هذا الزائر حتى تكون مفاجأة لك.

تبسم الشيخ نايف ثم قال:
-أنا سعيد في زيارة مصر أم الدنيا وأم العرب...
فقال الدكتور مجدي النحال:
-ولكن العرب عقوا أهمهم كثيرا!...
فضحك نايف وبعض الأطباء.
قال المدير في نفسه:

يبدو أنك ناوي تخرب الجلسة يا نحال بسبب تجربتك الفاشلة في السعودية... الله يخرب بيتك أكثر ما هو خربان!...
استأنف النحال:

-قبل أن تحدثنا يا شيخ نايف، أرجو أن يسمع زملائي تجربتي المريعة قبل أن يقدموا على تجارب جديدة ربما تكون أيضا مريعة...
فامتقع وجه نايف. أشار المدير بعينه لمدام سعدية لتتدخل ولتوقف النحال.
قالت:

-توجد سفرات ناجحة يا دكتور مجدي. فلا داعي لئن (تطفش) زملائك من فرصة السفر وخاصة أن تأشيرات السفر شحيحة هذه الأيام.
فتبسم النحال وقال في نفسه:
أكد أن شيخ المنسر أعطاكما الدنانير والدرهم -مثلا يعطي لشركات السفر والنصب- لتسهلا له سفر الأطباء الغلابة.

ثم تساءل بمكر:

-ولماذا فرص السفر شحيحة هذه الأيام يا شيخ نايف؟

فرد المدير رافعا الحرج عن نايف:

-بسبب الاعتداء الجنسي على ابن المدرس المصري في الرياض، والقصة تلوكها الجرائد منذ فترة طويلة. والله أعلم بالحقيقة.

قال الدكتور صلاح الشيمي:

-ولكن القصة حقيقية. وأبو الطفل قدم تقريراً طبياً عن الحادث.

فتساءل النحال ثانية:

-يا شيخ نايف، من الذي اعتدى على الطفل البريء؟ أليس مدير المدرسة؟! ومن الذي أقيم عليه حد القذف؟ أليس المدرس المسكين والد الطفل؟! والعجيب أن المدرس يعمل في ذات المدرسة التي اعتدي فيها على ابنه!...

بلغ الشيخ نايف ريقه وقال لنفسه:

لو أعلم هذا النقاش ما جئت إلى هنا. مالي وهذه القصة...

ثم قال:

-طال الله عمرك. إن هذا الموضوع قد حكمت فيه المحكمة الشرعية. ومعروف في الشريعة الإسلامية أن من يتهم أحداً في فاحشة جنسية لابد وأن يأتي بأربعة شهود، وإذا لم يأت بالشهود الأربعة فيُقام عليه حد القذف حتى لو كان صادقاً.

فتهكم النحال:

-الحمد لله أن القاضي الشرعي الذي يحكم بشرع الله لم يَقم بحد القذف على الطفل الضحية!...

تساءل حكيم:

-مع احترامي للشريعة الإسلامية، أليس التقرير الطبي الذي قدمه والد الطفل يكفي صدق الواقعة؟! قال المدير في نفسه:

ما لنا وهذا الموضوع؟! ألسنت قد حفيت على السفر يا حكيم؟ الله يخرب بيتك أنت الآخر!

قال الدكتور عبد الوهاب:

-أظن أنه يكفي. ولكن القاضي الشرعي في السعودية لا يحكم إلا على الأجنبي مهما كان مظلوماً!!...

تساءل المدير مع نفسه:

من الذي جاء بأصحاب التجارب الفاشلة هنا؟! قال نايف:

-القاضي يحكم بما تراه الشريعة الإسلامية.

فتساءل النحال منفعلاً:

-أي شريعة تلك التي تترك المعتدي وتحاسب المعتدى عليه؟ وأي شريعة تلك التي تحكم عليّ بالحبس ستة أشهر لأنني قد سببت الكفيل صاحب المستوصف الظالم المفترى؟ وأي شريعة تلك التي تترك الكفيل المفترى المجرم الذي ضربني أمام المرضي وجعل عمال المستوصف أيضا يساعده في إجرامه وإهانتي؟ هل الشتم عقابه ستة أشهر سجن في زنزانة متر في نصف متر في بطن الأرض، والضرب لا عقاب له طالما أنه ابن البلد؟! ولماذا قد شتمته أصلا؟ أليس بسبب ممرضة مصرية استتجدت بي بعد مرادته لها عن نفسها عدة مرات!...

توهج وجه الشيخ نايف القمحي احمرارا. قال في سره:

الأطباء يقبلون يدي في شركات السفر لكي يأخذوا تأشيرة عمل... من° الذي جاء بي إلى هنا؟ أشار نايف بعينه للمدير، فقال المدير:

-يبدو أنك منفعل شوية يا دكتور مجدي. الأفضل أن تستريح في الخارج حتى تهدأ أعصابك.

ثم أشار إلى الدكتور سامي حلیم ليأخذ النحال إلى خارج الحجرة.

نظر الدكتور حكيم لسامي وهو يأخذ مجدي النحال إلى الخارج وقال في نفسه ساخرا:

يبدو أن سامي حلیم يعمل هنا بمكتب المدير كطبيب جلدية بدرجة "مُلك يمين"!!...!

جف ريق نايف فلم يعلق إلا بعد قالت سعدية:

-الشيخ نايف ومجموعته الطبية المتميزة غير ذاك الكفيل الذي يتحدث عنه الدكتور مجدي.

قام عم محمود بتوزيع زجاجات الكوكاكولا المثلجة على الحاضرين.

ارتشف نايف رشفة؛ فبردت أعصابه نسبيا. قال:

-عندكم في مصر مثل مشهور يقول: "صوابك مش زي بعضها".

فرد عليه الشيمي:

-ولكن المعاملة -بوجه عام- سيئة في المراكز الطبية الخاصة في السعودية بالذات. حتى نحن

المصريين وغيرنا من البلاد العربية، يُقال علينا عندكم يا شيخ نايف- "أجنبي"!!...!

فقال المدير:

-يا شيمي، أنت سافرت في مستوصف خاص أربع سنوات وكنت ناجحا موفقا. فقل خيرا.

وتبسم:

-وشجع زملائك الذين ينتظرون هذه الفرصة وخاصة في هذه الأيام.

ثم قال في نفسه:

لقد سافرت يا شيمي للسعودية أكثر من أربعة سنوات واشتريت عيادة تملك وسيارة حديثة

محترمة بدلا من السيارات 133 التي مازلت أركبها وأنا مدير مستشفى!...

قال نايف:

-أنا أوافقك يا... اسم الدكتور؟

فقال الشيمي:

-الدكتور صلاح الشيمي.

فواصل نايف:

-يا دكتور صلاح، أوافقك في ذكر كلمة "أجنبي" على العربي سيء جدا وبعيد عن الذوق...
قال الدكتور أحمد إسماعيل:
-حين كنتُ في الابتدائية كانت بلدنا ترسل البعثة التعليمية إلى المملكة العربية السعودية
بمرتباتها...
فقال نايف:

-مصر طول عمرها أم الدنيا وهي تعطي بلا حساب...
تبسمت الدكتورة ابتسام عوض الله وهي تقول:
-كانت تعطي. ولكن لما عجزت عن العطاء، تركها العرب الأغنياء!...
ثم تجهم وجهها:

-ومصر هي التي حاربت أربع حروب من أجل القضية الفلسطينية والعرب. والملايين العشرة
التي تبرع بها الملك فهد لمستشفى القصر العيني الجديد لا توفي شيئا مما قدمته مصر للسعودية
ولغيرها.

فقالت سعدية في نفسها:
هي (نقصاك) يا ابتسام.
ورمقت المدير بعينيهما، فقال المدير:
-دعينا من السياسة يا دكتورة ابتسام. ولندع الشيخ نايف يحدثنا عن مستشفياته ومراكزه الطبية.
تبسم الشيخ نايف قائلا:

-عندي والحمد لله، مجموعة الحارثي الطبية، وهي مشهورة ومنتيزة في المملكة. وهي تضم
خمسة مستويات؛ ثلاثة في الطائف، وثلاثة في جدة، وواحد في مكة. وتضم أيضا ثلاث
مستشفيات على أعلى مستوى في المملكة؛ واحدة في جدة، وواحدة في مكة، وواحدة في
الطائف. ولقد أتيت إلى هنا بعدما سمعنا عن المستوى الممتاز لدكاترة مستشفى الحوض
المرصود في الجلدية والتناسلية. وقبل التعرف عليكم، أخبركم ببعض السليبات التي يقع فيها
البعض وخاصة من الأخوة المصريين حتى يتجنبها الذين كتب الله لهم لقمة العيش عندنا. ففي
المستشفيات الخاصة بالذات، يجب أن يرتدي الطبيب -حتى لو كان ممارس عام- الزي الرسمي
وخاصة (الكراقة). ولكن وجدنا كثيرا من الدكاترة المصريين لا يلتزمون بهذا الزي، بل رأيت
بعيني أطباء مصريين يرتدون شبشب أثناء الدوام! فهل هذا يليق بدكتور؟! والبعض يترك ذقنه
عدة أيام حتى يحلقها! بصراحة، البعض كان يهمل الكثير من أصول ذوق الطبيب. وهذا هو
السبب الذي جعلنا نغير الطاقم الطبي كله...
فقالت الدكتورة عليّة:

-أنا أتفق معك يا شيخ نايف في إهمال بعض الأطباء في هندامهم. ولقد كان معنا في
المستوصف الذي عملت به في الرياض بعض الأطباء يرتدون المعطف وهو غير مكوي. ولكن
هل هذا هو السبب في تغيير الطبيب؟ أم عدم إتيان الطبيب بدخل مرتفع من التحاليل والأشعات
والمغذيات والإبر هو سبب تغييره؟!!

فرد عليها نايف:

-نحن لا نتدخل في عمل الطبيب. والمرضى السعوديون بالذات هم الذين يطلبون التحاليل والمغذيات التي لا تتوفر لهم بسهولة في المستشفيات الحكومية. ولكن المريض الأجنبي هو الذي لا يريد أن يدفع أكثر من ثمن الكشف والدواء.
فقال أحمد إسماعيل:

-أنا عملت في الكويت في مستشفى حكومي ولم أعمل في القطاع الخاص. ولقد سمعت من بعض الزملاء الذين يعملون في القطاع الخاص أن أصحاب المستوصفات والمستشفيات في كل دول الخليج يجبرونهم فعلا على زيادة دخل العيادة بأي شكل. ويقولون للأطباء: من أين آتي لك بمرتبك ومرتب الممرضة التي تعمل معك ومرتب المحاسب والمُعَقَّب⁷⁶ وموظف الاستعلامات وعامل النظافة الذي ينظف عيادتك؟
فتحمس الشيمي:

-معروف يا شيخ نايف، أن العيادة التي يدخل لها ولو مريض واحد لا بد أن ينتج عنه دخل كبير للمستوصف. فالمريض يكون قد دفع 50 ريالاً ثمن الكشف، يجب أن يتولد من الخمسين ريالاً 500 ثمن التحاليل والمغذيات وما شابه ذلك! وإذا كشف عشرة مرضى في اليوم فلا بد أن يكون العيادة قد حصلت من كل واحد خمسمائة وخمسين ريالاً مضروبة في عشرة!...
تبسم نايف، ورد:

-يوجد بعض أصحاب المستوصفات من° يجبرون الأطباء على فعل هذا.
ثم أشار إلى أصابعه قائلاً: "وأعيد المثل وأقول: أصابعك مش زي بعضها".
فتساءل حكيم:

-ومن الذي يضمن لنا أنك لن تفعل مثل أصحاب المستوصفات الجشعين...
توهج وجه نايف، ونظر نظرة قاسية في عيني حكيم، ثم نظر إلى المدير الذي قال:
-يا حكيم، نحن لم نجرب الشيخ نايف حتى نحكم عليه حكماً سيئاً.
قالت سعاد:

-من الممكن أن تسأل أي زميل في السعودية عن مجموعة الحارثي الطبية قبل أن تتعاقد. الأمر بسيط يا دكتور حكيم.

دخل الدكتور مجدي النحال بسرعة وصاح:

-أيها الزملاء، كل الكفلاء يبدون طبيبين مهذبين ودودين أثناء التعاقد هنا، ولكن حينما نسافر إلى بلدهم، يظهر الجانب المخفي القميء القبيح من شخصياتهم!... فاحذروا. احذروا منهم. الله يخرّب بيتهم...
وخرج مسرعاً كما دخل...

⁷⁶ الموظف المسئول عن معاملات الجوازات والشئون الصحية، ويكون دائماً سعودياً

بصفته عضو في مكتب الإرشاد، ذهب أحمد الغرباوي إلى اجتماع هام مع المرشد العام للإخوان المسلمين وأعضاء المكتب...

ولقد تنقل الغرباوي -بهمته ونشاطه- في الدعوة من نقيب أسرة إلى عضو بالمكتب الإداري لشعبة شبرا، ثم إلى رئيس مكتب شعبة شبرا، ثم ترقى إلى عضو بالمكتب الإداري لقطاع شمال القاهرة الذي يتكون من رؤساء المكتب الإداري لشعب شبرا والساحل وروض الفرج والشرابية وعزبة بلال والزاوية الحمراء ومدينة النور، ثم ارتقى إلى عضوية المكتب الإداري لمحافظة القاهرة الذي يضم رؤساء قطاعات محافظة القاهرة الكبرى، وأخيرا، ارتقى إلى عضوية مكتب الإرشاد الذي يتكون من اثني عشر عضوا؛ منهم وكيلان للمرشد العام. ويجمع الغرباوي وغيره بين أكثر من مسئولية إدارية في ذات الوقت...

يتكون مكتب الإرشاد من خمس حجرات؛ أوسعهم خاصة للمرشد العام وللاجتماع أعضاء المكتب، والثانية للوكيل الأول، والثالثة للوكيل الثاني، والرابعة لسكرتير المكتب، والخامسة مجهزة لنوم ثلاثة ضيوف سواء من خارج المحافظة أو من خارج البلاد. قال المرشد العام لسكرتير المكتب:

-افتح التلفزيونات الخمسة على (الوش) (لتشوش) على الأبعدين فلا يسمعوننا بوضوح. فقال السكرتير:

-قبل كل اجتماع للمكتب، نبحث عن ميكروفونات التصنت في هذه الحجرة فنجد كل مرة ميكروفونات جديدة منها داخل أجهزة التليفونات، وبداخل أجهزة التكييف، وبداخل مروحة السقف، حتى مقبس الكهرباء وجدنا فيه ميكروفونات التصنت!...

تبسم الوكيل الأول وهو يقول:

-الحمد لله أنهم لا يضعون هذه الميكروفونات في دورة المياه! ثم أردف ضاحكا:

-وإلا سمعوا سيمفونيات رائعة!

فضحك أعضاء المكتب...

قال أحد الأعضاء ضاحكا:

-وهذه السيمفونيات ليست سيمفونيات بيتهوفن، إنما هي سيمفونيات بيت الراحة!

فضج المكتب عاصفة من الضحك...

قال الوكيل الثاني وهو يضحك:

-سيمفونيات بيتهوفن، أو بيت الراحة، فكلها سيمفونيات (بيت)...

بدأ بعضهم يحتسون الشاي، وآخرون يحتسون القهوة، وقلة -منهم المرشد- يحتسون الينسون. ندت من وجه المرشد أمارات الجد والوقار وهو يتأمل وجوه أعضاء المكتب ويقول:

-أيها الإخوان، سنتحدث في لقاء اليوم عن ثلاثة محاور: (1) المحاكم العسكرية (2) شرعية النظام (3) خطة العمل لمواجهة صلف النظام وبطشه وحذائه الثقيل. وبمرارة:

-بعدما برأنا القضاء العادل من اتهامات النظام الملفقة، لم يجد رئيس الجمهورية بصفته الحاكم العسكري العام إلا تلفيق قضايا لبعض إخواننا، وتحويلهم إلى المحكمة العسكرية!...

فقال الوكيل الأول:

-لقد أصيب النظام بالسعار بعدما ثبتت أقدام الإخوان في انتخابات اتحاد الطلبة والنقابات المهنية ومجلس الشعب...

وقال الوكيل الثاني:

-هم أضحوا يُصابوا بالسعار والارتكاري وكل الأسقام البيطرية والبشرية بمجرد أن نرفع لافتة "الإسلام هو الحل"...

وقال عضو1:

-الأخوة الذين يُحاكمون الآن بالمحاكم العسكرية هم من أنشط الإخوان، وبعضهم كانوا أعضاء في مجلس الشعب في الدورات السابقة.

فقال أحمد الغرباوي:

-النظام يركز على هذه العناصر النشطة حتى لا يُرشحوا لانتخابات مجلس الشعب في نوفمبر المقبل.

ثم مط شفتيه ضيقا:

-ومن المؤكد -للأسف- أنهم لن يُرشحوا بعد ذلك بحجة أنهم قد عُوقبوا بأحكام المحكمة العسكرية.

فتساءل عضو2:

-كيف يُحاكم المدنيون أمام المحاكم العسكرية المختصة بالعسكريين؟! وثانية:

-أليس هذا مخالفا للدستور؟! فرد عليه أحمد الغرباوي:

-المادة 68 من الدستور تقضي بأن يُحاكم المواطن أمام قاضيه الطبيعي، يعني المدني أمام القاضي المدني، والعسكري المتهم بتهمة عسكرية يحاكم أمام القاضي العسكري...

امتعض المرشد:

-دستور 1971 المعمول به الآن يجعل كل السلطات في يد الرئيس. بل يجعله ديكتاتورا بامتياز!...

فتساءل الوكيل الثاني:

-وهل يوجد أي احترام لهذا الدستور الجائر من نظام فقد شرعيته بعد مقتل السادات؟ قال عضو3 بثقة:

-السادات استحق الشرعية بعد انتصاره في حرب أكتوبر 1973، ولكنه فقد الشرعية بعد زيارته لإسرائيل.
فاعترض عضو4:
-ولكن السادات نجح بالسلام وحرر سيناء...
ثم تساءل مندهشا:
-فكيف تسقط منه الشرعية بعد زيارته لإسرائيل؟!
فرد المرشد:
-نحن قد عارضنا السادات في معاهدة السلام، لأن إسرائيل لا تعرف إلا لغة القوة، ولا تحترم أي معاهدة. والدليل ما فعل أجدادهم مع الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- من نقض للعهد.
قال عضو4:
-ولكن السادات كان سابقا لعصره في السلام لأن العرب الآن يستجدون السلام من إسرائيل بلا ثمرة!
وقال عضو5 مؤيدا لرأي عضو4:
-اقتصادنا لم يكن يتحمل خوض أية حرب جديدة بعد حرب أكتوبر 1973، لذلك لم يجد السادات حلا إلا السلام.
فاعترض المرشد:
-يا أخي الفاضل، كان على السادات أن ينتظر حتى يتقدم العدو الصهيوني بنفسه للسلام، وحينئذ كان السادات سيفرض شروطه على العدو.
وأضاف:
-أو على الأقل كان على السادات أن ينتظر اقتناع كل الدول العربية بجذوى السلام بدلا من قدومه على السلام بمفرده وهذا ما تريده إسرائيل.
فقال عضو4:
-ولكن السادات نجح في تحرير سيناء كاملة، وهذا يكفيه.
تبسم المرشد ضاحكا وهو يرد على العضو4:
-يبدو أن الأخ بدوي أضحى عضوا بالحزب الحاكم الوطني ولا ندري!
توهج وجه بدوي ولم يعلق.
قال عضو6 بامتنعاض:
-كان السادات مخطئا في موافقته على شرط معاهدة السلام المجحف في خلو سيناء من الجيش والسلاح.
فرد بدوي عليه معترضا:
-ليست كل سيناء خالية من الجيش والسلاح، ولكن المنطقة ج فقط وهي المنطقة الملاصقة لحدودنا مع دولة الاحتلال الإسرائيلي.
ثم واصل متحمسا:

-ولقد كانت المباحثات في كامب ديفيد بين السادات وبيجين تتعثر كثيرا، وكادت أن تتوقف عدة مرات بسبب التعنت الإسرائيلي...
ثم استكمل ساخرا:
-لقد كانت أول القصيدة كفرا في مفاوضات السلام!
ضحك أكثر من عضو، وسأله:
-ماذا تقصد؟
ابتسم بدوي ابتسامة عريضة وأجاب:
-كان الوفد الإسرائيلي يتعنت في مسمى السلام: هل هو "اتفاق سلام" أم "معاهدة سلام"؟! فتساءل الوكيل الثاني:
-وهل يوجد فرق بينهما؟
فأجابه بدوي:
-كان الوفد الصهيوني يرى أن اتفاق سلام هو عبارة عن هدنة بين دولتين متحاربتين لإنهاء حالة الحرب، بينما معاهدة سلام هي الصلح وإنهاء النزاع وحلول السلام.
ثم ساخرا:
-وليت التعنت وقف عند ذلك!
وسكت ليسمع من يشجعه على أن يكمل.
فقال المرشد:
-أخبرنا يا أخ بدوي عن بقية التعنت الصهيوني.
فقال بدوي بحماس وبتشويق:
-كادت المادة السادسة في معاهدة السلام أن توقف المفاوضات نهائيا!...
فقال الوكيل الأول:
-ذكرنا بهذه المادة يا أخ بدوي.
-عُرفت هذه المادة بعنوان "أولوية الالتزامات"، ومعناها: أن الالتزامات الناشئة عن معاهدة السلام سوف تسود على التعهدات والتحفظات الدولية السابقة التي تتعارض معها.
فقال المرشد بسرعة بديهته:
-يعني تسود على ميثاق جامعة الدول العربية الذي ينص على الدفاع المشترك بين الدول العربية!...
فوضح بدوي:
-يعني -فضيلتكم- أن السادات كان مخيرا بين العرب وإسرائيل!...
ثم هز رأسه أفقيا، وقال:
-وطبعاً، رفض الوفد المصري هذه المادة.
فقال الوكيل الأول وهو يشير بيديه ويهز كتفيه:
-لو وافق لخرجت مصر نهائيا من عروبيتها!

قال العضو 5:

-لولا كارتر لتوقفت المفاوضات بسبب هذه المادة وغيرها. فالسادات أكمل تحرير سيناء - بمعاهدة السلام- بصعوبة ومشقة بالغتين، فلذلك لا نندهش أن يوافق على خلو منطقة ج من السلاح ماعدا قوة أمن مركزي قوامها 3500 جنديا وأسلحة خفيفة. فتساءل المرشد:

-وماذا فعل كارتر لحل معضلة المادة السادسة؟

-قام بزيارات عديدة بين عدة عواصم منها القاهرة، وأسفر جهده عن وضع تفسيراً لهذه المادة في نصوص المعاهدة، وهذا التفسير ينص على أن نصوص معاهدة السلام لا تحتوي على أي مادة تشير إلى أنها تسود على أي اتفاقات أو معاهدات أخرى... وقد أدرج هذا التفسير في ملاحق المعاهدة.

سأل أحمد الغرباوي المرشد بدهاء:

-فضيلة المرشد، لو تولينا الحكم الآن هل سنلغي معاهدة السلام؟

صمت المرشد برهة يفكر في إجابة السؤال ثم أجاب:

-يا أخ أحمد، أظن أننا سنحترمها طالما أن العدو يحترمها.

ثم أردف قائلاً:

-لأن أوضاع البلد لا تحتل حرباً جديدة.

انفجرت أسارير بدوي وقال:

-وهذا هو ردي لو سئلت هذا السؤال.

فقال المرشد:

-يا إخوة، نعود إلى شرعية النظام. فالسادات يستحق الشرعية بتحريره لسيناء بالحرب والسلام، ولكن النظام الآن يفتقد الشرعية. والاستفتاء على تجديد فترة الرئاسة للرئيس لا تعطي شرعية بدء من استفتاء عام 1956 لناصر وحتى آخر الاستفتاءات لتجديد فترة رئاسية جديدة لمبارك. وأنا أذكر أن السادات قد كان غير مرغوب فيه، وغير مقنع للشعب بعد رحيل عبد الناصر بكاريزميته الرهيبة، ولكنه استحق الشرعية بانتصاره في حرب أكتوبر المجيدة. ولست مع الأخ فوزي الذي قال إن السادات فقد شرعيته بزيارته لإسرائيل بالرغم من معارضتنا وقتئذ لمعاهدة السلام. فالسادات -عليه رحمة الله- يستحق الشرعية -كما قلت لكم- بتحريره لسيناء بالحرب والسلام. أما النظام الحالي فقد فقد شرعيته بعد مقتل السادات، فلذلك لا نستغرب ولا نندهش حين نجدهم لا يحترمون الدستور، ويحاكمون المدنيين أمام المحاكم العسكرية، فهذا هو دأب النظام منذ انقلابهم في يوليو 1952! ألم نُحاكم أمام محكمة الدجوي العسكرية في الستينات؟ وألم نُحاكم أمام محكمة الثورة العسكرية في الخمسينات؟ ألم يطلب قاضي محكمة الثورة من أحد إخواننا أن يقرأ سورة الفاتحة بالمقلوب؟!

ثم تساءل بمرارة:

-فما الجديد في المحاكم العسكرية الأخيرة؟

فقال الوكيل الأول وهو من الحرس القديم:
-فيما مضى أرادوا أن ينطفئ نور الدعوة بمحاكمات الثورة العسكرية، ويأبى الله إلا أن يتم نور
دعوته.

ثم أضاف متسائلاً:

-ألم يدخل جيل الغرباوي أفواجا في الصف بعد خروجنا من المعتقلات في أوائل السبعينات؟
وقال عضو7 وهو من الحرس القديم أيضا:
-لقد التحق هذا الجيل بالدعوة بعدما قرءوا عن التعذيب الذي يشيب له الولدان في الخمسينات
والستينات...

فقال المرشد وقد انفرجت أساريره وشعت السعادة من محياه:
-أيها الأخوة، إن دعوة الإخوان المسلمين هي دعوة الإسلام. فهي كالشمس والهواء والماء...
فهل يستطيع أحد أن يمنع الشمس من الإشراق؟ وهل يستطيع أحد أن يمنع الهواء؟ وهل يستطيع
أحد أن يوقف تيار الماء؟

ثم بصوت متهدج:

-فلا المحاكم العسكرية ولا المعتقلات ولا التعذيب، يصدوننا عن دعوة الله وسبيله. فلو كانت لنا
ألف نفس، وأزهقها الطواغيت نفسا نفسا؛ فما تذبذبنا ولا ترحزحنا عن طريق الله ودعوته قيد
أنملة...

هتف أعضاء المكتب بصوت واحد:

-الله أكبر والله الحمد... الله أكبر والله الحمد...

ثم بكوا...

قال الوكيل الثاني ببكاء:

-والله يا إخوة، لو كُشف عنا الحجاب ما ازددنا يقينا في هذا الطريق...

فهتف الحاضرون وهم يبيكون:

-الله أكبر والله الحمد... الله أكبر والله الحمد... الله أكبر والله الحمد...

بعدما هدأت نفوسهم، تساءل عضو2:

-لماذا لم ننسق مع النظام في الانتخابات المقبلة ونتجنب المحاكم العسكرية؟

فرد عليه الوكيل الثاني:

-لقد فوجئنا بهذه المحاكم. والنظام لا يريد منا إلا عدم خوض الانتخابات المقبلة.

وقال عضو8:

-لقد سحبنا البساط من تحت أرجل النظام، فلذلك فقدوا توازنهم ورشدهم...

-لو كانت انتخابات 1987 نزيهة لفاز تحالفنا مع حزب العمل والأحرار باكتساح.

وقال الغرباوي:

-فعلا، كل الناس كانت تختار رمز النجمة في تلك الانتخابات.

-لقد فاز التحالف بمائة وخمسة مقعدا، منهم ستة وثلاثين مقعدا لنا.

-حتى حزب الوفد فاز بثلاثين مقعدا.
-انظروا إلى حزب الوفد الآن وكيف أضعفه النظام؟ وكذلك فعلوا مع كل الأحزاب. وحزب العمل في طريقه للحل!...
تبسم عضو5 ساخرا وهو يقول:
-لو دخل الوفد الآن لَمَا فاز بأي مقعد!
فقال المرشد:
-من هذه المحاكم العسكرية، نتنبأ أن النظام لا يريد أي مقعد معارض في الانتخابات المقبلة.
فالنزاهة القليلة جدا في انتخابات 1987 لن يسمح بها النظام مرة أخرى.
فقال الغرباوي:
-لقد فجر النظام صراعات داخلية داخل أحزاب المعارضة حتى يأكل بعضها بعضا!
وقال الوكيل الثاني:
-"فرق تسد"، سياسة قدرة، يطبقها النظام مع المعارضين كما طبقتها انجلترا حينما كانت تحتل بلندا.
فتنهذ المرشد:
-لقد طبق النظام هذه السياسة مع أحزاب المعارضة القوية فنجح، فلم يبقَ أمامه إلا جبهة الإخوان الصلبة الأبية على الانقسام، فتفتق ذهنهم العاجز عن محاكمة إخواننا أمام المحاكم العسكرية، حتى يشتت جهدنا ويشغلنا بها عن الانتخابات...
وبضيق شديد:
-يا إخوان، المشكلة جديدة قديمة، فآفة النظام عندنا هي هي ما كانت عند النظام الملكي قبل الثورة، ألا وهي تجميع كل السلطات في يد الملك أو في يد الرئيس!
قال الوكيل الأول:
-والديمقراطية التي يتشددون بها ما هي إلا ديكور لتلميع النظام في الخارج!
-ولكن الصحافة حرة الآن عما مضى.
-أركان النظام لا يلتفتون إلا كتابات المعارضة.
-هم يطبقون -مع المعارضة والمخلصين من أبناء هذه الأمة- المثل القائل "أذن من طين وأذن من عجين"!
-النظام لا يرى ولا يستمع إلا إلى سدنته وموقدي الشموع والبخور!
فهتف المرشد بغيط:
-نظام مبارك فاشل وديكتاتوري ولا يستحق أي شرعية.
قال بدوي متحمسا:
-أنا أختلف معكم في عدم شرعية نظام مبارك. فمبارك يستحق الشرعية بأول عمل نبيل قام به بمجرد توليه الحكم عندما أفرج عن المعتقلين السياسيين، ويستحق الشرعية عندما جنب مصر حربا جديدة حين قامت إسرائيل بغزو بيروت في يونيو 1982 وبعد شهرين من تحرير سيناء

في أبريل من ذات السنة ولم يكن مبارك قد حكم إلا عدة أشهر، ويستحق الشرعية بإعادة بناء جسر العلاقات مع الدول العربية التي قاطعت مصر بعد معاهدة السلام في ظل حكم السادات وكانت هذه الدول قد اشترطت إلغاء معاهدة السلام مع إسرائيل حتى نعود علاقتها بنا، ولكن مبارك بحكمته أبقى على معاهدة السلام وأعاد العلاقات مع الدول العربية المقاطعة لمصر، وكانت الدول العربية كلها قد قطعت علاقاتها معنا إلا السودان أيام النميري وسلطنة عمان والمملكة الأردنية الهاشمية، ولم تقطع العلاقات فقط، بل نقلت مقر جامعة الدول العربية إلى تونس، وأعاد مبارك مقر الجامعة العربية إلى القاهرة مرة أخرى؛ ويستحق الشرعية بإعادة طابا إلينا بالمفاوضات المضنية والمرهقة للخارجية المصرية في عام 1988، حتى عادت إلينا في مارس 1989؛ ويستحق الشرعية في وقوفه والجيش المصري العظيم مع العراق وضد أطماع إيران في العراق والدول العربية، ويستحق الشرعية في وقوفه ضد غزو صدام حسين لدولة الكويت في أغسطس عام 1990، ووقوفه وجيش مصر مع الحق حتى عادت الكويت حرة... أليس مبارك هو الذي بنا المدن الجديدة كالسادس من أكتوبر والعبور وغيرهما؟ أليس مبارك هو الذي أدخل الغاز الطبيعي إلى المدن؟ أليس هو أول حاكم عربي يدخل مترو الأنفاق في باطن الأرض؟ أليس هو الذي بنا البنية الأساسية من -طرق وتليفونات وكهرباء والصرف الصحي- لمصرنا الحبيبة لكي يزدهر اقتصاد البلد؟

ثم تساءل بصوت قوي:

-أليست خدمة التليفونات -على سبيل المثال- كانت تصل إلينا بعد خمسة عشر عاما وأكثر من التقديم لها، والآن تأتي الخدمة بعد أيام قلائل؟ ما لنا يا قوم لا ننظر إلا إلى الجزء الفارغ من الكوب؟!

ضرب المرشد كفا بكف وهو يقول بوجهه المهيب ونظراته القوية:

-ولماذا لا نتحدث عن الخصخصة الجارية الآن وبيع القطاع العام وما يشوبه من عدم شفافية وسرقات لقوت الشعب وانجازاته؟ ولماذا لا نتحدث عن انهيار البلد سياسيا واقتصاديا وإضعافها المتعمد على مستوى السياسة العربية والدولية؟ لماذا لا نتحدث عن الفساد المتراكم منذ عقود؟ والديون الرهيبة التي ستكبل الأجيال القادمة فضلا عن الحالية؟ والمحاكمات العسكرية لإخوانك والتي نحن بصدها الآن؟ أنت يا أخ بدوي، قد بعثك أمن الدولة بوقا للنظام ولا ندري؟!

كاد أن يعلق الأخ بدوي قائلا: "إن هذا هو الجزء الفارغ من الكوب... والتاريخ ينظر إلى كل الكوب..."، ولكن المرشد لم ينتظر ردا، إنما تصفح أوراقا أمامه وقال بجديّة:

-أيها الأخوة، ونحن في هذه المرحلة الحرجة، علينا عدة واجبات في خطة العمل لمواجهة صلف النظام وبطشه ومحاكمه العسكرية لإخواننا، لا بد أن نطبقها حتى تمر الرياح العاتية بسلام:

1- فضح نظام الحكم في وسائل الإعلام عندنا بقدر الإمكان، والتنسيق مع أخوة التنظيم العالمي للقيام بهذا الدور في الخارج.

2- إصدار بيانات الشجب والإدانة للمحاكم العسكرية من كل النقابات التي تحت أيدينا.

- 3- الاتصال بالفضائيات والتنسيق معها لبث برامج تعري النظام وظلمه وصلفه وجبروته على شعبه.
- 4- التنسيق مع الدعاة الذين لهم جماهير كبيرة وشرح قضيتنا لهم لتوعية الشعب بما يجري لإخواننا، وبما يجري لأي معارض، طالما أن المحاكم العسكرية قد أطلت بوجهها الكالح القبيح.
- 5- نشر منشوراتنا في صحف المعارضة الكبرى، وترجمتها ونشرها في الجرائد والمجلات العالمية.
- 6- لصق لافتات في الشوارع الكبرى بكل المدن ومكتوب عليها "لا للمحاكم العسكرية" مع رسم كاريكاتيري معبر.
- 7- توزيع منشوراتنا في كل الجامعات في ذات الوقت.
- 8- توزيع منشوراتنا في كل وسائل النقل لتتوزع على كل أنحاء البلد، ونعطي للقطارات أهمية خاصة في التوزيع.
- 8- إشعال المظاهرات في كل الجامعات في توقيت واحد.
- 9- ستبدأ أول مظاهرة بعد صلاة الجمعة القادم داخل صحن مسجد الأزهر الشريف إن شاء الله، والجمعة التالية تخرج المظاهرة من مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية وتتجه إلى وسط البلد جهة الجامعة حتى تصل إلى محطة القطار بسيدي جابر.
- 10- إشعال المظاهرات في كل المحافظات في ذات الوقت بعد صلاة الجمعة التالية لمظاهرة الإسكندرية...

نادى الدكتور أحمد إسماعيل على الدكتور مؤمن عبد العال ليحكي تجربته في السعودية
للدكتور حكيم نخلة الذي أوشك على السفر...
فجلس مؤمن ضاحكا وهو يقول: "يجعل صباحك صباح الخير يا أسطى عطية"...
فقال الدكتور أحمد إسماعيل: "الدكتور حكيم على وشك السفر فاحك كل السلبات التي واجهتك
وسبب عودتك المفاجأة بدون أن تكمل العقد".
فرد الدكتور مؤمن مبتسما:
-يبدو أن الدكتور حكيم ناوي فعلا على عدم السفر!
قال أحمد:
-حكيم نفص عنه التردد وهو ناوي على السفر فعلا. ولكنه ينقصه المعرفة الجيدة بتجربتك لأننا
سمعناها من أكثر من طبيب ولكنا لم نسمعها على حقيقتها منك.
فرد مؤمن:
-في سفري للسعودية الذي لم يستمر أكثر من عدة شهور، لي تجربتان؛ الأولى في المستوصف
الخاص الذي تعاقدت مع صاحبه هنا، والثانية في مستشفى حكومي بالرياض بعدما أجبرني
صاحب المستوصف على نقل الكفالة بعد أربعة أشهر من العمل!
تحمس حكيم وقال: "شوقتنا إلى تجربتك".
وقال أحمد: "ولكننا لم نسمع عن عملك في المستوصف الخاص".
فقال مؤمن: "أنا لم أتحدث إلا ما حدث معي في المستشفى الحكومي والذي أنهى عقدي فيها
فجأة!"
تشوق حكيم فقال: "شوقتنا أكثر".
حضر الدكتور صلاح الشيمي والدكتور عماد الدسوقي معا في سيارة صلاح البولونيز، فهتف
مؤمن: "الحزب الشجري أوشك على الاكتمال".
قال أحمد إسماعيل: "يتبقى الدكتور عبد الوهاب محمود والدكتور وكالة أنباء النميمة".
فضحكوا...
قال الدكتور صلاح الشيمي ضاحكا هازلا: "نحن على وشك أن نؤسس حزب الحُضر في
المستشفى".
فتبسموا...
قال الدكتور حكيم مبتسما: "ويكون الدكتور أحمد إسماعيل رئيسه".
وقال الدكتور أحمد: "والدكتور حكيم سكرتيه".
فقال الشيمي والدسوقي ضاحكين: "ونحن الأعضاء".
حضر الدكتور عبد الوهاب محمود. وبعد بقليل، وصل الدكتور مجدي النحال، فقال الدكتور
عماد الدسوقي صاحبا:

-الحزب الشجري قد اكتمل حضور أعضائه.
فتساءل عبد الوهاب محمود:
-غريبة؟! أول مرة أرى الدكتور مؤمن قد حضر مبكرا! إيه الحكاية؟
ثم تساءل ضاحكا:
-الدكتور مؤمن انضم أخيرا للحزب الشجري؟
فرد أحمد إسماعيل:
-سنضمه عما قريب.
فقال مؤمن ضاحكا:
-أشركوني في حزب الخضر الذي ستؤسسونه...
فرد الشيمي مبتسما:
-لابد أن تكون عضوا في حزبنا الشجري حتى تنضم لعضوية حزب الخضر.
فاعترض مؤمن:
-ولكن اجتماع حزبكم الشجري عادة يكون مبكرا ونادرا ما آتي مبكرا.
ومتبسما:
-أنا لم أحضر في هذه الساعة المبكرة منذ أكثر من سنة.
فقال حكيم بحزم:
-دعونا يا قوم من هذه السفستائية. وحدثنا يا مؤمن، عن تجربتك في السعودية.
فتبسم أكثر من طبيب لأن تجربته مريرة ولا تشجع على السفر إلى السعودية بالذات...
هتف عبد الوهاب محمود بقوة:
-أنت يا حكيم، ناوي على عدم السفر.
وتساءل الشيمي باستغراب:
-الشيخ نايف قد اختارك، فلم التردد؟
قال أحمد إسماعيل:
-حكيم على وشك السفر فعلا، ولكنه يريد أن يعرف تجربة الدكتور مؤمن لأنه لم يسمعها منه من قبل.
أشاروا إلى مؤمن ليتكلم، فقال:
-بعد ثلاثة أشهر من عملي بالمستوصف الخاص بالرياض، غَيَّر الكفيل العقد كما حدث للدكتور عبد الوهاب.
فتساءل مجدي النحال وعبد الوهاب والشيمي معا باندھاش:
-أنت عملت في مستوصف خاص ولا في مستشفى حكومي؟!
-أنا تعاقدت هنا مع مستوصف خاص بالرياض، ولكنني نقلت الكفالة واشتغلت في مستشفى حكومي.
قال النحال ممتعضا:

-المستوصفات الخاصة لعنة.
فقال حكيم:
-أكمل يا مؤمن.
فاسترسل مؤمن ضاحكا:
-نفسى ألا أكمل حتى تسافر يا حكيم.
فقال أحمد إسماعيل بامتعاض:
-تحدث يا مؤمن. تحدث.
فواصل مؤمن:
-بعد ثلاثة أشهر، غيّر الكفيل العقد وأجبرني على التوقيع على عقد جديد براتب أقل!
ثم ضرب كفيه ببعضهما، وقال:
-وضاعت كل الميزات في العقد الأول!
فقال عبد الوهاب زاما شفتيه ضيقا:
-الشيء نفسه حدث معي.
تساءل حكيم غاضبا:
-ولماذا لم تعترض؟
-اعترضت، فخيرني بين العقد الجديد والعودة إلى بلدي أجر أذيال الخيبة! وأخبرني أن الثلاثة أشهر الأولى فترة تجربة للطبيب، يحق بعدها لصاحب المستوصف أن يفسخ عقد الطبيب طالما أن الطبيب غير كفء.
تبسم عبد الوهاب ساخرا:
-السيناريو نفسه حدث معي.
قال صلاح الشيمي:
-سبب هذه المشاكل أن البدو كانوا يملكون هذه المستوصفات، ولكن الآن وزارة الصحة السعودية لا تعطي ترخيصا لمنشأة طبية إلا لطبيب سعودي.
فقال مجدي النحال:
-ولكن تقريبا كل المستوصفات في دول الخليج يملكونها هؤلاء البدو.
وساخرا:
-المتخلفون!
وأضاف:
-حتى حينما ينادوننا يتلفظون بأسمائنا بدون لقب الطبيب!
فتبسم عبد الوهاب، وقال:
-هم عادة في بلادهم لا ينادون بعضهم بعضا بألقاب.
تبسم مؤمن:

-هم يتعمدون أن ينادوننا بدون ألقاب. ولقد كان الكفيل ينادي علىّ "يا مؤمن" بأعلى صوته في صالة المستوصف الفسيحة وفي وسط المرضى، وكان يمكن أن يناديني بصوت أقل انخفاضاً، ولكنه يعتمد ذلك بالذات أمام المرضى...
قال أحمد: "يا سيدي، أنت "طبيب" سواء نادى عليك بلقبك أم لا".
تساءل حكيم:

-ولكن لماذا هؤلاء البدو هم الذين يملكون هذه المستوصفات؟
فرد عماد الدسوقي:
-أنا لم أسافر من قبل، وأظن أن هؤلاء البدو هم الذين يملكون المال. أما الأطباء السعوديون فموظفون، فمن أين لهم أن يملكوا مستوصفات؟
قال صلاح الشيمي:

-عندك حق يا عماد، فالبدو هم الذين يملكون المال من أيام الطفرة حينما ارتفع سعر البترول بعد حرب أكتوبر 73 المجيدة. وعلى العموم، ليست كل المستوصفات التي يملكها البدو رديئة، فالمستوصف الذي عملت به بالرياض كان يملكه أحد البدو، وكان جيداً ولم أجد فيه المشاكل التي أسمع عنها كثيراً.
تبسم أحمد إسماعيل:
-بشارك الله بالخير يا دكتور صلاح.
قال حكيم بقلق:

-ولكن نايف الحارثي يبدو عليه أنه من البدو!
فرمق أحمد إسماعيل الدكتور حكيم بنظرة اندهاش، وتساءل:
-ألم تسأل يا حكيم عن مجموعة الحارثي ووجدتها جيدة؟
أوماً حكيم رأسه مؤكداً وصمت، ثم تذكر فجأة فقال:
-أخبرنا بقية ما حدث لك يا دكتور مؤمن.
فضحك أحمد: "عندك حق يا حكيم، نحن قد نسينا. أكمل يا مؤمن".
تبسم مؤمن:

-بعدما وافقت على العقد الجديد بشهر، لم يعجبه دخل العيادة مع العلم أن العيادة كانت متوقفة قبلي لأكثر من سنة.
فقال صلاح:

-يعني جمهور العيادة قد أفتقد.
-نعم.
-إذن العيادة تحتاج لوقت طويل لكي يعود جمهورها؟
-نعم.
-كان عليه أن يصبر.
-للأسف هو قلق.

فقال عبد الهادي:
-المستوصفات تنتظر الدخول من العيادات الأساسية مثل الأسنان والنساء والولادة والباطنية والأطفال أما باقي التخصصات فهي تكميلية فقط.
تساءل حكيم:
-وماذا تم بعد يا مؤمن؟
-أخبرني أن أبحث عن مكان آخر لنقل الكفالة بالرغم من أن مدة العقد يتبقى منها سنة وثمانية أشهر!
قال أحمد إسماعيل:
-واشتغلت في مستشفى حكومي بالرياض، فماذا حدث فيه ولم تكمل العقد؟
-كان رئيس قسم الباطنية لا يستلطفني بالرغم من مستواي العلمي الجيد. وكنت أعترض على حرص إدارة المستشفى على حضورنا بالمعطف الأبيض ورباطة العنق، وليس عندي مانع في ذلك وهذا واجب على الطبيب، ولكن؟
زفر مؤمن زفرة حارة، وواصل:
-ولكن في الوقت الذي كانت الإدارة تعنف من نسي (الكرافطة) مثلا، كان الأطباء السعوديون يرتدون الجلابية فقط!...
فضحكوا...
قال مجدي النحال ضاحكا:
-كان يجب عليك أن تحضر بالجلابية أيضا!
فضحك عبد الوهاب وهو يقول:
-والجلابية لونها أبيض مثل المعطف!
وهو يكتم الضحك:
-فهني معطف مُحور!
فانفجروا ضاحكين...
نظر الدكتور عبد الوهاب في ساعته، وقال:
-الدكتورة سميرة على وشك غلق دفتر التوقيع.
استأنف الدكتور مؤمن:
-وطبعا أنتم عارفون ما تم بعد ذلك، حيث أنهوا عقدي بلا سبب، وأعطوني شهادة خبرة تنص على ألا يُتعاقد معي في المملكة العربية السعودية ولا في أي دولة من دول التعاون الخليجي!!...!

"يا حرية فينك فينك... أمن الدولة بيني وبينك... يسقط الطغاة... تسقط الديكتاتوريات... إسلامية إسلامية... لا شرقية ولا غربية... تسقط المحاكم العسكرية... الله أكبر الله أكبر... الله أكبر والله الحمد... يسقط الحكم العاشم... حسبنا الله ونعم الوكيل... ليس للإسلام بديل... تسقط المحاكم العسكرية... بلادي بلادي... اسلمي وانعمي... الله أكبر والله الحمد"... بهذه الهتافات، هدرت حناجر الآلاف من الإخوان المسلمين فجأة في ساحة جامع الأزهر بعد فراغ الإمام من صلاة الجمعة مباشرة. ارتجت جدران المسجد من الهتافات وصداها... انضم أغلب المصلين إلى لواء الهاتفين ليفجروا مشاعر الظلم الكامن والمكبوت في دياجير النفوس... دفعت الحماسة المتظاهرين إلى الخروج من المسجد، ولكن أبواب المسجد الرئيسية كانت مغلقة، فحاولوا من أبواب المسجد الجانبية، ولكنها كانت مغلقة أيضاً. فظلوا يهتفون داخل ساحة المسجد: حسبنا الله ونعم الوكيل... حسبنا الله ونعم الوكيل... وكان علي عبد المنعم بصوته العميق الجهوري يقود ترديد الهتافات وبيكي... وبينما هم يهتفون ويصرخون؛ إذا بالأبواب الجانبية تُفتح، ويدخل جحافل من جنود الأمن المركزي بأحذيتهم الثقيلة وبأيديهم العصيان المكهربة ليفضوا المظاهرة ويقبضوا على أعداد كبيرة من المتظاهرين!...

وفي الجمعة التالية، خطب الشيخ أحمد البحيري الشهير، في جامع القائد إبراهيم بمحطة الرمل بالإسكندرية، وتعرض في الخطبة إلى محاكمات الإخوان أمام المحاكم العسكرية، وقال: إن قضية الإخوان الملفقة لا تستدعي أن تُعرض على شيخ غفر، فضلاً أن تُعرض على محاكم عسكرية مختصة بالعسكريين في عصر الديمقراطية كما يزعمون!... وبعد انتهاء الصلاة مباشرة، تفجرت الهتافات فجأة من المسجد وكل ساحات الصلاة الكبيرة المحيطة به، وخرجت المظاهرة بما يقرب من المائة ألف من الإخوان والمصلين من المسجد إلى جامعة الإسكندرية حتى انتهت بجوار محطة القطار بسيدي جابر. وانضم كثير من جموع الشعب المشاهدين إلى المتظاهرين لينفسوا بعضاً من مشاعر الحنق على النظام. وامتدت المظاهرة في الشوارع كحيوان خرافي رهيب يصرخ، فترتج لصوته مدينة الإسكندرية كلها... وكعادة رجال الأمن في فض المظاهرات قاموا باستخدام الغاز المسيل للدموع وضربات الخرطوش والقبض على أكبر عدد من المتظاهرين!...

وفي الجمعة الثالثة، كان صخب المظاهرات يملأ سماء المدن الكبرى بكل المحافظات في الوقت نفسه، وكان علي عبد المنعم يقود المظاهرات كلها في ذات الوقت أيضاً!!!...

وقد كانت -وما زالت- الكاميرات الخفية ترصد حركة المرور وبالتالي المظاهرات بالشوارع الرئيسية بالمدن الكبرى منذ أواخر عصر السادات. ولما وصلت الصور الحية للمظاهرات إلى مديرية أمن القاهرة أسقط قي أيدي الأمن...

تساءل مدير أمن القاهرة:

-كيف يقود الشخص نفسه هذه المظاهرات في نفس الوقت؟! وقال أحد الضباط مستغربا:

-يا فندم، شيء عجيب فعلا، أن يكون فرد من الإخوان قائدا للمظاهرات في كل المحافظات في ذات الوقت.

وقال ضابط2:

-والعجيب أن ملابس هذا الشاب مختلفة من محافظة إلى أخرى.

تأمل مدير الأمن في الشاشات أمامه، فقال مندهشا جدا:

-ولكن هو نفسه بصوته الجمهوري وطوله ووجهه الأبيض في كل الإرسال القادم من كل المحافظات.

هز ضابط3 كتفيه قائلا:

-ربما خدعة من الإخوان.

فسأله مدير الأمن:

-ماذا تقصد؟

-ربما قام الإخوان بعمل مكياج لوجوه قائدي المظاهرات حتى ننخدع.

فتساءل ضابط4 باستغراب:

-وهل عمل الإخوان (مكياجا) للصوت أيضا ؟

فأجابه ضابط3:

-نبرة الصوت متداخلة مع أصوات المتظاهرين فربما ظننا أن مصدر الصوت واحد.

قال ضابط5 بثقة:

-نبرة الصوت واضحة جدا وهي لشخص واحد. وعلى العموم، يمكن أن نتأكد من الصوت في شريط الفيديو الذي تسجل فيه المظاهرات الآن.

بعد فترة من متابعة إرسال الكاميرات، هتف مدير الأمن:

-الحمد لله، فقد فرق رجالنا المتظاهرين الآن، ولكنهم لم يقبضوا على قائد المظاهرات.

رن تليفون المكتب، فرد مدير الأمن:

-يا فندم، إن رجال الأمن يتصدون للمظاهرات الآن. وكما ترى سيادتكم في البث الحي من موقع المتظاهرين، فلقد فرقتهم القنابل المسيلة للدموع والعصي الغليظة المكهربة.

.....-

-يا فندم، لقد خرجت المظاهرات في نفس الوقت لأن الإخوان -كما تعرف سيادتكم- منظمون، ولقد رصد أعواننا المندسون وسط هذه الجماعة المحظورة موعد خروج هذه المظاهرات، ولقد كانت كلمة السر لهذه المظاهرات هي "صقر".

-الإخوان -سيادتكم- موجودون في كل محافظات البلد، فلذلك خرجت المظاهرات في نفس الوقت طبقا لتخطيطهم المشئوم.

-لم نقبض عليهم قبل المظاهرات ظنا من أجهزة الأمن أن التخطيط لهذه المظاهرات إنما كان خداعا من الإخوان لنا، لأنهم يعرفون أن أعين أجهزة الأمن لا تغفل ولا تنام عنهم.

-فعلا يا فندم، هذه أول مرة في تاريخ الإخوان يقومون بمظاهرة في محافظات البلد كلها في نفس التوقيت. ولكننا قد احتطنا لهذا الأمر فلذلك كان رجالنا في وضع الاستعداد 3؛ فاطمئن سيادتكم.

-يا فندم، لم نجهز رجالنا لوضع الاستعداد 5 لأن الإخوان لا يقومون بأعمال شغب أو تخريب، وفي الوقت نفسه، مظاهراتهم الآن لا تزيد عن الصراخ بسبب المحاكم العسكرية.

-انقد وجه مدير الأمن نارا، وتهدج صوته وهو يقول:
-يا فندم، بلغ فخامتة أن الوضع لا يقلق. والآن انظر سيادتكم إلى المظاهرات وقد فضها رجالنا تقريبا.

بعد مضي وقت قصير، رن التليفون، فرد مدير الأمن قائلا:
-فعلا يا فندم، أصوات المظاهرات الصاخبة تهدر من الشوارع الجانبية. اطمئن سيادتكم. ستقوم قواتنا باللازم...

-بالنسبة للمباني الهامة الخاصة بالوزارات، ومجلسي الشعب والشورى، وماسبيرو، وأجهزة الأمن، محصنة تماما. وسنضرب في المليان إذا تعرض لها المتظاهرون.

-لا يا فندم، لا توجد ضرورة لاستدعاء القوات المسلحة. وكما قلت لسيادتكم الإخوان لا تتعدى مظاهراتهم إلا الصراخ.

-لو اندست عناصر شغب سنضربها بيد من حديد...

من مجلس إدارة الأزمات بمقر رئاسة الجمهورية، كان وزير الداخلية هو الذي يتحدث عبر الهاتف مع مدير أمن القاهرة...

وكان رئيس الجمهورية جالسا بهيبته على كرسي الصالون الوثير، وخلفه علم مصر الغالي، وبجواره خريطة لمصرنا الحبيبة مكتوب عليها القطر المصري.

قال وزير الداخلية مخاطبا رئيس الجمهورية:

-كما سمعت -سيادتكم- لا توجد أي خطورة على الوضع الأمني للبلد.

نظر الرئيس إلى البث الحي للأعداد المهولة من المتظاهرين، فقال في نفسه:

لو كان الإخوان يحكمون البلد، لطبقوا حد الحراة على المتظاهرين بهذا الشكل غير المسبوق... ثم قال مخاطبا وزير الداخلية:

-يا عادل، لا نريد تكرارا لأحداث 19 و 20 يناير 77.

وبضيق:

-أوضاع البلد لا تتحمل.

فرد وزير الداخلية:

-يا فندم، البث المباشر للمظاهرات لا يدل على أي تهديد لأمن البلد. قوات الأمن قد فرقته من الشوارع الرئيسية. أما الشوارع الجانبية التي يصدر منها الصخب، فلا توجد فيها كاميرات لتصوير الحدث. ولكن رجالنا سيقبضون عليهم بمجرد أن يتجمع أكبر عدد منهم.

سأل مدير الأمن القومي وزير الداخلية بغلظة:

-ولماذا لم تقبض عليهم بمجرد تفجر المظاهرات؟

-كيف نقبض على هذه الآلاف؟!

ثم تساءل:

-ومن أين نأتي بالسيارات التي تكفي لهذه الأعداد المهولة؟

فقال مدير الأمن القومي:

-لو قبضت على جزء -ولو بسيط من المتظاهرين- لخاف الباقون، وفروا هاربين.

-الإخوان لا يفرون هاربين كما تظن.

وأضاف:

-عندنا في كمبيوتر الوزارة ملفات لكل الإخوان في مصر، ونستطيع أن نقبض عليهم دفعة واحدة.

فتساءل رئيس الجمهورية:

-كم تقريبا عدد الإخوان في مصر؟ وهل هي أعداد مهولة كما تقول تقارير CIA؟

فأجابه مدير الأمن القومي:

-إن CIA تقول: إن عدد الإخوان في مصر يفوق أربعة ملايين.

فقال وزير الداخلية:

-لا، يا فندم. ليست أعدادهم مهولة، هم لا يزيدون عن نصف مليون.

فرغ رئيس الحرس الجمهوري فاه وتساءل:
-وهل نصف مليون عدد قليل يا سيادة الوزير؟
ثم تساءل مدير الأمن القومي:
-كيف تترك الإخوان يتزايدون بهذا الشكل؟ أين خطط الوزارة لإجهاض وشل نموهم وحركتهم وفاعليتهم أولاً بأول؟
رد رئيس الجمهورية:
-الوزير عادل لا يألو جهداً في القبض على الإخوان وشل فاعليتهم، وكذلك فعل وزراء الداخلية السابقين. ولكن القضاء المصري كان يبرئهم من قضايا وزارة الداخلية، لذلك أصدرت أمراً عسكرياً بتحويل العناصر النشطة من الإخوان إلى المحاكم العسكرية. ومن اليقين أن القضاء العسكري لن يبرأ أحداً منهم أبداً.
ثم واصل:
-وهذا بداية الطريق الحقيقي لقص ريش الإخوان، وقطع أرجلهم، وتعليمهم الأدب...
فسأل كبير الياوران وزير الداخلية:
-ولو افترضنا أن الداخلية قبضت على كل الإخوان فهل تتوفر عندنا سجون لنصف مليون فرد؟
تبسم رئيس الجمهورية، فتبسم المجتمعون لتبسمه!
تساءل الرئيس:
-أأنت مجنون يا بشارة؟ هل ستقبض الداخلية على نصف مليون مواطن؟!
فقال رئيس الوزراء وهو يضحك:
-إطعامهم فقط داخل السجون سيخرب بيت ميزانية البلد...
قال وزير الداخلية وهو يشير إلى الشاشة الكبيرة أمامه:
-قواتنا تقبض على الكثير من المتظاهرين الآن.
ثم واصل وهو ينظر إلى البث الحي:
-سياراتنا تجوب الشوارع الرئيسية حاملة المقبوض عليهم لإرهاب الباقين.
فقال الرئيس بقوة:
-اقبضوا على الشخص الغامض المتزعم للمظاهرات.
فرد وزير الداخلية:
-بمجرد القبض عليه سنعرف في التو حقيقته يا فندم.
قال رئيس الحرس الجمهوري ممتعضاً:
-يجب ضرب الإخوان ضربة شديدة حتى لا يعودوا إلى هذه المظاهرات غير المسيوقة.
فتساءل كبير الياوران:
-الإخوان قلبوا الدنيا بسبب تقديم بعض قياداتهم للمحاكم العسكرية، فماذا يكون الأمر عندما نضربهم ضربة أشد؟!
ثم أضاف:

-أنا أرى أن نتفاهم معهم أفضل.
ثم قال لنفسه:
أفضل لصالح البلد...
فقال وزير الداخلية بضيق:
-يا أستاذ بشارة، هم تظاهروا فقط. والدنيا لم تُقلب. وكل الإخوان تحت قبضتنا.
ثم قال في سره: كفى فلسفة فارغة!
غضب الرئيس: "المظاهرات عمت البلد كلها يا عادل. ولو اشتراك فيها بقية فئات البلد من الشيوعيين وأحزاب المعارضة والموتورين من أفراد الشعب لفلت الأمر -لا قدر الله- من أيدينا".
قال وزير الدفاع بثقة: "يا سيادة الرئيس، الداخلية حتى الآن ناجحة في احتواء الموقف والحمد لله. ومهما حدث فأبنائك أفراد القوات المسلحة على أهبة الاستعداد لأي نازلة".
تبسم رئيس الجمهورية وانشرح صدره لما قاله وزير الدفاع.
قال رئيس الحرس الجمهوري بقوة: "أنا لازلت عند رأيي في ضرب الإخوان ضربة شديدة موجعة حتى لا يتكرر ما فعلوه اليوم".
فسأل رئيس الوزراء رئيس الحرس الجمهوري: "يا سيادة اللواء، أخبرنا عن ماهية هذه الضربة الموجعة للإخوان؟"
اتقدت عينا رئيس الحرس الجمهوري: "أرى أن نجز الرأس الكبيرة للإخوان؛ فيفقدوا توازنهم، ثم نتبع ذلك بجز كل رأس كبيرة لهم حتى لا تقم لهم قائمة بعد ذلك!"
بسرعة البرق، عبرت الدهشة من رأس إلى رأس حتى وصلت إلى رأس كبير الياوران الذي تساءل باندعاش شديد: "ما هذا التفكير الدموي يا سعادة اللواء؟!"
فهتف اللواء بقوة: "اقتلوا المرشد ولو بمحاكمة عسكرية أو بدون محاكمة!"
ثم بحماس شديد:
-ليكون ذلك كارت إرهاب لكل الإخوان ولكل من يفكر أن يلتحق بالإخوان!...
أحدث رأي اللواء رد فعل من رأس إلى أخرى؛ ما بين موافق، ومعترض، وصامت لا يبدي رأيا أو ربما لا يعنيه مثل هذا الأمر!...
أما الرئيس فقد تعجب من ركافة عقل رئيس الحرس الجمهوري، وزم شفثيه غضبا، وقال في نفسه:
هذا هو تفكير رئيس سلاح الحرس الجمهوري!
قرأ رئيس الوزراء الغضب في وجه الرئيس، فقال:
-البلد لا تحتل مثل هذه الدماء.
فقال وزير الداخلية:
-أنا أداة تنفيذ. وأتمنى أن نتخلص من الإخوان نهائيا، ونرتاح من صداهم المزمّن...
قال كبير الياوران:

-قتل المرشد كلام فارغ.
دافع رئيس الحرس الجمهوري عن رأيه:
-البلد لا تحتل تكرار هذه المظاهرات بهذا الشكل، وها هي المظاهرات عادت مرة أخرى في الشوارع الرئيسية.
فقال وزير الداخلية بقوة:
-لقد أمرت أن الضرب يكون في المليون إذا عادت المظاهرات إلى الشوارع الرئيسية مرة أخرى، وها هو صوت الرصاص ينطلق في الشوارع...
تأمل الرئيس المظاهرات والرصاص والقتلى والدماء التي تخضب الشوارع، فقال بحزم:
-يا عادل، أعلن حظر التجوال بعد الخامسة مساء.
استكمل اللواء رئيس الحرس الجمهوري ليدافع عن فكرته فقال:
-يا ريس، الإخوان ليسوا سهلين.
ومط شفتيه ضيقاً:
-ويجب أن نتخلص من مهاتراتهم بطريقة جذرية.
قال وزير الدفاع بهدوء وبنقة من بيده الأمر كله:
-يجب أن نقيس السلبيات والإيجابيات قبل أن نقدم على عمل كهذا.
فقال رئيس الحرس الجمهوري بحماس أهوج:
-قبل أن تُصدر أي سلبيات من الإخوان، لابد أن نعصرهم عصراً...
قال الرئيس بحزم: "المرشد خط أحمر!"
ثم أردف: "لا نريد أن يتكرر عصر الدماء!"
ثم قال في نفسه: كفى الدماء التي تهدر الآن!...
قال مدير الأمن القومي في نفسه:
إن الرئيسيين السابقين كانا من الإخوان، أو كانا قريبين من الإخوان بالرغم من البطش الذي أذاقه الرئيس الأسبق لهم واعتقال الرئيس السابق لقيادات الإخوان في سبتمبر 1981! ولكن رئيسنا الحالي يعترض اعتراضاً رهيباً لفكرة قتل المرشد، فهل هو كان من الإخوان فيما مضى؟ أم على الأقل كان قريباً لهم؟! ولكنه هو الذي حول الإخوان إلى المحاكم العسكرية مخالفاً بذلك الدستور، فكيف يكون من الإخوان المسلمين؟! ما هذه الترهات؟!...
ثم عقب على كلام الرئيس القاطع قائلاً:
-سيادة الرئيس، رأيكم حكيم جداً. فالمرشد هو الشخصية الحكيمة في الإخوان لأي تفاهم معهم.
فكيف يُقتل؟

لقد أحدثت مظاهرة الإخوان في كل محافظات البلد رد فعل متباين عند المصريين؛ فمن شامت في النظام إلى الناقم على الإخوان واعتبار مظاهراتهم ما هي إلا مهاترات يريدون بها أن يزعموا استقرار البلد. ومن ناظم على نظام الحكم الحاكم بقانون الطوارئ وقوانين مقيدة للحريات منذ أكتوبر 1981 ويستحق هذا الإحراج من الإخوان المسلمين ومن غيرهم إن وجدوا إلى متعاطف مع الإخوان المسلمين الشجعان. ومن متعاطف مع النظام الذي يريد استقرار أحوال البلد إلى الناقم على الإسلام السياسي وتصرفاته الحمقاء. ومن حاقد على النظام ومواقفه الجبابة مع شعبه إلى هاش وباش للإخوان ومواقفهم الشجاعة القوية. ومن متعاطف مع الإخوان بسبب طغيان النظام الحاكم وجبروته وعسكريته وحذائه الثقيل على شعبه إلى كاره لهم ولسياساتهم الغامضة المتمسحة بالدين ولأهدافهم الملتوية المريبة!...

وكان هذا التباين يضرب بأطنابه في مستشفى الحوض المرصود؛ ففي حجرة الأطباء كان الدكتور أحمد إسماعيل من المتعاطفين مع مظاهرات الإخوان غير المسبوق بهذا الحجم، فدافع عن موقفه:

-الناس استولى عليه الجبن والخوف منذ تكشير ثوار يوليو عن أنيابهم الشرسة أثناء أزمة مارس 1954 وحتى الآن. والإخوان قد ضربوا مثلاً رائعاً بمظاهراتهم تلك.

فرد عليه الدكتور فوزي نجيب معترضاً:

-الإخوان لم يتظاهروا إلا بسبب الأحكام العسكرية على بعض قادتهم.

وقال الدكتور عبد الوهاب محمود مؤكداً لرأي الدكتور فوزي:

-الإخوان طول عمرهم لم يتظاهروا لصالح الشعب ولو مرة واحدة، وإنما لأجندة خاصة بهم.

وقالت الدكتورة سميرة سعيد مؤكدة لزوجها:

-فعلاً يا عبد الوهاب. فالإخوان المسلمون لهم أجندتهم الخاصة بهم، ولم نسمع أو نقرأ أن الإخوان قد تظاهروا لصالح الشعب ولو مرة في تاريخهم كله!

قال أحمد إسماعيل: "يا جماعة، أنا لست من الإخوان المسلمين كما تعلمون. ولكني أقول الحق الذي أراه. فالإخوان قد تظاهروا بسبب محاكمة بعضهم أمام المحاكم العسكرية المختصة بالعسكريين فقط، فلو حوكم غيرهم من المدنيين المنتمين لأي جماعة أو أي حزب أمام المحاكم العسكرية، فهل سنجد مظاهرات مثل مظاهرات الإخوان؟"

فانشرح صدر الدكتور صلاح الشيمي وتبسم. وتبسم الدكتور عماد الدسوقي أيضاً. فقال فوزي نجيب بحدة بصوته الخشن: "طبعاً، صلاح الشيمي والدسوقي سعيذان من هذا الكلام".

فتساءل الدكتور صلاح بحقن: "يا جماعة، هل تظاهر أي أحد من الشعب أو من الأحزاب تعاطفاً مع موقف الإخوان الرهيب؟"

وتساءل الدكتور عماد الدسوقي:

-وهل تظاهر أي أحد تعاطفا للإخوان المسلمين حينما حوكموا أمام محاكمات الديجوي العسكرية في الستينات أو في المحاكمات الحالية؟! فلم يجبهما أحد.

فواصل أحمد إسماعيل: "كانت مظاهرات شعبنا في الستينات مع النظام العسكري الغاشم وضد الإخوان، وكانت الهتافات تقول: "دبح دبح يا جمال... اقتل اقتل يا جمال"...! وأتبعه حكيم نخلة:

-في برنامج "في الشارع" الشهير، وجدت المذيعة إحدى الفتيات وهي تهرول وتلهث، فقالت لها: إيه الحكاية؟ إياك أن تكوني قد فررت من أحد الإخوان المسلمين المجرمين؟!... فتساءل فوزي نجيب في سره ساخرا:

أأنت أصبحت يا حكيم من الإخوان المسلمين أيضا؟! قال صلاح الشيمي بامتعاض:

-بل في مجلة الأزهر في الستينات كانوا يسخرون من الإخوان وينفرون الناس من دعوتهم وكانوا يرسمون أشكالا شيطانية منفرة ويكتبون تحتها "إخوان الشياطين"...! فقال أحد الأطباء:

-ولكن الأزهر ابتعد الآن عن الغمز واللمز في الإخوان. فاحتد فوزي نجيب:

-ابتعد عن الإخوان وعن غير الإخوان، وترك الساحة خالية للجماعات التي تكفر الناس وتحكم عليهم بالإعدام! وبامتعاض:

-مع العلم أنهم كلهم في سلة واحدة أو على الأقل أن كل الجماعات الإسلامية الإرهابية الجديدة خرجت من عباءة الإخوان المسلمين ومن فكرهم المتطرف... توجه صلاح الشيمي برأسه ناحية فوزي نجيب بغضب:

-جماعة الإخوان لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالجماعات الإسلامية المتطرفة، والحكومة نفسها اعترفت بذلك.

وقال بعده عماد الدسوقي بحماس:

- بل إن الرئيس مبارك ذاته اعترف بهذا الأمر في أكثر من لقاء صحفي. فلا داعي لخلط الأوراق يا دكتور نجيب.

فتساءل فوزي نجيب بصوت أجش:

-ألم تخرج جماعة التكفير والهجرة -وهي أشد الجماعات الإسلامية تطرفا- من رحم الإخوان المسلمين؟! فرد عليه صلاح الشيمي:

-جماعة الإخوان تيرأت من فكر التكفير والهجرة وأصدر قادة الجماعة كتاب "دعاة لا قضاة" يتبرءون فيه من هذا الفكر المتطرف ويوضحون سماحة دين الإسلام.

وسأله الدسوقي:

-ألم تسأل نفسك يا دكتور نجيب، لماذا وأين نبت هذا الفكر المتطرف؟ ألم يخرج إلى الوجود بسبب التعذيب الرهيب في السجون الناصرية؟
أكدت الدكتورة ابتسام عوض الله كلام الدسوقي:
-جماعة التكفير والهجرة خرجت فعلا من عباءة الإخوان المسلمين أثناء التعذيب في الستينات.
ثم تساءلت:

-ولكن هذا الفكر المتطرف خرج إلى الوجود من قديم، ألم يكن هذا الفكر المتطرف هو نفسه فكر الخوارج الذين كفروا الصحابة وحاربوهم؟ فهل كان الخوارج في السجون حينما انبثق فكرهم المتخلف؟!
ثم واصلت منطلقة بثورتها:

-ألم يكن هذا الفكر المتطرف هو فكر "جماعة الحشاشين" وزعيمهم الشديد التطرف حسن بن الصباح الذي كان إذا أمر أحد أتباعه بأن يلقي نفسه من أعلى قمة جبل لاستجاب على الفور بلا أدنى درجة من التردد؟! يعني "السمع والطاعة العمياء" التي أسس بهما حسن البنا جماعته المتطرفة في القرن العشرين!...
فاحتد عماد الدسوقي:

-الدكتورة ابتسام عوض الله يسارية حتى النخاع، فهل من المتوقع أن تقول كلمة حق في الإخوان المسلمين؟

فقال الدكتور أحمد إسماعيل في غضب شديد:

-ولكنك بكلامك هذا تلمزين في دين الإسلام نفسه!
-كيف؟

-حينما تقولين إن الخوارج لم يكونوا في السجون حينما كفروا الصحابة وحاربوهم، فمعنى ذلك أن الإسلام نفسه هو الذي يحمل بذور هذا الفكر المتطرف؟!
فقال صلاح الشيمي بهدوء ولم يحتد لأن ابتسام عوض الله من المقربين إليه في المستشفى:
-الإسلام بريء من التطرف والمتطرفين يا دكتورة ابتسام. وبذور التطرف والتكفير تنبت وتثمر حينما تجد التربة الخصبة في النفوس المريضة...
وقال الدكتور مجدي النحال غاضبا:

-حرام عليك يا ابتسام. قل لي الحق. وعيب كبير أن تسبى دين الإسلام.
تورد وجه ابتسام وقالت في تلعنم:

-أنا... أنا لا أقصد... لا أقصد الدين الإسلامي نفسه. وأنا مسلمة وموحدة بالله ولا داعي لئن تكفروني أنتم بكلامكم هذا. أنا أتحدث عن التطرف الإسلامي قديما وحديثا.
فقال عماد الدسوقي في حدة وغلظة:

-يا شاطرة! يا شاطرة!... لا تربطي بين التطرف والإسلام، فهذا أيضا غمز ولمز في دين الإسلام نفسه. ولكن ينبغي أن تقولي التطرف عند بعض المنتسبين إلى الإسلام زورا. فالإسلام

بريء من التطرف والمتطرفين. أما جماعة الإخوان المسلمين فلا علاقة لها بالتطرف. والأصول العشرون في فهم دين الإسلام والتي مدونة في فكر جماعة الإخوان، قد عرضها الإمام الشهيد حسن البنا على شيخ الأزهر نفسه في ذلك الوقت فاستحسنها. فليس في فكر الإخوان أي تطرف.

فردت ابتسام في حدة أيضا:

-أنا أكبر منك سنا. وينبغي يا إخوانجي، أن تكون قد علمتكم جماعتكم الإخوانية المتأسلمة أصول الحوار مع المختلفين عنكم فكريا. وينبغي أيضا أن تكون قد علمتكم الأدب في الحوار وخاصة مع الأكبر سنا!

أسقط في يد عماد ولم يرد. فواصلت بقوة:

-والتطرف موجود حتى النخاع في فكر جماعة الإخوان المتأسلمين حتى أيام حسن البنا نفسه، ألم تقتل هذه الجماعة المتأسلمة أحمد الخاذاذر القاضي في الأربعينات لأنه قد حكم على بعض الإخوان بما لم يرق لحسن البنا نفسه ولجماعته الإرهابية؟ ألم يقتلوا النقراشي باشا رئيس الوزراء لأنه قد حل هذه الجماعة المتأسلمة؟! فهل جزاء حل الجماعة القتل؟ ألم يفجروا حقيبة ملغمة بالمتفجرات أمام مكتب النائب العام...؟!!

-هذه أسطوانة مشروخة يرددها اليساريون وأعداء الإخوان والإسلام. والإخوان قد تعلموا من أخطائهم. وقد تجاوزوا مرحلة العنف تلك. مع العلم أن حسن البنا قد تبرأ من هذه الحوادث العنيفة التي قام بها أفراد من التنظيم الخاص باجتهاد خاطئ منهم. والتنظيم الخاص الذي قام بهذه الأحداث العنيفة هو نفسه الذي حارب الصهاينة في حرب 1948 في فلسطين وقد أبلى بلاءا حسنا وشهد بذلك الأعداء قبل الأصدقاء. والتنظيم الخاص هذا هو الذي أقلق مع الحركة الوطنية مضاجع جيش بريطانيا العظمى في القنال في بداية الخمسينات وحتى الجلاء في عام 1954. والإخوان قد خرجوا في السبعينات من السجون، فهل انتقموا من الذين عذبوهم في الخمسينات والستينيات في السجون الناصرية؟ والإخوان الآن في محنة، وكان يجب على الشعب أن يعترض على محاكمة المدنيين -سواء كانوا إخوانا أو غير إخوان- أمام المحاكم العسكرية.

فقال الدكتور عبد الوهاب محمود بهدوء:

-الإخوان في محنة الآن ويجب علينا جميعا أن نعترض على ذلك، والمثل يقول: "لقد أكلت يوم أكل الثور الأبيض". ولكنك يا دكتور صلاح، لم تخبرنا عن أي مظاهرة قام بها الإخوان لصالح الشعب قديما أو حديثا.

-الإخوان قد خرجوا في مظاهرات كثيرة مع الحركة الوطنية قديما وحديثا، وخرجوا متظاهرين لوحدهم أو مع غيرهم مع قضايا الأمة العربية والإسلامية. ولا يشكك في وطنية الإخوان المسلمين إلا كل حقود.

مرت فترة من الصمت تساءل فيها أكثر من طبيب مع نفسه ما هي المظاهرات التي قام بها الإخوان لصالح الحركة الوطنية؟

وتفكر الدكتور صلاح الشيمي في مظاهرات كوبري عباس الشهيرة في الأربعينات ومشاركة طلبة الإخوان فيها مع طلبة الحركة الوطنية وفتح الكوبري عليهم فجأة وغرقهم في النيل... ثم قطع الدكتور فوزي نجيب الصمت الزاحف وهو يقول:

-النظام الحاكم يوجد به فساد كبير، والفساد لا يوجد في بلدنا فقط بل في الدنيا كلها وليس هذا تبريرا للفساد. ومهما اتفقنا مع النظام الحاكم أو اختلفنا ولكنه يعمل على استقرار البلد ونهضتها بالقدر المستطاع. والأنظمة التي حكمتنا منذ أزمة مارس 1954 حتى الآن، تجهض حركة الإخوان المسلمين أولا بأول حتى لا تقم لهم قائمة ولا يحكمون البلد لأن الإخوان لو حكمونا لجرونا إلى المجهول!...

فرد عليه الدكتور صلاح الشيمي غاضبا:

-لقد جربنا العلمانية وحكام العسكر فلم نحصد إلا الهزائم والتخلف في كل المجالات، فجربوا الإسلام لتعرفوا الفرق...

وأعقبه الدكتور عماد الدسوقي بحماس: "والإسلام قد حكم ثلاثة عشر قرنا من الانتصارات والعزة والكرامة".

مرت فترة ثانية من الصمت، كانت أصوات رشقات القهوة والشاي تكسرها حتى تساءل الدكتور حكيم نخلة:

-يا دكتور صلاح، أخبرنا عن الشخصية الغامضة العجيبة التي كانت تفقد المظاهرات في كل المحافظات في ذات الوقت؟!!

فلم يجد صلاح إجابة، واستسلم للصمت لأن ظهور علي عبد المنعم في المظاهرات كان محيرا للإخوان قبل غيرهم!...

فرد الدكتور أحمد إسماعيل:

-أظن يا حكيم، أنني قد رأيت هذا الشخص هنا في المستشفى.

فاتقدت ذاكرة حكيم وقال متحمسا: "أظن أننا قد كشفنا عليه منذ فترة".

فصاح أحمد إسماعيل بالحماس نفسه:

-عندك حق يا حكيم. فهو الشخص الذي اعتقل في أمن الدولة ونامت في حضنه الراقصة ناني في الزنزانة!...

تورد وجه صلاح الشيمي وضاق نفسه واستسلم للصمت العميق فقد كان طوق نجاة مما يسمعه...

قالت ابتسام عوض الله ساخرة:

-يبدو أن جماعة الإخوان المسلمين تستخدم الآن السحر في تكتيكاتها!...

فلم يعلق أحد لأنهم فوجئوا بالمدير أتى ووقف على باب الحجرة وهو يقول مندهشا:

-إيه الحكاية؟! الساعة عدت التاسعة بكثير. المرضى في الانتظار...

في الاجتماع القومي الثاني لإدارة الأزمات، هتف وزير الداخلية متحمسا:
-لقد تعرفنا يا سيادة الرئيس- على الشخص الذي كان يقود مظاهرات الإخوان أمس.
فسأله الرئيس:
-من يا عادل؟
-طالب في الفرقة الثانية بكلية طب عين شمس، واسمه علي عبد المنعم السيد صابر، وهو من
إخوان شبرا.
فتساءل الرئيس:
-ولكنه كيف كان يقود المظاهرات في كل المحافظات في الوقت نفسه؟!
-لا أعرف يا فندم.
فسأل الرئيس الحاضرين عن كيفية قيادة فرد واحد لكل المظاهرات في البلد في ذات الوقت؟!
فجزوا عن تفسير هذه الظاهرة. وأخيرا عصر مستشار الرئيس للمعلومات رأسه وقال:
-يا فندم، من أبجديات جماعة الإخوان المسلمين، أنهم جماعة سلفية وحقيقة صوفية. ومؤسس
الجماعة حسن البنا -قال المستشار في سره عليه رحمة الله- كان صوفيا. فالصوفية بروحانياتها
لها دور كبير في جماعة الإخوان المسلمين. وظهور عدة صور لشخص واحد في أكثر من
مكان في ذات الوقت، معروف عند الصوفية بظاهرة "الأبدال"!
ثم هتف بحماس ويقين:
-فالأبدال هي صور لشخصية واحدة!...
ضحك الرئيس ثم قال:
-أنت عقدتها بدلا من أن تحلها.
ففسر المستشار أكثر:
-يا فندم، الأبدال هي صور حقيقية بشحم ولحم ودم لفرد واحد.
فضحك الرئيس أكثر، وقال:
-لقد زدت الطين بله!
ومع ذلك واصل المستشار:
-في الصوفية اعتقاد أن الملائكة الكرام يمكن أن تتمثل بأحد الصالحين، وتتجسد في شخصيته
وشكله ولحمه وعظمه حتى لا يكون فرق بين الحقيقة والصورة، ويمكن أن تكون هذه الصور
لأنهاية لعددها...
ثم استرسل بحماسة:
-ألا تذكر يا ريس، حديث جبريل -عليه السلام- حينما دخل على الرسول -عليه الصلاة
والسلام- والصحابة في صورة الصحابي دحية الكلبي، وسأل جبريل الرسول عن الإسلام وعن
الإيمان وعن الإحسان وعن موعد الساعة، وكان الصحابة لا يعرفونه ولا يبدو عليه أثر السفر.

فقال الرئيس:

-لا أتذكر هذا الحديث، ولكن إذا كان سيدنا جبريل -عليه السلام- قد تمثل بصورة صحابي، فكيف لا يعرفه أحد من صحابة الرسول -عليه الصلاة والسلام- الجالسين حوله؟

فأكد رئيس ديوان رئاسة الجمهورية تساؤل الرئيس:

-فعلا، كيف يأتي سيدنا جبريل بصورة صحابي معروف ولا يعرفه أحد من الجالسين مع الرسول عليه الصلاة والسلام؟!

فدافع مستشار الرئيس للمعلومات عن رأيه:

-لقد كان سيدنا جبريل يتمثل دائما بصورة الصحابي دحية الكلبي رضي الله عنه، وقد كان هذا الصحابي جميل الوجه. وربما لم يأت سيدنا جبريل في هذا الحديث المشهور بصورة الصحابي دحية الكلبي، إنما أتى في صورة طيبة أخرى.

فقال الرئيس:

-دعونا من هذا الجدل. فلسنا في مجلس فقهي لنختلف في هذه القضية. ولنعد إلى قضية علي عبد المنعم. فهل نحن في عصر النبوة حتى يتمثل ملاك بصورة أحد الأشخاص مهما كان صالحا؟!

فرد عليه رئيس ديوان رئاسة الجمهورية:

-هذه خاصية للملائكة، فهم يستطيعون أن يتمثلوا بصورة طيبة لأي إنسان في أي زمان ومكان. فقال أحد الحاضرين:

-ولكنهم لا يتمثلون بصورة قبيحة لحيوان أو لأي مخلوق آخر سوى البشر.

وقال رئيس الوزراء بحماس:

-الجن هم الذين يتمثلون بصورة قبيحة لبشر أو لحيوانات أو لثعابين أو لحيات.

وقال رئيس الحرس الجمهوري بحماسة الشديدة ضد الإخوان:

-الإخوان المسلمون ما هم إلا إخوان الشياطين! وطالما أن الجن يمكن أن يتمثل بصورة إنسان، إذن يمكن أن يكون الشخصيات المتكررة للشخص الغامض في المظاهرات هي شخصيات من العفاريت الزرق!...

ضحك الحاضرون...

قال رئيس الوزراء:

-ولكن الجن لا يستطيعون أن يتمثلوا بالشخصية وقت طويل لأن قانون الشخصية التي يتمثلون بها يتحكم فيهم، فمن الممكن أن يُقتل الإنسان أو الحيوان الذي يتمثل بهما الجن وبالتالي يُقتل الجن نفسه.

فهتف الرئيس ساخرا:

-بارك الله فيكم. لقد حولنا مجلس إدارة الأزمات القومي إلى مجلس حكاوي الجن والعفاريت!

فضجت القاعة ضحكا...

قال وزير الداخلية:

- أكيد حكاية الأبدال هراء في هراء.
ثم تساءل:
-وإلا ولكن كيف يعاقب القانون الشخصيات الأبدال للشخص الحقيقي؟!
فرد مستشار الرئيس للمعلومات:
-الملائكة الأبدال لا تأتي بأفعال سيئة.
فغر رئيس الحرس الجمهوري فاه ثم قال ساخرا:
- الملائكة الأبدال لا تأتي بأفعال سيئة!
ثم تساءل:
-وما رأيك يا سيادة المستشار الهمام في مظاهرات أمس؟ أليست أفعال سيئة؟ ألم تقلب البلد رأسا على عقب؟!
فرد عليه مستشار الأمن القومي:
-بصراحة، ما حدث أمس ليس شرا فقط، ولكن فتنة شديدة، والفتنة أشد من القتل...
فقال وزير الداخلية:
-لست مع رأي المستشار فيما حدث أمس كان فتنة. أنا قلت لكم إن الإخوان المسلمين ظاهرة صوتية. فهي المظاهرات قد فُضت وهم لم يخربوا شيئا. وهذا عهدنا بهم.
قال الرئيس:
-ولكن كان من الممكن أن تنسل عناصر مشاغبة وسطهم ويعيثوا فسادا في البلد.
وبامتعض:
-وأعداء النظام كُثر.
فقال وزير الدفاع:
-يا ريس، سلوكهم في المظاهرات يعتبر سلوك حضاري لهم.
وقال رئيس ديوان رئاسة الجمهورية:
-أنا أرى أن نتحاور ونتفاهم معهم.
وقال مستشار الرئيس للمعلومات:
-وأنا أرى ذلك.
فتساءل رئيس الحرس الجمهوري بحذر حتى لا يغضب الرئيس مثل غضبه بالأمس:
-لماذا يا عادل لم تدس عناصر مشاغبة وسط المتظاهرين وتأمروهم يفعلون أعمالا تخريبية حتى نشوه الإخوان أمام الرأي العام في الداخل وفي الخارج؟!
قال وزير الداخلية لنفسه:
يا عادل! هكذا بدون لقب! فاكرك نفسك الرئيس!
رد:
-لابد أن نحافظ على سمعة النظام.
فقال رئيس الوزراء:

-الإخوان المسلمون يصفون أنفسهم بأنهم أصحاب الأيدي البيضاء. وإذا دُست عناصر مشاغبة بينهم فسوف تشنع علينا هذه الجماعة أمام وكالات الأنباء العالمية.
وقال مستشار الأمن القومي:
-أكد سيفطن الإخوان إلى هذه العناصر وسيفشلون تخطيطهم. الإخوان -يا سيادة الرئيس- منظمون على أعلى مستوى...
وقال مستشار الرئيس للمعلومات:
-معروف عالميا عن جماعة الإخوان أنها لا تقوم بأي أفعال تخريبية.
وقال وزير الإعلام:
-الإخوان أرادوا بالمظاهرات أن يوقفوا المحاكمات العسكرية.
فقال الرئيس بحزم:
-لن نتراجع عن المحاكمات العسكرية حتى نقص ريشهم شوية.
ثم أشار بيديه قائلا:
-أحوال البلد لا تحتل.
قال رئيس الحرس الجمهوري لنفسه:
قلت لكم جزوا الرأس الكبيرة...
نظر الرئيس إلى وزير الدفاع وقال:
-اجعل ضباط المحكمة (يتوصوا) شوية بالإخوان يا حسن.
تبسم وزير الدفاع وقال:
-الأحكام جاهزة يا فندم، من ثلاثة إلى سبع سنوات على الأقل. والإعدام -إذا أردت- جاهز أيضا يا فندم!
فاندفع رئيس الحرس الجمهوري:
-حتى يتربوا شوية!...
قال الرئيس:
-لا أريد أن يُنسب إلى حكومي أي إعدام سوى لقتلة الرئيس السادات الله يرحمه.
نظر الرئيس إلى وزير الداخلية وسأله:
-كم عدد الذين قبضت عليهم أمس؟
-حوالي خمسة آلاف يا ريس.
-أليس هذا العدد بكثير؟!
-يا فندم، المظاهرات كانت في البلد كلها. وما قبضنا عليهم يُعتبر عدد رمزي.
فقال الرئيس:
-ربيبهم شوية ثم أفرج عنهم.
-سنعرضهم على النيابة بعد شهر طبقا لقانون الطوارئ. ويكونون قد تربوا في أمن الدولة!
قال مستشار الأمن القومي:

-لو كانت الشريعة مطبقة الآن، لطبق حد الحرابة على الإخوان المسلمين.
فقال الرئيس:
-شعبنا طيب. حتى الإخوان طيبون. ولكنهم لا يعرفون أحوال البلد. البلد لا تحتل مهاتراتهم.
فتساءل رئيس ديوان رئاسة الجمهورية:
-لماذا لا نجتمعهم في حزب سياسي بدون لافتة دينية؟ ونجبرهم على الانخراط في العملية السياسية ونتخلص من صداعهم المزمّن.
فقال الرئيس:
-نأخذ رأي الأخوة.
قال رئيس الوزراء:
-أنا أميل لهذا الرأي حتى نتخلص من صداعهم المزمّن ومن مهاتراتهم المزمّنة.
وقال مستشار الأمن القومي:
-لو فعلنا ذلك لسُحب البساط ممن تحت حزبنا ومن تحت أقدامنا...
وقال رئيس الحرس الجمهوري:
-أنا أحتفظ برأيي لنفسي لأنه لن يعجبكم.
فضحك الرئيس قائلًا:
-إياك أن تفكر مرة أخرى في جز الرأس الكبيرة.
فضجت القاعة ضحكا.
قال مستشار الرئيس للمعلومات:
-حزبنا يعتبر من اليمين.
فقاطعه مستشار الأمن القومي:
-لا يا سيادة المستشار. فحزبنا لا يمين ولا يسار ولكنه وسط.
فقال مستشار الرئيس للمعلومات:
-لا يا سيادة المستشار. إن حزبنا يُعتبر يمين الوسط. والإخوان المسلمون يعتبرون أقصى اليمين. فمن الممكن أن نحتويهم ونجعلهم يمين الوسط بدلا من اليمين المتطرف.
فقال الرئيس:
-لو كان حزبنا حزبا دينيا في أقصى اليمين، فلن يدخل الإخوان تحت عباءته.
وبنبرة يأس:
-ولا تحت عباءة أي حزب في الدنيا.
قال وزير الدفاع:
-ولكنهم يتشدقون دائما بأنهم لا يريدون الحكم ولا يسعون إليه.
فقال الرئيس:
-حينما قامت الثورة، لم يوافقوا أن يشاركوا في أول حكومة. وطالبوا بأن تعرض القوانين قبل اعتمادها على مجلس يتكون منهم.

وبامتعاض:
-بهذا المجلس سيتحكمون في شئون كل شيء. يعني سيكونون هم الحكام الفعليون للبلد!
فقال وزير الإعلام:
-معنى ذلك أنهم كانوا يريدون من مجلس الثورة خيال مآتة!
فتهكم وزير الداخلية:
-ويَدْعون أنهم لا يسعون إلى الحكم.
قال مستشار الأمن القومي برزانه منصبه الحساس:
-هذا المجلس للنظر في القوانين يشبه تماما المجلس الأعلى لمرشد الثورة الإيرانية والذي يتحكم في كل شاردة وواردة في إيران. يعني الحاكم الحقيقي للبلد!...
قال مستشار الرئيس للمعلومات:
-ولاية الفقيه المستحدثة في إيران منذ تأسيس الدولة الصفوية عام 1500 ميلادية والتي تبلورت مع الإمام محمد بن مكي الجزيني في القرن العشرين، تخالف المذهب الشيعي بوجه عام، وتخالف أيضا أصول المذهب الشيعي الاثني عشر نفسه! وبالطبع تخالف مذهب أهل السنة!
ثم بنبرة قوية:
-بل تخالف الإسلام نفسه وحتى هدي الخلفاء الراشدين. وليس في الإسلام حكم رجال الدين ولا الحكم الثيوقراطي البغيض!
قال الرئيس:
-الأفضل لصالح البلد أن نجعل الإخوان كما هم بدون أي لافتة رسمية.
فتبسم مستشار الأمن القومي:
-حتى يكونوا (فزاعة) و(بعبع) للغرب فلا يطالبوننا بديمقراطيتهم التي لن تأتي إلا بالإخوان!
قال الرئيس:
-أنا قلت للرئيس الأمريكي لو تمت انتخابات حقيقية عندنا وفي الدول العربية كلها، فلن يفوز إلا الإخوان المسلمون بسبب الهوس الديني الشائع!
فتساءل رئيس الوزراء:
-وهل وافقك الرئيس الأمريكي الرأي؟
-نعم، كان رأيه كذلك أيضا.
ضحك الرئيس:
-كان لسان حال الرئيس بل كلينتون المثل الشهير: "إللي نعرفه أحسن من اللي ما نعرفوش"!...
ثم التفت إلى وزير الداخلية وقال:
-يا عادل، في اجتماع الغد، أحضر الطالب العجيب الذي قاد مظاهرات الإخوان.

أحضر علي عبد المنعم الاجتماع القومي الثالث لإدارة الأزمات برئاسة الجمهورية وهو مكبلا بالأغلال!...

كان السير الحديدي الثقيل يمتد من رسغه الأيمن إلى رسغه الأيسر، ثم يعلو إلى إبطه الأيمن لينزل إلى رجله اليسرى ليلتف حولها ثم يمتد إلى رجله اليمنى ملتفا حولها ليصعد إلى إبطه الأيسر ثم يهبط ليلتف حول وسطه لفة كاملة ثم يخرج عند السرة ليستقر أخيرا في الرسغ الأيمن لعسكري غليظ الملامح والشارب والجسد...! كان العسكري يسحب علي سحباً بطيئاً وثيداً، ويكاد أن يتعثرا ويقعا عدة مرات!...

اشتعل وجه الرئيس الأبيض المشرب بحمرة احمرارا وهو يرى كتل الحديد المتعامدة والملتفة حول علي! قال في نفسه:

ما هذا الذي تفعلونه في خلق الله؟! ألا يكفي القيد في الرسغ فقط؟! أليس لك من اسمك نصيب يا وزير الداخلية؟!...

أمر بحزم:

-فك هذه الأغلال يا عادل.

أمر وزير الداخلية جنود القوات الخاصة المحيطة بعلي بفك الأغلال.

تبسم الرئيس وأمر علي عبد المنعم بأن يجلس على كرسي من كراسي الصالون الوثير. سأله:

-إيه حكايتك يا سي علي؟

تنفس علي الصعداء بعد فك القيود... وتنفس روحه الصعداء أيضا بعد ابتسامة الرئيس ومخاطبته بلهجة حميمة...

نظر علي إلى الرئيس وأبهة الرئاسة تتألق حوله، ونظر إلى خريطة مصر الكبيرة خلفه وأعلاه، وقال في نفسه:

كم سال لعاب الطواغيت منذ فجر التاريخ على سلتك التي لا ينضب معينها أبدا؟ كم ظلمت يا كنانة الله بيد حكامك على مدار التاريخ؟ وكم انتهكت حرمتك، وروع أمناك، وسحقت كرامتك وكرامة شعبك الأبى العظيم منذ العصور السحيقة؟! ولكنك يا كنانة الله أبيت الظلم، وأبيت القهر، وأبيت الإهانة، ولم تسمح لي لكرامتك أن تهدر أبدا... لقد دفنت في رحمك كل جبار عنيد، وسحقت كل مارد وصنديد...

ثم نظر إلى الحاضرين الذين يمثلون جزءا مهما من سدنة الحكم ويجلسون متألقين على كراسيهم الوثيرة الأنيقة فوق السجاد الفخم الذي تغوص فيه الأحذية وأرجل الكراسي وكل شيء، ووجوههم تتفجر بالحياة والنضارة والنعمة، وأحذيتهم السوداء اللامعة تشرق وتعكس أضواء النجف المتعدد الأدوار فوقهم، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي

-أكمل يا علي.

فاستطرد ساخرا:

-ليس في مقام رئيس الجمهورية -يا سيادة الوزير- يجوز لك أن تضربني!

فاشتعل وزير الداخلية غيظا، ولم يستطع أن ينفسه...

سأل الرئيس عليا:

-ماذا تريد أن تقول بحكاية الجلاذ والضحية؟

-منذ أن قام انقلاب يوليو 1952، والإخوان يتعرضون لشتى أنواع الاعتقال والتعذيب والإعدام... ولما جاءت فرجة في السبعينات، لم يأت عام 1981 إلا وكان الإخوان في المعتقلات مرة أخرى! وأنتم يا سيادة الرئيس، قد أفرجتم عن معتقلي 81 ماعدا قتلة الرئيس السادات -الله يرحمه- والمدانين بأعمال إرهابية وإجرامية. ولكن منذ منتصف الثمانينات، والإخوان يتعرضون للمحاكمات أمام القاضي المدني، فلما كان هذا القاضي العادل لا يجد اتهاما للإخوان، فإنه كان يفرج عنهم باستمرار. ولكن الجلاذ لا بد وأن يتجرع من دماء الضحايا دائما وإلا فسيموت! فتفتق ذهنه الخبيث عن تحويل المحاكمات إلى المحاكم العسكرية التي لن تبرا أحدا! ولم يتعامل برفق مع المتظاهرات الغاضبة، إنما ضربهم بالرصاص الحي!!...!

تورد وجه الرئيس الأصهب، وضاق نفسه، ولم يستطع أن يتكلم...

فتساءل مستشار الرئيس للمعلومات معترضا:

-بالله عليك، هل هذا الأسلوب الذي تخاطب به مقام رئيس الجمهورية؟ بالله، هل هذا الأسلوب يتناسب مع جماعة تدعي أنها تريد أن يحكم الإسلام مرة أخرى ويعود رونقه وأخلاقه وشريعته في كل مناحي الحياة...؟

رد علي بقوة:

-أنا أسمى الأسماء بمسمياتها.

فقال المستشار:

-وأين أنت وجماعتك التي ترتدي عباءة الدين من قوله تعالى: {اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَنذَرُ} ⁸⁰... وهذا الخطاب اللين في الآية الكريمة مع فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى وليس مع رئيس مسلم مؤمن وموحد بالله. أسقط في يد علي، ولكن منطقه أسعفه فقال:

-ماذا تريد مني أن أقول وقد حُرمت من أبي منذ طفولتي؟! ألم تقتلوا أبي في آخر عام 1981 في المعتقل؟! ألم تقتلوا العشرات في المظاهرات ودمائهم لم تجف بعد؟!...!

هتف رئيس الوزراء بحماس:

-أنت تخاطب مقام رئيس الجمهورية، ومقام رئيس الجمهورية هو رمز للوطن كله مثل اللواء. أنفهم؟

80 الأيتان 43 و44 من سورة طه

وقال وزير الداخلية:
-الإخوان لسانهم طويل ويتشدقون بالإسلام.
وقال رئيس الحرس الجمهوري:
-ليس لسانهم طويل فقط، بل هم قليلو الأدب.
فتساءل علي غاضبا:
-أتأتون بي إلى هنا لأسمع هذا السباب؟!
ثم هتف:
-لا حول ولا قوة إلا بالله. حسبنا الله ونعم الوكيل.
فقال وزير الإعلام:
تكلم بدون غضب يا ولد. أنت في مقام رئيس الجمهورية. أتفهم؟
وقال رئيس ديوان رئاسة الجمهورية:
-أنتحسبن وتحول علينا؟ وأنتم قد أفسدتم في الأرض بمظاهراتكم ومظاهراتكم.
فقال الرئيس:
-يا بني، لو طبقنا قوانين الشريعة الإسلامية التي تنادون بتطبيقها وقامت جماعتكم على تطبيقها
كما كانت في العصور الإسلامية الأولى، لأقمنا حد الحراة عليك وعلى كل المتظاهرين.
فرد علي:
-نحن لم نحاد الله ورسوله حتى تطبقون حد الحراة علينا.
وبنبرة قوية:
-وحد الحراة يجب أن يطبق على الذين يعتقلون الناس ويذوقونهم أشد العذاب.
فتساءل الرئيس:
-ألم تسعوا في الأرض فسادا؟
-جماعتنا لا تسعى في الأرض فسادا.
-أليست مظاهراتكم في البلد كلها في ذات الوقت انقلابا وفسادا في الأرض؟
فلم يرد علي. فسأله مستشار الأمن القومي:
-أليست مظاهرات بحجم مهول رهيب في البلد كلها فتنة؟ أليست الفتنة أشد من القتل يا أخ؟!
وتساءل رئيس الوزراء:
-ألم تؤثر مظاهراتكم على البورصة وجعلتها تنهار؟ ألم تؤثر على السياحة والاستثمار وبالتالي
على اقتصاد البلد...؟!
وانهارت أسئلة الحاضرين: ألم؟ ألم؟ ألم؟...!
سألهم علي:
-ولماذا لم تسألوا أنفسكم وما حكم الشرع في قتل الناس بالرصاص الحي لمتظاهرين سلميين؟!
ولماذا لم تسألوا أنفسكم عن سبب مظاهراتنا؟! ألم تحولوا قيادات الإخوان إلى المحاكم

العسكرية؟! أليست هذه القيادات أساتذة في الجامعات؟ أليس من بين هذه القيادات أطباء ومهندسون ومحامون ومحاسبون ومعلمون على مستوى راق من العلم والتحضر؟!... قال وزير الدفاع بهدوء:

يا بني، قيادات الإخوان لم يُحولوا إلى المحاكم العسكرية بسبب درجاتهم العلمية.

وقال وزير الداخلية ساخرا:

-أطباء... مهندسون... محامون... شرفتم البلد! لا داعي للاستهبال يا ولد! أنت تعلم سبب محاكمتهم عسكريا.

ضحك علي ساخرا وهو يقول:

-أعرف السبب. أليس الانضمام إلى جماعة محظورة؟

وهو يسخر أكثر:

-ومنحلة! أليس كذلك؟

اشتعل وزير الداخلية ورئيس الحرس الجمهوري غيظا وتمنيا لو يقومان بلطم علي على وجهه وركله بكل ما لديهما من قوة وسبه بأعظم السباب...

واصل علي:

-وهذه الجماعة المحظورة تعمل على تهديد السلام الاجتماعي، وتعمل على قلب نظام الحكم...! هذه اسطوانة مشروخة اعتدنا على سماعها من وزارة الداخلية وسدنة النظام!

فقال وزير الداخلية:

ليست اسطوانة يا ولد، إنما فعلا جماعتكم الإرهابية تعمل في الظلام تحت الأرض لبث الفتن في البلاد، وكونتم تنظيما عالميا يعمل على قلب نظام الحكم في دول عديدة وخاصة في الدول المسلمة...

رد علي بهدوء:

نحن لا نعمل في الظلام. ولا يوجد قانون حل الإخوان الذي تزعمونه.

فقال وزير الداخلية:

أتستعبط يا ولد؟ مجلس قيادة الثورة قد أصدر قانون حل جماعة الإخوان المسلمين سنة 1954.

فرد علي متهكما:

أخبرني برقم القانون.

فقال رئيس الحرس الجمهوري غاضبا :

-أأنت أهبل؟! ولنفرض أنه لا يوجد قانون حل جماعة الإخوان المجرمين، فهل الدولة عاجزة عن إصدار عشرات القوانين لحل الإخوان أو غير الإخوان...؟! وبسخرية:

أأنت طفل مسكين مُغرر به!

وقال وزير الداخلية:

أأنت لا تزيد عن طفل عبيط!...

توهج وجه علي. قال:
ليس من الذوق والأخلاق أن تسبونني في مقام رئيس الجمهورية! والسباب ليس من شيم الكبار
والكرام، والسباب لا يدل إلا على ضعف الشخصية وتفاهتها... ولو كنت طفلاً، لماذا جئتكم بي
إلى هنا؟!...

أسقط في يد وزير الداخلية ورئيس الحرس الجمهوري فلم يردا.
أما الرئيس فقد تبسم وأعجب من منطق علي. وبعد قليل، قال لعلي:
أنا لست مع وزير الداخلية واللواء في رأيهما فيك.
ثم سأله:

-ما هو تقديرك في طب عين شمس؟
-جيد جداً.

فقال مستشار الرئيس للمعلومات:
-يا فندم، حسن البنا كان يقول للطلبة الإخوان إن نسبة نجاحكم هي نفسها نسبتكم كمسلمين. فإذا
حصلتم على 60%، فمعنى ذلك أنكم مسلمون بنسبة 60%، وإذا حصلتم على نسبة 75%،
فهذا يعني أنكم مسلمون بنسبة 75%. والمسلم لابد أن يكون إسلامه بنسبة 100%...
قال الرئيس متعجباً:
-والله الإخوان شطار.

ثم ساخراً:
-ولكنهم في السياسة خائبون.
وقال وزير الإعلام:
-هم أبلد خلق الله في السياسة.
وقال رئيس الوزراء:
-الإخوان يلعبون السياسة بأخطاء شديدة.
وقال رئيس ديوان رئاسة الجمهورية:
-هم في وسط السلم؛ فلا وصلوا أعلاه كجماعة دينية، ولا وصلوا إلى أسفله كحزب سياسي!...
ثم وهو يمط شفثيه بسخرية:
-ولن يصلوا إلى أي شيء.
فقال مستشار الأمن القومي:
-ولكنهم مؤثرون في الشارع...
قال الرئيس:

-نحن لا ننكر أن لهم شعبية. وأنهم منظمون على درجة عالية. ولكن كل جهدهم عقيم.
فقال وزير الدفاع:

-الإخوان hopeless case!...⁸¹

فضحك الرئيس قائلاً:

-إذن نتصل بوزير الصحة لبحث لهم علاجاً لحالتهم المستعصية!

فقال مستشار الأمن القومي:

-الإخوان حالة مستعصية على العلاج فعلاً. والجماعات الجهادية الإرهابية أمرها سهل لأن أنفسهم قصير، أما الإخوان فمن الصعب التحكم فيهم والتعامل معهم...

وقال رئيس الوزراء:

-تعاملت الدولة معهم بالعنف والاعتقالات والتعذيب لسنين عديدة، فتمسكوا أكثر بدعوتهم... وقال الرئيس بامتعاض:

-وانتشروا في أنحاء العالم كالإخطبوط لا يعرف له رأس من ذيل!...

فقال رئيس الحرس الجمهوري مندفعاً متحمساً:

-ألم أقل لكم أن تقطعوا الرأس الكبيرة هنا؟!!

تتناثر الشرر من عين الرئيس، وصُدرت الأوامر من خلال هذا الشرر ليست.

تبسم رئيس ديوان رئاسة الجمهورية وتساءل:

-لماذا هذا العداء الشديد يا سيادة اللواء للإخوان المسلمين؟

فتبسم وزير الدفاع، وقال:

-هذا العداء قديم. فحينما تقدم كمال الدين للكلية الحربية في الستينات كاد ألا يقبل بسبب خاله الذي كان عضواً في الإخوان المسلمين.

فتساءل رئيس ديوان رئاسة الجمهورية:

-ولكن كيف التحقت بالحربية يا سيادة اللواء؟

فلم يرد اللواء لأنه كان تحت تأثير سخونة الشرر المتطاير من عين الرئيس...

استطرد وزير الدفاع:

-لقد توصل له لواء من أقاربه لدى المشير عبد الحكيم عامر شخصياً.

فقال رئيس الحرس الجمهوري بعدما وهنت تأثيرات عين الرئيس الغاضبة:

-أنا كرهت الإخوان بسبب استيلاء خالي، الإخوانجي، صاحب اليد المتوضئة، على بيت والدتي وخالتي من الميراث، وكتبه باسمه (عيني عينك)!...

ثم نظر إلى جهة علي عبد المنعم وقال:

-وهذه هي أخلاق الإخوان المسلمين الحقيقية!

لم يلفته علي اهتماماً. وبعد برهة تساءل:

-لماذا أتيتم بي إلى هنا؟

فأجابه مستشار الأمن القومي:

⁸¹ حالة مبنوس منها

-لقد أتينا بك إلى هنا لتخبرنا بسر قيادتك للمظاهرات بشحمك ولحمك في كل المحافظات في الوقت نفسه. فهل هي معجزة في نهاية القرن العشرين أم ماذا؟!... أم هو خداع من جماعتك؟! وما أكثر خداعكم!...
وقال رئيس الوزراء:
-وربما يكون سحرا!
وقال رئيس الحرس الجمهوري:
-من غير المستبعد أن يمارس إخوان الشياطين السحر...
تبسم علي قائلا:
-طالما أن لنا قوة خارقة، فلماذا لا نتفاهم؟
فتساءل وزير الداخلية:
-أنفاهم معك يا غلام؟
فلم يرد عليه علي. وفوجئ الحاضرون بالقيء وهو ينفك من رسغ علي الأيمن، وبعد ثانية واحدة، ظهر علي بشخصيات عديدة في قاعة الاجتماع الفسيحة... استولت الدهشة، وتمكن التحير من أرواح الحاضرين، فضربوا كفا بكف...
هتف مستشار الأمن القومي:
-لقد ظهر بعدد المحافظات التي كان فيها في المظاهرات!...
فقال رئيس الحرس الجمهوري بحماس:
-لو فتحنا النار على أي شخصية من هذه الشخصيات، فستختفي بقية الشخصيات ونستريح من هذا الساحر وسحره الخبيث!...
فتبسمت شخصيات علي في ذات الوقت بذات الابتسامة لأنه شاهد المعلم ولم يره غيره وقال من خلال الابتسامة:
-إن لنا سبعة أرواح، فلن نستطيعوا أن تقضوا علينا أبدا...
وظل يكرر: أبدا. أبدا. أبدا...
ومع مرور الوقت، تحير الحاضرون في التعامل مع هذه النسخ العديدة لشخصية علي، والتي تواجههم بعناد وقوة وثبات، وتملك الخوف منهم جميعا!... كان رئيس الجمهورية هو الوحيد الذي بدا وهو رابط الجأش ومالكا لزام نفسه حتى لا ينهار أعضاء المجلس. كان السفرجي واقفا طوال الوقت على مقربة من الرئيس لتلبية أي أمر، وكان الوحيد المسلح بين كل الحاضرين ولم يلحظ أي أحد أنه كان مسلحا بمسدس مارك23، وكان يخفيه في سرواله الفضفاض. وبإشارة من عين الرئيس لم يلحظها أحد؛ فتح السفرجي النار من مسدسه الخاص محدثا فزعا رهيبا... ولكن الطلقات ضربت الهواء لأن المعلم خرج بعلي إلى خارج قصر الرئاسة في لمح البصر؛ فاختلفت كل النسخ التي يظهر بها علي في ذات الوقت، وذهب بروحه إلى الكوكب السادس...

بحماس شديد، قال أحمد الغرباوي:

-المظاهرات أحدثت ضجة كبيرة جدا في البلد. والنظام فقد صوابه لذلك اعتقل كثيرا من إخوانكم. والحمد لله، لم يُعتقل من شعبتنا أحد حتى الآن إلا الأخ علي عبد المنعم. والله الحمد والمنة، فقد أفرج عنه بسرعة وعاد لنا سالما. ولا أدري لماذا لا يريد أن يحدثنا بما فعل معه في هذا الاعتقال السريع. ويا إخواني، سيكون هذا آخر لقاء لنا في هذه الفترة لأن لقاء الأسر وأنشطة الشعب ستتوقف مؤقتا حتى تمر العاصفة بسلام.

فقال إسماعيل عبد الفتاح:

-الشعب متعاطف جدا مع الإخوان الذين يُحاكمون أمام المحاكم العسكرية.

وقال سعيد عوض:

-بل إن الناس متعاطفة الآن بشدة مع جماعتنا بوجه عام أكثر من أي وقت مضى.

وقال صلاح الشيمي:

-الأطباء في النقابة يقولون للإخوان المسؤولين عن النقابات: متى ستحكمون البلد؟

وقال علي عبد المنعم:

-الشعب يريد وجوه جديدة

فهتف الغرباوي بامتعاض:

-النظام غبي! النظام غبي!

ثم فسر:

-فبعدما اكتسب الرئيس مبارك تعاطفا وتأييدا شديدين من الشعب بعد حادث الاغتيال الفاشلة في أثيوبيا، إذا بالنظام يحول إخوانكم للمحاكم العسكرية!... فقال إسماعيل عبد الفتاح:

-النظام فعلا غبي جدا.

ثم أردف:

-التعاطف بدلا أن يكون مع مبارك، فهو الآن مع جماعتنا. والحمد لله.

ثم واصل متحيرا:

-ولكن ظهور الأخ علي في ذات الوقت في كل المظاهرات أحدث ضجة شديدة وبلبله في العقول...!

فرد الغرباوي:

-هذه كرامة من الله أجراها على يد الأخ علي لتكون عوناً للجماعة في طريقها إلى الله... فقال علي عبد المنعم:

-أرجو من الأخوة ألا نعلق على هذا الموضوع فأنا لا أدري كيف حدث ذلك.

ثم أبعد الحوار عن موضوع الكرامة، وعزم أن يواجه الجماعة بما تعلمه في رحلاته مع المعلم في الكواكب السيارة التي زارها سويا، فقال للغرباوي:

-يا أستاذنا، إذا تأملنا في أعمال جماعتنا نجدها كلها سرية في سرية!... والعمل السري يخالف تعاليم الإسلام مخالفة صريحة. فأذان الصلاة جهري، والصلاة نفسها جهرية في ثلاثة فروض يوميا، وأربعة فروض يوم الجمعة. وتلبية الحج: "لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك" جهرية... والتكبير: "الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله أكبر الله أكبر الله أكبر" جهري في العيدين وفي الحج... وكانت منى في الحج ترتج بجلالها بتكبير الصحابة خلف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه... وحتى الزواج لا يجب أن يكون سريا، ولكن يُشهر في المجتمع...

تبسم الغرباوي. رد:

-نحن نقوم بشعائر الإسلام جهريا كبقية المسلمين.

ثم تسأل مستغربا:

-ولكن كيف نقوم بأعمال الدعوة والأمن متربص بنا؟! أجابه علي:

-يا أستاذ أحمد، أنا معك في أن الأمن متربص بنا. ولكن السرية تفسد العمل، وربما لا يتقبله الله منا والعياذ بالله!

-السرية. السرية. نحن مجبرون عليها. أما قبول الأعمال لا يعلمه إلا الله عز وجل.

-العمل السري يجعلنا نفكر بطريقة خاطئة، ويجعلنا نتربص بغيرنا، بل يجعلنا نشعر بالتميز، ويلقي في نفوسنا أن كل من ليس معنا في جماعتنا آخر وآخرين، ولا ينطبق ذلك على غير المسلمين فقط، بل على كل المسلمين الغير سائرين معنا تحت راية جماعتنا!...

-وما المشكلة في ذلك؟

-بالنسبة لغير المسلمين، سنجعلهم مواطنين من الدرجة الثالثة وهذا يخالف المعاهدة التي عقدها الرسول -عليه الصلاة والسلام- مع اليهود حينما أسس دولة المدينة المنورة، وفي هذه المعاهدة قال الرسول في أول بند: ((إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين))، فأمة مع المؤمنين معناها أنهم مواطنون -بالمعنى الحديث للكلمة- مع المؤمنين في الدرجة نفسها. أما بالنسبة للمسلمين، فالتميز يجعلنا أننا نشعر أننا نجاهد في الدعوة وبالتالي نحن أحسن وأفضل منهم!... وربما يجوس في نفوسنا أننا جماعة المسلمين الحقّة وهذا يتولد منه التكفير للغير والعياذ بالله كما وقع لكثير من الجماعات التكفيرية!!...

رد الغرباوي غاضبا :

-جماعتنا تتبرأ من التكفير. وإن مرشدنا أعلنها صراحة أننا "جماعة من المسلمين" ولسنا "جماعة المسلمين". ويوجد فرق شديد بين العبارتين.

أما بالنسبة لغير المسلمين، فطالما أنهم يدافعون عن البلد المسلم مع الجيش الإسلامي فهم مواطنون من الدرجة الأولى. أما إذا ارتضوا أن ندافع عنهم، فإنهم يدفعون الجزية، ويكونون مواطنين من الدرجة الثانية. وقد كانت المعاهدة التي عقدها الرسول عليه الصلاة والسلام مع يهود المدينة المنورة تنص على الدفاع المشترك إذا أراد اليهود أن يكونوا مواطنين بالدرجة

الأولى، فالبند الثالث يقول: ((وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة))، وهناك بند يقول: ((وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين))، وآخر يقول: ((وإن بينهم النصر على من دهم يثرب على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم))... تساءل سعيد عوض:

-ولكن قول فضيلة المرشد "جماعة من المسلمين" أليس فيه تمييز لنا؟ فأجابه الغرباوي:

-لا يا أخ سعيد. فجماعة من المسلمين معناها أننا نطبق قوله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} *82... ثم واصل:

-ولقد وقف المرشد الثاني وهو في المعتقل وقفة صلدة أمام التكفير الذي بدأت يتسرب رويدا رويدا في نفوس بعض الإخوان بسبب التعذيب الرهيب الذي يتجرعونه من زبانية السجن الحربي...

وبنبرة حميمة:

-والحمد لله، لقد عاد كثير من المكفرين إلى رحاب الإخوان المسلمين بعقيدة صحيحة سمحة. قال علي:

-ولكن السرية هي التي تفودنا إلى الأفكار الخاطئة عن الآخرين! فنحن نقول فلان إخوان مسلمون، وعلان ليس من الإخوان المسلمين! أليس هذا يسر سب إلى نفوسنا -بدون أن ندري- أن علان هذا ليس على الإسلام الحق! أما الإخوان فهم المسلمون حقا!!... هز صلاح الشيمي رأسه معترضا:

-هذا تفكير تكفيري يا أخ علي، ولا علاقة له بجماعتنا. فواصل علي:

-على الأقل، التميز يجعلنا نحس أننا مسلمون مجاهدون، يعني "مسلمون درجة أولى"! أما غيرنا فهم متقاعدون عن الجهاد، بعيدون عن الإسلام الحق، يعني "مسلمون درجة ثانية"! وهذا إن لم يكن تكفيرا، فما التكفير عنه ببعيد!!...

تبسم الغرباوي، وقال:

-يا أخ علي، إن هذا التفكير بعيد تمام عن فكر وعقيدة وسلوك الإخوان المسلمين. فتساءل علي:

-أليست جماعة التكفير والهجرة خرجت من عباءة الإخوان المسلمين؟! أليست جماعة التكفير والهجرة قتلت الشيخ الذهبي وعاثت فسادا في الأرض؟! أليست هذه الجماعة التكفيرية موجودة حتى الآن؟ أليس الفكر التكفيري قد انتشر في صميم عقيدة كثير من الجماعات الأخرى غير التكفير والهجرة مثل جماعة القطبيين والسلفية الجهادية...؟!

82 الآية 104 من سورة آل عمران

قال إسماعيل عبد الفتاح:

-الفكر التكفيري خرج من رحم الخوارج أصلاً! والخوارج، قال الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيهم: ((إنهم يمرقون من الدين))، وهم يكفرون من ارتكب الكبيرة... ولم تكن جماعتنا أيام الخوارج يا علي.

تحمس عماد الدسوقي:

-باب التكفير قد سد تماماً في عقيدة أهل السنة والجماعة، وفي جماعتنا من باب أولى.

فاستطرد علي:

-كل الجماعات التكفيرية من أيام الخوارج وحتى الآن ولدت من رحم السرية. فالسرية هي التي تفسد الأفكار والتصورات والعقائد...!

استراب الغرباوي في أفكار علي وقال في نفسه:

من° قال لك هذه الأفكار يا علي؟!

ثم سأله:

-هذه أفكار غريبة عن دعوتنا، فمن أقنعتك بها يا أخ علي؟

ماذا أقول لكم؟ أقول: لقد عرفت هذا الحق من روح والدي وهي داخل الطائر في الكوكب السابع؟! أم أقول لكم: إنني قد علمت هذا الحق من العواصف في الكوكب الثاني أيضاً؟! فهذا الحق واضح وضوح الشمس ومنطقي جداً ولا يحتاج إلى كوكب آخر لنعرفه...

تساءل علي حزينا:

-أليس الأستاذ عيد نجم هو مفكر جماعتنا؟ فأين موقف جماعتنا من بعض كتبه والتي تدعو إلى تجهيل وتكفير المجتمعات الإسلامية، وتدعو المجتمع المسلم الحق -والذي يتمثل في أعضاء الحركة الإسلامية- إلى الانقلاب على المجتمع المسلم ظاهرياً والجاهلي والكافر حقيقياً؟ بل يدعو إلى إزالة هذا المجتمع الجاهلي الكافر من الوجود؟! فهو يكفر كل المسلمين الغير منضمين إلى أعضاء الحركة الإسلامية، ويدعو إلى الانقلاب عليهم وإزالتهم من الوجود...!

سكت علي والحزن يجثم عليه، ثم أضاف:

-وطبعا الأستاذ عيد ليس مفكراً لجماعتنا فقط، بل اتخذته كل الجماعات المكونة -والمحسوبة على الإسلام ظلماً- نبراساً لها في تجهيل وتكفير كل من ليس منوطياً تحت لوائها...!

تبسم الغرباوي وقال بيقين:

-جماعتنا -والحمد لله- لا تكفر أحداً من المسلمين، وموقف جماعة الإخوان من التكفير واضح جداً في كتاب "دعاة لا قضاة".

فقال علي بحماس:

-ولكن جماعتنا لم تبين أخطاء تلك الكتب التي تكفر المسلمين.

لم يرد الغرباوي ولا غيره، ومرت فترة من الصمت العميق الذي مزقه علي وهو يقول بحماسة نفسه الذي لم يبرد:

يا أخوة. التجهيل... التكفير... الانقلاب على المجتمعات المسلمة... كل ذلك نبت وترعرع في أحضان السرية!

فهتف إسماعيل بقوة:

-الديكتاتورية العسكرية الغاشمة في تلك الفترة هي التي غذت هذا التكفير.

وقال صلاح الشيمي:

-عصر الأستاذين أبو الكلام وعيد نجم

انشرح صدر علي، فاستطرد:

-لعنة الله على السرية. فهذا الأمر واضح وضوح الشمس. فالعمل للإسلام لا يكون إلا في الضوء الساطع، وليس تحت الأرض.

فقال الغرباوي بحزم:

-نحن لسنا تحت الأرض يا علي.

وبقوة:

-إن كتب الإخوان في المكتبات وعلى الأرصفة مع بائعي الجرائد وفي معارض الكتب... وبياناتنا منشورة في كل صحف المعارضة... والإخوان موجودون في مجلس الشعب وفي بعض مجالس المحليات... وشعار "الإسلام هو الحل" بارز ومميز لكل انتخاباتنا؛ فنجد في انتخابات مجلس الشعب، والنقابات المهنية، واتحاد الطلاب... فنحن نعمل في النور وليس في الظلام أو تحت الأرض يا أخ علي.

تحمس علي:

-أنا أتكلم عن سرية لقاء الأسر، وسرية لقاء مكتب الشعبة، وسرية الكتيبة، وسرية المعسكر الصيفي والشتوي، وسرية مكتب القطاع، وسرية مكتب المحافظة، وسرية مكتب المرشد... سرية في سرية في سرية!... هل هذه السرية الضاربة بأطنابها في جماعتنا لا تتعارض مع الإسلام الدين الخاتم؟!

أجابه الشيمي:

-هذه السرية ليست بإرادتنا فهي قد فُرضت علينا فرضاً.

وقال سعيد:

-الأمّن هو السبب يا علي.

وقال الدسوقي:

-من سابع المستحيلات عقد مثل هذه اللقاءات في النور.

وتساءل إسماعيل:

-أخبرنا أنت يا أخ علي عن كيفية عقد مثل هذه اللقاءات في العلن؟

أجابهم علي بثقة ويقين:

-يجب على قيادة جماعتنا محاربة الحكومة حتى نحصل على التصريح بالعمل العام المعلن كما كنا أيام الملكية حينما كانت الشعب مفتوحة أمام العالم كله في ضوء الشمس...

فقال الغرباوي:

-ولكن الدولة لن توافق. مع العلم أنه لا يوجد قرار بحل الإخوان.

-نرفع قضية ضد الحكومة، وحتى ضد الرئيس نفسه، حتى نأخذ حقنا في العمل العام. أما العمل السري في دولة مسلمة فهو مخالف للدين الإسلامي، بل حرام!...

فسأله سعيد باندهاش:

-أتقول حرام يا علي؟!

فأجابه علي بقوة:

-نعم أقول: حرام حرام حرام!!...

ثم بحماس بالغ:

-إن العمل السري يكون في دولة تحارب الإسلام.

فقال الغرباوي بحدة:

-ولكن دولتنا تحارب الإسلام فعلا منذ انقلاب يوليو المشئوم.

فرد علي بحدة:

-دولتنا لا تحارب الإسلام نفسه، بل تحارب الجماعات المتطرفة و(المكفراتية) والسرية...

قال الدسوقي بهدوء:

-ولكن في الحقيقة يا أخ علي، إن دولتنا تحارب الإسلام نفسه، وتجفف منابع الدين والتدين، وتنتشر الانحلال والمجون والمخدرات حتى ينحل الشعب فتكون قيادته سلسلة!!...

وقال الغرباوي:

-انظر إلى الموسيقى الغربية والأغاني الفيديو كليب المنحلة والتي تغطي مساحات واسعة من الإعلام الرسمي!...

وقال صلاح الشيمي:

-الأغاني القديمة ذات الموسيقى العربية الأصيلة انحسرت مساحاتها تماما للوافد الجديد المنحل!

وقال إسماعيل عبد الفتاح:

-حتى الدعاة الذين يلتفون حولهم الجمهور ولهم شعبية طاغية، كأمثال الشيخ حامد غزال والشيخ عبد الحميد كامل والشيخ عبد الستار صادق، أخرجوا ألسنتهم، بل حبسواهم في بيوتهم!...

فرد علي بيقين بالغ:

-أنا أقصد السرية لا تكون إلا في الدولة التي تحارب إقامة الشعائر الإسلامية، ولا يستطيع المسلم فيها أن يقيم مسجدا لله يصلي فيه، ولا يستطيع أن يحج، أو أن يقيم أي شعيرة من شعائر الإسلام.

ثم وضح أكثر:

-بل ربما لا يستطيع أن يُسمى باسم إسلامي، بل تجبرهم الدولة أن يُسمى بأسماء كافرة، كأمثال دولة الاتحاد السوفيتي السابق، وبلغاريا أيام الشيوعية وغيرهما!...

فهتف الغرباوي:

-في مثل هذه الدول، يجب أن يهاجر منها المسلم.
فقال علي:
-إن لم يكن في استطاعته الهرب، فيجب عليه أن يعمل للإسلام في سرية، وهذا هو مكان السرية فقط.
فقال الغرباوي:
-ويجوز السرية أيضا -إن لم تجد وسيلة غيرها- في العمل للإسلام داخل الدولة المسلمة التي لا تطبق شرع الله حتى تسود الشريعة الإسلامية.
رد علي بهدوء:
-أختلف معك يا أستاذي.
فتساءل الغرباوي بحدة وهو يتفرس عيني علي:
-لماذا لا تخبرنا بمن غسل مخك بهذه الأفكار؟ هذه أفكار السلفيين، وهي أفكار الكتاب الحكوميين في الصحف القومية.
تساءل علي مع نفسه ضاحكا:
غسل مخي؟!
ثم رد على تساؤل الغرباوي:
-السلفيون الجدد والقدامى، متعصبو الفكر وضيقو الأفق، ودعوتهم المتعصبة لا تجد لها أرضا.
فقال إسماعيل:
-السلفيون الجدد يحاربون الإخوان المسلمين أينما وجدوا! ففي السودان ظهر السلفيون بعد انتشار الإخوان، وحتى في مالي، ظهر السلفيون بعد ظهور الإخوان! فجل دعوتهم تتلخص في التشويش على الإخوان، وتنفير الناس منا!...
وقال سعيد:
-ويدعون أنهم على خطأ السلف!
وقال عماد الدسوقي:
-ويدعون أنهم الجماعة الحقّة!
وقال الشيمي:
-ويدعون أن غيرهم على ضلال وإضلال!
وقال علي:
-حتى عندنا في انتخابات اتحاد الطلاب، يشوشرون علينا. ومن العجب أن الأمن نفسه ينزع إعلاناتنا الانتخابية، ويلصق إعلاناتهم عيني عينك بدون ورقة توت يغطون بها سوءاتهم!...
ضحك صلاح الشيمي وإسماعيل عبد الفتاح. قال الشيمي:
-السلفيون أيا منا، كانوا يحرمون دخول اتحاد الطلاب، لأنه يتبع الدولة التي لا تطبق شرع الله!
فقال علي بحماس:

-الآن حلال حلال، لكي يحاربوا نشاطنا في الجامعات. بل وينفرون الطلاب منا ومن دعوتنا. ووصلت القحة بهم أنهم يدعون أن الإخوان المسلمين الذين أعدموا في الخمسينات والستينات كانت بسبب ذنوبهم!... وينشرون بين الطلبة أن الإخوان قد فر منهم ومن دعوتهم العلماء كالشيخ حامد غزال والشيخ يعقوب القاضي، وبالتالي فالدعوة بدون علماء، لا بد وأن تتخبط في الجهل والضلال...!

وبتفاؤل:

-ولكن الله للظالمين بالمرصاد، فالطلاب يحبون الإخوان ودعوتهم المعتدلة... وبساط دعوتنا يتمدد بسرعة رهيبة بين الطلاب...

قال الدسوقي:

-السلفيون يحرمون دخول مجلس الشعب الآن، وينشرون كتيبات كثيرة في هذا الأمر ويوزعونها مجاناً!

فقال الغرباوي:

-أيام الخمسينات والستينات، كانت السعودية تدعم الإخوان وتستقبل الفارين من جحيم الناصرية ومعقلاتها، وربما يكون هذا الاستقبال المحموم كان كيدا في ناصر. ولكن منذ الثمانينات، والدعوة السلفية تحارب الإخوان بأي شكل! فالنشرات تُوزع مجاناً لأنها مدعومة من السعودية!...

وقال إسماعيل:

-يجب على كل العاملين للإسلام أن يتحدوا لمجابهة عدوهم المشترك.

وقال سعيد بمرارة:

-بأسنا بيننا شديد للأسف!

وقال علي:

-فعلا يا سعيد، فهذا التفرق يضعف التيار الإسلامي، ويقوي التيارين العلماني والملحد!

وقال الغرباوي:

-﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾⁸³...

فقال علي في ضيق شديد:

-ولكن يجب أن نعمل في النور حتى لا نكون زبدا. يا أخوة، يجب أن تكون جماعتنا في النور كما كانت حينما أسسها الشهيد حسن البنا سنة 1928 وحتى عام 1954. يجب أن نعمل -على الأقل- تحت مظلة وزارة الشؤون الاجتماعية حتى يأتي النصر والتمكي...
لم يكمل الكلمة لأن روحه قد صعدت للكوكب السابع لمقابلة غلام أصحاب الأخدود...

⁸³ جزء من الآية 17 من سورة الرعد

خلق المعلم وروح علي عبد المنعم في سماء الكوكب السابع، وشاهدا وتمتعا بالجمال والجلال والروعة...

هتفت روح علي:

-لو كان هذا الكوكب هو الجنة لكفى.

فقال المعلم:

-لكفى وكفى. فهذا الكوكب هو جنة فعلا.

ومتبسما:

-يا ليت آدم لم يأكل من الشجرة فقد كان يعيش هنا.

قالت الروح بحرارة: "يا الله يا الله... لو لم يأكل آدم -عليه السلام- لكانت هذه مساكننا وجناننا وحياتنا".

-هي إرادة الله ومشيتته لكي يعمر البشر الأرض ويسلكوا في مناكبها ويأكلوا من رزقه سبحانه وتعالى...

تأمل المعلم أرواح المؤمنين السابحة حوله في سماء الكوكب، فهتفت: "يا علي... يا علي... ها هي أرواح المؤمنين تسكن مساكنها الأولى، ها هي تسكن مساكنها الأولى".

ثم أضاف: "من هنا خرجوا، وإلى هنا عادوا. أما النعيم الأزلي ففي جنة عدن، وجنة المأوى، وجنة المقام، والفردوس الأعلى أعلى وأعلى وأعلى".

تأمل في القصور الشامخة، والبيوت الباذخة، والأنهار المتدفقة، والجداول المترققة، والخضرة الداكنة...

قرأ المعلم بخشوع قوله تعالى:

{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * ذَوَاتَا أَفْنَان * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَان * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَان * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * مُتَكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَان * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * كَانَتْهُنَّ يُفُوتُ وَالْمَرْجَانُ * 84} أجهد المعلم وروح علي بالبكاء حين وصلت التلاوة إلى قوله تعالى: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ * 85}...

ثم هتفا معا بصوت مخنوق من البكاء:

-ما أعظم إحسانك يا رب... ما أعظم إحسانك يا رب...

سبحا معا في سماء الكوكب مسافات رهيبية. قال المعلم:

84 الآيات 46 - 59 من سورة الرحمن

85 الآية 60 من سورة الرحمن

-لقد قطعنا ملايين السنين الضوئية بسرعة الضوء!
وبحماس: "وها هو قصر الغلام الشهيد".
فقالت الروح: "ما أعظم وأجمل وأروع وأبذخ هذا القصر!"
-ألم يقل لك والدك بأنه أحد الملوك السبعة هنا؟
-بجهاده ودعوته واستشهاده يستحق أن يكون كذلك...
-إن الوفود مازلت لا تنقطع عن شرف زيارة هذا الغلام الملك...
قالت الروح بتعجب: "حقا يا معلم، إن وفودا غفيرة من الطيور التي تحمل أرواح المؤمنين تدخل القصر، ووفودا أخرى تخرج ولا تنقطع أبدا".
ثم هتفت بحماس: "ما أعظم مكانته! ما أعظم مكانته!"
-لقد ضرب هذا الغلام مثلا عظيما في الدعوة إلى الله والتضحية بالنفس في سبيله مع أنه غلام صغير.
دخل المعلم وروح علي إلى الغلام فشاهدها مستويا على كرسيه في قصره المنيف والوفود تسلم عليه وتعود...
هتفت الروح: "يا للعجب!"
وبحماس شديد:
-إن الغلام موجود بصورته الحقيقية بدون أن تكون روحه داخل طائر!
قال المعلم بخشوع:
-هذا من فضل الله وكرامته لهذا الشهيد...
جاء الدور على المعلم وروح علي، فرحب بهما الغلام بابتسامة مضيئة قائلا:
-مرحبا بمرشد ومربي الأجيال!
ثم أردف:
-وسفير السماء!
ثم أضاف وهو ينظر إلى روح علي:
-ومرحبا برفيقك الشهيد!
تعجبت روح علي من لقب المعلم ومن تبشيره بالشهادة!
هتف المعلم والروح معا:
-مرحبا بك يا ملك الشهداء.
قالت روح علي:
-يا ملك الشهداء، أخبرنا عن الملك الطاغية الذي جعل شعبه يعبد من دون الله.
فسبح الغلام الله -عز وجل- وحمده ومجده، ثم قال:
-لقد كان هذا الطاغية يستعين بالسحرة في إدارة شئون ملكه، فأوحوا إليه ذات يوم بأنه من سلالة الإله، وأنه لا يزيغ ولا يضل، ولا ينبغي له ذلك لأنه إله!... فهل الإله يخطأ؟ وهل الإله يضل؟ وهل الإله يزيغ؟ ولذلك يجب أن يعبد الشعب ويوحده ويعظمه ويمجده! فسارت الأمور

كما أراد السحرة، وعبد الناس الملك! إلى أن جاء اليوم الذي تحققت فيه من أن أمر الراهب أحب إليه -سبحانه وتعالى- من أمر كبير السحرة الذي كان يعلمني السحر... قال المعلم:

-في ذلك اليوم، كانت لك كرامة جلية حينما قتلت الدابة العظيمة التي كانت تسد طريق الناس. فقال الغلام:

-الحمد لله على كرمه وفضله.

سألت الروح الغلام:

-ما حجم الحجر الذي قتلت به الدابة؟

أجاب الغلام متبسما:

-كان في حجم الحجر الصغير الذي تضربون به الجمرات في الحج!

-سبحان الله... حجر في حجم حبة الحمص يقتل دابة عظيمة تسد طريق الناس! فهتف المعلم: "ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء".

تساءلت الروح: "يا ملك الشهداء، ألم تكن خائفا حينما كنت تذهب إلى الملك برجليك لتخبره بفشل زبانيته في قتلك؟"

-لقد ألقى الله السكينة في قلبي فلم أشعر إلا بالاطمئنان والراحة حين كانوا يحاولون قتلي وكذلك حين مواجهتي للملك بعد كل محاولة فاشلة في قتلهم لي... ثم استطرد:

-والعجيب أنني كنت أرى في المنام حية عظيمة تدخل من قدم الملك وتستقر في رأسه! تساءل المعلم: "وما تأويل ذلك يا ملك الشهداء؟"

-كان الملك واقعا تحت تأثير سحر كبير السحرة!

كادت الروح أن تسأله لِمَ لم تخبر الملك بذلك؟

ولكن المعلم هو الذي سأله:

-يا ملك الشهداء، لماذا لم تخبر الملك أو تعالجه من هذا السحر؟ وأضاف:

-ربما كان في شفائه نجاة المؤمنين من نيرانه.

أجابه الغلام متحسرا:

-أخبرته، فلم يصدقني لأنه اعتقد فعلا أنه إله ومن سلالة آلهة!...

ظل الثلاثة يسبحون الله ويحمدونه ويمجدونه...

ثم تساءل المعلم:

-ولم لم تجادله حتى يقتنع بالحق؟

-لقد جادلته في السر الأعظم في الحياة الدنيا ألا وهو الموت، وقلت له هل إذا كنت إليها حقا، فهل تستطيع أن تمنع الموت عن نفسك أو عن غيرك؟!!

فسخر مني قائلا بأنه لن يموت لأنه الإله الحق! فقلت له: "ولماذا لم يمنع أبائك الموت عن أنفسهم إذا كانوا آلهة ومن سلالة آلهة؟!" فأسقط في يده ولم يرد. والسحرة أجموا أيضا بالصمت المطبق... فتحمست كثيرا وأحضرت نملة وفركتها بأصبعي وقلت له ولزبانيته ولسحرته الحاضرين: أحيوها إن كان ملككم إلها حقا؟! فأسقط في أيديهم جميعا ولم ينبسوا ببنت شفة!...

تساءلت الروح بحماس:

-أيها الملك الشهيد الحي، قد أفحمتهم الحجة، فهل آمنوا بالحق؟

-بعدما حلق الصمت عليهم جميعا، ضحك كبير السحرة فجأة وسخر مني قائلا:

-إن الملك الإله لا يحيي نملة -يا مسكين- إنما يحيي البشر لأنه رب البشر! إن شعبه ينام مطمئنا في حمايته وتدبيره ويقظته!... إن أدعياء النبوة فروا من أعدائهم، أما ملكنا الإله ابن الإله ابن الإله، فإنه يعصر أعدائه في قبضته عصرا، إنه يقذفهم في ظلمات البحار ليكونوا طعاما للحيتان، أو يقذفهم في الفياقي تحت النيران!... إن ملكنا لا يغفل ولا ينام، لا تأخذه سنة ولا نوم، إنه يأتي بالعجائب كلها!... إن يديه تفيض بالخبرات والبركات؛ بالليل والنهار، بالصيف والشتاء، في البر والبحر، في الأرض والسماء، في الظل والشمس، في النور والظلام!...

ضحك الغلام والمعلم وروح علي وكل الأرواح الحاضرة...

قالت روح علي ضاحكة:

-إن هذا الملك لو لم يكن مسحورا لسُحر بهذا الكلام!

وقال المعلم:

-تاريخ البشرية كله مليء بهؤلاء المسحورين!

امتد اللقاء شيقا مع الغلام الشهيد وهو يحكي عجائبه مع الملك والسحرة...

وقبل الانصراف، تساءلت روح علي:

-يا ملك الشهداء، كيف عرفت أنني من الشهداء؟!

-إن أرواح الشهداء تُعرض علينا فعرفتك.

ثم هتف:

-فهنيئنا لك الشهادة يا علي... هنيئنا لك الشهادة يا علي...

فتبسم المعلم قائلا:

-هنيئنا لك الشهادة يا علي...

فتساءلت روح علي في تعجب:

-وكيف عرفت اسمي يا ملك الشهداء؟!

تبسم الغلام وهو يجيب:

-إن أرواح الشهداء تُعرض علينا بأسمائهم وصفاتهم...

-102-

أنا لابد أن أخبر زبيدة عن حبي لابتهاال وعزمي للزواج منها... أكيد لن تغضب زبيدة لأنها كانت صديقة وزميلة لها عكس بهيجة. لا. لا، لن أخبرها بالحب ولكن بالزواج فقط. والزواج منها يا زبدة يا حبيبتي، لا يتعدى الشفقة بها والعطف عليها لوحدتها الآن. فقد كان عالم الفن شاغل حياتها أما الآن فهي في وحدة حتى وهي تعمل بالمستوصف الخيري. وإذا كانت ابتهاال راقصة، فإنها تابت الآن عن الرقص والعري. حتى أموالها التي لا تُحصى تبرعت بها في سبيل الله. إنسانة محترمة بمعنى الكلمة...

فهل ستوافق زبيدة يا ربي؟

أكيد ستعلنها حربا ضروسا...

أكيد ستعلنها حربا عالمية ثالثة...

مسكينة ابتهاال فقد كانت تحبني طوال هذه السنين وأنا لم يتعدَ حبي لها إلا المتعة المحرمة! أكيد لم يكن حبا! سافرتُ ووعدتها بالزواج وخنسْتُ وعدي، ولم أكتفِ بذلك، بل تزوجت صديقتها بمجرد ما عرفتني بها. أناانية طاغية!...

يا حبيبتي يا ابتهاال. يا حبيبتي. أحبك بصدق. أنا أحبك قوي قوي...

لابد أن أخبر زبيدة. لابد...

-ما بك يا صلاح؟ ما هذا الشرود المتكرر في الآونة الأخيرة؟!

انتشل صلاح نفسه بقوة من عميق أفكاره ورد:

زبيدة.

-خير يا حبيبي؟ من الحبيبة الجديدة التي أخذت قلبك؟!

الحبيبة الجديدة؟! أمعقول! أكون زبيدة قد عرفت بحبي لابتهاال؟ غير معقول. ولكن نبرة زبيدة غريبة! أكيد تعرف شيئا ما... المرأة لها قرون استشعار، قرون استشعار للاستشعار عن بعد، ريموت كنترول طبيعي. نبرتها غريبة فعلا. لابد أن أخبرها بالحبيبة الجديدة القديمة. لا داعي للكذب. الحقيقة نور ساطع...

صمتُ ثانية يا صلاح.

قال صلاح وهو يتحاشى عيني زبيدة الثاقبتين إلى أعماقه المجهولة:

-حبيبة؟ الحبيبة الجديدة؟ ماذا تقصدين يا زبيدة؟

ثم أردف بصوت غريب عن سمعه:

-بهيجة؟ بهيجة في مستشفى الأمراض العقلية.

ما هذا الجبن الذي يحتويه؟ لماذا أستعبط؟! لا حول ولا قوة إلا بالله. كنتُ أريد أن أخبرها بالتدريج وأهينها لذلك، فإذا بها تعرف شيئا ما. لقد بُهتُ. أكيد ستتحدث عن أزمة منتصف العمر التي لا تريد أن تتركني...

انتبه صلاح على صوت زبيدة الحاد:

خاني!
 ثم ببرود قاتل:
 -الراقصة ناني!
 بيد أنك تعرفين الكثير يا زبيدة...
 توهج وجه صلاح وتساءل بتلعثم:
 -ماذا؟ ماذا تقصدين؟ لماذا تسأليني عن صديقتك القديمة ابتهاج؟
 لم ترد زبيدة. استطرد:
 -ألم تسمعي عن توبتها من الرقص؟
 -سمعت، وظننت في أول سماعي أنها إشاعة.
 قال صلاح بحماس:
 -بل حقيقة. والعجيبة أنها تبرعت بكل ما تملك للفقراء والمساكين، وحتى قتلها الأنيقة تبرعت بها في سبيل الله.
 تساءلت زبيدة بخبث ومكر:
 -وكيف عرفت أنها ثيلا وأنها أنيقة؟!
 وضغطت على حروف كلمة "قلة".
 تلعث صلاح ولم تسعفه بديهته أن يرد...
 -لا داعي لهذا التلعثم يا صلاح. تكلم بطلاقة يا رجل. ولماذا هذا الاحمرار في وجهك؟!
 ازدرد صلاح ريقه بصوت عال وغرق في بحور الصمت...
 لماذا تخرجيني هكذا يا زبيدة؟ الله يسامحك...
 -تكلم يا صلاح. لماذا كل هذا الصمت؟
 رد بضيق:
 -أكيد الراقصة الأولى في المحروسة عندها ثيلا أنيقة.
 ثم استسلم تماما للصمت، فقد كان طوق نجاة...
 ظلت زبيدة تتأمل ثم أطلقت قذيفة انتشرت صلاح من صمته العميق...
 -أين كنت تبين حينما قبض على إخوانك وبعد الخناقة مع بهيجة؟!!...
 يا هول المصيبة! نبرتها تؤكد أنها تعرف شيئا ما...
 -كنت أبيت في فندق، في لوكاندة، في أي مصيبة...
 تبسمت زبيدة ساخرة وهي تقول:
 -أتكذب يا صلاح؟!
 وهي تنفرس أعماق صلاح المجهولة:
 -أنا علمت من مصادر خاصة أين كنت تبين.
 فغر صلاح فاه وتساءل باندهاش:
 -ماذا تقصدين؟

-لقد كنت تبيت عند ناني الراقصة في قَلْتها الأنيقة!... وبصوت مخنوق من البكاء:

-أخبرني رجب ابن خالتي الذي يعمل ضابط أمن في قَلْتها الأنيقة!... مادت الأرض تحت قدمي صلاح، وزلزلت زلزالا شديدا ...

ما هذا يا ربي؟ أنا لم أنظر إلى وجه فرد الأمن، وكنت أراه من جانب عيني وهو جالس في كشكه الخشبي، ولم أره وجهه مباشرة إلا مرة واحدة. وحاولت أن أتذكر أين رأيته ولم أفجح. ولكنني تذكرت الآن فهو قد حضر عقد قراني. ألم يجد ابن خالتك مكانا للعمل إلا عند ناني؟! ما هذا الحظ العثر؟ ولماذا صَمْتُ يا زبيدة في المرة الأولى؟ على الأقل، كنتُ تجنبُ المبيت مرة ثانية. في المرة الأولى، كان زوجك صَدِيقًا، ولكن في المرة الثانية كان زنديقًا! كُتِب علي ذنب كبير بلا داع له. حماقة كبرى. زنا في حائض!... يا سخرية القدر يا رجب. إنا لله وإنا إليه راجعون. لا حول ولا قوة إلا بالله. أستغفر الله...

قال صلاح بعدما جمع زمام نفسه المنفرطة وجفف عرق وجهه بيديه:

-كنت أبيت في أي مصيبة في أي داهية. ما المشكلة الآن؟

احتدت زبيدة:

-أنت تخونني للأسف!

فوضع يده على فمها وقال:

-أفضلحيننا مرة ثانية؟! اخفضي من صوتك. الأبناء سيسمعون.

قالت بصوت باكٍ:

-أنت سبب الفضائح التي تحدث لنا.

قبلها في خدها، وقال:

-يا زبدة، اعتبري أنني اخترت مكانا لا يعلم به أحد ولن يصل إليه الأمن. وابتهال لا تعيش لوحدها فقد كان عندها خادمة تبيت بالداخل وبواب وفرد الأمن. ولا تنسي أن ابتهال كانت صديقة لنا.

قالت زبيدة بعدما هدئت نسبيا:

-صديقة؟! دعنا من مكان مبيتك وإن كان قد ترك جرحا في قلبي، الله أعلم بالتئامه. فلماذا لا تركز في عيادتك وتترك هذا المستوصف المشنوم؟

-أقولين عليه مشنوم؟! نعم، هو مشنوم، وهو السبب في خراب بيتنا. ألم تعمل به من أجل خاطر سواد عيون بهيجة فيما مضى ثم الآن من أجل العيون العسلية الواسعة للراقصة التائبة؟

وبمرارة شديدة:

-أنا كرهت هذا المستوصف.

-أنا عملت بالمستوصف بأمر من جماعة الإخوان. وقلت لك إنني أعمل مديرا فنيا بأمر من الإخوان أيضا. أما بهيجة فدعينا منها ولندعو الله لها بالشفاء.

-دعنا من موضوع بهيجة فقد انتهى. والله أعلم.
زفرت زفرات حارة ثم تساءلت:
وماذا عن الراقصة التائبة ناني؟
-لا تذكرى اسم ناني فاسمها الأصلي -كما تعلمين- ابتهاج، وناني اسم راقص كان يناسب عملها السابق. وهي الآن سيدة محترمة تركت زخارف الدنيا والشهرة والمال والمجد من أجل دينها. ولقد عملت بالمستوصف من أجل أن تكفر عن سيئاتها. أفلا نساعدها؟ فهي الآن مسئولة عن مكتب الخدمة الاجتماعية لتقدم خدمة لأهالي الحي. والمستوصف يعطيها مرتبا معقولا لكي تعيش منه مع العلم أن أمير عربي عرض عليها الزواج بعد اعتزالها للفن فرفضت.
قالت زبيدة بمرارة ساخرة:
-طبعاً، رفضت لتكون بجوار حبيب القلب الدكتور صلاح الحبيب القديم الجديد.
ثم بنبرة حزن:
-أنا وصلتنى أخباركما للأسف.
سكنت قليلاً لتجهض بكاء مريراً يكاد أن ينفجر من أعماقها...
وبعد قليل، استطردت بمرارة شديدة:
-توجد ثمة علاقة بينكما!
ثم أخذت نفساً عميقاً ولم تستطع أن تقاوم فانفجرت بكاء ونحيباً...
ضمها صلاح إلى حضنه لتسكت فدفعته بيديها بقوة...
أتى خالد وسحر على بكاء أمهما فأخرجهما صلاح من الحجرة وأغلق الباب. حاول تهدئتها وربت على ظهرها ولكن زبيدة بعدت عنه وجلست على الأرض جلسة القرفصاء وحضنت رأسها واستمرت في النحيب...
تساءل صلاح في نفسه بحق:
من الذي يخبرك أخباري أولاً بأول؟ من؟ من؟
اقترب صلاح ثانية منها وربت على رأسها، وقال:
-الموضوع ببساطة أن الإخوان كفوني بالبحث عن زوج صالح مناسب لها.
فقالت زبيدة بعنف:
-طبعاً، لم تجد إلا نفسك مناسباً لها حتى تجدد الحب القديم وتنفخ فيه من قلبك لتعيد فيه الحياة...
تبسم صلاح:
-حب قديم؟ ألا تذكرين يا زبيدة حينما عرفتني ابتهاج بك تركتها وتزوجتك وأحببتك الحب كله؟
ردت ساخرة:
-الحب كله! زمان يا حب!
-هي الآن في شدة ويجب على المجتمع كله أن يقف بجوارها. لا تنسى أنها تزوجت زيجات فاشلة.

-لابد أن تكون زيجات فاشلة لأنها زيجات من أجل هز الوسط. فلما تشيع أزواجها من هذا الهز تركوه وتركوا صاحبته.

-تركوها. تركتهم. ألا تساعدن من ثابت إلى الله؟ أين الولاء والبراء؟ لابد أن تساعدن يا زبدة.

-فغرت زبيدة فاها مندهشة حينما قرأت ما يقصد من خلال عيني. تساءلت:

-ماذا تقصد من مساعدتي؟ هل تريد فعلا أن تتزوجها كما علمت؟ أم تريد أن أبحث لها عن زوج؟ أم تريد أن أخطبها لك؟!...

لم يجيبها صلاح. فضربت وجهها وقالت:

-يا مصيبتى. نحن تخلصنا من موضوع بهيجة فدخلنا في موضوع نانى.

-الزواج عندك مصيبة.

فلطمت وجهها أكثر، وبكت بصوت عال، وقالت باكية:

-يعني فعلا، أنت تريد الزواج منها؟

دخل خالد وسحر على بكاء أمهما ثانية فنهراهما أبوهما وأمرهما بالخروج فلم يخرججا. قالت سحر:

-حرام عليك يا بابا. أنت تعذب ماما. هي حكمت لنا كل شيء.

وقال خالد:

-أنت يا بابا، عازم على الزواج من طنط ابتهال!

نظر صلاح إلى زبيدة نظرة غيظ ثم قال:

-حتى لو حدثتكم ماما بكل شيء، فأنا لم أسمح لكما بالدخول والمشاركة في الحوار.

قال خالد: "نحن دخلنا على بكاء ماما".

وتساءلت سحر: "لماذا تتزوج ثانى يا بابا؟ أترضى أن تأتى بضرة لماما الحبيبة؟"

-عيب عليك يا سحر أن تدخل في حوار مع بابا وماما دون موافقتهم أو على الأقل موافقتي.

وعلى العموم، طنط ابتهال كانت صديقة لماما. وأنت تعرفين أنها كانت راقصة مشهورة وتابت إلى الله من الرقص. وقد تزوجت وفشلت في زواجها. وأبواها قد ماتا. وليس عندها أبناء. أليس من الشهامة والمروءة أن يتزوجها رجل مناسب؟

فتساءلت زبيدة بغضب بعدما عضد ولداها نفسها التائهة بقوة معنوية:

-ولماذا الرجل المناسب لا يكون إلا أنت؟!

فتبسم صلاح: "للأسف، المرأة المصرية أنانية جدا! ألم تسمعي -ونحن في السعودية- عن الزوجات اللاتي يبحثن عن زوجة ثانية لأزواجهن؟ وأين الشريعة الإسلامية في فكرتك وعقيدتك وسلوكك؟ وأين أنت من جماعة الإخوان المسلمين التي تنتمين إليها؟ صدقيني لا فرق بينك -وأنت تنتمين لجماعة تعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية- وبين أي زوجة مصرية أخرى لا تنتمي إلى أي جماعة ولا تعرف أي شيء عن دينها. الأنانية هي التي تجمع بينكن جميعا. كلكن أنانيات لا تنظرن إلا إلى أرنبه أنوفكن. أنانية. أنانية. أنانية طاغية".

قالت زبيدة:

-الشرعية الإسلامية! الشرعية الإسلامية التي نأخذها على هوانا! أين دينك؟ وأين التزامك
بجماعة الإخوان؟ وأين غض البصر؟ وأين مروءتك حينما تبيت عند راقصة يا إخواني؟!... أين
مروءتك يا من تريد تطبيق الشرعية على هواك؟! لماذا الرجال سواء كانوا إخوانا أو غير
إخوان عيونهم (زايغة)؟! لماذا؟! أجيني.

-أنا لا عيني (زايغة) ولا يحزنون. كل ما في الأمر أنني أريد أن أحصن امرأة كانت يوما ما
جارة لنا، وكانت يوما ما صديقة لك، يعني ليست غريبة عليك. وهذه المرأة لا تجد اليوم من
يقف بجوارها بعدما تابت إلى الله وطلقت الدنيا وزخارفها ثلاثا.

-يعني أنت تريدها ضرة لي.

-ولماذا لا؟ أليست جامعية مثلك؟ أليست إنسانة محترمة مثلك؟

قالت زبيدة بصوت متهدج:

-يعني ما سمعته عنكما صحيح.

-دعك ما سمعته. فكري جيدا يا زبيدة، كيف تقفين بجوار إنسانة تائبة. فكري...

قالت زبيدة في نفسها:

العجيب أنك كنت تقول عليها أثناء تألقها في الرقص والشهرة إنها تحمل وجه قردة! سبحان
مغير الأخوال!...

ثم قالت بعيون اشتعلت غضبا ونارا:

-ولماذا يا صلاح، لا نبحث عن رجل مناسب غيرك؟ أي رجل يتمنى أن يتزوج من راقصة
وخاصة إذا كانت تائبة من الرقص حتى ترقص له بمفرده.

ثم تساءلت بغم مليء بالمرارة والحنق:

-تريدني أن أفكر. أفكر في ماذا؟ أفكر في خراب بيتي؟! إن نار موضوع بهيجة لم تبرد بعد ثم
نحترق الآن بنار ناني. لا حول ولا قوة إلا بالله. إنا لله وإنا إليه راجعون. إنا لله وإنا إليه
راجعون...

قبلها صلاح في جبهتها، وقال:

-فكري مرات ومرات. يكفي أنها كانت صديقتك.

فردت في غضب:

-يا سيدي، كانت صديقتي وانتهت هذه الصداقة.

وبحنق شديد:

-الله يخرّب بيت هذه الصداقة. الله يخرّب بيتها.

لم يعلق صلاح، إنما قبلها ثانية في جبينها قائلاً:

--فكري مرات ومرات. واعلمي يا زبدة، أنني لن أقدم على هذه الخطوة إلا من خلال إرادتك...

تحير الأستاذ أحمد الغرباوي في أفكار علي عبد المنعم عن الإخوان المسلمين. ولماذا تغير فكره عن الجماعة فجأة بدون أي مقدمات؟!...

فعلي هو أفضل إخواني، فماذا حدث له؟! أفكاره بعيدة عن فكر الجماعات الإسلامية المعادية للإخوان ماعدا جماعة السلفيين، وقريبة من أفكار العلمانيين والمعادية للإخوان أيضا. ماذا حدث لك يا علي؟ هل يتصل بك أحد من أعداء الجماعة فيبذل أفكارك؟ ما حقيقة الأمر يا بني؟ أنا في حيرة شديدة من أمرك. ماذا دهك يا علي؟! لقد كنت من أفضل الإخوة، فما الذي حدث لك؟! لقد كان كل واحد من أفراد الأسرة به تردد حينما علم أنه انضم لجماعة الإخوان المسلمين إلا أنت يا علي لم يحفك التردد أبدا وكان اليقين الأزلي هو إيمانك بدعوة الإخوان المسلمين...

فما دهك يا بني؟ ومن الذي يلعب برأسك؟ ومن الذي يفسد أفكارك هكذا؟!...

لقد ضغطت عليك ذات مرة لتخبرني عن الذي يلعب بأفكارك، فأخبرتني بكلام غامض لم أفهم منه إلا كلمة "العاصفة"!!... فما العاصفة؟! هل أصابك مس من الجنون؟! أم الصرع هو السبب. لا حول ولا قوة إلا بالله. إنا لله وإنا إليه راجعون...

يجب أن أخبر نقيبى الأستاذ الوكيل ليجد لي حلا لهذه الأفكار التي ستبذل إخوانك في الأسرة وتشتتهم...

وفي أول لقاء لأسرة الوكيل، قال الغرباوي لنقيبته:

-يا أخ محمد، الأخ علي عبد المنعم يفاجئنا كل حين بأفكار غريبة ناقدة لجماعتنا. فتساءل الوكيل:

-مثل ماذا؟

-يدعي أننا بتسمية الجماعة بالإخوان المسلمين أن معنى ذلك أن غيرنا غير مسلمين! فتساءل الوكيل مندهشا:

-سبحان الله. كيف يفهم هذا؟! ثم قال وهو يشير إلى نسخة القرآن الكريم التي أمامه:

-إن تسمية جماعتنا مشتقة من القرآن الكريم. ألم يقل الله في قرآنه الكريم: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} 86؟ وألم يقل الله في كتابه الكريم: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ} 87؟...

-ويقول: إن العمل الدعوي السري حرام حرام.

-.....؟

-رددت عليه. ولكن لا أدري من الذي يلعب بأفكاره!

قال أخ 1:

-إن أخوة جماعة "التكفير والهجرة" طردناهم من جماعتنا لما انتهجوا نهج تكفير المسلمين.

86 جزء من الآية 10 من سورة الحجرات
87 جزء من الآية 78 من سورة الحج

وقال أخ2:

-الله يرحم المرشد الثاني، الذي وقف وقفة صلدة أمام التكفير الذي نبت في أحراش التعذيب المهول في السجن الحربي.
توجه الوكيل للغرباوي سائلا:
وماذا أيضا؟

-في لقاء آخر، ادعي أننا جمدنا أعضاء الجماعة على مستوى العالم في قوالب متحجرة، فلا توجد حرية فكرية كما يدعو إليها الإسلام، ولا مرونة في الفكر، ولا تجديد في تربية وتنشئة عقول الأفراد ونفوسها...!
ضحك الوكيل قائلاً:

-لو كان عندنا مدارس فكرية لتفتت بنيان الجماعة من زمان.
انداحت كلمة مدارس فكرية في رأس كل فرد من الحاضرين حتى وصلت عند أخ4 الذي قال بحماس:

-إن سر عظمة جماعتنا في توحيد الفكر.

وقال أخ2 متحمساً أيضاً:

-هذا كلام غريب على فكر الأخ علي عبد المنعم!

وقال أخ3:

-علي من أفضل أخوة الإخوان في الشعبة.

ثم تساءل باستغراب:

-فكيف يفكر هذا التفكير الغريب عن توجهات الجماعة؟

فهتف أخ1 بقوة:

-الله يرحم والده فقد كان أمة بمفرده...

ثم بنبرة حزينة:

-لو عاد من قبره لاندعش من تفكير ابنه!

توالى التعليقات من الحاضرين حتى قال أحدهم:

-ألم يعلم هذا الأخ أن جماعتنا جماعة عسكرية؟ والحياة العسكرية لا تحتل النقاش وإلا فالفشل سيكون حليفها.

رد أحدهم عليه:

-من بديهيات الإخوان المسلمين أنها جماعة عسكرية ودعوة سلفية وحقيقة صوفية...

توالى التعليقات حتى تبسم الغرباوي وهو يقول:

-الأخ سعيد الزامل كان أقرب لفكر الجماعات الإسلامية التي تنتهج الفكر العنيف أو الإرهاب والآن هو إخواني صميم أكثر من علي عبد المنعم نفسه!

فهتف الوكيل بقوة:

-سبحان مثبت القلوب.

ثم تساءل:

-وماذا يقول أيضا يا أخ أحمد؟

-يقول إننا اتجهنا اتجاهها سياسيا وتركنا إصلاح المجتمع الذي نادى به حسن البنا في تأسيس الجماعة.

"اتجهنا اتجاهها سياسيا وتركنا إصلاح المجتمع"، "اتجهنا اتجاهها سياسيا وتركنا إصلاح المجتمع"، "اتجهنا اتجاهها سياسيا وتركنا إصلاح المجتمع....!" تردد قول الغرباوي وصداه في عقول الحاضرين حتى تجرأ أحدهم:
-أنا أرى مثل هذا الرأي.

ثم فسر ما يراه:

-فالسباسة غلبت على أنشطتنا وجهدنا، وحتى تربية أفراد الجماعة وهنت كثيرا للأسف!...
لم يدع الوكيل النقاش حول هذا الأمر الشديد الحساسية والموقع غير مجرى الحديث بسرعة
سائلا الغرباوي:

-وماذا يقول أيضا؟

-يقول إننا تجمدنا في حركة الدعوة ولم نطرق أبوابا جديدة في مجال الدعوة إلى الله.
فقال الوكيل:

-الحمد لله، لقد طرقتنا أبوابا كثيرة متعددة في الدعوة إلى الله عز وجل... ألم نطرق باب النقابات المهنية وكنا منطلقين ومكتسحين انتخاباتها وخاصة في الثمانينات؟ ولولا القانون 100 المشؤم الذي أصدره مجلس الشعب منذ عدة أشهر، والذي جمد انتخابات النقابات لكنا الآن في قمة انطلاقنا. ألم نطرق باب مجلس الشعب ونجحنا نجاحا باهرا؟ ولولا التدخل الأمني السافر والتزوير لاكتسحنا انتخابات مجلس الشعب ولأصبحنا أغلبية من حقها تشكيل الحكومة، وسندخل انتخابات مجلس الشعب في نوفمبر القادم وسنكتسحها إن شاء الله إذا لم يحدث التزوير المعهود. وفي الثمانينات، ألم نكتسح بجدارة انتخابات اتحاد الطلاب على مستوى الجامعات كلها؟ ولولا شطب مرشحين منذ بداية التسعينات لكنا متحكمين في اتحاد الطلبة على مستوى الجمهورية ولتحكمنا في أفكار الطلبة وغيرناها إلى الفكر الإسلامي المستنير...
لم يسأل أحد الغرباوي عن أبواب الدعوة الجديدة التي يدعو علي عبد المنعم إليها حتى انتبه أخ3 أثناء احتساء الشاي فسأله:

-وما هي الأفكار التي يفكر علي فيها لكي نبدع في الدعوة إلى الله ونطرق أبوابا جديدة؟
فأجابه الغرباوي وهو يبتسم:

-إنشاء ناد رياضي الإخوان ويكون مهمته الدعوة إلى الله من خلال الألعاب الرياضية المختلفة.
طرق أبواب الفن وتمثيل فيلم سينمائي عن حسن البنا وعن الإسلام بوجه عام والإخوان المسلمين بوجه خاص ويكون ردا على فيلم "طيور الظلام" الذي يسب جماعتنا. التفاهم الشديد مع الدولة حتى تكون الدعوة علنية لأن السرية في أي دعوة أو جماعة إسلامية يخالف دين

الإسلام نفسه، والسرية تفسد الفكر. وبعد العمل في النور، يعود رونق الشعب وتنطلق الدعوة إلى الله عز وجل ونبدأ بنهضة الأمة مع كل المخلصين...

سرت فترة من الصمت والتأمل ثم بددها الوكيل:

-بصراحة، هذه الأفكار رائعة. والإخوان كان لهم فريق كرة قدم في الأربعينات. ونحن في حاجة إلى إخراج فيلم عن الإمام الشهيد حسن البنا على غرار فيلم عمر المختار الذي نجح نجاحاً باهراً.

ثم تساءل:

-أما بخصوص السرية: فهل الأخ علي يقابل أحدا ويتعامل معه من الجماعات التي تزعم انتسابها للسلف زوراً أو من غيرهم من أعداء الإخوان؟

-لا أظن أنه يتعرض لأي استقطاب أو بلبلة فكر من أي جماعة أو أفراد.

-هل لازالت -يا أخ أحمد- تعتريه نوبة الصرع؟

فأجاب الغرباوي بحزن:

-لازالت للأسف ولكن على فترات متباعدة.

فسأله الوكيل بعد برهة من التفكير:

-هل يكون الصرع له دور كبير في تشتيت أفكاره؟

فرد الغرباوي:

-الله أعلم.

وحزينا:

-حتى صرعه غريب واحترار الأطباء في تشخيص حالته بالضبط ولم يصرف له أحد علاجاً حتى الآن.

واستكمل:

-وأخطر أفكاره التي فاجئتني بها ولم أستطع أن أرد عليه هي قوله بيقين: إن جماعتنا ليست الجماعة التي ينطبق عليها حديث الرسول -عليه الصلاة والسلام- الذي يقول فيه: ((لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة))! ويقول إن الحديث صحيح عند الشيخين⁸⁸.

احترار الوكيل فلم يستطع أن يرد. وبعد تردد قال:

-وأنا لا أستطيع أن أرد عليه.

ثم مط شفتيه وقال:

-فعلاً، الحديث صحيح في البخاري ومسلم. وكل الجماعات الإسلامية التي تدعي الجهاد تزعم أن الحديث ينطبق عليها فقط!!!...

فقال الأخ حامد:

⁸⁸ الشيخان هما البخاري ومسلم

-الخوارج هم أول من ابتدع انطباق هذا الحديث عليهم فقط وكفروا الصحابة واستباحوا دماءهم وأموالهم!...

استطرد الغرباوي:

-وقد عجزت كل العجز عن إجابته حين سألني عن إستراتيجية الإخوان التي تضعها القيادة!!...
ترددت كلمة "إستراتيجية" في دماغ كل أخ وحين وصلت للوكيل قال في نفسه:
إن جماعتنا ليس لها أي إستراتيجية إلا الفعل من الدولة ورد الفعل منها!...
وأخيرا قال ساخرا:

-يبدو أن علي عبد المنعم سيبلبل أفكارنا نحن أيضا!...
فانفجروا ضاحكين...

ولما وهن آخر صوت ضاحك، دخلوا في صمت ثقيل الوطء ولم يقطعه إلا سؤال أخ1
للغرباوي:

-وماذا أجبت في هذه الجزئية؟

-لم أستطع أن أخبره عن أي إستراتيجية للإخوان لأنني لا أعلم أي إستراتيجية لجماعتنا. ولكنني
ذكرته بالبند السادس في شروط البيعة والخاص بالثقة في القيادة...

تساءل صلاح الشيمي وهو يشير ناحية بطن روحية خالد زوجة إسماعيل:
-ألا توجد أخبار جديدة؟

لم تجبه روحية، إنما تبسم إسماعيل عبد الفتاح وأجاب:
-نحن قد تمثلنا قوله تعالى: {وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا} 89...

وقالت روحية بعده:

-الحمل الوحيد -للأسف- سقط بعد شهر! أمامي أقل من سنة وتختفي الدورة الشهرية إلى الأبد.
يعني خلاص يا دكتور صلاح، لا أمل. ولكن الحمد لله على كل حال. ونعوذ بالله من حال أهل النار.

قال صلاح: "الدورة تستمر عند المرأة حتى بعد سن الخمسين فأمامك سنين طويلة يا أستاذة روحية. وطالما حدث الحمل فسيكرر إن شاء الله".

وقالت زبيدة: "لا يأس من رحمة الله. إن شاء الله ربنا يرزقكم الذرية الصالحة".

-أعرف حالات كنت أتابعها في العيادة ربنا رزقهم أبناء بعد عشر سنوات من الزواج بل وبعد خمس عشرة سنة.

قالت روحية: "جربنا كل شيء يا دكتور صلاح".

وبابتسامة:

-حتى الشعوذة لم تثمر معنا بثمرة.

فضحكت زبيدة وقالت: "آخر ما أخبرتنا به كان المرور على الهيكل العظمي الذي يدرس عليه علي عبد المنعم سبع مرات، فما الجديد؟"

أخرجت روحية من تحت خمارها ورقة مطبقة على شكل مثلث عدة طبقات ثم فتحتها وهي تقول ضاحكة: "أخذت دهن قصبه ساق جمل ودهن اللوز ودهن غراب يتيم".

فقاطعها صلاح ضاحكا: "وهل يوجد دهن عند الغراب أصلا؟"

فضحكوا...

فسألته زبيدة ضاحكة: "وكيف عرفت يا روحية أن الغراب يتيم؟"

فضحكت روحية وأجابت:

-أم عبد الصبور الداية أحضرت الخلطة كلها. والله أعلم هل كان الغراب يتيما أم لا؟ وكان بقية الخلطة بها قرنفل وزعفران وعسل نحل. وعملت من الخلطة صوفة وجلست عليها بعد الظهر من الحيض وقلت -قرأت روحية من الورقة التي فردتها-: "يا كموش يا كمكموش أهيش أقش أرطاميش أمديش هامديش أوداميش اشماش طارمياش انكاميش كارش هادواش أشماتوش يا نطوش بامشكوت يا خنجر!!"

لم تستطع روحية أن تكمل من الضحك المتفجر من الجميع بما فيهم خالد وسحر.

89 جزء من الآية 50 من سورة الشورى

فقال خالد: "أكيد يا طنط، أخطرهم خنجر!"
وقال صلاح: "أكيد حاد قاطع".
وتساءلت سحر: "ومن هو بسكوت يا طنط؟"
فردت روحية: "بامشكوت يا سحر، وليس بسكوت".
واصلت روحية:
-يا شكوبه يا لحم يا طيشل طيش العجل العجل الساعة الساعة الوحا الوحا! أسألكم أن تفرجوا
كربي وأرزق البنين والبنات.
فسألها صلاح ضاحكا: "وما الوحا الوحا؟!"
-هذه أسماء جن أبيض صالح.
فقال زبيدة بحدّة: "جن أبيض، جن أزرق. هذا شرك بالله يا روحية!"
فقالت روحية: "نعوذ بالله من الشرك".
-نعوذ بالله من الشرك.
قال إسماعيل بحزن: "الغريق يتعلق بقشة. وأنا غير مقتنع بهذه الخرافات".
وقالت روحية بيأس: "لم تفد هذه الشعوذة ولا دهن الغراب اليتيم بشيء".
فقال صلاح ببشر: "ما ضاقت إلا فُرجت".
وقالت زبيدة بانسراح:
-إن مع العسر يسرا. أنا بعد خالد وسحر توقفت عن الإنجاب وفشل الدكتور -وأشارت ناحية
صلاح- أخصائي الجلدية والتناسلية في علاجي.
ثم أضافت ضاحكة:
-وفشل معكما.
فقال إسماعيل مبتسما:
-هذه أرزاق ربنا يوزعها كيف يشاء.
-ربما عدم الرزق بالذرية يكون ابتلاء عظيمًا جزاءه الجنة.
وقالت زبيدة:
-ولكن مع الصبر والرضا.
قال إسماعيل بيقين عميق:
-نحن والحمد لله، راضيان عن الله.
وقالت روحية بحزن:
-يصعب عليّ أن أدرس لفصل به أكثر من خمس وثلاثين طالبة، وتُخرج المدرسة كل عام اثنا
عشر فصلا ولا يكون لي بنت بينهن.
وبمرارة:
-أو ولد.
فضحك إسماعيل وقال:

-حالنا مثل طيبة النساء التي تُخرج بيديها أطفالا إلى الدنيا وهي عقيم.
وبحزن مشبوب بالرضا:
-ونحن نخرج أجيالا وليس لنا بينهم ثمرة.
ثم أشار إلى صلاح أن يُخرج خالد وسحر من الحجرة، فقال صلاح:
-لقد حكّت لهما كل شيء.
فقال إسماعيل بحدة:
-حتى لو عرفا، فلا يجب وجودهما الآن.
ثم أوما ناحية زبيدة برأسه سائلا:
-إيه الحكاية يا أم خالد؟
أخذت زبيدة نفسا عميقا ثم ردت:
-انتهينا من موضوع بهيجة ودخلنا الآن في موضوع ناني الراقصة التائبة.
قال إسماعيل:
-الدكتور صلاح غرضه نبيل.
فتساءلت زبيدة محتدة:
-ولماذا لا يبحث عن زوج طيب ومثالي لها ويكون غرضه أيضا نبيلًا؟
قال إسماعيل في نفسه:
أنا لا أدري قصص الحب التي تربعت فجأة على قلب صلاح في هذه الأيام. الرجل يخرج من قصة ليغرق في قصة جديدة! جرح بهيجة لم يلتئم بعد. مسكين يا صلاح. أكيد تعاني من أزمة نفسية أدخلتك في تجربة جديدة.
أما صلاح فقد دعا الله في سره بأن يهدي زبيدة وتوافق ثم قال:
-أهم شيء تقوى الله. فلا مشكلة في الزواج الثاني طالما أننا نتقي الله. والبيت المسلم الذي تأسس على الإسلام الحق هو الذي يثمر النجاح كله.
فتساءلت روحية بضيق:
-ولماذا البيت المسلم الحق لا يكون إلا بالتعدد؟!
فضحك إسماعيل وأجابها:
-التعدد ليس هو الأصل وربما يكون علاجًا لمشاكل اجتماعية.
قالت روحية وهي تحذر بيديها لزوجها:
-إياك يا إسماعيل أن تفكر في هذا التعدد حتى تحل مشكلة الإنجاب.
فضحكوا...
قال صلاح مبتسما:
-اطمئني يا أخت روحية، فالأستاذ إسماعيل لم يفكر في هذا الأمر أبدا.
فتساءلت زبيدة غاضبة:
-ولماذا لا يفكر في هذا الموضوع إلا أنت؟!

لم يرد صلاح عليها، إنما أجابها إسماعيل:
-صلاح لا يفكر في التعدد ولكنه تعرض لظروف بدون إرادته. وأنا أرى أن توافقي على هذا الزواج فليس فيه ضرر لك إن شاء الله، ومدام ابتهاج تكن لك كل احترام.
-صلاح أتى بك لكي تقنعني بأن يأتي لي بضرة.
-نحن قد أتينا لإصلاح ذات البين. وروحية تقف معك فهي ضد التعدد.
وبهدوء:
-لو فكرنا بعقل أفضل، فصلاح يستطيع أن يتزوج من ورائك فهل ترضي بذلك؟
فسألته زبيدة محتدة:
-هل أفهم أن هذا تهديد لي؟!
-أنا أضرب لك مثالا. ولا يوجد أي تهديد. والأمور لو نسيرها بالتراضي والوفاق فلن نجني إلا كل خير...
قالت روحية:
-أنا أرى أن يعدل الدكتور صلاح عن هذه السيدة ويمكن أن نبحث كلنا عن زوج مناسب لها.
فتبسم صلاح ضاحكا:
-طبعاً، زبيدة أتت بك محامية عنها.
فضحكت روحية:
-طبعاً، أنا محامية عنها.
ثم قالت بقوة:
-نحن جبهة واحدة ضدكمما وضد تخاريفكما عن الزواج الثاني.
فتبسم صلاح:
-ولكن الشريعة الإسلامية جعلت التعدد هو الأصل. ألم يقل الله -عز وجل- في القرآن الكريم: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} 90؟ فإله بدأ بمثنى وليس بواحدة.
فقالت روحية زاعقة:
-أكمل الآية يا دكتور صلاح: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً} 91...
فتساءل إسماعيل بصخب:
-ولماذا لن يعدل؟
فردت روحية:
-الطبيعي في مثل هذه الأمور أن الكفة ستزجج للزوجة الجديدة!
وبابتسامة مأكرة:

90 جزء من الآية 3 من سورة النساء

91 جزء من الآية 3 من سورة النساء

-والغريبال الجديد له شدة.
قالت زبيدة بضيق:
-نحن نأخذ من الشريعة الإسلامية ما يوافق هوانا فقط، أما الالتزام بالإسلام والشريعة الإسلامية فأين هو؟!
فرد صلاح على زبيدة:
-كلامك هذا ينطبق عليك أيضا يا زبيدة وعلى الأستاذة روحية وعلى كل زوجة تعارض الزواج الثاني. فالشريعة الإسلامية التي ندعي أننا نعمل على تحقيقها وتطبيقها في أرض الواقع لا نستطيع أن نأخذ منها ما يتعارض مع تفكيرنا وأهواءنا.
ثم أضاف بحذر:
-وأنا أرى أن الزواج مثلا في حالة إسماعيل من حقه تماما لكي ينجب.
تورد وجه روحية الأبيض وقالت:
-أنت تحرض إسماعيل على الزواج الثاني. ما هذا؟!
ثم نظرت إلى زبيدة قائلة:
-تكلمي يا زبيدة.
تبسمت زبيدة وردت:
-صلاح لا يريد أن يكون بمفرده في تعدد الزواج.
فضحك إسماعيل وقال:
-أنا لم أفكر في الزواج الثاني من قبل.
فقالت روحية غاضبة:
-من قبل؟! يعني ناوي على التفكير مستقبلا!
فضحكوا...
قال صلاح مدافعا عن نفسه:
-أنا لم أحرص الأستاذ إسماعيل على شيء، ولكني أعرض وجهة نظري فقط.
فقالت روحية بعنف:
-احتفظ بوجهة نظرك لنفسك فقط يا دكتور صلاح.
ثم أردفت:
-نحن أتينا لنصلح المشكلة التي بينكما فإذا بك تريد أن تسبب مشكلة بيني وبين إسماعيل!
ثم نظرت ناحية زبيدة:
-تكلمي يا زبيدة. لماذا تصمتين؟
فتبسم صلاح:
-أنا لا أريد أن أسبب أي مشكلة. والزواج الثاني بوجه عام لا يسبب أي مشاكل طالما أننا نتقي الله.
فردت روحية بحدة:

-نتقي الله؟ نتقي الله؟ ألا نتقي الله في الزوجة الأولى؟ ألا توجد تقوى لله إلا في الزواج الثاني والثالث؟!

ثم أومأت ناحية زوجها:

-تكلم يا إسماعيل. تكلم يا دكتور صلاح. أين تقوى الله في الزوجة الأولى التي رزقكم الله؟ قال إسماعيل:

-اهدئي يا روحية. لا داعي لهذا الانفعال. اهدئي يا شيخة.

تمتم صلاح بأدعية في سره.

قال إسماعيل لزبيدة:

-نعود إلى موضوعكما. ما رأيك يا أم خالد في غرض صلاح النبيل؟ هل توافقين؟

فردت زبيدة بهدوء:

-صلاح يعرف رأيي في الزواج الثاني.

-وأنا أريد أن أعرف رأيك أيضا.

سكتت زبيدة ولم ترد.

قال صلاح بأسى:

-زبيدة لا تريد ضرة عليها حتى لو كانت صحابية جليلة.

فقالت روحية بقوة:

-خلاص يا دكتور صلاح. اعدل عن هذا الأمر. بيتك أولى.

فرد صلاح:

-كل الزوجات في المحروسة لا يردن ضرة، والزواج بهذه الضرة ربما يحل مشاكل كثيرة في المجتمع.

فغضبت زبيدة وقالت زاعقة:

-سأجن يا ناس، وسألق ببهيجة في مستشفى المجانين.

ثم قالت بصرامة:

-خلاص يا صلاح، طلقني وتزوجها.

ثم دخلت في نوبة بكاء بنحيب شديدة.

حاول إسماعيل وروحية تهدئتها بلا جدوى، فانصرفا حزينين...

-105-

قبل إطلاق النار على علي عبد المنعم في قصر الرئاسة، صعد المعلم بروح علي إلى الكوكب السادس، واستقر جسده في غيبوبة بجوار أمه في البيت...
وفي الكوكب السادس، هتفت روح علي:
-الحمد لله، فقد نجاني الله من الظالمين. أرايت يا معلم، إلى السير الحديدي المتعادم والملتف حول جسدي؟!
-هذه أفعال الطغاة وأعوانهم منذ قديم الزمن!
قالت روح علي:
-إن الرئيس الذي يتقربون إليه بظلم العباد هو الذي أمر بفك تلك السلاسل الحديدية من على جسدي.
فقال المعلم بحزن وضيق:
-ولكن وزير الداخلية صنع روح هذا العهد من قوانين الطواريء، والمعتقلات والمحاكمات العسكرية للمدنيين...!
ونبرة إشفاق:
-أما الرئيس فهو صاحب الضربة الجوية الصاعقة في حرب أكتوبر 1973، فعسى الله أن يقول لأصحاب هذه الحرب المجيدة: "افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم"...
تبسم المعلم واستطرد:
-لقد صُنعوا من النسخ الجسدية الكثيرة منذ المظاهرات. فهم مساكين لا يعلمون أن الروح تستطيع أن ترتدي أكثر من جسد في ذات الوقت بإذن الله.
هتفت روح علي:
-الحمد لله على نجاتي منهم.
وهتف المعلم:
-الحمد لله. الحمد لله على كل حال.
وبجدية:
-أنت الآن يا علي، قد أنهيت اختبارات آخر العام، فلا يوجد أي عائق لديك في إطالة زمن بقائك هنا بالكوكب السادس.
قالت روح علي:
-أبني يا معلم.
-في الكواكب السابقة كان لا يمتد زمن الرحلة في كل كوكب أكثر من دقائق معدودة بزمن الأرض، أما هنا فسيتمد بنا الوقت إلى ساعات طويلة.
-لقد شُخصت حالتني في المرات السابقة بغيبوبة الصرع.

-وسيُحار الأطباء في تشخيص حالتك في هذه المرة، وسيأتون بجهاز ليخطط موجات المخ أثناء غيبوتك وأنت هنا بالكوكب السادس ولن يصلوا إلى شيء. وسيعجزون عن إيقافك.
-أخشى على أمي.
رد المعلم بابتسامته المضيفة:
-أمك من المجاهدات. وسيلقى في قلبها السكينة إن شاء الله...

كانت أرض الكوكب السادس المباركة -والممتدة مد البصر- محتلة من عدو غادر.
تساءلت الروح:
-أليس هذا هو السور المنيع الذي رأيناه في الكوكب الخامس؟
وبانزعاج:
-ولكنه تضخم مرات كثيرة عما كان في الكوكب الخامس.
ثم تساءلت ثانية:
-فكيف أتى إلى هنا؟!
فقال المعلم:
-تأكد وانظر جيدا يا علي.
ضحكت الروح وردت:
-أنسيّت يا معلم أنني روح. والروح لا حدود لرؤيتها وقوتها...
ضحك المعلم وقال:
-هذا السور يشبه السور الذي كان في الكوكب السادس، والعدو الآن متحصن خلفه لأنه عدو جبان...
فجأة، انطلقت قوات من جيش المؤمنين كالصقور فوق السور المنيع لتتنقض على العدو الذي فر كالجرذان...
هتفت روح علي بحماسة:
-الله أكبر... لقد بدأت الحرب لتحرير أرض الوطن...
-إن هذا العدو الجبان انتشى وانتفخ واستأسد، ويا عجبا! ها هو يذوب كفصات الملح الهشة تحت ضربات سيوف جيش المؤمنين وسواعده الفتية وروحه المعنوية العالية...
فقالت الروح بقوة:
-إن العدو المستأسد قد انهار تماما في ساعات معدودة!
وبحماس:

-إن مفتاح النصر هو صيحة "الله أكبر" التي زلزلت أركان العدو وهدمت مواقعه الحصينة...
-هذا الجيش الفتى لم يعتمد على صيحة "الله أكبر" فقط، إنما وضع الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا

تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ*{92 نصب عينيه.

سكت المعلم هنيهة ثم تساءل:

-يا علي... ألم ينهزم جيش المؤمنين في غزوة أحد بالرغم من قيادة الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله وسلم- للجيش؟

-عندك حق يا أستاذ. فلا بد من تطبيق سنة الله في الأخذ بالأسباب، ثم الاعتماد على الله في تحقيق النصر.

تبسم المعلم وهو يقول بيقين:

-وهذه هي حقيقة التوكل على الله.

فتساءلت الروح بحماس:

-ما سر هذه الروح المعنوية العالية في صفوف هذا الجيش العظيم؟ ولماذا لم نشاهدها في جيش الكوكب الخامس؟

-القيادة عليها دور عظيم في إيقاد شعلة النصر في نفوس الجنود...

هتفت الروح بفرح:

-الحمد لله. الحمد لله. لقد انتصر جيش المؤمنين، واندحر جيش المجرمين...

تأمل المعلم وجه قائد جيش المؤمنين، ثم تبسم قائلاً:

-شتان ثم شتان وهيئات هيات بين هذا القائد العظيم، وبين قائد الكوكب الخامس الذي أضاع بلده وأضاع شعبه، ولم يتعد دوره إلا أن يكون بطلاً من ورق...!

وبحماس:

-إن قائد الكوكب السادس المتواضع، غسل بيديه الكريمتين عار الهزيمة، ورفع كرامة شعبه إلى عنان السماء، ونفخ من روحه المباركة في مجد أمته...

انطوت صفحة، فقالت الروح بفرح:

-وكرباه! وكرباه! انظر يا معلم. انظر!

ثم بكت وهي تقول:

-إن القائد يُقتل الآن في يوم النصر بيد بعض جنده الأثمين!...

بكى المعلم والروح، وبكت الأرواح الغفيرة، وهم يشاهدون قائد جيش المؤمنين وهو يذبح بعد انتصاره العظيم!

تساءل المعلم والأسى يحتويه:

ما هذا يا ربي؟ لماذا هذا الغدر لقائد أعاد الكرامة المهذرة لشعبه؟! أَيْقُتِل يوم انتصاره؟! إن عدوه قد اندحر وانسحق، ولكن يد الخونة والمارقين -للأسف- هي التي لا تندحر إلا إذا شاء الله لأن أصحابها لا يعيشون إلا في جحور تحت ظلام دامس...

دُفِن جثمان قائد النصر، وجاءت روحه ترفرف حول روح علي وهي تهتف:
-لا تفزع يا علي. لقد نلتُ الشهادة والحمد لله، وكنت أتمنى أن أنالها بيد الأعداء.
فقالت روح علي:

-إن اغتيالكَ بعد انتصاركَ، لهو عمل جبان لا يدل إلا على خسة الغادرين!
وقال المعلم:

-حتى لو هُزمت يا قائد، فهل يسوغ ذلك لاغتيالكَ؟!
قالت روح القائد:

-بعدما صعدتُ إلى ربي تمنيتُ أن يكون لي ألف حياة لأستشهد في سبيل الله... وتمنيْتُ لو يعطيني الله -سبحانه وتعالى- الحجة والبرهان وأعود إلى الدنيا لأدعو هؤلاء الجند الذين قتلوني إلى طريق الصواب.

وبحب وإشفاق:

-وأنا قد سامحتهم...

فقال المعلم بحبور:

-يا قائد النصر، إن مقامك عند ربك عظيم. وكذلك مقام كل من جاهد لرفع شأن أمته. وقد أراد الله بك خيرا باستشهادك. وباب الفتنة قد فُتِح منذ استشهاد فاروق الأمة، ولن يُغلق إلا إذا شاء الله.

قالت روح علي في أسي:

-إن المؤمن في سعة في دينه حتى يصيب دما حراما.

وقال المعلم بيقين:

-سُتُعَافَى الأمة من عناصرها المتطرفة، ومن الجهلة بالدين، ومن التخلف الحضاري، والضعف السياسي، والضعف الاقتصادي... وستنتصر بإذن الله. قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} 93...

فقالت روح القائد بحماس بالغ:

-إن هذه الأمة منصوره بإذن الله. ولقد رأيت المعركة الأخيرة والتي ستننتصر أمتنا فيها النصر الحاسم على عدوها اللدود، وستتطهر أرضنا المباركة من رجسه...

93 الآية 55 من سورة النور

انطوت صفحات من الكوكب السادس وبرزت صفحة جديدة وفيها تدور رحى حرب ضروس بين جيش المؤمنين وجيش الكافرين...
قال المعلم:

-نحن الآن في عام 2148 ميلادية، وها هي الحرب الفاصلة بين الكفر والإيمان.
قالت روح علي باندھاش:

-إنها معركة بالسيوف! هل البشرية تتقدم أم تتأخر؟!
-لقد قامت حرب عالمية نووية ثالثة في عام 2139 ميلادية في هرمجدون، وفيها دُمرت مصادر الطاقة كلها؛ فعادت البشرية إلى حياتها البدائية!
هتفت الروح:

-سبحان الله. إن ضربة سيف واحدة تقتل عشرين من الأعداء.
فرد المعلم بحماس شديد:
-لقد عادت الأمة إلى عصر النبوة الأول حينما كان المؤمن الواحد يعادل عشرينا من الكافرين...

-إن الأعداء يفرون ويلطمون ويصرخون... اسمع يا معلم، ماذا يقولون؟
تلاطمت أصوات الأعداء، وصعد عويلهم إلى عنان السماء وهم يقولون:
يا ويلتاه. يا ويلتاه. إنها ملحمة كُتبت علينا.
هتفت أرواح المؤمنين قائلة:
-الله أكبر الله أكبر الله أكبر. الله أكبر والله الحمد...

انطوت صفحات من الكوكب، وبرزت صفحة جديدة...
قال المعلم:

-نحن الآن في عام 3248 ميلادية، وها هي البشرية مازلت على حياتها البدائية كما رأيناها منذ أكثر من ألف عام!
فاندھشت روح علي:

-وعجبا! إن جباه الناس مكتوب عليها "كافر" وهم كُثر، وأقلية مكتوب عليها "مؤمن"!
-يا علي، بعد وفاة المسيح منذ ثلاث سنوات، ارتدت البشرية وعادت إلى الكفر مرة أخرى بعدما عاشت ألف سنة سعيدة تحت حكمه الرشيد. وبعد موت كل مؤمن من هؤلاء المؤمنين الذين تراهم الآن، سوف يتناقص عددهم حتى لا يبقى مؤمن واحد على وجه الكوكب. وسوف تقوم القيامة على هؤلاء المكتوب على جباههم "كافر"!
فقالت الروح بفزع:
-يا لطيف يا رب. ستقوم الساعة على شرار الخلق.
-الطف يا رب.

مرت فترة طويلة والمعلم وروح علي يتأملان كلمة "كافر" المنحوتة على جباه الكثير من أهل الكوكب... وبعد فترة التأمل، قال المعلم ضاحكا:
-هيا بنا إلى مقابلة شخصية هامة معمرة منذ قبل التاريخ.
طار المعلم وروح علي فوق سماء الكوكب.
قالت الروح باندهاش:
-إن بيوت الكوكب التي نراها أسفلنا عبارة عن أكواخ صغيرة، فأين العمارات الشاهقة؟ وأين ناطحات السحاب؟!...
-يا علي، كل مظاهر الحضارة الحديثة تلاشت منذ عام 2139 ميلادية حينما قامت الحرب العالمية الثالثة، يعني منذ أكثر من ألف عام!
ظهر قرنان من رأس أجوف كرية المنظر والرائحة، فقال المعلم بابتسام:
-لقد وصلنا إلى بغيتنا. سنهبط حالا.
تساءلت الروح:
-ما هذا يا معلم؟ إن أرض الكوكب مليئة بالدماء، دماء جافة، ودماء ندية ساخنة. فماذا حدث؟!
-لقد دارت حرب عالمية رابعة أكلت الأخضر واليابس، وهدرت دماء البشرية...!
ثم أضاف:
-وها هو إبليس بشحمه ولحمه الكريهين...
حاول إبليس أن يرسل موجاته الكهرومغناطيسية إلى المعلم والروح، فارتدت إليه وخسيء!
ضحك المعلم، وسأل إبليس:
-هل أصابك الغباء في آخر الزمان يا لعين؟ كيف ترسل موجات إغوائك إلينا؟ أنسييت أن معي روح؟!
فأجاب إبليس وقد فرغ فاه:
-سفير السماء!!
ثم أردف:
-لقد انتشرت قرون استشعاري للغواية حينما شملت جزءك الأرضي.
ضحك إبليس ضحكا كريها رن صدها في أرجاء الكوكب، ثم نظر حوله ليرى فراغ الأرض من البشرية، فقال شامتا:
-ها هي الأرض أوشكت على التحرر من جنس البشر بفضل إشعالي للحرب العالمية الرابعة.
أكد أن الأرض لن تنسى هذا الجميل أبدا...
فسأله المعلم:
-ولماذا يا ملعون اعتبرت فناء الجنس البشري جميلا للأرض؟
أصدر الشيطان فحيحه وأجاب:

-يا سفير السماء، ألا تعلم أن الأرض كانت تئن من معاصي ابن آدم منذ فجر التاريخ؟! ألا تعلم أن الأرض كانت تفرح بالمؤمن الطائع؟ ألا تعلم أنها كانت تبكي عليه حين موته. ألا تتذكر قول القرآن: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾⁹⁴؟
ضحك المعلم وتساءل:
-يا لعين، ولماذا تتعب نفسك وتكد في إغواء البشر وتجعلهم يتقاتلون بهذا الشكل الرهيب؟! أنت حريص على راحة الأرض من حملها الثقيل؟
فأجابه الشيطان بخبث:
-أريد أن أقول لك "يا مسكين"، وأنت من أنت يا سفير السماء.
-ماذا تعني لو قلت لي "يا مسكين"؟
-أعني أنك يا سفير السماء، لا يخفى عليك تعبني وكدي منذ قدم التاريخ البشري حين أضللت قابيل وجعلته يقتل أخاه هابيل ويسن سنة سيئة لا تزال آثارها لم تبرد بعد.
تلفت الشيطان حوله بفرح وهو يرى الدماء المهدرة...
فتساءلت روح علي:
-ولماذا تبدو فرحاً هكذا وأنت السبب في هذه المجازر لبني الإنسان؟
فرد الشيطان ساخراً:
-يا مسكين، ألا تعلم أنني حين سننت سنة القتل كنتُ أهدف إلى أن يصل الإنسان إلى أقصى الضلال، وفي الوقت نفسه يقل عدد البشر فأستريح من الإضلال نسبياً!
ضحك المعلم والروح. قال المعلم:
-يا ملعون، أرح نفسك من هذا التعب وكفى إضلالاً لخلق الله.
-إن روحي تنتشي حين أقوم بالإضلال. ولكن نفسي يعترها السامة أحياناً من كثرة الإضلال اللامتناهي.
فقالت الروح باستغراب:
-شيء عجيب أن تجعل عدد البشرية يقل بالحروب وخاصة العالمية منها حتى تستريح من كد وعناء الغواية.
قال إبليس في نفسه:
لم يبقَ إلا أنت يا مسكين حتى تسخر مني. لولا أنك روح لعريتُ نفسك أمامك...
ثم قال:
-يا أيها الروح المسكين، ألا تعلم أن الغواية هي وظيفتي في الحياة؟
فقال المعلم:
-منذ أكثر من ثلاثين ألف عام، واللعين لا يكل ولا يمل من وظيفته العتيدة في الأرض.
فقال إبليس:

⁹⁴ الآية 29 من سورة الدخان

-قلت لكما إن نفسي يصيبها الملل والكلل والفتور من كثرة الغواية.

فسأله المعلم:

-ألا يوجد لك أعوان يساندونك في وظيفتك العتيدة؟

-كلهم أغبياء، ولا يقومون بعمل إلا بعد أخذ مشورتي.

فسأله الروح بسخرية:

-ولماذا تدربهم جيدا في مدرستك الإضلالية؟

عدت ثانية للسخرية للسخريه يا غليم!

أجاب إبليس بغیظ:

-لقد تدربوا جيدا. ولكنهم أغبياء. أغبياء...

ومتهمكما :

-لا داعي لهذه السخرية يا غليم!

كتم المعلم غیظه من سخرية الشيطان من روح علي.

تساءلت الروح:

-أخبرنا يا زعيم الضلالة، عن طرقك في الغواية حتى نتقيها؟

كاد إبليس أن يسخر من سؤال علي ويقول ولم أخبرك؟ ولكنه نظر إلى المعلم فوجده غاضبا، فأجاب:

-أعظم طريق للغواية هو طريق الدين!

-أبن يا زعيم الضلالة.

-ألم أجعل قوم نوح يعبدون ودا وسواها ويغوث ويعوق ونسرا؟! وكانوا قد شيدوا تماثيلا لهؤلاء الصالحين -بإيعاز مني- ليتذكروهم ولا ينسوه. ألم أجعل العرب تزيع عن ديانة إبراهيم التوحيدية ويعبدون اللات والعزى ومناة؟! ألم أجعل بني إسرائيل تتخذ أحبارهم ورهبانهم أربابا وآلهة من دون الله؟! ألم أجعل بني إسرائيل يصفون الله بصفات تنتقص من إلهيته وعظمته وجبروته؟! ألم أجعلهم يغيرون كتاب الله بأيديهم؟! ألم أجعلهم يكتبون أن ابنتي النبي لوط سقتا أبيهما خمرا حتى يزني بهما بعد تدمير سدوم وعمورية؟! ألم أجعل البشرية تختلف في طبيعة المسيح بل تتقاتل في ذلك؟! ألم أجعلهم يعبدونه من دون الله؟! ألم أجعلهم يعتقدون أنه ابن الله؟! ألم أجعلهم يعتقدون أنه هو الله ذاته؟! ألم أجعل المسلمين طوائفا وشيعا وأحزابا؟! ألم أجعل منهم من يعتقد في ألوهية علي بن أبي طالب؟! ويعتقدون في أن ظهور علي بن أبي طالب في صورة الناسوت إلا إيناسا لخلقه وعبيده؟! ألم أجعلهم يعتقدون أن عليا بن أبي طالب قد خلق النبي محمد، والنبي محمد قد خلق سلمان الفارسي؟! ألم أجعل المسلمين يعتقدون أن الأولياء يضررون وينفعون؟! بل يدعونهم من دون الله، ويحجون لهم، يقربون لهم الذبائح، ولم يتبق إلا أن يصلون لهم!...

ضحك الشيطان بفحيح بارد خبيث، وأردف شامتا ساخرا:

-وهؤلاء الثلاثة -أصحاب الديانات السماوية- هم الذين ادعوا أن دينهم دين التوحيد!

فهتف المعلم:

-ولكنك يا خبيث، لم تستطع أن تفتن المسلمين في النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

امتعض وجه الشيطان. قال:

-هذا من فضل الله على محمد بن عبد الله.

قالت روح علي:

-لقد نزل عليه قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}...⁹⁵

لم يعلق الشيطان وقال في نفسه:

أنا لا أتحرك إلا في الحدود المرسومة لي.

سأله المعلم:

-أخبرنا أكثر عن غوايتك في طريق الدين.

شعر الشيطان بأهميته فانتفخ، فلكمه المعلم على وجهه وقال:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فتقنذ الشيطان وضوئل...

ثم رد وقد عاد إليه بعض انتفاخه:

-ألم أجعل الثوار يقتلون الخليفة عثمان بن عفان باسم الدين؟! ألم أنفخ من روعي في نفوس الخوارج وأجعلهم يقتلون الخليفة الراشد علي بن أبي طالب؟! بل ويكفرونه، ويكفرون كل المسلمين الذين ليسوا معهم! ألم أحيي هذا الفكر في القرن العشرين الميلادي ويتولد عنه حركات وتيارات تكفيرية كفروا الرئيس السادات وقتلوه؟! بل جعلت هذه الجماعات يكفرون ويقتلون بعضهم بعضا باسم الدين!...

ثم واصل بحماس:

-في عام 1987 ميلادية، ألم ينشق أحد أعضاء الجماعة الإسلامية، وقال إن الجهاد الأكبر هو غياب الحكم بالشريعة الإسلامية، وكون تنظيمًا سماه "الجهاد الحركي"، فما كان من أمراء تنظيمه الأول إلا أن حكموا بردته، وقتلوه هو وأتباعه!!... ولو جادل جبريل -عظيم ملائكة السماء- هؤلاء المكفرين لمجتمعاتهم، ما ترحزح فكرهم قيد أنملة! انتفخ إبليس، وتمدد، وانتشى، وانتفخ أكثر، وصعد رأسه بقرنيه الكريهين إلى سماء الكوكب بعدما سرد سجل أفعاله...

ضحكت روح علي وتلت قوله تعالى:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

⁹⁵ الآية 110 من سورة الكهف

وَلَا يُوَدُّهُ جَفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ {96 ؛ فامتقع وجه الرجيم، وصغر حجمه، وتوقع حتى وصل إلى باطن أرض الكوكب...
مد المعلم يده وسحب الشيطان من رقبته.
هتف إبليس وهو يلهث:
-أرجوك يا علي، لا تقرأ هذه الآية مرة أخرى أمامي. فإني كدت أن أحترق.
فقال المعلم:
-لقد قرأها علي حتى تعرف حجمك الحقيقي ولا تنتفخ مرة أخرى.
ثم أردف:
-أخبرنا أكثر عن غوايتك يا لعين.
انتفخ إبليس قليلا ثم قال:
-باسم الدين حكمت الكنيسة على العلماء بالهرطقة، وحرمت كتبهم مثل كتاب كوبرنيكوس عن حركات الأجرام السماوية، والذي يتحدث فيه عن دوران الأرض حول الشمس، وأنها ليست مركز الكون لأن الشمس هي مركز الكون! وباسم الدين أحرقت الكنيسة "لافوازيه" العالم الكيميائي!! ولقد مات "جردانو" في عام 1642 بسبب تعذيب الكنيسة له لأنه اخترع تلسكوب!!...
قال المعلم:
-لقد انحرف رجال الدين في ذلك العصر عن تعاليم المسيح، وتحولوا إلى محترفين سياسيين، بل تحولوا إلى طواغيت باسم الاكليروس والرهبانية والعشاء الرباني، وتحولوا إلى جبارين في الأرض، وباعوا صكوك الغفران بالدرهم والدينار!
فقال الشيطان:
-لم يخالفوا تعاليم المسيح.
فصاح المعلم:
-كيف ذلك يا لعين؟!
ضحك إبليس ساخرا وأجاب:
-ألم تقرأ قول المسيح في إنجيل لوقا: (وَأَمَّا أَعْدَائِي أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ فَأَتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَادَّبُوهُمْ فُدَّامِي)97...
فقال المعلم:
-أأنت أفهم لهذه الآية من المسيح نفسه؟
ثم تساءل:
-هل ذبح تلاميذ المسيح -عليه السلام- أحدا أمامه؟

96 الآية 255 من سورة البقرة

97 لوقا إصحاح 19 آية 27

-لم يذبحوا أحدا لأنهم لم يملكوا سلطة في عصر المسيح. بينما في عصر محاكم التفتيش ملكوا سلطات رهيبة؛ فذبحوا كل من اعتبروهم أعدائهم، وعاثوا فسادا في الأرض...! وأتباع المسيح في زمانهم كله إذا وجدوا قوة وشكيمة من الحاكم، انكمشوا وتقوقعوا ولسان حالهم "ما كان لله فهو لله، وما كان لقيصر فهو لقيصر"! وإذا وجدوا ضعفا من الحاكم، تمددوا وتسلطوا وذبحوا مخالفيهم!...

قال المعلم في نفسه:

أنتكر على من عاثوا فسادا؟! ألسنت أنت من° ينفخ في نار الفساد من أنفاسك الحارقة؟! الشيطان يعظ!

سيباح منذ الآن باسمك كل شيء

سيباح قتل الأبرياء

باسم المسيح

سيراق بحر من دماء

باسم المسيح

ستقام أبراج، قصور من جماجم

باسم المسيح

سيكون عهر، خسة، زيف، رياء، أي شيء...!!⁹⁸...

هتف المعلم:

-يا لعين، المسيح لم يأت إلا بالرحمة والروحانية في القديم والحديث، وهو بريء من كل ما ارتكب باسمه زورا...

انتفخ الشيطان أكثر وواصل:

-باسم الدين عذبت وأحرقت محاكم التفتيش كثيرا من العلماء. وباسم الدين وتحت شعار الصليب، قامت الحروب الصليبية، وكانت دماء المسلمين في القدس إلى الركب. وباسم الدين، انقسمت الأديان وانشطرت وتفتت شيئا وأحزابا متناحرة. وباسم الدين، أحرقت وشنقت و(خرقت) إليزابيث تيودور ملكة إنجلترا في القرن السادس عشر الآلاف من الكاثوليك. وباسم الدين، قامت الحروب الدينية في أوروبا. وباسم الدين، شنت محاكم التفتيش في الأندلس أهوال العذاب ضد المسلمين واليهود بعد سقوط الحكم الإسلامي!...

ثم تبسم ساخرا وأضاف:

-وهذا تنفيذا لتعاليم المسيح التي تحت على ذبح المخالفين!...

فقال المعلم:

⁹⁸ أبيات من قصيدة نجيب سرور: المسيح واللصوص

-ولم يحفظ اليهود الرعاية والحفظ لأجدادهم في ظل الخلافة الإسلامية!
-أكمل يا إبليس.

-وباسم الدين، اتحدت الكنيسة الكاثوليكية مع الكنيسة البروتستانتية لأول مرة في التاريخ في عام 2139 ميلادية، وشننا حربا عالمية نووية ضروسا ضد المسلمين، وضد الصينيين والكوريين ونصف الأرض الشرقي، ودُمرت فيها مصادر الطاقة والحضارة البشرية تماما؛ فلا بترول، ولا محطات نووية، ولا هيدروجين سائل، ولا كهرباء، ولا حاسب آلي، ولا حضارة المعلومات، ولا أي حضارة!!!...

ضحك الشيطان ساخرا وهو يواصل:

-ودمرت حياة ثلاثة أرباع البشرية، ونفقت الحيوانات، واحترق النبات وكل ما فيه حياة...!
ثم استرسل ساخرا:

-وخرجت ذرية آدم المتبقية منهزمة منسحقة ينهش فيها المرض والعاهات والتخلف واليأس...!
سكت الشيطان قليلا ليأخذ أنفاس الشماتة ثم هتف شامتا:
-وليات آدم ليرى أبنائه!

فرد المعلم:

-ولكن البشرية بكل دياناتها وطوائفها المختلفة اتحدت -لأول مرة في التاريخ البشري كله- تحت راية المسيح -عليه السلام- في سنة 2145 ميلادية، ومسح المسيح أحزانها، وجمع قلوبهم على عبادة الله الواحد القهار، وحكمهم بشريعة الدين الإسلامي، وعاشت ألف سنة كلها رخاء وصفاء ونقاء...

فامتعض الشيطان وتمتم:

-لقد كانت أسوء ألف عام في حياتي...

فقال روح علي بقوة:

-يا رجيم، كل المؤمنين الموجودين الآن لن تستطع أن تزيغهم عن الحق.
وقال المعلم:

-لأن الله قد كتب في قلوبهم الإيمان قبل أن يكتب على جباههم "مؤمن".
وقالت روح علي بسخرية:

-والآن الأفضل أن تبحث لك ولذريتك عن عمل مفيد غير الغواية والإضلال. وفكر في التوبة.
ضحك إبليس وتساءل ساخرا:

-ألا يوجد غيرك لينصحنني في آخر الزمان يا أيها الغليم؟!

امتدت يد المعلم امتدادا رهيبا حتى ملئت صفحة الكوكب فعصرت إبليس من رقبته؛ فازرق وجهه، وانزلق لسانه خارجا يلهث ويرتجف ويقول:

-يا سفير السماء، لم أقصد أن أسخر من علي. يا سفير السماء. يا سفير السماء. إن يدك تقتلني.
فك يدك عني يا سفير السماء.

اندهشت روح علي من الحجم الم هول ليد المعلم وقوتها اللانهائية...

-يا سفير السماء، دعني إنني سأموت تحت يدك.
فقال المعلم:
-أنت تعرف جيدا أنك لن تموت إلا في نهاية الزمان.
-دعني يا معلم، وسأخبرك عن عزمي الجديد للتوبة!
تركه المعلم. أخذ الشيطان يلم لسانه الذي انزلق إلى أعماق بعيدة في جوف الكوكب، وتنهد وأخذ أنفاسا عميقة وقال:
-يا سفير السماء، لم أقصد أن أهين مريدك علي.
-أنت لا تعرف مقام هذا العلي الذي تسخر منه، إنه مسئول عن تجديد الدين.
ثم ساخرا:
-أخبرنا يا ملعون، عن عزمك الجديد للتوبة.
-لا تسخر مني يا معلم. أنسيت أنني كنتُ من ملائكة السماء.
-بل كنت طاووس الملائكة، ولكنك بمعصيتك لله اخترت أن تكون رجيمًا ملعونًا ...
قالت روح علي:
-أكيد سيكذب علينا هذا الملعون.
فقال الشيطان بصوت قريب من البكاء:
-أبدا يا علي. إنني فعلا عازما على التوبة. لقد أصابني الزهق والملل من إضلال البشر. والآن لا يوجد من أستطيع أن أضلهم.
فقال المعلم:
-إذا أردت التوبة، فلا بد أن تدين بدين الإسلام لأنه الدين الخاتم والكلمة الأخيرة من الله إلى البشرية. وسيكتب على وجهك "مؤمن". والجن قد أسلموا على يد النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، ونزلت سورة في القرآن الكريم باسمهم.
تلون وجه الشيطان. رد:
-لا أستطيع ذلك.
فتساءل المعلم:
-ولم؟
-لأنني سأواجه مشاكل لا حصر لها.
-أفصح.
-إن المسلمين المكتوب على جباههم الآن "مؤمن" يستعيذون بالله مني حين يقرءون القرآن، وحين يأكلون، ويشربون، وحتى حين يجامعون زوجاتهم...
-لن يستعيذوا إلا من كل شيطان كافر.
استطرد إبليس:
-وفي حج المسلمين، يرمون الجمرات الثلاث، وهذا الرجم رمز لرجمي كما فعل إبراهيم معي حينما تعرضت له في أماكن الجمرات الثلاث. فكيف يرموني وأنا مسلم؟!!

-الرجم عبادة رمزية لرجم كل شر. والعبرة في العبادات في دين الإسلام تنفيذا كما جاءت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- بدون البحث عن الحكمة فيها أو الغرض منها. وحين تصير مسلما لن تكون رمزا أو هدفا للرجم. أمسك المعلم بكتفي إبليس وقال بقوة:
-وإذا أردت التوبة حقيقة وقبل أن تعتنق دين الإسلام، فاذهب إلى قبر آدم عليه السلام، واسجد له سجدة تكفر بها عن مخالفتك لأمر الخالق عز وجل.
تذكر إبليس معصيته، وغرق في بحور الندم، وبكى بكاء مريرا، وعزم على التوبة...

تزينت صفحة الكوكب بأرواح الأنبياء، وحُشدت المليارات من الملائكة، ومن أرواح المؤمنين منذ آدم عليه السلام، وتراكت الشياطين فوق بعضها البعض لتشاهد زعيمهم الأثير وهو يعلن التوبة.

تذكر إبليس سجل أفعاله المشين الرهيب؛ فبكى بنحيب وبكى أكثر وهو يرى الدماء حوله التي لم تجف بعد...

سحب المعلم إبليس من يده، وذهب به إلى قبر آدم، وإبليس لا يتوقف عن النحيب. وظل يضرب وجهه بيديه ويقول:

-يا ليتني سجدت لآدم. يا ليتني سجدت لآدم. يا ليتني أطعت ربي. يا ليتني لم أضل أحدا...
زحف الحشد المبارك مع إبليس. وإبليس يبكي ويلطم وجهه وبعض على يديه ندما حتى وصل إلى قبر آدم. فوقف وقد تجمد الدمع في عينيه. ولم يستطع أن يسجد. فدفعه المعلم ليسجد، فلم يسجد واختفى تماما.

مد المعلم يديه حتى وصل إلى آخر جبال الكوكب وأمسك إبليس من رقبتة وسحبه وسأله بغضب:

-لماذا تهرب؟ ألم تعلن توبتك؟

ثم نهره:

-اسجد يا إبليس.

فلم يسجد.

فصرخت فيه أرواح المؤمنين:

-اسجد. اسجد. اسجد...

فلم يسجد.

فضربه المعلم على وجهه وعصره بيديه وقال بحب:

-اسجد يا إبليس، حتي تعود مرة أخرى إلى صفوف الملائكة، وتنعم مرة أخرى بالحياة في الكوكب السابع الذي طردت منه.

فلم يسجد.

فصرخت فيه أرواح المؤمنين وارتج صدى أصواتها في أنحاء الكواكب السبعة:

-اسجد. اسجد. اسجد...
هم إبليس بالسجود تحت الصدى الرهيب لأرواح المؤمنين، فإذا بالمليارات من أرواح الكافرين
والعصاة تتساءل في صوت رهيب مهيب:
-أتسجد الآن وتتوب بعدما أضللنا وأوقعنا في الجحيم؟!
فلم يرد إبليس.
فصرخت روح من أرواح الكافرين وقالت:
-جعلتني أقتل أخي هابيل، وتريد أن تتوب الآن؟! لا تسجد لأبي يا ملعون.
وصرخت روح أخرى:
-جعلتني أدعي أنني رب وإله! وضحكت على شعبي وقلت لهم أنا ربكم الأعلى! وفي قرارة
نفسي أعلم أنني كذوب. ومارست الزنا السياسي، والدجل السياسي... لا تسجد وذق عذاب
الجحيم معي يا لعين...
وصرخت روح ثالثة:
-جعلتني أدمر بيت المقدس، وأسبي اليهود، وأذيقهم صنوف العذاب... لا تسجد يا لعين.
-جعلتني أغير بيداي كتاب الله، وخلطت الحق بالباطل والباطل بالحق... وتريد الآن السجود
لأدم وطاعة ربك؟ لا تسجد. لا تسجد.
-جعلتنا نقتل الأنبياء بل جعلتنا نقتلهم قتلا . ونحن أهل كتاب سماوي!
-جعلتنا نقتل ونبيد الأريوسيين الموحدين -أتباع أريوس- ونتعصب للتثليث!...
-جعلتني اخترع عبادة الأصنام وعبادة الناس من دون رب الناس!...
-جعلتنا نعبد عزير والمسيح وبوذا والأولياء والصالحين والزعماء والمرشدين، ونكفر برب
العالمين!
-جعلتنا ندمر بيت المقدس وتخوض خيولنا في دماء المسلمين!
-جعلتنا نحرق بغداد والشام وندمر حضارة عظيمة!
-جعلتنا نحارب حرب الثلاثين عاما ونذبح بعضنا بعضا وكلنا أتباع المسيح!
-في عامي 1914 و 1939 جعلتنا نقوم بالحرب العالمية الأولى والثانية لكي نفرض سيطرتنا
على منابع الطاقة في العالم! ولقد فنى أكثر من خمسين مليوناً من البشر بسبب جشعنا وأنانيتنا
وأثرتنا...!
-في أعوام 1948 و 1967 و 1987 و 1997 و 2008 و 2017 و 2027 و 2037 جعلتنا
نحرق فلسطين ونقتل شعبها ولم نتعلم الرحمة من العذاب الذي ذقناه طوال التاريخ! وفي عام
1982، جعلتنا مع بعض الكتائب اللبنانية العميلة لنا، نذبح أكثر من ألفين من الفلسطينيين بدم
بارد في صابرا وشاتيلا. وفي 2006 جعلتنا نقتل أكثر من 1500 نفس بشرية ما بين طفل
وامرأة وشيخ في جنوب لبنان! وفي آخر 2009 وبداية 2010، قمنا بمذبحة رهيبية في غزة
أبدنا فيها الحجر والشجر والبشر!... يا ملعون جعلتنا نستعرض عضلاتنا على الضعاف! ويا
مصيبتهاه على الملحمة التي كُتبت علينا في عام 2047 حينما قُتلنا شر قتلة، وأبدنا شر إبادة!...

-جعلتني أسرق قيادة شعبي وجيشي وأنا غير مؤهل لقيادة فصيلة في الجيش! ويا ويلتنا. لقد قدت شعبي من هزيمة إلى هزيمة ومن فشل إلى فشل... يا ويلاه حكمتُ بلدي وهي حرة، ومثٌ وهي محتلة مكبله بالأغلال!...

-في عام 1965 جعلتني أعذب المعتقلين وأقول: لو نزل الله من السماء لحبسته في الزنزانة معكم! آه. آه. آه...

-من عام 1992 وحتى 1995 جعلتني وجيشي نحرق سراييفو ونبيد شعبها ونغتصب نساءها! ما أحقرنا وأحقر منزلتنا في النار!...

-في عام 2001 جعلتني أحرق كابول وأقتل وأشرد الملايين من الأفغان! ولم تكتف بذلك يا ملعون، بل جعلتني أحرق بغداد والعراق في عام 2003، وأقتل وأشرد الملايين من العراقيين، مرة بحجة البحث عن أسلحة الدمار الشامل التي نمتلك في بلدنا أكثر من نصف عددها في كوكب الأرض، ومرة بحجة نشر الديمقراطية! كنتُ يا ملعون، توحى إليَّ أن السماء هي التي توحى إليَّ صباحا لكي أحرق العراق وأبيد العراقيين بعد الظهر! وفي الحقيقة، كان صوت الوحي هو صوت غوايتك يا لعين، ولم يكن صوت السماء. لقد جعلتني أدخل التاريخ من أسوء أبوابه، وجعلتني ألطخ وجه حضارة بلدي بالعار والشنار والهمجية والتخلف!...

-في عام 2008 جعلتني أقتل أبنائي الأربعة غرقا في برميل ماء رحمة لهم من الجوع! ولم تكتف بذلك يا ملعون، بل جعلتني أقتل زوجتي ثم أقتل نفسي لعدم وجود الخبز! لقد كان العام الأسود لضحايا الخبز في بلد كان هو سلة العالم!

-في عام 2139 جعلتنا نحقد على الروس والمسلمين والصينيين والكوريين-وطوال تاريخنا نحقد عليهم- ونقوم بالحرب العالمية الثالثة وكاد أن يفتى الجنس البشري بأكمله بسبب أنيتنا وظلمنا وحقدنا!...

-بعد ثلاث سنوات من موت المسيح، جعلتنا نقوم بالحرب العالمية الرابعة! دماننا لم تجف بعد يا ملعون ثم تريد التوبة الآن.

-جعلتنا نُرهب البشر والشجر والحجر! أدخلتنا التاريخ من أسوء أبوابه! جعلتنا -يا ملعون- نقتل باسم الدين... نسرق باسم الدين... ندمر باسم الدين... نحن أشر الناس منزلة في النار... يا ويلاه...

صرخت ملايين من الأرواح في إبليس قائلة:

-جعلتنا نسرق. نزنّي. نلوط. نفجر. نضرب. نعتقل. نسحر. نسحق. نسحل. نقتل. نبيد. نستعبد. نعذب... وتريد أن تتوب الآن؟! لا. لا. لا تسجد.

تلاطمت أصدااء الأصوات في فضاء الكوكب السادس. ثم جثم الصمت على فضاء الكوكب لما بدأ يتحرك إبليس ويقف على ربوة عالية.

امتدت أعناق الأرواح لتصيخ السمع إلى ما سيقوله اللعين.

بدأ إبليس يخطب في الحشود الرهيبة التي تملأ فضاء الكوكب.

-لا تلوْموني ولوموا أنفسكم. لو سجدتُ لأدم وظللتُ مع الملائكة الكرام في الكوكب السابع، لعصيتكم وكفرتم بربكم! أنتم تحملون بذور الشر في نفوسكم الأمانة بالسوء. أنتم تحصدون نبات الشر الذي نما في نفوسكم الشريرة برعايتكم وعنايتكم... أنتم أعلى مني منزلة في الشر والسوء. أنتم قد اخترعتم شرورا لا تأتي على بالي وبال كل الشياطين... أنا لم أبشر بموت الإله باسم الفلسفة. أنا لم أكفر بالإله العظيم. أنا قلت إن الله أتى في صورة بشر؟ أنا قلت إن الدين خرافة؟ أنا قلت إن الدين أفيون الشعوب؟ أنا أُلحِدت؟ أنا عصيت ربي العظيم في أمر واحد فقط، أما أنتم فقد كفرتم به وجحدتم أسمائه وصفاته وعظمته وجبروته وعزته وفضله على العالمين!... أنتم قد خلعتكم صفات الإله العظيم على مخلوقاته. أنتم قد عصيتكم ربكم في شرور -أنا وكل الشياطين- نستحي أن نفعلها أمام خالقنا العظيم...

هل سمعتم عن شيطان عبدني أو عبد أي شيطان آخر؟ هل سمعتم عن شيطان عبد صنما؟ هل سمعتم عن شيطان عبد صاحب قبر وتقرب إليه بالنسك؟ أنتم قد عبدتموني وعبدتم الشياطين... وأقول لكم: هل سمعتم في تاريخ البشرية كله عن شيطان عبد إنسانا وخلع عليه الصفات الإلهية؟

هل سمعتم عن شيطان يزني زنا المحارم؟ هل سمعتم عن شيطان يضاجع شجرة أو حيوان أو...؟ أجيبوني يا أبناء آدم. أجيبوني.

هل سمعتم عن شيطان يدعي أن الله يوحى إليه يوميا بتدمير بلد وشعب وحضارة؟!

هل سمعتم عن محاكم تفتيش إبليسية؟!

هل سمعتم عن شيطان سرق باسم الدين؟!

قتل باسم الدين؟!

حرق باسم الدين؟!

دمر باسم الدين؟!

أي دين هذا الذي يدعو إلى السرقة والقتل والحرق والتدمير والتطهير العرقي والفساد في الأرض...؟!

أنا وكل الشياطين نتبرأ من سجل أعمالكم المشين!...

لا تلوْموني ولوموا أنفسكم. فما أنا بمصرخكم⁹⁹ ولا أنتم بمصرخي... صرخت أرواح المؤمنين:

-اسجد يا إبليس. اسجد. اسجد.

فصرخت أرواح الكافرين:

-لا تسجد. لا تسجد. لا تسجد.

-اسجد.

-لا تسجد.

-أسجد.

-لا تسجد.

-أسجد.

-لا تسجد...

نظر إبليس إلى قبر آدم وتساءل في نفسه: كيف أسجد له بعد أكثر من ستين ألف سنة؟
احتار إبليس أسجد أم لا؟ فدفعه المعلم ليسجد، وصرخت فيه روح علي ليسجد.

فتفجرت ينابيع الدموع في قلب إبليس، وقال بصوت متهدج:

-سأكلكم بالعلم. إن الجينات الوراثية قد أثبتت لكم يا بني آدم، أن الإنسان يتشابه مع جينات
الغوريلا في 98.4%، ويتشابه مع القط في 97%، ومع الكلب في 95%، ومع الحصان في
80%!

ثم ضحك بفحيح خبيث وواصل:

-إن جينات الإنسان تتشابه تماما مع جينات الشامبنزي إلا في ثلاثة جينات، وهذه الثلاثة جينات
هي نفسها موجودة عند الإنسان ولكنها في صورة متحورة، ثم تريدون مني أن أسجد لأبيكم؟!
ردت روح علي:

-يا غبي، لماذا لم تقل إن الجينات الوراثية تتشابه أيضا مع نبات الذرة في 67%، ومع نبات
الموز في 50%!... فهذا دليل على أن عجينة الخلق واحدة، وأن الخالق واحد.
وواصلت:

-ثم إنك يا لعين، قد شاهدت آدم وهو من صلصال فخار، وكنت تتحرك داخله. يعني إنك لا
تستطيع أن تقول إن الإنسان قد أتى من الشامبنزي، ولم يقل أحد إن الإنسان نصفه موز وثلاثه
ذرة وأغلبه قط!
قال إبليس:

-أنا لم أقل إن الإنسان قد أتى وتطور من القروء، ولكني أردت أن أقول لكم إن الإنسان يتشابه
مع القروء في جيناته الوراثية، فكيف تطلبون مني أن أسجد له؟ إن العلم قد أكد لي على صحة
موقفي في عدم السجود لآدم.
قال المعلم ساخطا:

-إن الأمر للسجود هو الله، وعليك طاعة أمره سبحانه وتعالى.

-هل سمعتم عن تشابه بين خلقة الشيطان وبين خلقة الحيوانات أو حتى الإنسان؟ فكيف تطلبون
مني أن أسجد؟

فسأله المعلم بعنف:

-ألم تقل أنت إنك تريد التوبة؟

-لا أستطيع أن أسجد. أنا خير منه. أنا خير منه. خلقه من تراب وخلقني من نار...

دفع المعلم إبليس في قفاه فوق على الأرض وهو يقول:

-لا أستطيع السجود. لا أستطيع. لا أستطيع...

هتفت الأرواح المؤمنة:
-اسجد... اسجد... اسجد...
فهتفت أرواح الكافرين:
-لا تسجد... لا تسجد... لا تسجد...
وتلاطمت موجات الأصوات الهادرة في فضاء الكوكب:
-اسجد... اسجد... اسجد...
-لا تسجد... لا تسجد... لا تسجد...
-اسجد... اسجد... اسجد...
-لا تسجد... لا تسجد... لا تسجد...
-اسجد... اسجد... اسجد...
-لا تسجد... لا تسجد... لا تسجد...

وأخيراً، وقف إبليس على الربوة مرة أخرى وقال:
-يا أيها الأنبياء الأصفياء... يا أيها الملائكة الأطهار... يا أيها المؤمنين الأبرار... يا أيها
الأرواح الطاهرة... يا سفير السماء... يا علي... إنني لم أسجد لأدم وهو حي، فكيف أسجد له
وهو ميت؟!....

كانت سيارة الإسعاف تمزق الفضاء بسرعتها الجنونية وبصراخ سريبتها لتتنقل أحمد الغرباوي إلى مستشفى الساحل التعليمي...

كان الغرباوي تنزف من صدره الدماء هادرة بسبب الطلق الناري، والمسعفون يحاولون أن يكبحوا جماحها...

جلست وداد شاهين زوجته بجوار سرير الإسعاف منهارة...

كان الغرباوي يئن بصوت واهن...

نظر بعينه ناحية وداد وقال:

-قبل أن ألق الله، سأقول لك حقائق لأول مرة في حياتي. أنا أخلصت لربي والحمد لله. وأخلصت لعملتي ولبلدي. كنت... كنت ضابط أمن دولة على درجة كبيرة من الكفاءة...

لم تستطع وداد أن تفغر فاهها من الدهشة بسبب تدهور حالة زوجها وانهايارها النفسي والمعنوي...

أخذ الغرباوي يستنشق هواء ثم قال:

-لما اخترق جهاز مباحث أمن الدولة كل الجماعات المتأسلمة الإرهابية كالجهاد والجماعة الإسلامية بسهولة، بدأ العمل على اختراق جماعة الإخوان المسلمين الحصينة...

سكت هنيهة ثم استرسل بصوت واه:

-كفوني رؤسائي بملف جماعة الإخوان المسلمين لأنها جماعة سرية. وكما تعلمين يا وداد، أن الجماعات السرية هي التي قتلت سيدنا عثمان بن عفان، وهي التي بثت الفتنة على مدار التاريخ... كنت مكلفا بنقل الصورة على الطبيعة لرؤسائي حتى تعلم الدولة تخطيط الإخوان ومؤامراتهم لتجهزها أولا بأول...

سكت الغرباوي بسبب الإعياء الشديد. حاولت وداد أن تسكته، ولكنه أصر على أن تعرف الحقيقة كاملة.

-ولما التحقت بالإخوان وتغلغت في صفوفهم وقرأت عن الإسلام الشامل وتشربت بدعوتهم وهي دعوة الإسلام نفسه، أحببت هذه الدعوة الربانية التي تبعث الإسلام من جديد، وتعيد بناء النفوس على الإسلام المعتدل النقي الرباني كما كان في صفوف الصحابة الذين رباهم الرسول عليه الصلاة والسلام...

وجدتها جماعة صادقة مع الله لا تريد منصبا ولا جاها، إنما تريد تطبيق الشريعة الإسلامية ليعم الخير والرخاء في البلاد... وجدتها جماعة وطنية على أعلى درجة من الوطنية، تعشق وطنها، وهذا العشق من تعاليم الإسلام نفسه. ألم ينظر الرسول -عليه الصلاة والسلام- إلى مكة وقال: والله إنك أحب البلاد إلى الله وإلى ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت). أليست هذه هي الوطنية في أعلى صورها؟

حاولت وداد أن تسكته ولكنه استمر:

-وجدتها تربي الفرد المسلم على الإسلام الحق، وتنشأ الأسرة المسلمة، وتحاول أن تنشأ المجتمع المسلم والدولة المسلمة حتى تصل إلى أستاذية العالم... ووجدتها تريد أن تطبق الشريعة بتدرج طبقا للظروف الاقتصادية والسياسية...

أخذ الغرباوي يتنهد ويتنفس بسرعة ويحاول أن يأخذ نفسا هادئا فلا يستطيع... حاولت وداد مع المسعفين أن تسكته ثانية، ولكنه أصر أن تعرف حقيقته، فاستأنف بصعوبة:

-وجدتُ أن لقاء الأسرة في الإخوان وسيلة وغاية؛ وسيلة لتربية الأفراد، وغاية في الوقت نفسه، فحتى لو أقيمت دولة الإسلام فلن يتوقف لقاء الأسرة أبدا لأنه المحضن الذي يتربى فيه الكبار والأطفال والرجال والنساء على الإسلام... ولقاء الأسرة يا وداد، هو المحضن الذي ربي فيه الرسول صحابته في مكة المكرمة...

أغمض الغرباوي عينيه. حمدت وداد ربها أنه سكت، ولكن بعد لحظات فتح عينيه وأكمل:

-بعدما تشرب قلبي وروحي بدعوة الإخوان، أخبرت مرشد جماعة الإخوان ذاته بحقيقة عملي في أمن الدولة، فارتاب فيّ. فقلت له: إنني مخلص للإخوان، ولكني لا أدري ماذا أفعل؟! هل أعمل كعميل مزدوج للإخوان وللدولة؟! فقال: نعم، وأخبرهم عنا بأخبار غير ذات قيمة وصادقة في الوقت نفسه، وأخبرنا أنت بمخططاتهم... واشتغلت كعميل مزدوج، ولكني لم أكن أبدا مستريحا أبدا فقررت في آخر لقاء مع رئيسي في العمل أن أخبره بحقيقة انتمائي للإخوان المسلمين، وقدمت استقالتي، وقت له: لا داعي لئن ترسل أحدا غيري في شعبة شبرا لأنني سأعرفه وسأخبر جماعة الإخوان عنه.

سكت الغرباوي قليلا ليتذكر ثم قال:

-شك رئيسي في قواي العقلية، فعرضني على طبيب نفسي، فلما تأكدوا من سلامتي العقلية، عرضوني لتحقيق شديد وتعذيب أشد!... ولكن الله فرج كربتي. وتركت عملي وأنا مستريح الضمير...

سكت الغرباوي قليلا ثم غمغم بصوت ضعيف:

-الذي قتلني يا وداد، كان ملثما، وأظنه من الجماعات المتأسلمة الإرهابية... قتله الله كما قتلني... قتله الله... قتله الله....

أغمض عينيه قليلا ثم تمتم وهو مازال مغمضا عينيه:

-بلدنا في حاجة إلى المخلصين الشرفاء أصحاب الأيدي المتوضئة... الحكومة تبيع البلد للأجانب الذين طردهم عبد الناصر! طبقنا الرأسمالية قبل الثورة ففشلنا، وطبقنا الاشتراكية بعد الثورة ففشلنا أكثر، والآن نتخبط ونتعثر ونتيه ونضل باسم الرأسمالية وحرية السوق!!...

قالت وداد بضيق:

-ما لنا وحديث السياسة الآن يا أحمد؟! فرد:

-دعيني أكمل أنا على وشك الموت.

فصرخت. لم يعبا بصراخها إنما استمر:

-كان عندنا أناس اشتراكيو الأفكار وبرجوازيو الجيوب... نهبوا البلد وخربوها... لعنهم الله.
لعنهم الله. لعنهم الله...
أدخل الغرباوي غرفة العناية المركزة، فأشار الغرباوي على زوجته أن تدخل معه فمنعوها،
فأردف بصوت واهن:
-أرجوكم أنا لم أكمل حديثي لها. أنا على وشك الموت دعوها تدخل.
فقالوا له:
-حديث السياسة سيدهور حالتك أكثر.
-أرجوكم. دعوا زوجتي تدخل.
فأدخلت، فقال بحماس:
-أشعر بقوة في جسمي يبدو أنها النشاط الذي يدب في البدن قبل أن تغادره الروح. فصرخت؛
فنهروها.
فقال الغرباوي قبل أن يسكت صوته تماما:
-الحقبة الكبيرة الغامضة والمغلقة والتي تسأليني عنها كثيرا، وكنت أقول لك بأن بها أسراراً
تخص عملي، فهي في الحقيقة بها بذلة وزارة الداخلية الميري!...
تأمل الغرباوي في وجوه المسعفين والأطباء والطاقم الطبي كله وهتف بصوت ضعيف أو شك
على الاختفاء:
-الإخوان يعشقون تراب هذا الوطن. الدين الإسلامي لا يتعارض مع الوطنية أبداً، بل العكس،
العكس، الدين يدعو... الدين يدعو للـ... للوطنية...
ثم سكت قليلاً ليستنشق هواء، وبعدها مال برأسه ناحية وداد وقال:
-لقد أخلصت لربي... أخلصت لربي... وأخلصت لعملي... أخلصت لعملي حينما كنت مقتنعا
بدوري في التجسس على الإخوان لصالح البلد... وأخلصت لجماعة الإخوان... أخلصت
للإخوان حينما تشرب قلبي وروحي للإسلام ولنبي الإسلام ولدعوة الإسلام... ودعوة الإسلام
هي جماعة الإخوان المسلمين في عصرنا الحديث... حاولت أن أخلص بقدر الإمكان...
أخلصت فيما رأيته يستحق الإخلاص... أخلصت بقدر الإمكان... أخلصت... أخلصت...
لربي...
ثم نظر بعينه ناحية الطاقم الطبي وقال بلسان ثقيل:
-البلد تحتاج إلى المخلصين الشرف...
ولم يكمل الكلمة، ثم ابتسم في هدوء، وشخص بصره إلى أعلى، وأسلم الروح...

-107-

بعد أيام من مقتل الغرباوي، جلس محمد الوكيل يناقش مع أفراد أسرته الإخوانية بيان الجماعة الإسلامية الذي وزعته بعد صلاة الجمعة في أغلب مساجد شبيرا...
قال الوكيل:

-ما عهدنا على الأخ المرحوم أحمد الغرباوي إلا كل خير. وإن هذا البيان كاذب والجماعة الإسلامية جبانة كاذبة...
فقال أخ 1:

-لقد فقدنا أبا عزيزا ربنا يرحمه ويدخله فسيح جناته ويجعله في منزلة الشهداء.
وقال أخ 2:

-إن قتله بيد الجماعة الإسلامية لنذالة...
-جُبْن...
-خسة...

فعلق الوكيل بحق:

-ما أرادوا إلا الشوشرة على جماعتنا.
وأضاف:

-وأرادوا أن يقولوا إننا هنا في شبيرا.
فقال أخ 3:

-أكد الجماعة الإسلامية بالشرابية هي التي قتلته. وللأسف لن يصل الأمن إلى الجاني!
قال الأخ حامد الزاهر بضيق:

-الأمن سعيد بمقتل الغرباوي بيد الجماعة الإسلامية. فأكبر مناهم أن تتقاتل الحركات الإسلامية حتى يأكل بعضها بعضا!

طلب الوكيل من الأخ حامد الزاهر أن يقرأ بيان الجماعة الإسلامية فقرأه وكان البيان يقول:
"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فإن الجماعة الإسلامية في حي شبيرا مصر قامت بقتل المدعوا أحمد الغرباوي القيادي الكبير في جماعة الإخوان المسلمون! ولقد قتلناه قربة إلى الله وكذلك قتل كل الطواغيت ما هو إلا قربة نتقرب بها إلى الله عز وجل... ولم نقتله لهوى في أنفسنا والعياذ بالله ولكن قتلناه لأنه كان جاسوس على جماعة الإخوان المسلمون وعلى كل التيار الإسلامي. وقد اكتشف أحد أعضائنا أن الغرباوي ما هو إلا ضابطا أمن دولة! وإن جماعة الإخوان المسلمون لا تستحق هذا العمل لأنها جماعة تركت الجهاد وركنت إلى الدعة والراحة والسكون وموالاته الحاكم الطاغوت وهي جماعة مغفلة مخترقة من الأمن!"
قاطع الوكيل القراءة قائلا بسخرية:

-الجماعة الإسلامية من أكبر الجماعات المغفلة والمخترقة من الأمن!
استطرد حامد الزاهر:

...ولكننا قمنا بهذا العمل العظيم ابتغاء مرضات الله وليكون قتله عبرة لكل الطغاة والجواسيس في الأرض! وهذا عقاب المساندون للطاغوت أما يوم القيامة فإن جزاء الطاغوت وأعدائه أشد. قال تعالى: {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار} صدق الله العظيم. الجماعة الإسلامية في حي شبرا القاهرة علق الأخ3:

-البيان مكتوب بلغة ركيكة، وكان الذي كتبه لم يتعدّ تعليمه الصف الثالث الابتدائي! فقال الوكيل بحزن:

-لقد قتله المجرمون في عز عطائه للدعوة! ثم بكى وأبكى الباقيين. قال أخ1 باكيا: -لقد فقدت الدعوة مجاهدا وداعية كبيرا ... وقال حامد الزاهر:

-يا أخوة، إن الموت في سبيل الله أسمى أمانينا. أليس هذا شعارانا؟ وبحسرة:

-كنا نتمنى أن يكون استشهاد الغرباوي بيد أعداء الله وليس بيد المنحرفين فكريا عن الإسلام. وقال أخ2:

-أسهل شيء سياسة الاغتيالات التي تجيدها الجماعات المنحرفة عن الإسلام، أما بناء النفوس فهو عمل شاق يهربون منه لأنهم لا يستطيعون الصبر عليه. وقال الوكيل:

-إن هذه الجماعات التي تدعي الجهاد نفسهم قصير جدا، ولنا المثل الواضح في جماعة "شباب محمد" والتي انشقت عن الإخوان في الأربعينات بحجة تغيير المنكر باليد، فأين هي الآن؟! وقال أخ1:

-إن الجهاد والجهاد الحركي والجماعة الإسلامية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسلفية الجهادية وكل هذه الجماعات المنحرفة عن الإسلام والتي ترفع راية الجهاد يتصفون بالجهل التام بالإسلام! فقال حامد الزاهر:

-لا يا أخ شعبان. ليس الجهل بالإسلام فقط، ولكنها تتبني فكرا سقيما منحرفا عن حقيقة الإسلام، كجماعة التكفير والهجرة وجماعة القطبيين والتي يكفر أعضائها كل مسلم لا ينضم تحت لوائهم!... وقال أخ3:

-وأیضا كل جماعة من جماعات العنف تكفر كل من لا ينضم تحت لوائها بحجة أنها الجماعة المسلمة الحقة وسواها على ضلال، فالجماعة الإسلامية تتهم كل الجماعات الإسلامية الأخرى بأنها على ضلال ويجب على الكل العمل تحت راية الجماعة الإسلامية، وجماعة الجهاد

الحركي لما انشقت منذ عدة سنوات عن الجهاد الأم قُتل كثير من أعضائها وقائدهم بيد جماعة الجهاد الأم بحجة أنهم انشقوا عن جماعة المسلمين الحقّة!...
-هذه الجماعات لم يقدموا إلا الاغتيالات والتفجيرات والتكفير باسم الإسلام.
-الإسلام منهم براء.
-لقد شوّهوا الإسلام أما العالم كله...
قال الوكيل بهدوء:

-لقد أخبرتني زوجة المرحوم الغرباوي أول أمس عن حقيقة عمل الغرباوي في أمن الدولة والتي أخبرها الغرباوي بها قبيل وفاته مباشرة، مع العلم، أن هذه الحقيقة لا يعلمها إلا المرشد العام فقط وأنا كنقيب لأسرة الغرباوي.
انعدت السنة الأخوة من الدهشة وكان لسان حالهم: هل الجماعة الإسلامية على حق فيما رجفت به؟!!

-طبعاً، الحيرة قد أخذتكم الآن فيما أقول. ولكن الحقيقة يا أخوة، أن الغرباوي كان فعلاً من ضباط أمن الدولة، وكان مسؤولاً عن ملف الإخوان. ولكنه لما تبحر في علوم الإسلام وعاش في دعوة الإخوان وشرب من معينها الزلال؛ تحول بزاوية 180 درجة إلى جماعتنا، وخلع عبائة أمن الدولة عن عاتقه. وكان في حيرة شديدة ماذا يفعل؟ فأخبر المرشد عن حقيقة أمره؛ فتعجب المرشد وحزن، تعجب للتأثير الروحي الرهيب للإسلام على نفس الغرباوي، وحزن لاختراق الأمن لجدار الجماعة الحصين!

ولما تأكد فضيلة المرشد من صدق الغرباوي، أخبره بأن يظل يخدم أمن الدولة بأخبار حقيقية عن الإخوان لا قيمة لها، وفي الوقت نفسه يخبر جماعتنا بمخططات أمن الدولة ضدنا. ولما ضاق المرحوم أحمد بهذا العمل المزدوج؛ أخبر رؤسائه في جهاز أمن الدولة بحقيقة انتمائه للإخوان، وقدم استقالته قبل استشهاده بفترة بسيطة.
تساءل حامد الزاهر:

-ألا يجب علينا أن نوزع بياناً نوضح فيه حقيقة موقف الأخ الغرباوي وتبين كيف ترك عمله كضابط في الداخلية ليكون في صفوف الإخوان المسلمين؟
فرد عليه الوكيل:

-لا داعي لذلك. فالغرباوي في رحاب الله الآن. وبيان الجماعة الإسلامية الركيك سوف يُنسى بعد قليل. والغرباوي لا يعرفه إلا جيرانه.

كلف محمد الوكيل الأخ حامد الزاهر ليكون نقيباً لأسرة المرحوم الغرباوي. جلس الزاهر في أول لقاء مع أسرة الغرباوي ليتعرف على أفراد أسرته. وبعد تعريف كل فرد بنفسه، عرف الزاهر نفسه فقال:

-أخوكم في الله حامد محمود الزاهر، سبعة وخمسون سنة، أعمل مقدم صف ضابط بالقوات المسلحة، متزوج وعندي ثلاثة أبناء.

أخذت الدهشة الحاضرين فقد كانوا يعرفون الزاهر من قبل في التعارف بقاء الكتائب، ولكن هذه أول مرة يخبر بعمله بالقوات المسلحة!...

تساءل علي عبد المنعم: "هل يوجد أخوة لنا في القوات المسلحة؟"

فتبسم الزاهر وأجاب: "كثيرون جداً".

ومبتسماً: "ولو أردنا القيام بانقلاب لفعلاه!"

واستطرد: "والانقلاب ليس من تفكير الإخوان. وكفانا النيران التي احترقنا بها من انقلاب يوليو 1952".

فقال إسماعيل عبد الفتاح: "ولكننا نسمع أنه إذا شُمت رائحة للإخوان حول أي فرد في القوات المسلحة فإنه يُطرد منها حتى لو كان مجنناً".

فرد الزاهر: "فعلاً، مَنْ يكون له علاقة بالإخوان ولو من بعيد فإن الجيش يطرده شر طردة، ولقد أنهى الجيش خدمة كثيراً من الإخوان الأساسيين والمجندين، لكن يوجد أخوة كثر لا يعرف الجيش عنهم شيئاً".

فقال صلاح الشيمي: "الإخوان ليسوا بعيدين عن الجيش، أليسوا هم الذين أسسوا تنظيم الضباط الأحرار الذي قام بثورة يوليو 1952؟!"

فأجابه الزاهر:

-بلى يا دكتور صلاح. فتنظيم الضباط الأحرار أسسه الإخوان عام 1939، وكان الضباط يبايعون قيادة الإخوان على المصحف والمسند. وبعد استشهاد حسن البنا وانفراط عقد الجماعة فترة طويلة؛ انفرد عبد الناصر بالضباط الأحرار، وضم إليه عناصر وطنية ليست من الإخوان، وحتى الضباط الشيوعيون ضم بعضهم...

قال عماد الدسوقي: "ولكن الإخوان كان لهم دور كبير في نجاح ثورة يوليو 52".

وقال سعيد الزامل: "أنا قرأت في كتاب 'الإخوان المسلمون وثورة يوليو' أن الإخوان كان لهم ضباط ضمن الضباط الأحرار أنفسهم".

فرد الزاهر: "ظل بعض الضباط الإخوان فعلاً ضمن تنظيم الضباط الأحرار. وكان التنظيم الخاص -الذي أهالوا عليه التراب بعد ذلك- له دور كبير في نجاح الانقلاب، فقد كان مسئولاً عن حماية طريق القاهرة السويس والقاهرة الإسماعيلية الصحراويين، وكان مسئولاً أيضاً عن حماية البنوك والهيئات والمنشآت الهامة بالقاهرة".

فتساءل علي عبد المنعم: "ولم هذه الحماية؟"
-خوفا من هجوم الجيش الإنجليزي الرابض على ضفاف قناة السويس على القاهرة لإجهاض الانقلاب.

فتساءل إسماعيل: "وهل كان للجهاز الخاص القدرة على صد الجيش الإنجليزي؟"
فأجاب الزاهر بقوة: "على الأقل لا يكون الطريق أمامه ممهدا يا أخ إسماعيل".
وبضيق:

-ولكن الضباط وخاصة ناصر انقلبوا على الإخوان وغدروا بهم! وفي الحقيقة يا أخوة، أن الحكم الملكي كان يترنح وعلى وشك الهاوية، وكانت البلد على حافة الغليان، وجاء ضباط الانقلاب وسرقوا الثورة الشعبية التي كانت على وشك الانفجار، والتي كان الإخوان على قمة هرمها...
وأثناء تناول طعام العشاء، سأل الزاهر سعيد عوض:

-ما أخبار والدتك الآن؟

-الحمد لله على كل حال. ويبدو أن إقامتها بالمستشفى ستطول.

ثم سأل الدكتور عماد الدسوقي عن تشخيص حالتها بالضبط، فأجابه وقد كان يتمنى أن يسكت الزاهر عن هذا الموضوع حتى لا يُخرج الدكتور صلاح أكثر.

أشار إسماعيل عبد الفتاح على الزاهر أن يسكت لأن سعيد بدأ يتضايق وازداد صلاح اختناقاً، ثم أخبره في نهاية الجلسة -بمفردهما- أن المرحوم الغرباوي كان يتحاشى أن يسأل الأخ سعيد عن حالة أمه في وجود الدكتور صلاح.

ازدرد صلاح ريقه الذي جف فجأة... فصلاح موقن بأنه السبب في كل ما حدث لها. والآن لا يجد إلا الحب كله لابتهاال...

وكان الحب كان زهرة منطوية على نفسها، فلما أجبر صلاح ناني على اقتراف الثمرة المحرمة في وقت غير مناسب بالمرة، وكانت هي تبغي الحلال والزواج منه، ضرب ضمير صلاح قلبه بسياطه؛ ففجر الماء الذي روى زهرة الحب المنطوية على نفسها وعلى أوراقها، فتفتحت وتفتحت حتى صارت بستانا يظلل قلبه ويمده بالري والنماء ويعانق الكون كله في فرح وسعادة وابتهاج... أو كأن الحب كان بذرة كامنة في خبايا قلبه، فزويت بما لا يحسب له حساب؛ فنبتت، وصارت شجرة باسقة تفتحت وازدهرت وأينعت...

أنا لا أدري سر حب الدكتور صلاح لابتهاال؟ هل هو حب حقيقي؟ أم توهم الحب؟ أم أزمة منتصف العمر كما تقول زبيدة والدكتور أحمد إسماعيل وطبعاً علماء النفس؟

وصلاح نفسه لا يدري سبب هذا الحب؟

ازدرد صلح ريقه أكثر حتى تابع نزوله في جوفه وهو يفكر في حب ناني:

ما سر هذا الحب يا ربي؟ هل الذنب الذي اقترفته في الوقت الذي تتوب فيه ناني؟ أم عاطفة سطحية ساذجة نتيجة توبة ناني ورجوعها إلى شبرا مرة ثانية؟ أم ما هو إلا تعاطف مع ناني التائبة العائدة إلى الله؟ أم هو حب حقيقي كان كامنا فانبثق وخرج من كمونه متمردا متهيجا

كالسيل الجارف المنهمر لا يستطيع أحد أن يوقفه؟ لا أنا ولا زبيدة ولا الدنيا ومن فيها نستطيع أن نوقف هذا السيل الجارف الرهيب...

ولكن الحب يا ربي لم يتعد في الماضي إلا لقاء جنسيا في الحرام، فكيف يكون حبا حقيقيا الآن؟ أنا في حيرة لا أدري ما تفعل بي الأقدار...

وأين حبي لبهيجة؟

هل أزاحه حب ابتهاج من قلبي؟ أم البعيد عن العين بعيد عن القلب؟ والقريب من العين قريب من القلب؟

أم أن قلبي أضحى متسعا للجميع: زبيدة، وبهيجة، وابتهاج...؟! ها ها ها... ولكن ابتهاج الآن هي التي طغت على الجميع، هي التي أخذت قلبي من جوانحي، هي التي فازت بالسباق لأنها هي التي تحبني بصدق...

بصدق؟! هي فقط؟! لا. بهيجة كانت تحبني بصدق أيضا. وجئت بسبب هذا الحب أو بسببي وبسبب رعونة وغباء زبيدة! وهي الآن محبوسة في مستشفى الأمراض العقلية كلما تحسنت حالتها انتكست. والله أعلم بموعد شفائها أو خروجها من هذه المستشفى إن خرجت. أنا السبب. لا، زبيدة هي السبب. لو وافقت على زواجنا ما حدث ما حدث. هي السبب. أنايتها السبب. غباؤها السبب... مسكينة يا بهيجة. لك الله يا بهيجة...

أفاق صلاح الشيمي على حامد الزاهر وهو يقول للدكتور عماد الدسوقي:

-من الوفاء للمرحوم الغرباوي أن تتزوج ابنته عائشة التي أنهت دراستها الجامعية.

فقال علي:

-هي إنسانة مؤدبة ومحترمة.

وقال إسماعيل:

-ويكفي أنها ابنة المرحوم -بإذن الله- الغرباوي

تبسم الزاهر بحب:

-واطمن يا أخ عماد، فالجماعة ستساعدك.

تبسم عماد وهز رأسه موافقا؛ فتبسم الأخوة وقاموا يقبلونه ويهنئونه...

وقبل أن ينصرفوا، قال الزاهر:

-استعدوا يا أخوة للمعسكر الصيفي فقد ترشحتم جميعا له وستُخبرون ليلة السفر بجهة السفر

ومكان المعسكر بالضبط إن شاء الله...

-109-

تأخر الدكتور حكيم نخلة عن الحضور المبكر كعادته منذ سنين طويلة بسبب الاستعداد للسفر للعمل بالسعودية. ولما وصل إلى حجرة الأطباء، هنأه الدكتور أحمد إسماعيل على عقد العمل بحب وابتهاج...

فرد حكيم:

-سألت عن مستوصفات الشيخ نايف الحارثي فوجدتها جيدة، والمرتببات لا تتأخر عن مواعدها وهذا أهم شيء.

-كل الذين سيسافرون لمستوصفات ومستشفيات الشيخ نايف حظهم من السماء لأن فرص العمل في هذه الأيام شحيحة بسبب اغتصاب ابن المدرس!

فقال الدكتور صلاح الشيمي:

-فعلا، التأثيرات صعبة هذه الأيام يا دكتور أحمد، بسبب هذا الحادث الأليم.

ثم تساءل:

-إلى أين العزم يا دكتور حكيم؟

-إلى جدة إن شاء الله.

فقال صلاح:

-جدة مدينة جميلة وستحس أنك تعيش في مصر بسبب كثرة المصريين هناك.

وقال الدكتور أحمد:

-أنا قلت من زمان سافر يا حكيم. سافر يا حكيم وجرب حظك مثل كل الزملاء الذين يسافرون.

ثم ابتسم وهو يردف:

-ولكنك كنت مصلبا لرأيك!

فضحك حكيم وقال

-دماغي كانت ناشفة يا أحمد لأنني صعيدي، وكنت أعتبر العمل في دول الخليج عبودية وذل.

وبصراحة مازالت أعتبرها كذلك. صدقني يا دكتور أحمد، لولا أن ابنتي مريم مخطوبة وتحتاج

أن أجهزها لما سافرت. ودخل العيادة لا يتعدى 2000 جنيها في الشهر بالكثير.

فقال أحمد:

-يعني مصاريف الشهر.

-ناهيك عن إيجار العيادة ومصروفاتها ورسوم الضرائب الفظيعة...

-سوف تستطيع أن تجهز مريم وستشتري شقة تملك لعادل ابنك ليتزوج فيها وستجد فرقا شاسعا

في مجرى حياتك كلها إن شاء الله.

تساءل صلاح الشيمي:

-أنا أعلم أن عادل خاطب منذ أكثر من ثلاث سنوات، ألم يتزوج بعد؟

تبسم حكيم ابتسامة فاترة ثم رد:

-عادل خاطب منذ ما يزيد عن أربع سنوات ولم يستطع أن يجهز شقة للزواج مع أنه محاسب في شركة مقاولات كبيرة.
وساخرا:
-ومرتبه للأسف يتبخر كمصاريف شهرية.
وبامتعاض:
-والعجيب أنه يدخل! يعني هي ناقصة...
قال الدكتور مجدي النحال بضيق:
-آخر واحد يأتي على بالي يفكر في السفر يكون الدكتور حكيم نخلة.
ثم وهو يزعم شفتيه بامتعاض شديد:
-ولكن للأسف ضاعت القيم والمبادئ في هذا العصر المادي.
فرد عليه أحمد إسماعيل منفعلًا:
-كل الأطباء يسافرون للعمل وتحسين حياتهم المادية. وأنت نفسك يا نحال، ألم تجرب حظك المتعثر وسافرت؟
فأجابه النحال:
-كان المفروض بعد تجربتي المريرة ألا يسافر أحد يحترم نفسه ويدعي احترام القيم والمبادئ.
فقال أحمد بانفعال:
-لا تنتظر دائما إلى الجزء الفارغ من الإناء. وتوجد تجارب ناجحة فلا داعي لئ تنشط غيرك.
تساءل النحال:
-ولماذا لا يسافر ابنك عادل يا حكيم؟ أليس هو المناسب للسفر؟
تبسم حكيم ورد:
-عادل لو أعطوه مال قارون فلن يسافر. فهو لا يستطيع أن يترك حضن أمه للأسف.
قال أحمد مبتهجا:
-الدكتور حكيم أحضر لكم جاتوه بمناسبة سفره للسعودية.
فقال أكثر من طبيب:
-ما أحلى الجاتوه. لقد افتقدناه منذ زمن بعيد.
دخل عم محمود وأم حنفي بعلب الجاتوه وزجاجات مشروبات غازية.
أوما الدكتور فوزي نجيب ناحية حكيم قائلا:
-ولكن الذين في عمرك يستقرون هنا يا دكتور حكيم. فكيف تسافر الآن؟!
-الظروف اللعينة هي التي أجبرتني على السفر للأسف.
فرد أحمد وهو يفترس عيني فوزي:
-أنا وجدت في الكويت من هو أكبر منك في العمر يا حكيم.
ثم قال لحكيم:

-القطاع الحكومي فقط هو الذي ينهي خدمة من وصل لسن الستين، أما القطاع الخاص فهو لا يشترط سنا معيناً وأمامك الكثير حتى سن الستين وبعده إن شاء الله.
ثم ضحك وهو يواصل:

-أهم شيء في المستوصفات الخاصة هو حلب جيب المريض حتى آخر هللة¹⁰⁰!... وأنا أنصحك يا حكيم قبل السفر بالألا تبيع ضميرك.

-ربنا يستر. وأنا بصراحة أخشى أن تفرمني فرامة العمل الرهيبة وأضطر إلى أن أبيع ضميري!
فقال أحمد:

-إن شاء الله ستكون نموذجاً طيباً وحكيماً للأطباء المصريين بالخارج.
قال صلاح الشيمي مبتسماً:

-الدكتورة نجية عبد الستار ستسافر أيضاً لأحد مستوصفات الشيخ نايف في الطائف. فهل هذا صحيح؟
فرد عليه أكثر من طبيب:

-صحيح. صحيح...
فقال الشيمي ضاحكاً:

-أكيد سينبسط نايف منها أيما انبساط...
وقال عماد الدسوقي:

-طبعاً، ستكون هي الطيبة المثالية وسط الأطباء العاملين هناك!
وقال الدكتور أحمد ضاحكاً:

-هي أصلاً تحلب جيوب المرضى الغلابة هنا، فما بالنا هناك؟!
دخلت نجية عبد الستار وعبد الوهاب محمود وسميرة سعيد. تساءلت نجية:

-لماذا تتكلمون عليّ؟ صوتكم واصل إليّ في حجرة التوقيع.
فرد عليها حكيم:

-مبروك عقد العمل يا دكتورة نجية.
-الله يبارك فيك يا دكتور حكيم، ومبروك عليك أيضاً.
ثم توجهت إلى كل الأطباء وسألتهن بصوت قوي:

-لماذا تتكلمون عليّ؟
فأجابها أحمد إسماعيل:

-كنا نغتابك ونقول بأنك سوف تعصرين جيوب المرضى في السعودية.
فمطت شفيتها وردت بابتسامة ساخرة:

-كلكم تفعلون ذلك هنا قبل هناك.

فقال صلاح وهو يشير بيديه:
-لا تقولي كلكم.
وعماد:
-البعض فقط.
دخل سامي حليم، فسأله الدكتور أحمد:
-لماذا لا تسافر يا سامي مع الدكتور حكيم وأنت شاب والسفر مناسب جدا في عمرك؟
-أنا لا أستطيع أن أخرج خارج الحوض المرصود.
ضحك أحمد وقال:
-طبعا، فأنت كالسمك الذي يفطس إذا ترك ماء الحوض!
وساخرا:
-ولكنك كالسمك الذي فسد مبكرا!...
تورد وجه سامي. فتساءل من خلال ضيق نفسه:
-ولماذا هذا التشبيه يا دكتور أحمد؟
فرد أحمد:
-أنت تعرف السبب.
ثم توجه برأسه ناحية الأطباء قائلا:
-والكل يعرف السبب.
ثم فسر:
-ويكفي عكوفك طوال اليوم في مكتب المدير. غير الهدايا والعطايا في كل المناسبات والأعياد القومية وغير القومية وحتى في المباريات الهامة التي يفوز فيها الأهلي!...
غرق سامي في ضيقه... قال بضيق وهو يشير إلى الأطباء:
-كل الزملاء يفعلون ذلك.
فقال حكيم نخلة بصرامة:
-لا تعمم. بل قل كل الانتهازيين.
وقال صلاح الشيمي:
-وبصراحة كل الذين لا يريدون الانتداب يفعلون ذلك.
وقالت ابتسام عوض الله:
-الدكتور سليم غلطان في قبوله للهدايا.
وقالت سميرة سعيد:
-هذه الهدايا فسدت جيلا من أطباء المستشفى...
وقال حكيم:
-بل فسدت أجيالا يا دكتورة سميرة!...
وقالت عليّة:

-الله یرحم عصر الدكتور أنس فلم یکن هذا الفساد موجودا فی أيام إدارته للمستشفى.
فقال لها سامی:
-وأنت یا دکتورة علیة، هل انتدبت ولو مرة واحدة؟!
وبخبث:
-یعنی لابد أن تكونی تدفعین المعلوم!
فردت علیة غاضبة:
-لا یا سامی. أنا لا أدفع أي معلوم. والکل یعرف ذلك.
فقال أحمد إسماعیل:
-الدکتورة علیة عندها واسطة قوية فی المديرية تحميها من الانتدابات.
فقال مجدي النحال بلؤم:
-أكید الواسطة القوية يأتيها معلوم شهري.
فاحتدت علیة:
-لا یا نحال. فوکیل أول الوزارة قریبی.
قال عبد الوهاب محمود لیلطف من الغضب المستثار:
-یا جماعة، یوجد أطباء فی المستشفى یفضلون الانتداب بل ویمدون فترة الانتداب مرات كثيرة.
وقال صلاح الشیمی:
-هؤلاء الأطباء یرحبون بالانتداب وإن لم یسعوا إلیه أصلا لأنهم یعملون ثلاثة أيام فی الأسبوع،
فالانتداب بالنسبة لهم راحة من العمل.
وقال عماد الدسوقي:
-هم لا یهتمون بمستواهم العلمی الذی یقل بالبعد عن التعامل مع الحالات الهامة هنا.
فاحتد فوزی نجیب:
-وأنت مالک یا عماد بحکایة الانتداب وأنت لم تُنتدب ولا مرة.
فرد عماد:
-الأطباء المقیمون لا یُنتدبون أصلا.
مرت فترة من الصمت لم یقطعها إلا صوت رشف القهوة والشاي والمشروبات الغازية وقول
ابتسام عوض الله:
-لو أغلق المدير والمسئولون فی المديرية والوزارة باب الرشوة والهدایا والعطايا، لصلح کل
شیء ولما فسدت نفوس الأطباء.
ثم هتفت بثوريتها المعهودة:
-فالسمة تفسد من رأسها كما قال المسیح!
فقال صلاح الشیمی:
-الفساد هو من بركات العولمة التي یبشروننا بها فی هذه الأيام...
فقال فوزی نجیب:

-العولمة قادمة قادمة يا شيمي. والفساد ينبع من داخل أنفسنا المريضة ولا علاقة له بالعولمة.
فرد عليه الشيمي:
-لا يا دكتور فوزي. فالعولمة وما يصاحبها من الثقافة الأمريكية الاستهلاكية الشرهة تتعاق مع
الفساد والرشوة والمحسوبية والانتهازية...!
قال أحمد إسماعيل ضاحكا:
-بدأت المعركة الحامية الوطيس بين اليمين الإسلامي واليمين الرأسمالي!
ورد عليه حكيم:
-يوجد عندنا تيارات مختلفة في المستشفى في هذه الأيام.
ثم وهو يهز رأسه:
-فهذا شيء صحي وأفضل من لا شيء.
تحمس فوزي نجيب فقال بصوته الأجهش الخشن:
-أصحاب الحزب الشيوعي السوفيتي كانوا أكثر الناس فسادا وأممو الشركات والأموال
ووضعوا الجزء الأكبر في جيوبهم!...
وقال مجدي النحال:
-وأصحاب لجنة الإقطاع في ثورة يوليو 52 فعلوا الشيء نفسه!...
فقال ابتسام عوض الله بحدة:
-الحزب الشيوعي السوفيتي أسس دولة عظمى.
ضحك فوزي نجيب ضحكة واسعة ثم تساءل ساخرا:
-وأين هي الآن؟!
فردت ابتسام:
-جورباتشوف هو السبب لأنه عميل للCIA!
وبحنق:
-كان من المستحيل أن ينهار الاتحاد السوفيتي بهذه السرعة لولا خيانة جورباتشوف.
قالت سميرة سعيد:
-كان الاتحاد السوفيتي في سبيله للانهار سواء خان جورباتشوف أم لا!
وقال عماد الدسوقي:
-يكفي أنها كانت دولة ضد فطرة التدين والتملك.
فرد فوزي بيقين:
-يا جماعة. يا جماعة... خلاص. التاريخ انتهى وانتصرت الرأسمالية والديمقراطية الغربية.
ثم هتف بحماس بالغ:
-فوكوياما أعلنها صراحة. فقد انتصرت الرأسمالية إلى الأبد...
فقال ابتسام عوض الله بحماس فوزي البالغ:

-التاريخ لم ينته يا دكتور فوزي. وما رأيك في الحزب الشيوعي الصيني الذي أسس دولة عظمى نموها الاقتصادي يأتي بعد أمريكا واليابان بالإضافة إلى أن القرن المقبل هو قرن الصين نفسها.

فرد عليها فوزي:

-بيدو أنك شيوعية قديمة حتى النخاع ولم تغيري جلدك بعد...

ثم قال وهو يهز كتفيه:

-روسيا منبع الشيوعية غيرت جلدها...

فضحك أحمد إسماعيل وحكيم.

قال أحمد:

-يا فوزي، الأطباء -وحتى أنت- في أيامنا هذه حزبهم الرئيسي الحقيقي هو السعي والكد على لقمة العيش.

ثم تساءل:

-أليس كذلك؟

لم يجبه فوزي، فقال صلاح الشيمي:

-المستقبل للإسلام ولنظريته الاقتصادية الشاملة.

فقاطعه فوزي:

-قلت لك من قبل إن الإسلام ليس له نظرية اقتصادية. ولا يوجد ما يُسمى بالاقتصاد الديني. والاقتصاد أيام دولة الخلافة الراشدة وغير الراشدة كان اقتصادا طبيعيا يعني بيع وشراء وهو الاقتصاد الذي كان موجودا منذ آلاف السنين.

فتحمس عماد:

-القرآن الكريم وضع القوانين والأسس التي يُطبَّق عليها الاقتصاد. فأين أنت يا دكتور فوزي من قوله تعالى الذي يمنع تكديس المال عند فئة قليلة تمنعه من التداول وتمنع أن يعم خيره للجميع: {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ¹⁰¹؟ وأين أنت من قوله تعالى الذي يتوعد المكنزين للذهب والفضة: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} ¹⁰²؟ وأين أنت من قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} ¹⁰³؟ أليس هذا ميزانا للاقتصاد بوجه عام؟

وأين أنت من قوله تعالى {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} ¹⁰⁴ أي كفلكم بتعميرها...

¹⁰¹ جزء من الآية 7 من سورة الحشر

¹⁰² جزء من الآية 34 من سورة التوبة

¹⁰³ الآية 9 من سورة الرحمن

¹⁰⁴ جزء من الآية 61 من سورة هود

وأين أنت من قوله تعالى الذي يدعو إلى الحجر على السفیه حتى لا یبدد المال {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا} 105؟.

أليس هذه الآيات تعطي لنا أطرا وأساسا نؤسس عليها للاقتصاد؟

احمر وجه الدكتور فوزي القمحي فقال:

-يا عماد، أنا مسلم وموحد بالله والحمد لله. وأنا أؤمن بهذه الآيات. أم أنتم يا معشر الإخوان المسلمين لا تحسبون المسلم إلا (الإخوانجي) فقط!

فرد صلاح:

-لا، يا دكتور فوزي. عماد لا يقصد أنك لا تؤمن بهذه الآيات. والإخوان لا يدعون أبدا أنهم هم فقط المسلمون.

فزرق أحمد إسماعيل:

-اسم جماعتكم يشير إلى ذلك!

رد الشيمي بهدوء:

-لا يا دكتور أحمد. والشبان المسلمون؟ هل ادعوا أنهم فقط المسلمون؟ وهي جماعة رسمية غير محظورة. والشبان المسيحيون؟ هل ادعوا أنهم فقط المسيحيون؟

ثم قال وهو يشع ابتسامة في الحاضرين:

-دعونا من التسمية. ولنتأمل هذه الآيات فسنجد أنها تضع منهاجا للاقتصاد الإسلامي، فهي تدعو إلى عدم تكديس المال في يد فئة قليلة وتمنع تداوله في المجتمع، وهي تدعو إلى عدم كنز المال -يا دكتورة ابتسام- وتوزيعه بالعدالة في المجتمع، والرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول في هذا المعنى: ((ليس بالمؤمن من يبيت شعبانا وجاره جائع وهو يعلم))، والفقير له حق معلوم في مال الغني ويقول الرسول -عليه السلام- في ذلك: ((من كان عنده فضل ظهر -أي دابة للركوب أو سيارة في عصرنا الحديث- فليعطه لمن لا ظهر له ومن كان عنده فضل زاد فليعطه لمن لا زاد له)). والغني حين يعطي ويعلم أنه سينال جزاءه من الله، فإنه يعطي بحب وليس بكرهية كما تفعل الاشتراكية التي تبث الحقد بين طبقات المجتمع...! والاشتراكية -بوجه عام- حاربت الأغنياء ولكنها لم تحارب الفقر. والله -سبحانه وتعالى- لم يترك الزكاة لضمير الفرد، إنما جعلها الفرض الثاني في الإسلام بعد الصلاة... وسيدنا أبو بكر الصديق حارب المرتدين عن دفع الزكاة...

والشريعة الإسلامية تعتبر الحاكم أثما إذا لم يوفر حد الكفاية لكل فرد في المجتمع...

أما الفساد في الأرض وخاصة ترف الأغنياء، فقد حاربه القرآن الكريم. قال تعالى: {قُلْ لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ} 106.

105 جزء من الآية 5 من سورة النساء

106 الآية 116 من سورة هود

قال فوزي:

-كل ما تقوله آيات قرآنية كريمة. فأين لب الاقتصاد الإسلامي نفسه؟

فأجابه صلاح:

-يا دكتور فوزي، ما هي عناصر الإنتاج في الاقتصاد الرأسمالي؟

لم يرد فوزي، فقال صلاح:

-أنا مذاكر جيدا. فعناصر الإنتاج في الاقتصاد الرأسمالي أربعة هي: رأس المال وعائده الفائدة، والعمل وعائده الأجر، والطبيعة وعائدها الربح، والمنظم وعائده الربح. وتتحدد قيمة عناصر

الإنتاج بحسب سعر السوق الذي يتحدد بحسب العرض والطلب. أليس كذلك يا فوزي؟

ثم اتجه برأسه ناحية ابتسام وقال:

-وأنت يا دكتورة ابتسام، أليست عناصر الاقتصاد الاشتراكي تتلخص كلها في العمل، وعائده الأجر أو الراتب الذي تحدده سلطة الدولة القابضة على عناصر الاقتصاد كلها وخطط التنمية؟

فوافقته بإيماءة رأسية من رأسها، فواصل بحماس بالغ:

-أما في الاقتصاد الإسلامي فعناصر الإنتاج اثنان هما العمل ورأس المال، وذلك استنادا إلى عقد المضاربة. ويتم توزيع العائد وهو حصيلة الإنتاج بين العمل ورأس المال، حيث يقدم

صاحب المال ويسمى المقارض رأس المال، بينما يقدم الشريك الآخر وهو رب العمل أي المضارب عمله وقد سُمي كذلك لأنه يضرب في الأرض ويسعى فيها لتنمية الثروة، ويوزع

العائد بينهما بنسبة معينة يتفقان عليها بدون أي شبهة ربا أو ظلم أو جشع الرأسمالية البغيض...

ثم تساءل:

-وهل البشرية تحتاج من الاقتصاد أكثر من ذلك؟

ثم أكمل بحماس:

-ويكفي يا جماعة، أن الاقتصاد الإسلامي توجد به خاصية ليست في أي اقتصاد آخر ألا وهي تقوى الله أو مراعاة الله في كل صغيرة وكبيرة فيه.

فتساءل أحمد إسماعيل:

-أين رذك يا فوزي على الشيمي؟ هل أفحمك اليوم؟

فأجابه فوزي:

-أنا غير مقتنع بأن الإسلام قدم اقتصادا في الأربعة عشر قرنا الماضية.

فاستطرد صلاح:

-دولة الخلافة الإسلامية كانت مزدهرة اقتصاديا طوال حياتها ماعدا العقود الأخيرة من الخلافة العثمانية والتي كانت الخلافة فيها تحتضر. ويكفي أن مقاصد أو أهداف الشريعة الإسلامية هي

المحافظة على الدين والعقل والنفس والمال والنسل، وهذه الأمور لا يحافظ عليها أي اقتصاد أو شريعة غير سماوية...

تحمس عماد الدسوقي:

-التاريخ انتهى بالنسبة للاشتراكية لأنها ضد فطرة التملك. والصين -يا دكتورة ابتسام- فتحت بلادها للشركات عابرة القارات وسهلت الاستثمار بل وخلعت كثيرا من روائها الاشتراكي منذ عام 1978! والشيوعية ضد الدين. والدين هو السياج الواقى من انهيار وتدمير النفس البشرية، ولم يكن الدين يوما أفيونا للشعوب. والرأسمالية في طريقها للانهار لأنها جشعة وانتهازية وتطحن الشعوب تحت تروسها الرهيبة ولها أزمات وعواصف اقتصادية مدمرة كما حدثت في الثلاثينات...

ردت ابتسام:

-اعتبر يا دكتور عماد، أن الصين تطورا مهما للاشتراكية.

وقال فوزي:

-الصين لم تنجح اقتصاديا إلا لما تخلت كثيرا عن الاشتراكية بعد وفاة ماوتسي تونج.

قال مجدي النحال وهو يوما برأسه ناحية فوزي:

-يعني تعجبك قوي الرأسمالية يا دكتور فوزي؟ ألا تعلم أن ميزانية الشركات عابرة للقارات أكبر بكثير من ميزانية عدة دول!

وقالت عليّة:

-وكل رأسمالها الرهيب يوضع في حساب أفراد قلائل يملكون هذه الشركات.

ثم ساخرة:

-لو ظل أصحاب هذه الشركات يأكلون أموالهم كطعام آلاف السنين ما تخلصوا منها أبدا!...

فهتفت نجية:

-هذه الشركات واقتصادها الرأسمالي هي محصلة نهاية التاريخ...

وقال فوزي:

-يا جماعة، لا ننس أن هذه الشركات الجبارة تساهم في البحث العلمي بدرجة كبيرة. ويكفي أن الرأسمالية منذ نشأتها تهتم بالتطور العلمي وأنشأت الحضارة الغربية العظيمة غير المسبوقة في التاريخ البشري كله...

وهتف سامي حليم بسرعة:

-والبقاء للأصلح...

فقال أحمد إسماعيل ضاحكا بسخرية:

-أنا لا أدري السر الدفين بين الرأسمالية والفساد والانتهازية!...

ثم وهو يشير بيديه ناحية فوزي ونجية وسامي:

-ويكفي أن المدافعين عنها يعملون في العيادات الاقتصادية ويمصون جيوب المرضى!...

فضحكوا...

قالت سميرة سعيد:

-يا جماعة، العبرة بالتطبيق وليس بالنظرية نفسها. فلو أنزل الله وحيا فيه قانون اقتصادي واضح المعالم والدلالة، وقام على تطبيقه أناس فاسدو الضمير، لفشل قانون الله الاقتصادي فشلا ذريعا...

فصفق عبد الوهاب محمود وقال:

-(عفارم) عليك يا دكتورة سميرة.

قالت عليّة:

-الاقتصاد الإسلامي واضح المعالم والدلالة يا سميرة.

فلم ترد سميرة عليها، فهتف فوزي:

-الرأسمالية هي الحل...

وفسر:

-الطب نفسه لكي نمارسه بنجاح يحتاج لميزانية جبارة سواء لفحص المرضى أو لعلاجهم، وهذه الميزانية هي التي توفرها الرأسمالية. أما مرهم أكسيد زنك أم حنفي فليس بعلاج، ويكفي **bad hygiene**¹⁰⁷ المترع في الطست الذي تحضره فيه!

فقال النحال:

-أكسيد الزنك بنسب عالية قاتل للبكتريا.

فقال فوزي:

-توجد بعض شركات الأدوية التي تحضر **zinc oxide**¹⁰⁸ في عبوة معقمة، أما أم حنفي فلا أظن أنها تغسل يديها قبل تحضيره!

ثم أردف ساخرا:

-ولا أعلم السر في جمعها العمل في تحضير بعض المستحضرات الطبية وعملها في المطبخ؟! فتبسّم عبد الوهاب محمود وقال:

-هي تعتبره كله طبيخ!

فضجت الحجرة عاصفة من الضحك...

قال الدكتور أحمد إسماعيل كعادته في نهاية حوار الصباح:

-هيا بنا للعيادات، فالساعة عدت التاسعة.

¹⁰⁷ سوء النظافة

¹⁰⁸ أكسيد الزنك

-110-

تجمع الإخوان من حجراتهم الأربعة في الصالة الفسيحة ومن الدورين السفليين وجلسوا في نصف دائرة على سجادة الصلاة. وقف الأخ المسئول عن تنظيم المعسكر في نصف الدائرة الفارغ يشرح برنامج المعسكر:

-أيها الإخوان، مرحبا بكم في المعسكر الصيفي. إن هذا المعسكر يجمع الإخوان على مستوى الجمهورية فأرجو الانضباط التام وإظهار آثار التربية التي زرعوها فيكم الأخوة النقباء على مدار السنة. وربما يجول بنفوس البعض اختيار هذه البناية بجوار صخب سوق المدينة وملاهيها، فأقول لهم إن اختيار هذا المكان الصاخب مقصود في ذاته حتى نبعد عنا أعين الأمن. ثم تبسم وهو يشير بيديه إلى الخارج، وقال:

-وللعلم، فإن الأخ الذي يدير جهاز الكاسيت بصوت عال جدا على أغاني عمرو دياب الصاخبة في محل العطور وأدوات الزينة الذي أمامنا مباشرة هو من إخواننا... نظر الأخ في ورقة بيده وقال:

-البرنامج اليومي يبدأ من الاستيقاظ قبل آذان الفجر بساعة ونصف لصلاة التهجد. ثم صلاة الفجر، وأرجو أن يكون التأمين بصوت ضعيف نسبيا كما هو معلوم لديكم. وبعد صلاة الفجر، نجلس في أماكننا لتلاوة أذكار الصباح من الوظيفة الكبرى¹⁰⁹، ثم تمرينات الصباح الرياضية من الساعة صباحا حتى الساعة والنصف، ثم تناول طعام الإفطار في الثامنة إلا ربع، ثم الذهاب للبحر حتى الساعة التاسعة. ومن التاسعة والنصف يبدأ برنامج المحاضرات الصباحي حتى آذان الظهر، ثم صلاة الظهر والعصر قصرا وجمعا، ثم نوم القيلولة حتى الثالثة والنصف. ومن الرابعة بعد الظهر، يبدأ برنامج المحاضرات المسائية حتى صلاة المغرب والعشاء جمعا وقصرا، ثم جولة في المدينة لمدة ساعة فرادى أو بالكثير كل اثنين معا، ثم تناول طعام العشاء في الثامنة مساء، ثم خاطرة يقدمها أحد الأخوة، ثم توزيع الحراسة والمهام لليوم التالي، ثم النوم في التاسعة مساء، والاستيقاظ في الثانية والنصف صباحا لصلاة الليل. تبسم الأخ المسئول وقال:

-طبعاً، لا توجد وجبة الغذاء.

ثم نظر في الورقة مرة ثانية وواصل:

-أيها الإخوان... إن هذا المعسكر شاق؛ فالطعام مرتان كل 12 ساعة تقريبا، ويمكن أن يُنادى عليكم أثناء الطعام للتوقف فأرجو الالتزام التام وأروا الله -عز وجل- في هذا المعسكر كل عزيمة وتقوى...

تأمل الأخ وجوه الأخوة وأشع فيهم ابتسامة عريضة ثم قال:

-ولنبداً الآن في التعارف...

وفي أول محاضرة، عرف المحاضر نفسه وتعرف على الإخوان ثم قال:

¹⁰⁹ أذكار الصباح والمساء في كتاب المأثورات لحسن البنا. والوظيفة الصغرى أذكراها أقل وتؤدى بسرعة من أذكار الوظيفة الكبرى.

-الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ثم أما بعد... أيها الإخوان. لقد زاد النقد لجماعتنا في الآونة الأخيرة... وللأسف نجد البعض من تقاعس عن الجهاد وترك جماعتنا، لا يتفرغ إلا لنقد وسب جماعتنا على صفحات الجرائد! يا أخوة، هل نسينا الأصول العشرين؟! أليست هي الأصول التي بنا الأستاذ البنا -عليه رحمة الله ورضوانه- أساس بنيان جماعة الإخوان المسلمين؟ هل حادت جماعة الإخوان في أي وقت عن هذه الأصول العشرين حتى نتعرض للنقد المرير لمن هب ودب؟! حتى الجماعات المنسوبة للسلف زورا تفتي بحرمة دخول مجلس الشعب ولا تكتفي بذلك بل تفتي بضالنا في هذا الأمر وتتهمنا بالشرك بالله والعياذ بالله!... تبسم المحاضر ثم استأنف:

-حتى مجلس الشعب حرموه! ألا يكفي تحريمهم للخيار وكل ما يشبه العضو الذكري؟! مجلس الشعب حرام!! وهل دخلنا -أيها الإخوان- مجلس الشعب إلا للمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية؟ وسندخل انتخابات مجلس الشعب في نوفمبر القادم إن شاء الله ولن نحيد عن طريقنا قيد أنملة. وستسير القافلة مهما عوت الذئاب ونبحت الكلاب...

-أيها الإخوان... إن الأصول العشرين هي النبراس الذي نسير في ضوئه وهديه... وأول أصل يتناول شمولية الإسلام كما تذكرون، وهذا الأصل يقول: "إن الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة كلها؛ فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو مادة أو كسب أو غنى، والإسلام -أيها الأخوة- ثقافة وقانون أو علم وقضاء، والإسلام جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء..." فهل تخلينا عن المناداة والعمل على تطبيق الإسلام الشامل؟

والأصل الثاني يقول: إن القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويُرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات. فهل جماعة الإخوان المسلمين حادت عن القرآن الكريم والسنة المطهرة أيها الإخوان؟!

أما الأصل الثالث فيقول: إن للإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفهما الله في قلب من يشاء من عباده، ولكن الإلهام والخاطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه.

تبسم المحاضر ونظر إلى الحاضرين وقال:

-يوجد بين إخوانكم من يقول إنه استقى أحكاما للدين من العواصف!!...

فانفجرت الصالة ضحكا، وفي الوقت ذاته اشتعل وجه علي عبد المنعم سخونة...

استأنف المحاضر:

-فهل نأخذ أحكام الدين من العواصف أو من الأحلام والرؤى؟! وهل يجوز أن نأخذ من غير القرآن الكريم والسنة المطهرة أحكاما للدين؟! أو حتى للحكم على جماعتنا؟! فالأصل الثالث مهم جدا حتى لا نضل ولا نحيد عن الشريعة الإسلامية وأحكامها.

استمر المحاضر في شرح الأصول العشرين ثم فتح باب لتساؤلات الأخوة. سأل أخ 1:

-ما موقف الجماعة من النصارى وأي ملة غير الإسلام حين تتولى الحكم وتطبق الشريعة الإسلامية؟

تبسم المحاضر. أجاب:

-سؤال متكرر. ولقد قال فضيلة المرشد رأييه في هذا الأمر لوسائل الإعلام المختلفة ورجع عنه بعد أن هوجم هجوما عنيفا، لقد قال إن الأقباط سيدفعون الجزية حين يتولى الإخوان الحكم! ولكن بوجه عام -أيها الأخوة- إن الجزية كانت يدفعها أهل الكتاب كأمر من الله لأن المسلمين كانوا يتكفلون بالدفاع عنهم ضد أي عدوان فكانت الجزية أمام الدفاع عنهم. ولكن الآن النصارى أو أي ملة غير الإسلام يجندون ويدافعون عن أوطانهم مع المسلمين في أي قطر مسلم فلا معنى للجزية الآن. ولقد حاربنا في حرب أكتوبر 73 وتخضبت سينااء المباركة بدماء المصريين جميعا بمسلميهم وأقباطهم...

ضحك المحاضر وقال:

-لو قيل الآن للشباب وهم مقبلون على التجنيد بأن يدفعوا الجزية ولا يُجندون، فسيقبل المسلمون قبل المسيحيين دفع الجزية حتى لا يُجندون!

فضحك الحاضرون. علق أحدهم:

-حتى يتفرغ الشاب لبناء مستقبله.

استأنف المحاضر:

-وحيئنذ، لن نجد أي نبض للوطنية التي تحت على دفع فريضة الجهاد والدفاع عن الوطن والتي تبدأ بالتجنيد على الأقل! ولقد ضعفت الوطنية في نفوس المصريين بعد حكم العسكر بسبب اليأس من التغيير حتى هاجر كثير من المصريين إلى إسرائيل نفسها ل يبحثوا عن فرصة عمل. وللأسف لقد تزوج كثير منهم من إسرائيليات!...

وبمرارة:

-ولقد ماتت الوطنية في نفوس البعض لدرجة التجسس على بلدهم!!!...

سأل علي عبد المنعم المحاضر:

-ما إستراتيجية جماعة؟!!

فبُهِت المحاضر. رد:

-على الأخ أن يكون جنديا يسمع ويطيع ولا تنسوا بند "الثقة" في قادة جماعتنا وأكد عندهم الإستراتيجية التي يسيرون على ضوئها.

فتساءل علي ثانية:

-ولكنك يا أستاذنا الكبير، أحد القادة وعضو بارز في مكتب الإرشاد، فأخبرنا عن إستراتيجية جماعتنا حتى تضيء لنا الطريق والأهداف؟

فتورد وجه المحاضر وقال بعد أن ازدرد ريقه ورشق علي بنظرة امتعاض وضيق:

-لا ينبغي للأخ أن يسأل عن كل ما جال في خاطره. وعليك يا أخ علي، أن تأتمر بأوامر الجماعة وأكد إستراتيجية الجماعة تتخلل هذه الأوامر. ولم نتعود أن نسمع من الإخوان مثل هذه الأسئلة الضالة المضلة!

وقال في سره: يبدو أنك ناوي على تخريب عقول إخوانك على مستوى الجمهورية!

-لن يصدقوك يا علي وستحارب فاثبت إنك على الحق.
-ولماذا يكذبونني؟! ألم يقل الرسول -عليه الصلاة والسلام- فيما معناه: (سيبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد أمر دينها)؟
-الذي يجدد أمر دين الأمة يُحارب ويكون مضطهدا كالنبي في قومه.
-حتى من الإخوان المسلمين؟!
-حتى من الإخوان المسلمين أنفسهم!

-ولكني لست أجدد دين الأمة، إن دوري لا يتعدى تصحيح مسار جماعة الإخوان المسلمين التي أحبها وأجاهد فيها وأدعو من خلالها إلى الله تعالى، وتصحيح مسار الجماعات التكفيرية والتجهيلية والتفجيرية والتي تدعي الجهاد زورا وبهتانا؟

-ألم تسمع قوله تعالى محدثا عن نبي الله صالح عليه السلام حين قال لقومه: {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ} ¹¹⁰ ... فمن الذي يحب الناصحين يا علي؟ وأنت ستجدد أمر الدين، ولكن الظالمين لك بالمرصاد...

-أيتها العواصف... سأبلغ الرسالة والله المستعان.

-عليك التواصي بالحق والتواصي بالصبر...

انتشل علي نفسه من اجتراره لقائه مع العواصف، وأصاخ السمع والمحاضر يقول:
-وللأسف يا أخ علي، لقد علمنا عنك تساؤلات كثيرة تافهة تضلل إخوانك وتبلبلهم وتشتتهم...!

فبلغ علي ريقه وقال في نفسه:

حسبنا الله ونعم الوكيل...

ثم قال:

-جماعتنا مر عليها أكثر من نصف قرن ولم تؤسس الدولة الإسلامية حتى الآن، فهل انتخابات مجلس الشعب التي خضناها والتي سنخوضها هي التي سنؤسس بها الدولة الإسلامية المنشودة؟ أم لجماعتنا استراتيجية أخرى؟

-لقد قلت لك أن للجماعة استراتيجيتها الخاصة بها. ولا ينبغي للأخ أن يسأل عن كل ما يجول بخاطره. وأرجو يا أخ علي، ألا تسأل أي أسئلة أخرى من أسئلتك التافهة!

¹¹⁰ الآية 79 من سورة الأعراف

-أنا لا أسأل أسئلة تافهة. وإذا كانت التساؤلات الهامة لا يجاب عليها في معسكر على مستوى الجمهورية، فأين يجاب عليها؟!
فرد المحاضر غاضبا:
- أنت مغرور. أنت مغرور...
وظل يكررها حتى فسر:
-أنت مغرور بسبب ظهورك أثناء المظاهرات الأخيرة بطريقة عجيبة.
-أنا لم أعلق على ظهوري في المظاهرات أبدا. وأنا لست مغرورا. وتساؤلاتي أراها هامة جدا.
-ظهورك الشيطاني في المظاهرات في ذات الوقت هو الذي أوحى لك قوة وهمية جعلتك تسأل كل ما يأتي على بالك!
تساءل علي باستنكار:
-ظهوري الشيطاني؟!
-أمندesh من تسميتي هذه؟ فهي تسمية حقيقية ومنطبقة تماما عليك. وإياك أن تكون قد أوحى إليك شيطانك أنها كانت كرامة لك! عصر الكرامات قد انتهى يا علي يا عبد المنعم. نحن الآن في عصر الشياطين. فالشيطان قد تمثل بهيئتك في كل المحافظات في الوقت نفسه!
سارت همهمة وغممة في المكان...
واصل المحاضر:
-أمندeshون مما أقول؟ فالشيطان قد تمثل بهيئته لتكون فتنة كبرى بالشيخ علي عبد المنعم. وهذه هي الحقيقة الغائبة عن الكثيرين للأسف...!
فقال علي:
-يا سيدي، دعنا من ظهوري في المظاهرات، وأجبنني عن استراتيجية جماعتنا أو بطريقة أخرى ما هو مضمون شعارنا المحبوب "الإسلام هو الحل"؟
وأضاف:
-حتى نرد على أعداء الجماعة وهم كثر.
فرد المحاضر غاضبا:
-لا حول ولا قوة إلا بالله. لا حول ولا قوة إلا بالله...
وضرب كفا بكف وقام من مكانه ولم يكمل باقي وقت المحاضرة المخصص للتساؤلات!...

الدكتور صلاح الشيمي ينتابه الشعور بالذنب والحرص والضيق كلما ذكرت أم سعيد أمامه...

أتمنى ألا يُسأل عنها في الجلسة يا رب. أنا السبب في جنونها. لا. زبيدة السبب. زبيدة؟ أنا؟ خلاص. كل شيء انتهى. وحالتها العقلية من الحالات الصعبة العلاج. ويكفي أنها محجوزة في عنبر الحالات الحرجة الخطيرة والشديدة الحراسة... أتمنى أن يكون سعيد في أسرة أخرى حتى لا يملكني الحرج كلما سئل عن حالتها الصحية. لماذا لم ينقلوه إلى أسرة أخرى؟! لماذا يا ربي؟ أو ينقلوني أنا على الأقل؟! ما هذا الحرج يا ربي؟

انتبه الشيمي على سؤال حامد الزاهر لسعيد:

-أين النشرة الأسبوعية يا أخ سعيد؟

-أعتذر يا أستاذنا، فلقد كنت مشغولا بأمي هذا الأسبوع لأن حالتها انتكست أكثر.

-لا زالت في المستشفى النفسي؟

-نعم.

دعا أكثر من أخ:

-ربنا يعافئها ويتم شفائها...

أحس إسماعيل عبد الفتاح بالحرص الذي كسا وجه صلاح الشيمي فتعمد أن يبعد الحديث عن أم سعيد فقال: "نحن نعيش في هذه الأيام الذكرى الثانية والعشرين لحرب أكتوبر المجيدة فحدثنا عنها يا أستاذ حامد بدلا من النشرة".

تبسم الزاهر: "يسعدني وتشرق نفسي في الحديث عن نصر أكتوبر 73 العاشر من رمضان 1393 هجرية.

أخذ الزاهر نفسا عميقا ثم قال:

-بعد الهزيمة المروعة في عام 1967 وغير المسبوقة في تاريخنا كله، كنا في حالة مزرية وكانت الاستهانة بنا على أعلى مستوى، لدرجة أن الرئيس السادات أرسل اللواء سعد الدين الشاذلي رئيس أركان حرب الجيش المصري إلى الدول العربية للدعم في حربنا المقبلة مع العدو الإسرائيلي لتحرير سيناء، فلم يأبه به أحد، وقالوا له حينما تدخلون الحرب سنكون معكم. ولم يكونوا واثقين أننا سندخل الحرب. ولم تكن الاستهانة بالجيش العربية عامة والجيش المصري خاصة، بل كانت الاستهانة بالإنسان العربي ذاته، والاستهتار والسخرية من قدراته! وهذا ما جعل جولدا مائير رئيسة وزراء حكومة العدو الإسرائيلي آنذاك تعيش حالة من اللامبالاة حيال كل التحذيرات والإنذارات وخاصة بعدما خدعهم السادات سنتين متتاليتين ولم يحارب.

زفر الزاهر زفرات حارة ثم واصل:

-وكان شعبنا قد فقد الثقة في قادته وخاصة بعد ضرب الجيش الإسرائيلي لعمقنا الداخلي؛ فقد دمروا مدرسة بحر البقر بمركز الحسينية بالشرقية أثناء اليوم الدراسي، ومصنع أبي زعل على من فيهما!...

قطع صلاح الشيمي استرسال الزاهر قائلا:
-سأقرأ لكم شعرا في تدمير إسرائيل لمدرسة بحر البقر.
واصل الزاهر:

-ومات عبد الناصر وهذا الوضع المهين كان يهيمن على كل أحوالنا بالرغم من بعض الانتصارات غير الموجهة للعدو في حرب الاستنزاف.
وأتى الرئيس السادات وزادت النكات عليه كثيرا وخاصة حينما تحدث عن حكاية الضباب الذي منعه من دخول الحرب. وكان اليأس قد تملك النفوس وخاصة بعد قيام إسرائيل بعمل خطوطا دفاعية حصينة هي خط بارليف الذي كان يضم 22 موقعا وبه 31 نقطة حصينة...
قال إسماعيل عبد الفتاح: "قيل في ذلك الوقت إن القنبلة الذرية ذاتها لن تؤثر فيه!"
-نعم يا أخ إسماعيل.

استأنف الزاهر:

-وهذا الساتر الترابي زرعه بالألغام ونطاقات الأسلاك الشائكة بارتفاع 25 مترا حتي يصعب تسلقه...

فقال الشيمي: "ويكفي المانع الطبيعي المتمثل في قناة السويس نفسها والملغمة!"
سأل علي عبد المنعم الزاهر: "وماذا كانت رتبك العسكرية أيام حرب 6 أكتوبر يا أستاذ حامد؟"

-أظن أنني كنت صف ضابط، ربما كنت صولا، لأنني ترقيت إلى ملازم يعني نجمة واحدة على الكتف بعد الحرب مباشرة.

واصل ذكرياته عن الحرب:

-ولقد بدأت الحرب يا أخوة، بافتتاحية شجاعة بأوامر أصدرها قائد القوات الجوية حينئذ اللواء حسني مبارك وطبعا رئيس الجمهورية الآن حيث عبرت 227 طائرة الخطوط الأممية الإسرائيلية شرق القناة لتنفيذ المهمة الأولى في الحرب بضربة جوية مفاجئة وحاسمة حققت نجاحا تجاوزت نسبته 95% من الأهداف المكلفة بها، وقد فتحت بذلك الطريق إلي النصر الكبير بتدمير ثلاث مطارات وقواعد جوية و10 مدافع صواريخ وعدد من محطات الرادار ومراكز قيادة ومواقع مدفعية وعدد من المناطق الإدارية وكل حصون بارليف شرق بور فواد...

تهدج صوت الزاهر وهو يتذكر ذكريات الحرب:

-كنا والله يا أخوة، نبكي من الفرح حينما عبرنا القناة ولم نصدق أننا فعلا، قد بدأنا الحرب. فقد كنا نتدرب على العبور كثيرا، ولكن هذه المرة قد قمنا بالحرب حقيقة... ويكفي إعادة تفتنا بأنفسنا بعد نجاح الضربة الجوية الأولى...

ثم هتف بفرحه:
-وكانت صيحة "الله أكبر" تعانق السماء...
ردد الأخوة: "الله أكبر" ... "الله أكبر" ...
تساءل إسماعيل عبد الفتاح:
-ولكنك يا أستاذنا، لم نخبرنا عن مواسير النابلم التي كانت إسرائيل ستحول بها القناة إلى بجيرة نيران؟
جفف الزاهر دموعه وأجاب:
-لقد قامت مجموعات من أسود الصاعقة بعبور القناة ليلة الحرب في غفلة من العدو وعطلت كل مواسير النابلم...
ثم قال بعيون ندية:
-بعد نصف ساعة فقط من بداية عبور القناة وفتح ثغرات في الساتر الترابي، كنا نرفع علم مصر على الضفة الشرقية تحت وابل من البكاء... ثم قبلنا أرض سيناء وسجدنا لله شكرا ...
فتساءل الشيمي: "هذا كان بعد أن أنشأ المهندسون الكباري على القناة؟"
-لا يا دكتور صلاح. فقد كنتُ مع المجموعات الأولى التي عبرت القناة في قوارب مطاطية لنفتح ثغرات في الساتر الترابي، وبعد ذلك قام سلاح المهندسين بإنشاء الكباري المعلقة التي سارت عليها مختلف الأسلحة الثقيلة والخفيفة والمتوسطة.
فتساءل الشيمي مرة ثانية: "أثناء العبور، هل تعرضت قواتنا لطلقات العدو؟"
-حائط الصواريخ هو الذي أجبر العدو بالأ تقترب قواته. وحائط الصواريخ هذا هو أكبر وأقوى حائط عرفته البشرية في حروبها من نوعه. وهو الذي بتر ذراع إسرائيل الطويلة والتي طالما تباهت بها. وهو يُدرس الآن في المعاهد العسكرية على مستوى العالم...
بُهر الأخوة بذكريات الحرب...
قال إسماعيل عبد الفتاح مزهوا:
-حرب أكتوبر ذاتها تُدرس في جميع المعاهد والأكاديميات العسكرية في العالم كله!!...
تساءل علي عبد المنعم: "أخبرنا يا أستاذنا عن أطرف موقف رأيته في الحرب؟"
تبسم الزاهر وهو يجيب: "كان الجنود الإسرائيليون الأسرى يبكون وهم ينادون أمهاتهم كالأطفال!"
فضحك إسماعيل عبد الفتاح وقال: "حتى جولدا مائير بكت وصرخت وقتها وقالت: إسرائيل تحترق!... إسرائيل تحترق!"
قال علي عبد المنعم بيقين:
-السادات، القائد الفذ، قائد نصر أكتوبر، كان لابد للأعداء أن يقتلوه بأي شكل وبأي يد! والملك فيصل قتلوه أيضا لموقفه المشرف الجريء وغير المسبوق في منع تدفق البترول على أوروبا وأمريكا أثناء الحرب...
لف الحزن حامد الزاهر وهو يعلق:

-وكثير من قادة الحرب العظام أُغتيلوا معنويا حتى وهم أحياء ولم يذكرهم أحد بشيء الآن مثل
الجنرال سعد الدين الشاذلي والجنرال محمد عبد الغني الجمسي!...
وبمرارة:
-ولا ندري ما يخبئه القدر لباقي القادة!...

أخرج صلاح الشيمي دفتره الصغير والذي يحتفظ به بمقتطفات من الشعر، وقال:
-سأقرأ لكم رائعة صلاح جاهين والتي كتبها بعد تدمير مدرسة بحر البقر وغنتها شادية، وهي
بعنوان: "الدرس انتهى لموا الكراريس"

الدرس انتهى لموا الكراريس
بالدم اللي على ورقهم سال
في قصر الأمم المتحدة
مسابقة لرسوم الأطفال
إيه رأيك في البقع الحمرا
يا ضمير العالم يا عزيزي
دي لطفلة مصرية سمرا
كانت من أشطر تلاميذي
دمها راسم زهرة
راسم راية ثورة
راسم وجه مؤامرة
راسم خلق جبارة
راسم نار
راسم عار
ع الصهيونية والاستعمار
والدنيا اللي عليهم صابرة
وساكتة على فعل الأباليس

الدرس انتهى
لموا الكراريس

إيه رأى رجال الفكر الحر
في الفكرة دي المنقوشة بالدم
من طفل فقير مولود في المر

لكن كان حلو ضحكوك الفم
دم الطفل الفلاح
راسم شمس الصباح
راسم شجرة تفاح
في جناين الإصلاح
راسم تمساح
بألف جناح
في دنيا مليانة بالأشباح
لكنها قلبها مرتاح
وساكتة على فعل الأباليس

انتهى الدرس
لموا الكراريس

إيه رأيك يا شعب يا عربي
إيه رأيك يا شعب الأحرار
دم الأطفال جابلك يحبي
يقول انتقموا من الأشرار
ويسيل ع الأوراق
يتهجى الأسماء
ويطالب الآباء
بالتأثر للأبناء
ويرسم سيف
يهد الزيف
ويلمع لمعة شمس الصيف
في دنيا فيها النور بقي طيف
وساكتة على فعل الأباليس

الدرس انتهى
لموا الكراريس

-112-

لم يستوعب صلاح الشيمي حبه المفاجئ لابتهاال... هل كان هذا الحب كامنا في أحشاء قلبه منذ سنين بعيدة فنُفخت فيه الروح؟ أم العلاقة الجنسية قد تحولت إلى حب؟ أم تأثر بعاطفة ابتهاال الصادقة تجاهه طوال هذه السنين؟ أم ماذا؟!...

أنا في حيرة يا ربي... لقد أخذتُ على غرة... ما هذه العواطف التي تفجرت في قلبي بهذه الطريقة المبالغية؟! مرة لبهيجة ومرة لابتهاال...! الله أعلم هل توجد امرأة ثالثة في طريق الحب بعد ابتهاال؟ وهل لازال مصباح الحب مخبئا لي في قمقمه مرده الحب الذين لا يُحصوا عدادا؟ هل هي مرافقة في الأربعينات؟ أم هي أزمة منتصف العمر كما تقول زبيدة؟ أم ماذا يا ربي؟ أصبح قلبي مفتوحا للحب بسهولة... لقد فقد مناعته وحصانته ودفاعاته كلها... ويا ليتة يستقر في حب ابتهاال ولا يضطرب ولا يفور ولا يَمور لامرأة أخرى بعد ذلك. أخشى أن تكون تجارب غير ناضجة وسرعان ما تتبخر. فتجربة بهيجة غير ناضجة بالمرّة وانتهت بكارثة. وتجربة ابتهاال محت تجربة بهيجة بالمحاة. كفى حبا يا قلبي. اثبت على ابتهاال ولا داعي لهذا التقلب والاضطراب... كفى يا قلبي. كفى. أمامنا جهاد كبير في طريق الدعوة إلى الله...

دلفت ابتهاال إلى حجرة صلاح في المستوصف الخيري لحاجة لها؛ فانتشل صلاح نفسه من سباحته مع أفكاره، وانفرجت أساريه بشرا وحبورا، واكتسى محياه سرورا، ورقص قلبه فرحا، وقفزت السعادة من عينيه قفزا و...و...و...

قال بعد برهة يجمع فيها زمام نفسه:

-ماذا أقول لك يا حبيبتي؟ هل أقول إن أوتار قلبي قد اهتزت -بمجيك الآن- وعزفت سيمفونية الحب الرائعة؟ أم أقول إن روعي ترفرف الآن في سماء السعادة والحبور؟ أم أقول إن نفسي الآن ثملة من خمر ينابيع حبك الخالد؟ صدقيني يا ابتهاال، أنا غير قادر على التعبير ما يجوس في روعي وقلبي وكياني كله... ولكنني أستطيع أن أقول إن قلبي الآن قد اتسع واحتوى ملكوت السماوات والكون كله...

ضحكت ابتهاال قائلة:

-وأنا أخشى أن يتسع قلبك أكثر وأكثر حتى تتسلل امرأة أخرى إليه في غفلة منك!
-لا، يا حبيبتي. إن حبك هو الحب الخالد الثاوي في قلبي والراسخ في أعماقه منذ زمن بعيد، وهو الحب الذي كنت أبحث عنه من زمان.

تبسمت ابتهاال ابتسامة واسعة. قالت:

-أكد يا حبيبي، قلت هذا الكلام الجميل العظيم الرائع لبهيجة هنا في المستوصف.

تغير وجه صلاح ورد:

لم أقله.

-ولكنك أكيد قد قلت لها حديثك العذب عن الحب وآهاته...

-دعينا من بهيجة ولدعو الله لها بالشفاء.
-أنت السبب يا صلاح. أكيد المسكينة لم يستطع عقلها أن يستوعب حب طبيب لها..
-لا يا ابتهاج. يوجد أطباء كثيرون قد أحبوا ممرضات وتزوجوهن.
-هل لازالت تحبها؟ أجبني بصدق.
تغير وجه صلاح الأبيض بسحابة قاتمة. أجاب:
-أرجوك يا ابتهاج يا حبيبتي، لا تسأليني هذا السؤال مرة أخرى. ولا داعي أبدا أن تذكرني
بهيجة أمامي ويكفي الكارثة التي حدثت لعقلها.
تنهدت ابتهاج تنهيدة ثم قالت:
-أخشى ألا تتم سعادتنا!
ثم أضافت:
-وأخشى أن تعترض زبيدة على زواجنا.
قال صلاح:
-هي في طريقها للموافقة على زواجنا الذي سيكون مباركا إن شاء الله.
وهو يضحك:
-ولكنها لن تبارك هذا الزواج.
-تبارك أو لا تبارك، أهم ما في الأمر أن توافق على زواجنا.
-وإذا لم توافق فلننزوج من ورائها والشرع لم يشترط موافقة الزوجة الأولى للزواج الثاني.
توردت وجنتا ابتهاج ثم قالت:
-لا يا صلاح. أنا لست خائنة.
-خائنة؟!
فسرت بضيق:
-نعم، أنا أعتبر أن زواجنا من ورائها خيانة كبرى لها. ولا تنسَ يا صلاح أنها كانت صديقتي
الصدوقة يوما ما.
ثم قالت في نفسها:
أنا ضحيت بحبي لك وكتمت آلامي في صدري حين اخترتها عليّ وتزوجتها. أما وعدك لي
بالزواج في ذلك الوقت فلم يكن إلا سرايا...
-اطمئني يا ابتهاج. أكيد هي ستوافق إن شاء الله.
-أخشى أن تأتي إلى هنا وتقود معركة حربية معي كما فعلت مع بهيجة!
تبسم صلاح وقال:
-الوضع مختلف الآن. وهي تتألم الآن من سياط ضميرها منذ دخول بهيجة مستشفى الأمراض
العقلية بسببها.
دخل أكثر من فرد من موظفي إدارة المستوصف معا لمكتب الدكتور صلاح وجلسوا، فحول
صلاح دفة الحوار بسرعة قائلا:

-أخبرينا يا مدام ابتهاج، ما سر تحولك من عالم النجومية والشهرة والأضواء والمال إلى عالم
التدين والزهد في زينة الحياة؟
ردت ابتهاج بصوت حزين:
-الهداية من الله يا دكتور صلاح.
ثم أخذت نفسا عميقا وقالت:
-في لحظة اختارها الله -سبحانه وتعالى- أضيئت نقطة صغيرة جدا في قلبي، ثم ازدادت هذه
النقطة اتساعا وبريقا حتى ملئت قلبي الذي تفجر ضياء نورا ...
كادت أن تنزل دمعة من عينها فأجهضتها وهي تواصل:
-كان المجد الزائف والمال الحرام والأضواء الكاذبة تشوش على النور الذي أشع في قلبي،
ولكن النور تفجر أكثر وأكثر حتى سطع على الجسم كله؛ فسكن لنور الله، وتنسمت الروح عبير
الإيمان، وصفت النفس من شوائب الدنيا ومتعلقاتها الفانية...
قال أحد الموظفين:
-هذا كلام كبير جدا يا أخت ابتهاج.
وقال صلاح:
-ولا يوجد في سيناريوهات الأفلام ولا في الأفلام الدينية التي اختفت منذ زمن بعيد.
وقال ثاني الحاضرين:
-كلامك الجميل هذا ذكرني بقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} 111...
وتساءل الموظف الثالث:
-يا أخت ابتهاج، متى أضيئت النقطة النورانية في قلبك؟ أو ما هي المناسبة التي اهتز قلبك فيها
للإيمان؟
-كنت عادة استمع إلى قرآن الإذاعة المصرية والذي يذاع في الثامنة مساء قبل خروجي للملهي
فقرأ الشيخ قوله تعالى: {وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} 112... فكانني أسمع هذه الآية لأول مرة في حياتي! وقلت في نفسي:
إن الله -عز وجل- يمنع المرأة أن تضرب الأرض بقدميها بقوة حتى لا يسمع صوت الخلخال
المستور بالثوب، فما شأني وأنا أضرب الأرض والهواء وكل ما يحيط بي أثناء الرقص،
وأتحرك حركات (متقصعة) (متثنية) لأبدع في الرقصة ولأكشف أكبر قدر من جسدي أمام
العيون الجائعة المبلقة في؟!...
وفي اليوم الثاني سمعت القارئ يتلو قوله تعالى {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} 113...

111 جزء من الآية 100 من سورة يونس

112 جزء من الآية 31 من سورة النور

113 جزء من الآية 16 من سورة الحديد

فقلت في نفسي: إن الله قد خاطبني بآية أمس وآية اليوم؛ فشعرت بهزة في قلبي ووجداني، وأحسست بنقطة النور وهي تضيء... وكان المجد والشهرة والأضواء والمال ما فتنوا يطمسون هذا النور عدة أسابيع... ولما ازداد النور ضياء وانفجر في قلبي بقوة وأشع على كياني كله، انقشعت هذه المنغصات والعراقيل أمام قوة إيماني بالله وصدق توبتي إليه...

تساءل صلاح:

-ولكن ألم يتسلل أي قدر من التردد إلى نفسك بعد انعزالك من الحياة الفنية تماما؟

أجابته ابتهاج بيقين:

-لا، يا دكتور صلاح.

ثم هتفت بيقين وهي تشير إلى السماء:

-المعين الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى.

-ولم تحتفظي بمالك لكي تشتري أفلامك لأنها انتشرت أكثر بعد ارتدائك الحجاب وعزلتك من الحياة الفنية؟

لم ترد. فقال الموظف الأول:

-يا دكتور صلاح، التوبة تجب ما قبلها. وما يُعرض الآن عبارة عن صور ماضية.

وقال الموظف الثالث:

-وحتى لو اشترت الأخت ابتهاج حق انتفاع أفلامها، فهي لن تستطيع أن تمنع بيعها في محلات الفيديو ولو بطريقة غير رسمية.

وقال الموظف الثاني:

-ولن تستطيع أن تمنع من امتلاك هذه الأفلام من قبل من عرضها.

-يا جماعة، الممنوع مرغوب. والنفس البشرية ملبئة بالشُرور...

-عرض هذه الأفلام في بعض القنوات الفضائية بصورة متكررة وفي بعض دور السينما الدرجة الثالثة لن يستمر كثيرا، فهي هوجة وستنفذ عما قريب.

وقال صلاح بتفاؤل:

-إن شاء الله.

تذكرت ابتهاج ما جاءت بسببه لمكتب الدكتور صلاح؛ فقالت:

-هذه قائمة بأسماء الأدوية الناقصة في صيدلية اللجنة الاجتماعية...

-113-

هتف الدكتور مجدي النحال بصوت عال:
-ألم تسمعوا بأخر الأخبار؟
فتبسم بعض أعضاء الحزب الشجري وصمتوا.
قال له أكثر من طبيب:
-هات ما عندك يا وكالة أنباء المستشفى.
فتبسم وهو يرد:
-لقد تزوج يوم الخميس الماضي الدكتور حمدي علي من الدكتورة ابتسام عوض الله.
ففغر أكثر من طبيب وطبيبة فاه اندهاشا!
قال الدكتور فوزي نجيب:
-ولكن ابتسام أكبر في العمر بكثير من حمدي!
فرد النحال ضاحكا:
-هي أكبر بحوالي خمس سنوات فقط.
وصاخبا:
-والحب يا سيدي. الحب...
فتسائل فوزي باستغراب:
-الحب؟!
ثم تسائل بسخرية:
-هو حمدي فاضي للحب؟!
ثم واصل وهو يهز رأسه:
-فعلا، لقد كانت بينهما نظرات ونظرات ونظرات...
فقال الدكتور سامي حلیم:
-والدكتورة ابتسام كثيرا ما كانت تدافع عنه.
تسائل فوزي منفعا:
-هو زواج سري؟!
وقالت طبيبة 1:
-ولماذا لم تعزنا لحضور الزفاف؟
فأجاب النحال:
-هي عزمت عددا قليلا من أطباء الحزب الشجري وأنا كنت منهم.
نظر فوزي ناحية الدكتور أحمد إسماعيل والدكتور صلاح الشيمي بغیظ، فتبسم الدكتور أحمد
وقال:
-حمدي وابتسام لم يقيما إلا حفلة عائلية بسيطة في منزل ابتسام.

وضاحكا:
-ولو كنتم أعضاء في حزبنا الشجري لعزمتكم.
فتساءل فوزي بغيظ:
-وهل كانت ابتسام يوما ما عضوة في حزب الشجرة هذا؟
فرد الدكتور صلاح الشيمي:
-يا سيدي، لم تجلس معنا ولا مرة.
قال مجدي النحال:
-لما يعودا من أسبوع العسل، حاسبوهما على (العزومة).
قال فوزي بصوته الأجنش:
-نحاسب ابتسام فقط، أما حمدي فأين سنراه حتى نحاسبه؟
فقال طبيب 1:
-إننا لا نراه في السنة كلها إلا مرات معدودة.
تساءل الدكتور عماد الدسوقي باستغراب:
-نحاسبه؟! نحاسبها؟!
ثم أردف وهو ينظر ناحية الدكتور فوزي:
-الأفضل أن ندعو الله لهما بالخير والفلاح في زواجهما هذا...
فقال فوزي في نفسه:
لقد رفضت أفضل من حمدي بكثير وكانوا بكرا. على العموم، هي صامت وفطرت على
بصلة!...

-114-

في ليلة من أهنا الليالي، كانت الفرحة تقفز من سيارة الدكتور صلاح الشيمي وزوجته الجديدة الراقصة الثائبة ابتهاج إلى سيارة الدكتور عماد الدسوقي وزوجته عائشة ابنة المرحوم أحمد الغرباوي...

كانت ابتهاج تجفف دموع السعادة وهي غير مصدقة أنها قد تزوجت أخيراً من حبيبها ونور عينيها... ولكن مع هذه السعادة الطاغية، كان الشك يتسلل إلى روحها ويبت في روعها وينشر في جنبات نفسها أن هذه السعادة لن تكتمل!... هل ستأتي زبيدة لتحول الفرح إلى مأتم؟! أم سترسل فرقة مشاغبة لتدمر الفرح وتحوله إلى خراب تنعق فيه البوم السود؟! شيء غامض لا تجد له تفسيراً قد استولى على كيائها كله. وبالرغم من ذلك كله، فقد كانت تشعر بيقين وسكينة وراحة...

كان عماد الدسوقي يجلس عن يمين عائشة بينما وداد أرملة الغرباوي كانت تجلس عن يسارها في الكرسي الخلفي وهي ما برحت تجفف دموع الفرحة والحسرة؛ فرحة زواج ابنتها، والحسرة على فقد زوجها وعدم تواجده في زفاف فلذة كبده... كان بكاء الحسرة يقفز من التعانق مع بكاء الفرحة ويتحول إلى لهيب يأكل في جنبات نفسها وكادت أن تصرخ بأعلى صوتها لتطفأ هذه النيران أو لتنفس عن الآلام الرهيبة التي تستعر بها...

كانت السيارتان مزينتين بالورق الملون (والترتر) (والبلونات) الملونة المنفوخة والكثير من أدوات الزينة على السيارة وعلى الأرض وعلى جدران المنازل وغيرها والتي تتعارض مع زهد جماعة الإخوان المسلمين، ولكنه لا يتعارض مع تفكير المصريين -إخوان أو غير إخوان- في العقود الأخيرة وإظهار فرحتهم بأي شكل وبأي صورة؛ ببذخ وترف لا حاجة لهما، وبضجيج يؤذي خلق الله وربما يؤذي مشاعر أصحاب مأتم قريب من الفرح وينغص حياة من ينشد الهدوء، وبسماعات حديثة تكاد أن تمزق طبلة الأذن وما بعدها!...

كان موكب الفرح المهيّب يبدأ بتجمع منظم للأطفال الذكور في المقدمة، ثم بتجمع منظم آخر للبنات الصغيرات الجسم والسن، ثم سيارتي الدكتورين وزوجتيهما، ويسير خلفهما الشباب، وخلف الشباب كان عدد غفير من أهل وأقارب المتزوجين وكثير من أطباء مستشفى الحوض المرصود والجيران والمتفرجين على حفل زواج إسلامي للإخوان المسلمين... كان الأطفال والشباب يرتدون زياً موحداً، وكذلك وكانوا يحملون أعلاماً خضراء تحمل شعار الإخوان المسلمين وهو القرآن الكريم وأسفله سيفان يحميانه.

تم عقد القران بعد صلاة المغرب في مسجد الهجين. وبعد صلاة العشاء، بدأت مسيرة الحفل من بداية شارع عشرة مع التقائه مع شارع مدرسة محمد فريد الثانوية وتهادت المسيرة حتى وصلت إلى قرب نهاية شارع عشرة...

في بداية الحفل، قرأ علي عبد المنعم بصوته الجهوري العميق الندي آيات من سورة الروم من الآية الكريمة: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} وظل يردد الآية

رقم 21 {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}، واستطرد في التلاوة حتى وصل إلى الآية رقم 25. ثم دعا الأخ مقدم برنامج الحفل بصوته الجهوري في الميكروفونات دعاء مباركة الزواج وهو: "بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير"، وردد كل الحاضرين ورائه. ثم بدأت فرقة الأفراح الإسلامية برنامجها بالأنشيد ويردد خلفها كل الحاضرين وخاصة شباب وأطفال الإخوان لأنهم يحفظون هذه الأنشيد من كثرة ترديدهم لها في أفراح الإخوان. كان الأخ مقدم البرنامج يقطع أغاني وأنشيد الفرقة ليردد دعاء مباركة الزواج ويردد كل الحاضرين ورائه... تجمع الكثير من أهالي الحي ليشاهدوا فرح الراقصة الشهيرة الثانية ناني ابنة حيهم. كانت السعادة تشرق من النفوس، والنشوة ترقص في القلوب، والفرحة تندح من الوجوه، والبهجة تندي من العيون، والحبور يتراقص مع تراقص الأضواء الباهرة التي زينت الشارع... وبينما كان هذا حال الفرح وأهله، كان الحزن يعصر قلب زبيدة زوجة الدكتور صلاح في بيتها، والكآبة تلفها، والشقاء يملأ روحها، وينابيع البكاء تتفجر من مآقيها، والدموع السواجم تهطل على وجهها وجسدها...

أثناء مسيرة الزفاف، بدأ العرق -على استحياء- ينز على جبين ابتهال وكانت تجففه، وكان صلاح الشيمي يساعدها في التجفيف، ولما ازداد كان يقول لها: -إيه يا عروسة؟ مكسوفة؟ عرق الكسوف من الجمهور الغفير (المبجل) فينا؟ فكانت تضحك وتقول: -أنا غير مصدقة يا صلاح، أننا سننزوج عما قريب. أنا غير مصدقة بالمرة. ولكن للأسف، عندي شعور عميق بأن هذه السعادة لن تكتمل! قال صلاح في نفسه: بهيجة قالت ذات الكلمة من قبل. إيه الحكاية؟! يا رب استر. استر يا رب... -هذه وسوسة من الشيطان يا حبيبتي. وسوسة من الشيطان. استعيزي بالله منه. -أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وبقلق: -ولكن هذا الإحساس مسيطر عليّ تماما يا صلاح. فقال صلاح في نفسه:

أكيد وسوسة من الشيطان، فالشيطان لا يوسوس إلا في الحق! فعندما كنا نلتقي في الحرام كنا نعيش في سعادة...! سعادة كاذبة، سعادة كاذبة بلا وسوس شيطانية ولا غير شيطانية... ولما سنلتقي في الحلال عما قريب، نُجهض هذه السعادة. نُجهض السعادة الحقيقية؟ كيف هذا؟! أعوذ بالله...

ضحك صلاح وقال صاحبا: -أصلا، أنا غير مصدق تماما تفاهم زبيدة أخيرا وموافقتها على زواجنا.

ومقهقها:

-وطبعا، هي لم تحضر لتبارك زواجنا.

-يكفي أنها أرسلت خالد وسحر للحضور ولمباركة زواجنا.

وفي نفسها، قالت ابتهاج:

لازال الإحساس الغامض يسيطر عليّ! لا حول ولا قوة إلا بالله. هل زبيدة مخبئة لمفاجأة لنا؟ مفاجأة لتدمير الفرح؟ أمعقول؟! هي قد وافقت. والحمد لله. لا. لا. لا يمكن أبدا أن يحدث ذلك. ولكن هذا الإحساس الغريب لماذا يملكني هكذا؟ لماذا يسيطر عليّ هكذا؟! زبيدة لها تجربة مريرة مع بهيجة ولم يكن ثمة زواج هناك. لا حول ولا قوة إلا بالله. إنا لله وإنا إليه راجعون. ولكنني مع ذلك أشعر بسكينة داخلية. والحمد لله. الحمد لله. الحمد لله... سكينة ممتزجة بشعور غامض. ولكنها سكينة سماوية علوية قذفها الله في قلبي لتطفئ نار الشك في بئر السعادة وتدمير الفرح والعياذ بالله. أكيد زبيدة عاقلة ولن تفعل شيء. تنتحر؟! أعوذ بالله. هي إنسانة مؤمنة بالله. لا. لا. لا. هي مؤمنة. لن تنتحر...

قطع صلاح حبل أفكارها وسألها:

-لماذا أنت واجمة هكذا يا حبيبتي؟

-الإحساس الغامض يا صلاح يا حبيبي.

جفف عرقها من على الجبهة وسألها:

-ما هذا العرق الشديد؟ أكيد أنت اتحسدت يا ابتهاج. اتحسدت من العيون (المبحلة) فيك...

كان عماد الدسوقي يبتسم ويقول لعائشة وهو يشير إلى أمها:

-هل رأيت السعادة التي تُبكي من قبل؟! فتبتسم عائشة وترد:

-لأنني أنا البكرية، فأنا أول فرحة لها في الذرية والزواج. وكانت وداد تجفف دموعها ولا تعلق وتكتفي بقبلة تطبعها على جبين ابنتها...

ولما ألح عليها عماد بالسؤال عن هذا البكاء الذي لا يتوقف في يوم الفرح والهناء والسعادة، أجابته:

-دموع الفرح يا بني. ربنا يسعدكم.

-ويسعدك يا حماتي...

ازداد نزيف العرق من كل جسد ابتهاج، فتساءل صلاح:

-ما هذا؟! لماذا هذه العرق الشديد؟! اللهم أخرج بيت الحاسدين.

كانت حنان، شقيقة ابتهاج، تجلس في المقعد الأمامي. فتساءلت بفرع:

-ما بك يا أختي يا حبيبتي؟! فأجابتها ابتهاج بصوت واه:

-أشعر بضعف ووهن شديد وضربات قلبي سريعة. سريعة...
فأمر صلاح السائق أن يوقف السيارة، وفحص نبض ابتهاج ووجد دقات القلب سريعة جداً،
فأمر السائق أن يشير على سائق سيارة الدكتور عماد ليقفها. وصل الدكتور عماد وتساءل
بفزع:
-إيه الحكاية؟!
-ابتهاج عندها هبوط شديد ويجب أن ننقلها للمستشفى حالا.
فقال عماد:

-يجب أن نتصل بالإسعاف أفضل.
فصرخت حنان؛ فسكتت الفرقة المنشدة، وتجمع الجمهور الغفير، وتداخل اللغط والجلبة...
دخلت ابتهاج في غيبوبة، وازداد الصراخ واللفظ والضجيج المتداخل، ولم يستطع صلاح أن
يفعل شيئاً كطبيب، فقال لعماد بانفعال شديد:
-ابتهاج عندها aortic aneurism¹¹⁴ أخشى أن يكون... يكون...
فتهدج صوته وقال:
-Ruptured.¹¹⁵
وجلس على الرصيف يبكي بنحيب...
فازداد الصراخ أكثر واستفحل...
فصرخ عماد في الصارخين وفي حنان وقال:
-اتصلوا بالإسعاف بسرعة وساعدوني لأعمل لها الإسعافات الأولية...

ولما وصلت سيارة الإسعاف، كانت ابتهاج قد فارقت الحياة وتم زفافها إلى السماء وسط ذهول
الحاضرين ونحيبهم وصراخ صلاح الشيمي وزجره ونهره لمن يقول بأنها ماتت...
-لا يا عماد. لم تمت. ابتهاج لم تمت. لا يا عماد... لا. لا. لا...
نُقلت ابتهاج إلى مستشفى الساحل التعليمي، وظل صلاح يهذي بأبيات متقطعة من قصيدة
مترجمة للشاعر قيصر بايخو¹¹⁶:
-في نهاية المعركة
وبعد أن مات المقاتل جاءه رجل
وقال له: "لا تمت. لقد أحببتك جداً"
لكن الجنة - آه - واصلت موتها
دنا منه اثنان وكررا:
"لا تتركنا أيها الجسور! عد إلى الحياة"

¹¹⁴ تمدد وتوسع شريان الأورطي

¹¹⁵ انفجر

¹¹⁶ قصيدة "إسبانيا ابعدني عني هذه الكأس"

لكن الجثة - آه - واصلت موتها
 وظل صلاح يردد ببكاء مر:
 لكن الجثة - آه - واصلت موتها
 لكن الجثة - آه - واصلت موتها
 لكن الجثة - آه - واصلت موتها
 لكن الجثة - آه - واصلت موتها
 لكن الجثة - آه - واصلت موتها
 هرع إليه عشرون... مائة ألف... خمسمائة ألف...
 هاتفين: "ليس لكل هذا الحب قدرة على الموت!"
 لكن الجثة - آه - واصلت موتها
 أحاط به ملايين البشر.
 بتوسل مشترك: "ابق معنا أيها الأخ
 ثم ببكاء ونحيب وضرب صلاح رأسه بيديه وظل يردد:
 -ابق معنا أيتها الأخت
 ابق معنا أيتها الأخت
 ابق معنا أيتها الأخت
 لكن الجثة - آه - واصلت موتها
 اجتمع علي عبد المنعم وإسماعيل عبد الفتاح وسعيد عوض وحامد الزاهر وأكثر من طبيب
 وأخوة الجماعة ليهدئوا من روعه وفزعه وألحوا ليسكت، ولكن صلاح واصل:
 -عندئذ جاء أهل الأرض قاطبة
 وأحاطوا به. رآهم الميت الحزين بانفعال
 فانتصب ببطء.
 وعانق أول واحد منهم: وانطلق سائرا...
 ظل صلاح يلطم وجهه ويضرب صدره ويردد:
 -وعانق أول واحد منهم: وانطلق سائرا...
 وعانق أول واحد منهم: وانطلق سائرا...
 وعانق أول واحد منهم: وانطلق سائرا...
 وعانق أول واحد منهم: وانطلق سائرا...
 وأطلق ساقيه للريح في اتجاه مستشفى الساحل وهو يقول:
 -ستقف ابتهاج وستعانقني. ابتهاج لم تمت. لم تمت. لم تمت يا إسماعيل...
 ومط كلمة إسماعيل وكانت عيناه ينبعث منها الرعب الرهيب!.

-115-جممل

كعادته في الصباح الباكر، جلس الدكتور أحمد إسماعيل تحت شجرة الصفصاف العتيقة وحيدا كئيبا حزينا... كانت بعض أوراق الشجرة تتساقط بفعل فصل الخريف فكان يبعدها عنه ويقول في نفسه:
سبحان الذي يُغير ولا يتغير...
حكيم؟

كان حكيم يجلس هنا ويصف العمل في دول الخليج عبودية وهو في مسيس الحاجة للعمل بهذه الدول... وكنْتُ أغبطه في نفسي على موقفه الصارم وإن كنت، في الوقت نفسه، أريد أن يسافر لتحسين أحواله المادية والاجتماعية. ولم يمر عام إلا وهو في السعودية. والحمد لله، فالسفر أفضل له، ولتذهب القيم والمبادئ إلى الجحيم...!

وبهيجة؟
بهيجة الممرضة الطبية تعرضت لحملة شرسة بالسن قذرة حقيرة! وفقدت المسكينة حبيبها الطيب، وفقدت وعقلها إلى الأبد!

وناني؟
منذ شهور، كانت ناني إذا جاءت هنا للكشف على خادمتها؛ وقفت المستشفى بإدارتها وأطبائها ولم تقعد، وتفتتح لها كل الأبواب لتلبية أي طلب... وها هي الآن تموت بعد تركها للشهرة والأضواء بطريقة تراجية مأساوية رهيبة! وفي أي يوم؟ يوم زفافها للحبيب!

الحبيب؟
الحبيب الذي كان ملُ السمع والبصر منذ أيام قليلة. أين هو الآن؟ في مستشفى الأمراض العقلية. نزيل عقلي. نزيل عقلي في مستشفى العباسية!... لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...

أتى الدكتور سليم مدير المستشفى وسلم ولم يذهب مسرعا إلى مكتبه كعادته ولكن سحب كرسيه وجلس وتساءل:

-ما هذا الحزن الرهيب يا دكتور أحمد؟
وبشفقة وحزن:

-وما سبب هذه الدموع؟

ظل أحمد إسماعيل صامتا ولم يجبه وقال في نفسه:
حتى أنت يا مدير المستشفى، كنت من أسباب حزن الشيمي وآذاه! ألم تنتدبه للعمل خارج المستشفى عشرات المرات؟ والرجل يعترض ولا يرحب بذلك الانتداب كالمرحبين. ألم ترجف

مع المرجفين في حبه لبهيجة المسكينة؟ ألم تقرب إليك المنافقين والمداهنيين وموقدي البخور في معبد السحت والنفاق وتصب جام غضبك على الشرفاء والمخلصين من أمثاله؟ ألم تحرمة وغيره من راتب مجزي من عيادات الاقصادي لأنه لا يضحك على المرضى ولا يغشهم؟!... حتى موضوع موظف التحاليل والضجة الكبيرة التي صاحبته، خرجت منه كالشعرة من العجين!...

-بيدو أنك حزين جدا على الشيمي. كان الله في عونك وعوننا جميعا في المصيبة التي حدثت له. رد الدكتور أحمد بحزن: "بل كان الله في عونه هو". وبمرارة شديدة: "مسكين يا شيمي، انتهت حياتك الطبية بمرض عقلي ويكتب عليك أن تكون نزيلا لمستشفى أمراض عقلية!" وتهج صوته: "وبدلا من أن تكون في موقع الطبيب، تكون مريضا؟! لا حول لك ولا قوة إلا بالله..."

أتى الدكتور عبد الوهاب محمود وجلس بينما ذهبت زوجته إلى حجرة التوقيع. قال عبد الوهاب صاخبا:

-غريبة! أول مرة أراك جالسا هنا في هذا التوقيت يا دكتور سليم. فأنت لا تأتي هنا إلا بعد الساعة العاشرة صباحا بعد أن تنتهي من مراجعة شئون الإدارة. -لأنني أواصي الدكتور أحمد.

قال عبد الوهاب حزينا:

-ليس الدكتور أحمد فقط هو الذي افتقد صلاح الشيمي، ولكن كل المستشفى افتقدته.

فهز المدير رأسه موافقا:

-أي واحد مكانه سيفقد عقله أيضا. من الذي يستطيع أن يتحمل موت زوجته أثناء الزفاف؟! ثم سأل أحمد إسماعيل: "زيارته مسموح بها الآن يا دكتور أحمد؟"

-لا، يا دكتور سليم. فحالته شديدة وهو منوم في عنبر الحالات الحرجة، للأسف.

-يمكن أن تكون حالته انهيار عصبي نتيجة للحادث الأليم.

فرد أحمد وصوته يتهجج: "أتمنى ذلك".

وبنبرة رثاء: "مسكين يا صلاح. مسكين..."

ربت عبد الوهاب على كتف الدكتور أحمد:

-مسكين أنت يا دكتور أحمد. فحكيم سافر للسعودية، والشيمي في مستشفى الأمراض العقلية، ومجدي النحال أصابته كآبة شديدة، وكان آخر عضو في حزبك الشجري هو عماد الدسوقي أصبح يأتي المستشفى متأخرا جدا بعد الحادث الأليم.

فرد أحمد: "مسكين هو الآخر. فهو قد تجرع مرارة المصيبة يوم زفافه".

أنت الدكتورة علية وجلست، فقال المدير:

-غريبة جدا! أول مرة تأتي مبكرة جدا يا علية. فأنت من آخر أطباء المستشفى حضورا.

وفي نفسه، قال: يكفيك انشغالك بدراهمك في البورصة. ما لك والمستشفى والمرضى ومهنة الطب؟!

ردت عليه بضيق:

-منذ المصيبة الأليمة التي حدثت لصلاح وأنا مخنوقة ومكتئبة فأصبحت اليوم أكثر اختناقاً فأُتيت لأتكلّم مع أي زميل أو زميلة وبالمرة أواسي الدكتور أحمد لأنه يأتي دائماً مبكراً. قال أحمد إسماعيل بحزن شديد:

-والله كل أطباء المستشفى يحتاجون إلى من يواسيهم. فقد كان صلاح حبيب الكل وحتى عدوه اللدود -فكريا- فوزي نجيب، من أشدنا حزناً عليه.

أتى الدكتور مجدي النحال وجلس مكتئباً حزينا... وبعد قليل، أتت مدام سعدية سعد، رئيس شؤون الموظفين، وهي حزينة وترتدي تنورة وتايير أسودين ومتلفعة بحجاب أسود أيضاً. سلمت وجلست وهي تقول بصوت بالك:

-لا حول ولا قوة إلا بالله. أنا غير مصدقة ما حدث. غير معقول بالمرّة. بالمرّة!... ثم تهدج صوته أكثر:

-تموت الراقصة الثائبة يوم زفافها!

ثم تقلقل صدرها وانخفض وارتفع وهي تكمل بالبكاء المكتوم:

-ويُجن الدكتور صلاح!...

وانفجرت بكاءً ونحيباً؛ فانفجر الحاضرون بكاءً...

بعدما هدئت نفوسهم، جففت الدكتورة عليّة عينيها، وقالت غاضبة:

-يا دكتور أحمد، يجب أن ننقل صلاح إلى مستشفى نفسي خاص بدلاً من مستشفى العباسية للأمراض النفسية.

فرد أحمد:

-هذا الأمر يعود إلى زوجته وأهله.

فقال عبد الوهاب:

-أنت تعرف زوجته ويمكن أن تكلمها في هذا الأمر.

وقال النحال:

-ويمكن أن نكلّم أيضاً عماد الدسوقي فهو صاحبه وجاره وزميله في جماعة الإخوان المسلمين.

-إن شاء الله...

-116-

بعدما فرغ علي عبد المنعم من أذكار الصباح، قالت أمه:
يا بني، أنا قلبي واكلمي عليك اليوم. أرجو ألا تخرج يا علي.
تبسم علي وقال:
يا أمي الحبيبة، عهدي بك أنك جبل من الإيمان، فلم هذا القلق؟
ثم رتل قوله تعالى:
-{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}117...

-آه من الطاغوت يا علي!
-من هو الطاغوت يا أيتها العواصف؟
-الطاغوت هو كل ما عُبد من دون الله. الطواغيت هي الأصنام المادية والمعنوية. الطواغيت هم
الذين لا يرون رأيا إلا رأيهم، وهم الذين لا يرون أحدا غيرهم. وهم الذين قالوا قولة الشيطان
الفاسدة (أنا خير منه)، وهم الذين قالوا قولة فرعون الكافرة: (ما علمت لكم من إله غيري)،
وقولة فرعون المتغترسة (أنا ربكم الأعلى)، وهم الذين عبدوا من دون الله من بشر وحجر!...
-إذن ما أكثر الطواغيت في دنيا الناس!
-ما أكثرهم! وما أظلمهم! وما أفسدهم!...
-لقد كادت أن تميد السماوات وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا بعدما ظهرت الطواغيت في
الأرض...
-لطفك يا رب. يا رب. يا رب...
-الإنسان وُلد حرا يا علي. والطواغيت تجعل الإنسان عبدا! والعبودية لا تكون إلا لله وحده يا
علي...
-لا إلا إله الله... محمد رسول الله...
-سيغدر بك الطواغيت وستموت شهيدا ... سلام عليك يوم وفاتك يا علي... سلام عليك يوم
وفاتك يا علي... سلام عليك يوم وفاتك يا علي...
-مرحبا بالشهادة في سبيل الله. ولكن لم سيقتلونني؟!
-لأن ظلام ظلمهم لا يتحمل ضياء كلمة الحق. ستروي بدمائك شهداء الحق شجرة
الدعوة إلى الله...

قالت أم علي وهي تحضنه وتقبله:
-ونعم بالله يا بني. ولكن قلبي واكلمي عليك قوي قوي...
تبسم علي وقبل جبين أمه وقال:

117 الآية 51 من سورة التوبة

-ما يفعل بي أعدائي. إن سجنوني فسجني خلوة. وإن نفوني فنفيي سياحة. وإن قتلوني فقتلي شهادة. إن جنتي في قلبي. وقلبي به إيماني. وأنى لهم أن يصلوا إلى قلبي...
ثم تساءل:
-ألم تعلميني هذه الكلمات يا أمي؟

-هذا ولد مبارك يا عبد المنعم، ألا ترى كفيه المرفوعين إلى السماء؟!
-كل الأطفال تولد وأكفها مضمومة، أما هذا المولود المبارك فكفيه يشيران إلى السماء...
-وهذه علامة كرم أيضا...
-سيكون له شأن عظيم إن شاء الله...
-يمادا سنسميه يا عبده؟
-ما رأيك في اسم علي؟
-اسم عظيم... حتى يعلو شأنه ويعلو قدره ويبرز نجمه إن شاء الله.

قالت أم علي:
-إنني أخاف عليك يا حبيبي، أما بالنسبة لي فإني لا أخاف من الموت وإنني أتمنى الشهادة في سبيل الله حتى ألحق بأبيك في الجنة إن شاء الله.
-هو فعلا في الجنة يا أمي.
-أكد هو في الجنة. أليس قد مات شهيدا في سبيل دعوة الله وتبليغها للناس؟
-هو في الجنة مع الملوك السبعة وقائدهم غلام أصحاب الأخدود.
-ماذا تقصد يا علي؟
-لقد رأيته في الجنة مع الملوك السبعة وغلام أصحاب الأخدود.
-أغرورقت عينا أم علي بالدمع وتساءلت:
-كيف رأيته يا بني؟ ومن هم الملوك السبعة؟
-رأيته بروحي يا أمي.
-قبلته في رأسه وقالت:
-أنت ولد مبارك يا بني...

-علي شاطر جدا في كتاب المسجد يا أبا علي.
-ربنا يوفقه ويجعله الأول دائما.
-والحمد لله حفظ جزء عم.
-إن شاء ربنا يوفقه ويحفظ القرآن كله.
-أي كلية تفضلها له؟
-أفضل له الطب. وبدري على هذا الكلام يا خديجة، علي لم يلتحق بعد بالمدرسة.

-ولم الطب يا عبد المنعم؟
-لأن الطبيب هو التالي للأنبياء مباشرة.
-ماذا تعني؟
-إن وظيفة النبي هي بناء نفس أشرف مخلوق وهو الإنسان، ووظيفة الطبيب هي المحافظة على
جسد هذا المخلوق الشريف، فهو مكمل لوظيفة الأنبياء...
-وبماذا تفضلين له يا أم علي؟
-أفضل أن يكون داعية إلى الله، فهي وظيفة الأنبياء -عليهم السلام- نفسها.
-اختيارك يا خديجة، أحسن من اختياري. وإن كنت لا أظن أنني سأعيش حتى يتخرج.
-ولم هذا التشاؤم يا عبد المنعم؟ ربنا يبارك في عمرك حتى تملأ عينيك من أحفاده...

أخذت خديجة نفساً عميقاً وقالت:
-إني أشم رائحة غريبة ولكنها عطرة. عطرة. سبحان الله. سبحان الله...
فقال علي بحماس:
-وأنا والله أشم هذه الرائحة العطرة الآن.
فضمته بذراعيها وقالت:
-لا تخرج اليوم يا علي. لا تخرج يا بني. لا تخرج.
تساءل علي بيقين:
-لماذا هذا الخوف يا أمي؟ العمر واحد والرب واحد.
ثم أردف:
-وأين أنت من قوله تعالى:
{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا
تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} 118...

-يا ملك الشهداء، كيف عرفت أنني من الشهداء؟!
-إن أرواح الشهداء تُعرض علينا فعرفتكم.
-فهنيئاً لك الشهادة يا علي... فهنيئاً لك الشهادة يا علي...
-هنيئاً لك الشهادة يا علي...
-وكيف عرفت اسمي يا ملك الشهداء؟!
-إن أرواح الشهداء تعرض علينا بأسمائهم وصفاتهم...

صرخت خديجة:

-لقد فاحت الرائحة الشذية الرهيبة!... أكيد توجد ملائكة في البيت... لا تخرج يا بني. لا تخرج أرجوك.

-فعلا، الرائحة الذكية قد زادت انتشارا في أرجاء البيت...
قالت خديجة في نفسها:

يا الله يا الله. ما هذه الرائحة الشذية؟ رائحة الملائكة؟! رائحة الجنة؟! أم رائحة الموت؟! رائحة الموت؟! آه. آه... الموت يرسل رائحته قبل مجيئه... لقد شممت هذه الرائحة هنا في البيت قبيل استشهد عبد المنعم في المعتقل! وكأن عبد المنعم أرسل رسالة لي ليودعني قبيل عروج روحه إلى الرفيق الأعلى... إن قلبي منقبض! ألطف يا رب...
-لا تخرج اليوم يا علي.

-اليوم عندي (سكاشن) يا أمي، لا بد أن أنزل.
هل هي رائحة ملائكة طوافة موجودة هنا الآن؟ الرائحة قد صارت أكثر وضوحا وتميزا. إنها الرائحة الزكية التي كنت أشمها في الكوكب السابع وكنت أشمها حين ألتقي بالمعلم... هل المعلم موجود الآن دون أن أراه؟ ولكن المعلم ودعني في آخر مرة...

-سيكون هذا اللقاء هو آخر عهدي بك يا علي.
ولم يا أستاذي العظيم؟!

-هذا أمر الله يا علي. وأحب أن أخبرك بأنه في الأربعينات، كان الإخوان المسلمون يأخذون الشباب-أي شباب حتى الذين لا يصلون الفريضة- من الشوارع المحيطة، ويلعبون معهم الكرة في أرض الجمل هذه التي نقف عليها. وفي نهاية اليوم، يدعونهم إلى الالتزام الحق بالإسلام وشعائره... وفي نهاية المطاف، كان هذا الشباب ينضم إلى جماعة الإخوان ليكونوا دعاة إلى الله... إن الله يباهي الملائكة بمن فعل ذلك يا علي...

-سامحيني يا أمي لا بد أن أخرج.
قبل علي يد أمه ونزل مسرعا على الدرج. هرع قلبها قبل جسمها إلى الشباك. إذا بسيارة نصف نقل كانت على موعد مع علي ومنتظرة إشارة بنزوله، وكانت تسير بسرعة جنونية فسحقت علي تحتها وطار هاربة!!...
صرخت خديجة، ولطمت وجهها، ونزلت مهرولة وهي تولول:

- قتله الطواغيت. قتله المجرمون. قتله المجرمون. قتله المجرمون. قتله المجرمون... قتله...!
وانداحت صرخاتها في أنحاء الكون كله...

-117-

خلق المعلم والطائر الذي يحمل روح علي عبد المنعم بعد استشهاده، وصعدا معا في سماء الكوكب السابع ليلتقيا مع الطائر الذي يحمل روح عبد المنعم السيد صابر والد علي. وسَبَحُوا معا في سماء الكوكب تغشاهم الرحمة والسكينة والحبور...
تساءلت روح علي: "حينما قابلتك يا أبي هنا في المرة السابقة قبل موتي، لم أشعر بالسعادة التي أتذوقها الآن. فلم؟"

غرد طائر عبد المنعم. أجاب: "يا بني، حينما أتيت إلى هنا كنتَ مازالت في الدنيا، وروحك هي التي صعدت إلى هنا. أما الآن فأنت تعيش حقيقة -لا زيارة- في الكوكب السابع"...
غرد طائر علي ورفرف بجناحيه: "ما أعظمها سعادة يا أبي! لم أكن أتصورها بهذا الجمال والجلال والعظمة"...

تبسم طائر عبد المنعم قائلا: "إن السعادة التي نحياها الآن ما هي إلا تمهيدا للجنة يا بني".
وأكمل:

-وما أدراك ما الجنة؟ ثم ما أدراك ما الجنة؟
بكي طائر علي فرحا ...

-والله يا أبي، إننا لا نستحق ما نحن فيه من نعمة وكرم وسعادة وحبور...
-إن عطاء الله في الدنيا والآخرة بلا حدود... خزائنه لا تنفذ أبدا ... هو الكريم سبحانه وتعالى.
هو الكريم حقا. سبحانه لا أحصي ثناء عليه كما أتى على نفسه...
ردد عبد المنعم وعلي والمعلم وهم ييكون: "سبحانه... سبحانه... سبحانه..."
حتى امتلأت صفحات وأفاق الكوكب اللامتناهي بصدى تسبيحهم وبصدى تسبيح الملائكة والأرواح الطاهرة...
قال المعلم بيبكاء حار: "كنت أتمنى أن أحيا السعادة التي تعيشها الآن".

فتساءلت روح علي مندهشة: "ألم تعش معنا الآن في الكوكب السابع يا سفير السماء؟"
-أنا الآن في زيارة يا علي. ولازال جزئي الأرضي لم يمت بعد. وروحي الآن هي التي تحلق معكما.

قال عبد المنعم: "يا ليتنا نعيش في الدنيا مثلك يا سفير السماء".
فتساءل المعلم مندهشا: "ولم؟!"

-حتى ننعم بالشهادة في سبيل الله مرات ومرات...
بكي المعلم قائلا:

-إن الله -عز وجل- يستحق أن نضحى بأرواحنا في سبيله مليارات ومليارات المرات...
وقال علي بيبكاء:

-ولو فعلنا ذلك ما وفينا حقا لاسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العليا...
فقال المعلم باكيا:

-أنت الآن يا علي وكل من هو في هذا الكوكب، أعظم علما مني.
 حضن الطائر الذي يحمل روح علي المعلم وهو ينتفض بالنشيج والبكاء وهو يتساءل:
 كيف ذلك يا معلمي العظيم؟
 -أنت قد شاهدت الحقيقة في دار الحقيقة، أما أنا فأني أت إلى هنا للزيارة. وشتان بين العائش في
 الحقيقة والزائر. شتان بين علم اليقين وحق اليقين. شتان ثم شتان وهيهات هيهات بين من علم
 ومن شاهد... وشتان وهيهات بين من شاهد ومن ذاق...
 قال عبد المنعم:
 -إن أعظم نعمة للإنسان أن يشرفه الله بالخلق، وينزله إلى الدنيا، ويهيئ له سبله في عبوديته عز
 وجل... وما أعظم الشهادة في سبيله سبحانه وتعالى...
 وواصل:
 -أما حق اليقين الذي نحياه الآن، فهو يفتقد إلى التكليف والاختبار والتمحيص يا سفير السماء.
 فتساءل المعلم مندهشا:
 -ولكن الكمال في الوصول إلى نقطة النهاية ألا وهي حق اليقين وعدم التكليف. أليس كذلك؟
 فأجابه عبد المنعم:
 -حق اليقين هو راحة للنفس من عناء التكليف، ولكن العظمة في الفلاح في اختبارات التمهين
 والابتلاء والتكليف...
 وقال علي:
 -إن الله يفرح بثبات عبده أمام اختبارات التكليف والتمحيص... بل يباهي -سبحانه وتعالى- بعبده
 الثابت على الحق أمام الملائكة الكرام...
 ثم تساءل:
 -ألم يقل الله في الحديث القدسي: ((أيها الشاب التائب أنت عندي أفضل من بعض ملائكتي))؟!
 بكى المعلم. قال:
 -ولكن ما أكثر ما يسقط الإنسان في الابتلاءات! والقليل هم الذين يثبتون ولا يترنحون تحت
 سياط التمهين!
 ثم أكمل وهو لازال باكيا:
 -هي نار المعاصي التي يحجزها عنا الرسول الأعظم -صلى الله عليه وسلم- وكل الأنبياء
 والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- ولكننا نتفلت ونهوي في حمم براكين نار الشهوات
 والذنوب!...
 قال علي:
 -ولكنك يا سفير السماء تحمل جزءا ملائكيا رهيبا، فمالك والشهوات؟!
 -أنا وقعت في الشهوات وأعوذ بالله أن يتكرر ذلك مني!
 اندهش علي سائلا:
 -كيف ذلك يا سفير السماء؟!

رد المعلم ب بكاء حار:

- سأخبرك الآن بحقيقة أمري والتي خبأتها عنك طوال المدة التي عايشناها معا وكنتُ منتظرا أن تكون في دار الحق حتى أخبرك بها. لقد كنت يا علي، أحد ملائكة السماء الكبار، وكنت من الذين جادلوا الله -عز وجل- في أمر آدم قائلين له: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ لقد كنا نرى السجل المخزي للشياطين وهي تفسد في الأرض بعد إصلاحها، وتفسق فيها، وتخرّب كل عمار، وتهدم كل بنيان، وتحارب كل إصلاح... وصعدت سجلات ذنوبها إلى السماء حتى ضجت الملائكة من الروائح العفنة للذنوب والمعاصي. حتى إبليس نفسه ضج من ذنوب الشياطين وطلب من الله -عز وجل- أن يترك الأرض ويعيش مع الملائكة في السماء. واستجيب لطلبه، وعاش إبليس هنا في الكوكب السابع مع الملائكة الكرام، يسبح بحمد ربه، ويقدر له حتى طرد من رحمة الله بعد معصيته العظمى لأمر الله. جادلنا الله في خلق آدم -عليه السلام- حتى لا تمتد سلسلة الفساد في الأرض، من الشياطين إلى ذرية آدم. وأخيرا، استجبنا لأمر الله، وسجدت مع الملائكة لآدم. وكنتُ غير مقتنع بالسجود للذي سيفسد في الأرض.

عاش آدم -عليه السلام- هنا في الكوكب السابع يرفل برعاية الله وحب الملائكة وبنعيم الجنان... وقلنا إن آدم لن يفسد كما كنا نتوقع لأنه عاش بعيدا عن الأرض والشياطين. وخلق الله حواء من ضلع آدم لكي تؤنس وحشته. ولكن الطبع البشري قد غلب آدم وحواء فأكلا من الشجرة المحرمة! ولم تنه حواء آدم ولم ينه آدم حواء. لقد غاب عنهما صوت الضمير! تعجبت الملائكة كيف يعصي آدم ربه هنا بالكوكب السابع، والحياة هنا هي حياة هنية تساعد على الخير والصالح والطاعة والتقوى... فقلت لهم: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. فقالوا: نحن نتحدث عن آدم نفسه وليس ابن آدم الذي لم يظهر بعد! قلت: أكيد أن الحية اللعينة، وهي صورة من صور إبليس، لها القدرة على الدخول إلى الكوكب السابع، هي التي أغرتهم بالأكل من الشجرة المحرمة حتى لا يموتان ويخلدان في الكوكب السابع...

طُرد آدم وزوجه من الجنان إلى كوكب الأرض وتكاثرت ذريتهما... وشاهدنا سجلات معاصي ذريتهما الرهيبة تتصاعد وتتصاعد وانتشرت روائحها العفنة حتى فسدت جو الأرض!... تساءلنا: هل هذه الذرية تستحق سجودنا الذي سجدناه لأبيها؟! لقد فسدوا في الأرض أكثر من فساد الشياطين أنفسهم!

تمنيث أن أرتدي الطبيعة البشرية لأثبت أمام الله أن الفساد في الأرض سببه النفوس الشريرة وليست الطبيعة البشرية. وحدث ما تمنيت. وهبطتُ إلى الأرض. وحدث ما لم يكن أتوقعه، لقد اقترفت ما يقترب بني آدم: حسدتُ، حققتُ، غضبتُ، ضربتُ، أذيتُ...! بكى المعلم بنحيب وهو يواصل:

-بعدما كرهت الطبيعة البشرية، وازدادت المعاصي التي اقترفتها شراسة؛ تركت الأرض ومن عليها، وعشت في صومعة في أحد الجبال، أبعد عن ذرية آدم والمعاصي التي تتولد من الاحتكاك بهم، وأعبد ربي، وأرعى غنمي...

سكت المعلم برهة ثم استأنف بنحيب:

-تعرضت لي راعية غنم سافر أهلها بعيدا. لم أستطع أن أصبر عليها، ولم تستطع أن تصبر عليّ! واقتربنا جريمة الزنا والعياذ بالله! بكيتُ وبكيتُ حتى ملئت الوادي بدموعي، واستغفرت ربي. وطلبتُ من الله أن يصرف عني الشرور والآثام والصفات الرديئة من طبيعتي البشرية، واستجيب لطلبي، وصارت طبيعتي البشرية ربانية. عاهدت الله أن أسخر طبيعتي البشرية الربانية وطبيعتي الملائكية في تعزيد وتثبيت كل من يدعو إلى الله -عز وجل- سواء كان نبيا أو صديقا أو وليا أو تقيا أو صادقا أو صالحا ...

سرت مع موسى وقومه وهم يفرون من فرعون وجنده، ودفعت يداي فرعون وجنده في الطرق اليابسة الاثني عشر في البحر الأحمر، ولم أتركهم ولم تتركهم يداي، وإلا حين انطبق البحر عليهم...

مددت الخضر من روعي الملائكية وهو يقوم بأفعاله الغريبة العجيبة. مددت يوشع بن نون وجنده بمدد من روعي الملائكية حين قال الله له: (5) لَا يَقِفْ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. كَمَا كُنْتُ مَعَ مُوسَى أَكُونُ مَعَكَ. لَا أَهْمُكَ وَلَا أَتْرُكَ. 6 تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ، لِأَنَّكَ أَنْتَ تَقْسِمُ لِهَذَا الشَّعْبِ الْأَرْضَ الَّتِي حَلَفْتُ لِآبَائِهِمْ أَنْ أُعْطِيَهُمْ. 7 إِنَّمَا كُنْ مُتَشَدِّدًا، وَتَشَجَّعْ جِدًّا لِكَيْ تَتَحَقَّقَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَكَ بِهَا مُوسَى عَبْدِي. لَا تَمَلْ عَنْهَا يَمِينًا وَلَا شِمَالًا لِكَيْ تُفْلِحَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ. 8 لَا يَبْرَحُ سَفَرُ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ فَمِكَ، بَلْ تَلْهَجُ فِيهِ نَهَارًا وَلَيْلًا، لِكَيْ تَتَحَقَّقَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ. لِأَنَّكَ حِينَئِذٍ تُصْلِحُ طَرِيقَكَ وَحِينَئِذٍ تُفْلِحُ. 9 أَمَّا أَمْرُكَ؟ تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ! لَا تَرْهَبْ وَلَا تَرْتَعِبْ لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مَعَكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ) 119 ...

تعجبت من الطبيعة البشرية ليوشع بن نون -عليه السلام- وهو يلتزم لأمر الله ولشرعه ولتعاليمه... وتعجبت أكثر وبكيت حين رأيت الشمس تثبت في السماء ولا تغرب له ولجيشه!... بكيت وأنا أسمع داود عليه السلام وهو يقول: (1) الرَّبُّ رَاعِيٌّ فَلَا يُغَوِّرُنِي شَيْءٌ. 2 فِي مَرَاعٍ خُضِرٍ يُرْبِضُنِي. إِلَى مِيَاهِ الرَّاحَةِ يُورِدُنِي. 3 يَرُدُّ نَفْسِي. يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْبِرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ.) 120 ...

كنت في روح آصف بن برخيا حين أحضر عرش ملكة سبأ من اليمن إلى بيت المقدس في غمضة عين!...

بكيت وأنا أرى أيوب وهو يمثل النموذج الأمثل في الصبر على البلاء، وبكيت حينما كنت أسمعه وهو يقول متحدثا عن الله:

119 الآية 5 - 9 من الإصحاح 1

120 الآيات 1 - 3 من المزمور 23

4) هُوَ حَكِيمُ الْقَلْبِ وَشَدِيدُ الْقُوَّةِ. مَنْ تَصَلَّبَ عَلَيْهِ فَسَلِمَ؟⁵ الْمَرْخَزُ الْجِبَالِ وَلَا تَعْلَمُ، الَّذِي يَقْلِبُهَا فِي غَضَبِهِ. ⁶الْمَرْغَزُ الْأَرْضَ مِنْ مَقَرِّهَا، فَتَنْزَلُ أَعْمِدَتُهَا. ⁷الْأَمْرُ الشَّمْسَ فَلَا تُشْرِقُ، وَبَحْتُمُ عَلَى الثُّجُومِ. ⁸الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ وَحَدَهُ، وَالْمَاشِي عَلَى أَعَالِي الْبَحْرِ. ⁹صَانِعُ النَّعْشِ وَالْجَبَّارِ وَالثَّرِيًّا... ¹⁰فَاعِلُ عَظَائِمَ لَا تُفْحَصُ، وَعَجَائِبَ لَا تُعَدُّ ¹²¹...

وتعجبت من قوة صبر أيوب. فلقد طال مرضه أعواما طويلة وهو صابر صبرا جميلا. ولما بدأ الجزع يدب إلى قلب زوجه، طلبت منه أن يدعو ربه ليفرج عنه، فقال لها لقد عشت سبعين سنة سليما صحيحا فهو هو قليل الله أن أصبر له سبعين سنة أخرى؟

ولما رأت الملائكة هذا الأنموذج من الصبر، قلتُ معهم إن السجود كان مستحقا لأبيك آدم... فإله يعلم ما لا نعلم...

ولقد ارتجت السماء وأيوب يدعو ربه: {أَتَيْ مَسْنَى الضَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} ¹²²... ولم يتوجه إلى السماء طالبا الفرج إلا بعد أن طال به المرض وباعت زوجه قرونا من شعرها لكي تحضر له طعاما...

بكيت وأنا أرى يونس يفدي السفينة وأهلها بنفسه ويقول:
- (خُذُونِي وَاطْرَحُونِي فِي الْبَحْرِ فَيَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنْكُمْ، لِأَتْنِي عَالِمٌ أَنَّهُ بِسَبَبِي هَذَا النَّوْءُ الْعَظِيمُ عَلَيْكُمْ) ¹²³...

وبكيت مع الملائكة حين سمعنا دعائه من بطن الحوت، في جوف البحر، وفي ظلمة الليل:
- {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} ¹²⁴...

ابتهجت ملائكة السماء حين ولد المسيح عليه السلام، وأنشدت معهم بحماس:
- «الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ» ¹²⁵...

ارتعدت وأنا أسمع النبي يحيى بن زكريا، الشهيد بن الشهيد، يقول:
- (كَمَا هُوَ مَكْنُوبٌ فِي سِفْرِ أَقْوَالِ إِشْعِيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ، اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً. ⁵كُلُّ وَادٍ يَمْتَلِئُ، وَكُلُّ جَبَلٍ وَأَكْمَةٌ يَنْخَفِضُ، وَتَصِيرُ الْمُعْجَازُ مُسْتَقِيمَةً، وَالشَّعَابُ طُرُقًا سَهْلَةً، ⁶وَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ خَلَاصَ اللَّهِ) ¹²⁶...

وقلت في نفسي:

كم هي شاقة الاستقامة على طريق الله؟!...

تعجبت وأنا أرى أتباع المسيح -عليه السلام- بعد رفعه إلى السماء، يختلفون في طبيعته، وتعتقد المجامع المسكونية العديدة في هذا الأمر! ولقد كان المسيح يقول لتلاميذه وللأجيال التي ستأتي بعده التي تتناحر وتتمنى أن يكون المسيح معهم ولو يوما واحدا:

¹²¹ سفر أيوب الآيات 4 - 10 إصحاح 9 بتصرف

¹²² جزء من الآية 83 من سورة الأنبياء

¹²³ سفر أيوب الآية 12 إصحاح 1

¹²⁴ جزء من الآية 87 من سورة الأنبياء

¹²⁵ الآية 14 إصحاح 2 من إنجيل لوقا

¹²⁶ الآيات 4 - 6 إصحاح 3 من إنجيل لوقا

22- وَقَالَ لِلتَّلَامِيذِ: (سَتَأْتِي أَيَّامٌ فِيهَا تَشْتَهُونَ أَنْ تَرَوْا يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ أَيَّامِ ابْنِ الْإِنْسَانِ وَلَا تَرَوْنَ.
23 وَيَقُولُونَ لَكُمْ: هُوَذَا هَهُنَا! أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ! لَا تَذْهَبُوا وَلَا تَتَّبِعُوا،²⁴ لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ الَّذِي
يَبْرُقُ مِنْ نَاجِيَةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ يُضِيءُ إِلَى نَاجِيَةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ، كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضًا ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي
يَوْمِهِ.²⁵ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَوَّلًا أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا وَيُرْفَضَ مِنْ هَذَا الْجِيلِ) ¹²⁷...
كنت في روح حوارِي الأنبياء وأتباعه وأصحابه، أمدّهم من جزئي الملائكي ومن كل القدرات
التي منحني الله إياها...

دافعت عن أتباع المسيح وهم يبلغون كلمة الله بعد رفع المسيح إلى السماء... كنت في أرواح
أصحاب الأخدود وهم يضحون بأرواحهم في سبيل الإيمان بالله الواحد والكفر بالملك الإله
المزيف...

أصابتنِي الرعدة وأنا أسمع جبريل عظيم ملائكة السماء وهو يبدأ بنزول الوحي على النبي محمد
-عليه الصلاة والسلام- ويقول: {أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَفْرَأَ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} ¹²⁸...
وقلت في نفسي:

لقد جاء النبي الذي بشر به المسيح وقال:
26 (وَمَتَى جَاءَ الْمُعَرِّي الَّذِي سَأَرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبِثُ،
فَهُوَ يَشْهَدُ لِي.²⁷ وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لَأَنَّكُمْ مَعِيَ مِنَ الْابْتِدَاءِ.) ¹²⁹...
وقلت:

وهو الذي قال فيه المسيح أيضا:
(وَأَمَّا الْآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي: أَيْنَ تَمْضِي؟⁶ لَكِنْ لِأَنِّي قُلْتُ
لَكُمْ هَذَا قَدْ مَلَأَ الْحُزْنَ قُلُوبَكُمْ.⁷ لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا
يَأْتِيَكُمْ الْمُعَرِّي، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أَرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ.⁸ وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يَبْكُ الْعَالَمُ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ
وَعَلَى دَيْثُونَةٍ:⁹ وَأَمَّا عَلَى خَطِيئَةٍ فَلَا تُهْمُ لَا يُؤْمِنُونَ بِي.) ¹³⁰...
وقلت:

وهو الذي قال فيه المسيح -عليه السلام-:
12 (إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لِأَقُولَ لَكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ.¹³ وَأَمَّا مَتَى جَاءَ
ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ
بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ.) ¹³¹...
وأيقنت وقلت:

¹²⁷ الآيات 22 - 25 إصحاح 17 من إنجيل لوقا

¹²⁸ الآيات 1 - 5 من سورة العلق

¹²⁹ الآيات 26، 27 إصحاح 15 من إنجيل يوحنا

¹³⁰ الآيات 5 - 9 إصحاح 16 من إنجيل يوحنا

¹³¹ الآيات 12، 13 إصحاح 16 من إنجيل يوحنا

لقد صدقت يا مسيح... فالرسول محمد -عليه وآله الصلاة والسلام- روح الحق، ويرشد البشرية إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه.

ورنت في أذني آيات عظيمة في القرآن الكريم تؤكد آية الإنجيل:

{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ} ¹³²...

لقد رأيت النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- يتفصد عرقاً في الليلة الشديدة البرودة حين ينزل أمين وحي السماء بالوحي...

وكان المصطفى يبلغ ما أنزل عليه من الآيات والذكر الحكيم، ولا يأبه لأذى قومه، ولا لسخريتهم، ولا لتكذيبهم واتهامهم إياه بالسحر والكهانة والشعر!...

كنت مع الصحابة وهم يدافعون عن الرسول المصطفى -صلى الله عليه وسلم- في غزوة أحد...

كنت في روح الحسين بن علي الذي ضرب المثل الأعلى في مواجهة الطغيان...

كنت في روح عبد الله بن الزبير الذي ضرب المثل في الثبات على الحق ولم يتزعزع قيد أنملة وهو يواجه جحافل الطاغية الحجاج وجحافل كل الطواغيت والجبابرة على مدار التاريخ...

كنت في أرواح المؤمنين وهم يطهرون المسجد الأقصى من جيوش الصليبيين في حطين...

كنت في أرواح المؤمنين في عين جالوت وهم يصدون الغزو التتري الهمجي...

كنت في أرواح المؤمنين وهم يقاومون الحملة الفرنسية العاشمة...

وفي حملة فريزر...

وفي حرب رمضان 1393 أكتوبر 1973... ولم أكن وحدي، بل كانت ملائكة السماء تعضد

وتشد من أزر الجيش المصري العظيم الذي ضرب أروع الأمثلة في الجهاد في سبيل الله،

ودحر المعتدين، ورفع الرأس عالية خفاقة... ويكفي قول الرسول -عليه وآله الصلاة والسلام-

عن أبناء مصر: ((هم خير أجناد الأرض...)).

كنت في أرواح المجاهدين الأفغان وهم يصدون الغزو السوفيتي الهمجي حتى كتب الله النصر

في عام 1988 ميلادية...

قالت روح علي في نفسه:

ولكن الأغنام فتنتهم في دينهم فأضحوا يتقاتلون فيما بينهم بعد خروج المعتدي!...

-كنت في أرواح أهل البوسنة والهرسك وهم يضحون بالغالي والنفيس في مواجهة الهجمة

الصليبية الشرسة من الصرب والعالم الغربي كله الذي ينفخ من روحه الخبيثة في نار هذه

الحرب حتى لا تتطفئ أبدا!...

وكنث في أرواح المؤمنين في الحرب العالمية الثالثة في هرمدون أزود عنهم وأقوي أرواحهم

المعنوية ضد الهجمة الصليبية العالمية الحاقدة.

وجه المعلم حديثه إلى عبد المنعم قائلاً:

¹³² الآيات 3 - 5 من سورة النجم

-كنت في روحك يا عبد المنعم، أثناء التعذيب الرهيب في مبنى أمن الدولة في عام 1982.
وكنت كذلك في روح كل الصامدين على الحق أمام كل الطغاة...
وكنت في روح كل الدعاة إلى الحق والخير والجمال؛ أويدهم بقبس من روحي الملائكية، وأكفر
بذلك عن الذنوب التي اقترفتها في بداية طبيعتي البشرية.
ثم توجه إلى علي قائلا:
-وكنت في روحك يا علي، حتى تجدد الحركة الإسلامية وتعيدها إلى الصواب بعدما أبعدتها
السرية عن جادة الصواب، وأبعدها الجهل إلى التطرف!...

التحق الطائر الذي يحمل روح أحمد الغرباوي بركب المعلم وهو يحلق في سماء الكوكب، فتبسم
المعلم قائلا:
-وكنت في روحك يا غرباوي، حتى تعرضت للشهادة على أيدي جماعات الجهل والظلام
والضلال...
ثم قال لعللي:
-ولكنك لم تكمل رسالتك وخاصة مع جماعات التكفير والتدمير بعد استشهادك على يد الطغاة.
فقال الغرباوي لعللي عبد المنعم:
-لقد كنت يا علي على حق. ولقد ظلمناك فسامحنا.
ثم أرفد للمعلم:

-ستستمر قوافل الدعاة إلى الله -عز وجل- تتدفق، وسيأتي من بعد علي عبد المنعم من ° يجدد
الدين ويمحو الجهل والضلال...
ظل الأربعة يطبشون في جو الكوكب السابع يسبحون الله ويمجدونه ويقدسونه حتى فوجئ
الكوكب كله بما يحمل من أرواح المؤمنين والملائكة بنحيب رهيب من المعلم ارتجت له أركان
الكوكب السابع اللامتناهية...
فهتفت الأرواح:
-ما بك يا سفير السماء؟!
وقالت الملائكة:
-خير يا معلم البشرية؟!
فرد باكيا:

-أستغفر الله. أستغفر الله. أعان الله الإنسان على طبيعته البشرية. أعان الله على
طبيعته البشرية. أعان الله. يا ليتني لم أطلب من الله أن أرثي طبيعة البشر. يا ليتني لم
أعص الله. لو كنت مكان آدم -بطبيعتي البشرية- لأكلت من مئة شجرة محرمة...! أستغفر الله.
أستغفر الله...

ثم بكى بكاء مرا ...

قال علي عبد المنعم:

يا سفير السماء، إن أسماء الله -عز وجل- يحب أن يحققها في الدنيا والآخرة. فهو تعالى أوجب تحقيق أسمائه الحسنی وصفاته العلیا منذ الأزل وإلى الأزل... ومن أسمائه -سبحانه- "الغفور الرحيم". فهو يحب -تعالى- أن يحقق هذين الاسمين قبل خلق آدم عليه السلام، وحين عصى آدم وأكل من الشجرة إلى طلوع الشمس من مغربها، ويوم القيامة إلى مالا نهاية... فهو -سبحانه وتعالى- لا يحب أن يعصيه عبده، ولكنه يحب من عبده أن يتعلم من تجاربه ومن أخطائه. وإذا وقع العبد في هوة المعاصي والذنوب؛ ساعده الله على القيام، وأخذ بيده، وثبته، وحقق اسمه الغفور، وغفر لعبده مهما كانت صحيفته مليئة بالذنوب، حتى لو كانت تملأ الأرض...

ويظل اسم الله "الغفور" يتحقق ويتحقق إلى يوم القيامة وحتى بعد دخول الجنة... فالعبد العاصي في النار، يحقق الله فيه اسمه الغفور، فيغفر له ذنوبه حتى يصعد درجة أقل من العذاب وأقل، حتى يخرج من النار ويدخله الجنة...

والعبد في الدرجة الدنيا في الجنة، يغفر الله له أكثر وأكثر حتى تعلو درجته إلى جنة أعظم وأسمى... ثم يغفر الله له أكثر وأكثر حتى تعلو درجته أعلى وأعلى حتى يصل إلى الفردوس الأعلى...

بكى المعلم والأرواح وهتفوا بصوت هادر رهيب:

-كفى يا علي. لا نستطيع أن نتحمل ما تقوله. كفى يا علي. كفى. سبحان الله. لا حول ولا قوة إلا بالله. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ثم قال المعلم:

يا علي، كنتُ معلمك في الدنيا قبل أن تنال الشهادة، والآن أنت معلمي بالكوكب السابع...

ثم دخل في نوبة بكاء شديد...

بكى علي لبكاء معلمه، وبكى الغرباوي وعبد المنعم لبكاء علي والمعلم. وظل الأربعة يحلقون في سماء الكوكب ملايين السنين الضوئية بمقاييس كوكب الأرض، وهم يقصدون الله عز وجل، ويسبحون بحمده، حتى وصلوا إلى قصر غلام أصحاب الأخدود المنيف حيث يتم عقد لقاء الذكر الأسبوعي والذي يديره غلام أصحاب الأخدود، وكان يحضره دائما علي ووالده والغرباوي وسفير السماء والملوك السبعة وجمع غفير من الطيور الزاهية التي تحمل أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والمؤمنين الأبرار الذين شرفهم الله في ذكره وتسبيحه وتقديسه في الدار الآخرة...

تمت مساء الاثنين 1432/8/24 الموافق 2011/7/24 بمدينة الطائف بالملكة العربية السعودية

في أرض الجمل تحاول السماء أن تتصل بأهل الأرض
-ويمثلهم علي عبد المنعم- لتأخذ بأيدينا إلى بر النجاة
والأمان، فهل تفلح؟ هذا ما تجيب عنه هذه الرواية...

